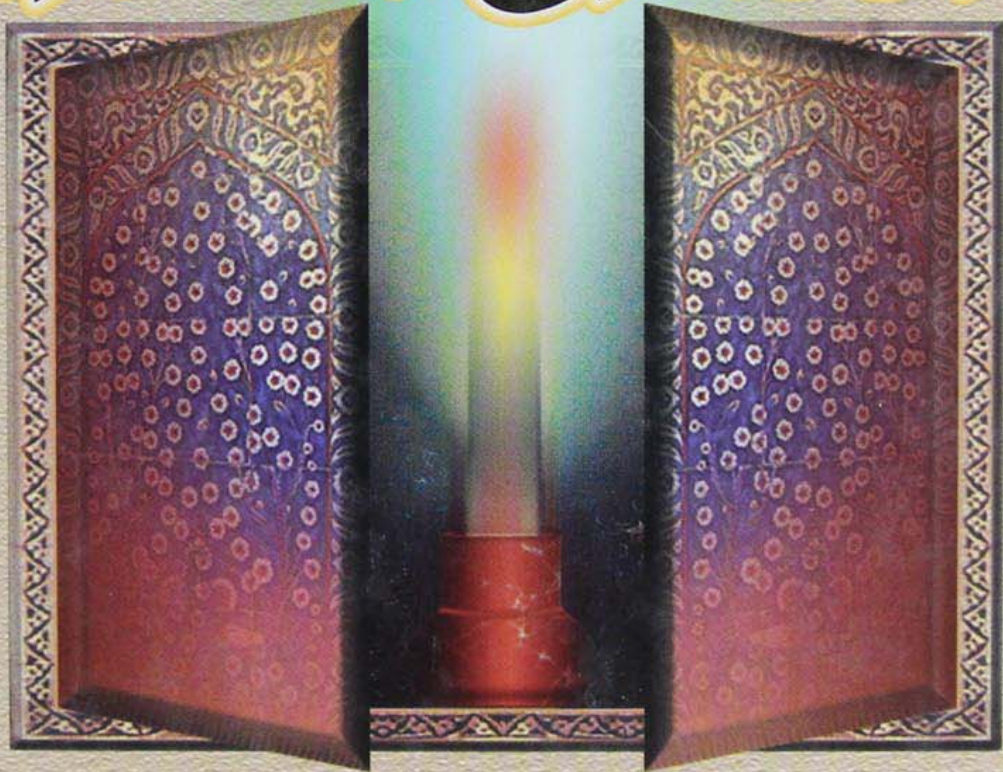


المسجد الحرام الحج والعمرة في اللغة



الدكتور محسن باقر الموسوي

للتنقيب والطباعة
والنشر والتوزيع
الدار
بيروت - لبنان



مركز تحقیقات کلمہ نور علوم اسلامی

المدین إلى علوم نهج البلاغة

الطبعة الأولى
جميع الحقوق محفوظة
(١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)

من مراكز التوزيع:

سوريا - دمشق - السيدة زينب  مكتبة الرسول الأعظم 

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية

الطبعة الأولى
للتحقيق والطباعة
والنشر والتوزيع

المكتبة : حارة حريك - بئر العبد - شارع السيد عباس الموسوي - الهاتف : ٠١/٥٤٥١٨٢ - ٠٣/٤٧٣٩١٩ - ص.ب : ١٣/٦٠٨٠
المستودع: حارة حريك - بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - تليفاكس : ٠١/٥٤١٦٥٠
البريد الإلكتروني : d-aloloum@ayna.com

کتابخانه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

۳۷۴۶۸

شماره ثبت:

تاریخ ثبت:

المدخل

إلى علوم نهج البلاغة



الدكتور

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
محسن باقر الموسوي

جمعہ داری اموال

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

۵۲۹۳۰

ش-اموال:

للطباعة والتوزيع
دار العلوم بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ

الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْحَمْدُ

المقدمة

منذ أن بدأ اهتمامي يتضاعف بنهج البلاغة في سن مبكرة، وأنا أتمنى أن أجد كتاباً موسوعياً في المكتبات يتناول علوم نهج البلاغة على نسق البحوث التي كتبت في علوم القرآن الكريم، حيث كنت اضطر في بعض المرات أثناء استخراج بعض الأفكار من نصوص النهج، أن أراجع مصادر كثيرة لا أعرف على أصل الخطبة، أين أُلقيت؟ وفي أية مناسبة، وما هي النسخة الصحيحة للخطبة حيث كنت أواجه في كل مرة بنسخ مختلفة، وأصبحت أجمع تلك المعلومات وأضعها في الدرج في ملفات خاصة حتى اجتمع لدي كمية كبيرة من المعلومات عن شأن أيراد الخطب، وأصلها وأسمائها ورواتها ومصادرهما الأصلية، ومكان وزمان إيرادها، ثم دعاني بعض الاخوة إلى استخراجها ككتاب وكان على رأس المشجعين سماحة العلامة السيد جمال الدين دين برور رئيس مؤسسة نهج البلاغة الذي نذر نفسه في خدمة هذا السفر العظيم.

إلا أن هناك توضيحاً لا بد من بيانه، وهو أن مفهومنا لعلوم نهج البلاغة يتضمن

جانبين:

الجانب الأول: العلوم المتصلة بنهج البلاغة: وتشمل جميع ما يمكن أن يساعدنا على فهم نهج البلاغة، ويقربنا أكثر إلى النص الصحيح الذي قاله أمير المؤمنين (عليه السلام)، وليس بَدْعاً أن نسمي هذه المعارف بعلوم نهج البلاغة، فقد كتبت بحوث كثيرة قديماً وحديثاً حول العلوم المتصلة بالقرآن الكريم وسميت بعلوم القرآن، كأسباب النزول،

والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمكي والمدني، وما شابه ذلك، فعلى هذا النسق تتبعنا ما يشابهه في نهج البلاغة، بحثنا في زمان ومكان الخطب، وشأن إيرادها، ورواة نهج البلاغة، والمشككين وأقوالهم والرد عليهم، والخطب وأنواعها، والرسائل وأنواعها، والوصايا وأنواعها، والفرق بين كل واحد من هذه الأجزاء، ثم توقفنا عند الكلمات القصار وطرحنا سؤالاً: هل كان لأمر المؤمنين ﷺ كلمات قصار أم أن ما أورده السيد الرضي أكثره عبارات جميلة اقتطعها على ذوقه من الخطب والرسائل؟

الجانب الثاني: العلوم المستنبطة من نهج البلاغة، وهي العلوم التي تطرق إليها أمير المؤمنين ﷺ في خطبه ورسائله وعهوده، ولم يقصدها بعينها كالاقتصاد والسياسة والإدارة والقضاء والتاريخ، والفلسفة، والعرفان، والإستراتيجية العسكرية، وعلم القضاء، وعلم الأحياء وما شابه ذلك، فهذه العلوم موجودة في نهج البلاغة بأصولها ومبادئها وقواعدها ولا تحتاج إلا إلى متخصص يفهم كلام أمير المؤمنين جيداً ويستطيع أن يستنبط منه أفكاراً وموضوعات في تلك العلوم كما فعلنا نحن في الإدارة والاقتصاد والقضاء^(١)، حيث وجدت ثروة هائلة من المعارف والعلوم في نصوص النهج، وبشيء من التأمل والتحليل استطعنا أن نستنتج تلك النصوص واستخرجنا منها أفكاراً في القمة.

ولما كانت هذه العلوم بحاجة إلى مختصين وأصحاب رأي فإني تركت هذا الموضوع جانباً لأصحاب التخصص ليقولوا فيه كلمتهم، وغاية ما ذكرناه هو الإشارة إلى عناوين الموضوعات والعلوم الأصلية والفرعية التي يمكن استنباطها من نصوص نهج البلاغة، أملنا أن يُبادر المتخصصون إلى كتابة بحوث في مجال تخصصهم ليثروا الفكر الإنساني بعلوم أمير المؤمنين ﷺ.

ولا ريب أنهم سيجدون مفاتيح كل علم من العلوم في كلام أمير المؤمنين ﷺ الذي قاله في مناسبات كثيرة ومتنوعة، أليس هو باب مدينة العلم فمن أراد المدينة فليدخلها من بابها، فعند علي ﷺ ألف باء كل علم من العلوم التي تحتاجها البشرية،

(١) راجع الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، والإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ﷺ والقضاء والنظام القضائي عند الإمام علي ﷺ للمؤلف.

وليس علمه كعلومنا ، فعلمه من علم رسول الله ﷺ مصدره الوحي ، فلا تجد في علوم علي ﷺ ثغرة أو نقطة ضعف ، فكل ما يقوله حقائق لا نقاش فيها ولا جدال . من هنا فكل من يستنبط العلوم من نهج البلاغة يقدم في الواقع خدمة كبيرة للبشرية لأنه سيقدم لها حقائق ثابتة بمقدورها العمل بها بطمأنينة وراحة بال .

لذا سمينا هذه الدراسة بالمدخل إلى علوم نهج البلاغة ، فهي ليست إلا مفتاحاً يستعين به الباحث والدارس للولوج إلى عالم نهج البلاغة ، ولفك أسرار وألغاز ذلك العالم الرحب الذي وسع الفكر الإنساني بكل جوانبه كما كان أمير المؤمنين ﷺ في سعة وأفق الكيرين .



مركز تحقيقات كميّات علوم إسلاميّة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفصل الأول



أقسام الكلام في نهج البلاغة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تمهيد

نهج البلاغة هو ما اختاره السيد الرضي عليه السلام من خطب وكلمات ووصايا وأدعية، وقد قسمه إلى ثلاثة أقطاب - كما يقول في ذلك - أولها الخطب والأوامر، وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ، ثم يقول في معايير الاختيار: فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم الكتب، ثم محاسن الحكم والأدب مفرداً لكل صنف من ذلك باباً. وإذا ما دققنا في مجموع ما أورده السيد الرضي عليه السلام لوجدناه مقسماً، من حيث التركيب والهدف من القول والموضوع إلى الأصناف التالية:

١٢٤ خطبة، ١١٣ كلاماً، ٦٣ كتاباً، ١٢ وصية، ٥ أدعية، ١ حلف، عهدان.

هذا غير الكلمات القصار التي أغلبها اقتطعت من الخطب، أو هي في الأصل أقوال قالها أمير المؤمنين عليه السلام في مناسبات، أو تعليقاً على الأحداث، أو هي أجوبة على مسائل مختلفة سئل عنها.

وقدم لنا الشريف الرضي في نهج البلاغة نماذج من دعاء أمير المؤمنين عليه السلام ومن عهوده وأحلافه وحتى نماذج من خطبه وكلماته ليست بالكامل، فثمة خطب وكلام كثير قاله أمير المؤمنين عليه السلام لم يذكره السيد الرضي في النهج لعله من العلل، وحتى بعض الخطب لم يذكرها كاملة لأنه اقتطع منها ما ناسب ذوقه الأدبي، فكان يختار الجزء البليغ من الخطبة ويترك البقية خشية التكرار أو أنه لم يرَ فيها السبك البلاغي المناسب مع كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

ولما كانت الفروق واضحة بين الأصناف التي ذكرناها فقد ارتأينا أن نتناول أجزاء نهج البلاغة على ضوء ما قدمناه في الخطب والكلام، والرسائل والوصايا، والعهود، والأحلاف والدعاء.



مركز تحقيقات كميته في علوم إسلامي

الخطب

ذكرنا آنفاً أن نهج البلاغة تضمن ١٢٤ خطبة أوردها السيد الرضي في الباب الأول من الخطب والأوامر، وهي تشمل خطب الجمعة والعيدين، والخطب الحربية التي خطبها أمير المؤمنين في حروبه الثلاثة، وما قاله وذكره في المناسبات العامة، وهي بمجموعها لا تشكل إلا جزء ضئيلاً من خطب الإمام، إذ ذكر المسعودي عدد الخطب بأربعمئة ونيف وثمانين خطبة^(١).

وكتب مستدركات على الخطب والرسائل أورد فيها أصحابها ما لم يأت السيد الرضي على ذكره في نهج البلاغة.

وهناك خطب مشهورة لم ترد في نهج البلاغة كخطبة الوسيلة التي أوردها الكليني في الروضة، إلا أنها وجدت طريقها في نهج البلاغة، فقد قطعها السيد الرضي إلى أجزاء، وجعل كل جزء بصورة مستقلة في باب الحكم والمواعظ، عندما وجد أن تقطيعها أسهل للحفظ في ذاكرة الناس، وأفضل في تلقي الأدباء والعلماء لها، وربما كانت هذه الكلمات القصار هكذا في المصادر التي اعتمدها السيد الرضي، إذ ليست لدينا أدلة في أن تقطيع الخطب إلى كلمات قصار هو من فعل السيد الرضي.

ولما كان الجانب الأدبي هو معيار الاختيار والترتيب، فرمما وجدنا خطبة واحدة أوردها السيد الرضي وهي في الأصل مكونة من خطبتين أو أكثر، وربما ترك أجزاء من خطبة طويلة، ووضع على رأس كل فقرة أدبية اختارها عبارة، (ومنها).

ولالإمام بخطب أمير المؤمنين ومكانتها، نستعرض فيما يلي تاريخ الخطابة، ثم أركان وأجزاء وأنواع الخطب وخصائص الخطابة عند أمير المؤمنين (ع).

تاريخ الخطابة

الخطابة فن قديم اكتشفه الإنسان منذ فجر التاريخ، حيث وجدته خير وسيلة للإقناع الآخرين، ومنذ اللحظة التي اكتشف فيها الإنسان أنه بحاجة إلى أخيه الإنسان سلك طريق الخطابة، وما من أمة في التاريخ إلا وكان لها خطباء، انتشرت خطبهم في الآفاق.

فقد اكتشف علماء الآثار خطباً كتبت بالخط المسماري وهي تعكس معالم الحضارة الآشورية، كما تم اكتشاف خطب كتبت بالخط الهير وغيلفي، وهي تعكس لنا مستوى ما بلغته حضارة النيل.

واشتهر بوذا بقدرته الكبيرة على الخطابة وتمكن أن يجمع أنصاراً له بتأثير كلماته وخطبه، واهتم اليونان بالخطابة وأنشأوا المدارس لتخريج الخطباء، ومن أقدم المدارس اليونانية، مدرسة سقراط الذي عرف بالفصاحة والبلاغة وحسن البيان في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد^(١).

وكتب أرسطو كتاباً في الخطابة بخمسة عشر فصلاً تناول فيه معنى الخطابة وأنواعها وعلاقة الخطابة بالجدل والسياسة وبشكل نظام الحكم.

وانشأ الرومان مدارس لتربية الخطباء في القرن الثاني قبل الميلاد، وليس منا من لم يسمع بشيشرون أكبر خطباء الرومان على الإطلاق.

واهتم العرب في الجاهلية بالخطابة كاهتمامهم بالشعر، وكانوا يجتمعون في أسواقهم التي كانت تتحول إلى ميدان للمباراة في الشعر والخطب، واشتهر من خطبائهم قس بن ساعدة، وأكثم بن صيفي.

وقفزت الخطابة قفزة نوعية مع ظهور الإسلام الذي جاء بالفكر القائم على الإقناع والاستدلال فاتخذ الإسلام أسلوب الخطاب كأفضل طريق إلى كسب الناس والدعوة

إلى تربيتهم التربية الخلقية الرفيعة ، وبدأت الخطابة تأخذ مكانها المرموق في الحياة الأدبية والسياسية للمسلمين ، حتى أنها أصبحت الميدان الأول الذي يسلكه الأدباء والبلغاء ، وأخذ الشعر يعطي مكانه للخطابة في العصر الإسلامي للحاجة الماسة التي كان يحتاجها المسلمون ، ولأن الخطابة أقدر على الإقناع وعلى إيصال الأفكار إلى المخاطبين ولأنها غير محكومة بالقافية والوزن اللتين تحدان من حرية الأديب في طرح أفكاره .

ووصلت الخطابة قمته على عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأنه أولاً كان بنفسه يمارس الخطابة على أفضل صورها فكان سيد البلغاء ، ولأنه تخرج من مدرسته الكثير من الخطباء المبرزين كابن العباس وصعصعة بن صوحان ومالك الأشتر وعمار بن ياسر وعشرات من هذا القبيل .

لقد انتعشت الخطابة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام للأسباب التالية :

١ - ظهور التيارات والاتجاهات الفكرية والسياسية المختلفة حيث حاول كل تيار أن يثبت لنفسه الحق ، ووسيلته لإثبات الحق هو استخدام مجال الخطابة .

٢ - توفير حرية الفكر والرأي ، فقد كان عهد الإمام علي عليه السلام عهد الحريات الذي لم يشهد له مثيل في العهود التي سبقتة ، إلا عهد النبي صلى الله عليه وآله ، فقد فسح الإمام المجال للخوارج بأن يقولوا كلمتهم في مسجده وأمام جمهوره ، وكان يناظرهم بمراءى ومسمع من أهل الكوفة ، وقد زحرت سيرته العطرة بأمثلة كثيرة في مجال حرية الفكر والرأي حتى أن ابن الكواء دخل عليه في المسجد وطعن في الإمام ، وذكر كلمات لا تليق ، كل ذلك وجهاً لوجه مع الإمام ، وأمام مرأى الناس وسمعهم ، وهو أمر نادر الحدوث في التاريخ الإسلامي .

٣ - شكل النظام السياسي ؛ فالنظام السياسي القائم على الشورى ورأي الأمة يحظى بعلاقة متينة بين الأمة والحاكم ، الأمر الذي يجعل الحوار بينهما هو الأسلوب الأمثل في رسم العلاقة ، وفي نقل رغبات كل طرف إلى الطرف الآخر ، وهذا ما يشجع على انتهاج أسلوب الخطابة والمناظرة في طرح الآراء والأهداف وليس القوة والتوسل بالسلاح والقوة القهرية لإقرار الرأي كما تقوم به الحكومات الاستبدادية .

٤- الصراع السلمي ؛ يبرز دور الخطابة في مرحلة الصراع السلمي عندما تغمد السيوف وتحل الألسن محل الرماح والنبال .

وكانت سياسة الإمام تتركز على محور تجنب الصدام قدر المستطاع ، وفسح المجال أمام المناظرات والحوار الفكري ، لأنه كان على يقين بأن ما يكسبه في الحوار الفكري أكبر بكثير عما يكسبه في الحرب فليس لديه ما يخاف فيه الفضيحة خلافا للمعاوية الذي كان يخشى الخطباء ولا يسمح لهم بالتكلم إلا في حدود ضيقة لأنه كان يخشى أن يكشفوا عيوبه وانحرافات ، أما أمير المؤمنين عليه السلام ، الذي قال فيه رسول الله : «علي مع الحق والحق مع علي» ، لم يكن يخشى شيئا بل كان يتمنى أن يمتد الصراع مع أعدائه فكريا لأنه بالفكر يكسب الجولة ، لذا وجدناه يكتب الرسائل تلو الرسائل إلى معاوية وطلحة والزبير معبرا بذلك عن هدفة الإسلام وأنه دين الفكر والعقل والرأي ، وليس دين السيف والرمح والنبال .

يقول إبراهيم سلامة : والخطابة - ما قال أحد مؤرخيها - تحتاج إلى دافعين : دافع في الأرض ، ودافع في السماء ، فالأول تثيره الاضطرابات والخلافات ، والثاني تثيره روح الحرية التي تسمح للخطابة بأن تجري في ميادين عامة ومختلفة ، وإذا كانت الخلافات والاضطرابات من آثار الساسة ، فإن الحرية من أهم مظاهر الحكم ، فالخطابة مقرونة بالسياسة أولا وآخر^(١) .

أركان الخطابة

تتكون الخطابة من ثلاثة أركان هي ، الإيجاد والتنسيق والتعبير^(٢) .

أولاً: الإيجاد :

هو التفكير قبل الخطابة لاستنباط المعاني القوية والمؤثرة والقادرة على إقناع السامعين باستخدام ثلاثة عوامل هي : (١) الأدلة ، (٢) الآداب ، (٣) العاطفة .
فالدليل الذي يأتي به الخطيب يجب أن يكون قطعياً حتى يقنع الآخرين به ، أما

(١) تيارات أدبية: ص ٢٨١-٢٨٢ مطبعة مخيم ١٩٥٢ .

(٢) هذا هو تقسيم لويس شيخو في علم الأدب استنبطه من قول ابن المعتز، راجع كتابه ٩ / ١ .

الآداب فالتزام الخطيب بالصفات الحميدة وتمسكه عملياً بما يقول وتحليه بسداد الرأي وصدق اللهجة والتودد إلى المستمعين وهي أهم العوامل الأخلاقية التي تساعد الخطيب على إيصال فكره إلى الناس .

واستخدام العواطف وتحريك المشاعر والأحاسيس هي أيضاً من العوامل المؤثرة في المجتمع والتي يجب أن تتضمنها الخطبة الناجحة . يقول أرسطو عن الجوانب التي تقوم عليها الخطابة : ما يتصل بأخلاق الخطيب نفسه ، ثم يستنتج قائلاً : إن للصفات الخلقية التي يمتاز بها الكلام أكبر الأثر في قوة الإقناع^(١) .

ثانياً: التنسيق :

ترتيب تلك المعاني التي يقصد عرضها وإحكام تركيب الخطبة وربط أجزائها حتى تأتي الخطبة انسيابية كالماء - كما وصف ابن أبي الحديد خطب أمير المؤمنين عليه السلام .

ثالثاً: التعبير :

وهو الكلام المفصح عن هذه المعاني وما يتصل بها من أدلة ، وفي التعبير على الخطيب أن يراعي فيه طبقات السامعين وأحوالهم وما يناسبهم ، من تأنيق في القول أو سذاجة وتصريح أو تعريض ، وإيجاز أو إسهاب ، كما يراعي اختلاف الموضوع ، وإبرازه في صورة تشاكل المعنى وعبارة تليق بالحال ، من جد أو هزل ، ومدح أو قدح ، وشكر أو زجر ، وإكبار أو استنكار ، وأن يراعي الخطيب مقامه ، وينظر في حال نفسه ، من حداثة أو كهولة وحنكة أو غرارة ، فيجري كلامه على ما يلائم هذه الأحوال^(٢) .

وإذا ما تأملنا خطب أمير المؤمنين عليه السلام لوجدناها مشتملة على هذه الأركان متضمنة للإيجاد والتنسيق والتعبير بأعلى صورها ، فبالرغم من أن الإمام عليه السلام كان يخطب على البديهة - كما يقول المسعودي في مروج الذهب - إلا أن خطبه كانت تأتي على المقاييس الثابتة التي وضعها علماء الأدب للخطابة المثالية .

(١) أرسطو طاليس: كتاب الخطابة ص ٨٥.

(٢) لويس شيخو: علم الأدب ٢ / ٤٩ .

فكان إيجاد الخطبة يوحى للسامع بأن الخطيب فكر طويلاً في إعداد خطبته قبل أن يخطبها، فاتيانه بالأدلة سواء الأدلة العقلية أو النقلية من القرآن الكريم، ومن حديث رسول الله ﷺ يجعل السامع مقتنعاً تمام الاقتناع بما يقول ويتفوه.

أما التزامه الأدبي وتحليه بالأخلاق والفضائل التي يجب أن يتحلى بها الخطيب كالصدق في الكلام ومطابقة الكلام للفعل كانت على أعلى المستويات بحيث كان يؤثر في السامع أشد التأثير. فعندما وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) المتقين لهمام، كانت هذه الصفات موجودة في شخصه المبارك، وكان من شدة تأثيرهم بكلام الإمام أنه لم يتمالك نفسه فصعق ومات - كما يذكر المؤرخون - وليس الكلام فقط الذي أثر بهمام وجعله يصعق ويموت بل ما وجدته من تجسيد لهذا الكلام في شخص الخطيب وهو أمير المؤمنين (عليه السلام).

وحادثة همّام هي أول مصداق يسجله لنا التاريخ عن تأثير الخطيب في المستمعين، ويضرب لويس شيخو مثلاً من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في التأثير وفي سداد الرأي والكلام هو: أيها الناس إن الدنيا تفرُّ المؤمن لها والمخلد إليها ولا تنفس بمن نافس فيها وتغلب من غلب عليها، وأيم الله ما كان قوم قط في غفني نعمة من عين فزال عنهم، إلا بذنوب اجترحوها. . إلى آخر الخطبة^(١).

وأما استخدام الأحاسيس والعواطف فكان الإمام أقدر الخطباء على استخدام تلك الأحاسيس الوجدانية خصوصاً في خطب الجهاد والحث على مواجهة العدو، وأوضح مثال على استخدام العواطف قوله في خطبته بالنخيلة عندما أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار:

«والذي نفسي بيده لقد بلغني أنه كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعتها، وما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا واقرين ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم، فلو أن امرأة مسلماً مات من دون هذا أسفاً، ما كان عندي فيه ملوماً، بل كان به عندي جديراً».

فالعرب معروفون بالغيرة على نساتهم ، فاستخدم الإمام هذا الخبر الذي يمس أهم المؤثرات العاطفية لديهم وعرضه عرضاً أجج فيهم نار الحمية مع شيء من العتاب وتأنيب الضمير في قوله : «ثم انصرفوا وافرین ما نال رجلاً منهم كلم ، ولا أريق لهم دم» .

أما نظم الخطبة عند الإمام ، فقد وصف ابن أبي الحديد خطب الإمام وصفاً رائعاً ودقيقاً . وصفها بالماء ، فالماء يسيل بسهولة ويتدفق بلا انقطاع ، هكذا كانت خطب الإمام ، كانت المعاني تأتي مرتبة متتابعة دون أية فجوة ، ودون أي تعثر أو فراغ . انظر إلى هذه الخطبة لتجد أن خطب الإمام ﷺ على أعلى درجات التنسيق : «أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقماء» . فالمقدمة : «الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه» مرتبطة بصلب الموضوع ، «فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل» . وهو متصل اتصالاً مباشراً بالنتيجة «ألبسه الله ثوب الذل» إلى آخره . .

فالإمام ﷺ يعرض علينا في هذه الخطبة قطعة فنية متكاملة الأجزاء والمساحة واللون ، وأجزاء الصورة ، وهذا أعلى درجات التنسيق الذي تصله الخطبة ، وفي التعبير ، تجلت في خطب الإمام أمير المؤمنين الفصاحة والبيان القويم ، ففي بعض المواطن يطابق اللفظ المعنى ، وفي مواطن يصرح تصريحاً خفياً ، وفي مواطن أخرى يؤشر بالإشارة ، ويعرض تعريضاً ، فكان يختصر في مكان ويطول في مكان آخر ، في بعض المواطن كان يخطب هادئاً ، وفي مواطن أخرى يخطب والغضب يعلو محياه ، فالظرف ومقام الخطاب ، وحال المستمع كلها عوامل كان يأخذ بها أمير المؤمنين ﷺ .

والخطيب الناجح هو الذي يعرف طبيعة مستمعيه ، فعندما طلب منه همام أن يصف له المتقين أبى الإمام ذلك لأنه كان يعرف طبيعة همام وأنه لا يتحمل الكلام فأراد أن يعفيه عن هذه المسؤولية لكنه وتحت إصراره الشديد خطب تلك الخطبة التي شهدت نهاية حياته .

أجزاء الخطبة

تنقسم الخطبة إلى ثلاثة أقسام، المقدمة والعرض والنتيجة (الخاتمة).

أولاً: المقدمة :

وهي بداية الكلام، ويحاول الخطيب الناجح في بداية كلامه أن يجلب أنظار السامعين ويثير رغبتهم في السماع إليه، وكلما كانت البداية حسنة كان الخطيب أقدر على مخاطبة الناس والتأثير فيهم.

يقول محمد طاهر درويش: وينبغي أن تكون المقدمة ملائمة للخطبة في قدرها ونوعها، بل إنها كلما كانت موجزة كان ذلك أفضل، لأنها ليست إلا مفتاحاً للموضوع الذي سيعرضه، كهذه المقدمة للخطبة التي خطبها علي بن أبي طالب عندما بلغه أن خيلاً لمعاوية وردت الأنبار وقتلوا عاملاً له عليها، فقال:

«أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة»^(١) وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقدم خطبه بالحمد لله والصلاة على نبيه محمد عليه السلام وبعد الحمدلة والشهادة كان يأتي بحكمة أو قاعدة كلية مثلاً قوله:

«أما بعد، فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة، وتعقب الندامة»، ثم يدخل في الموضوع: «وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة»، أو يشرع بالتأنيب والعتاب فيقول للخوارج: «أيتها العصابة التي أخرجتها عداوة المراء واللجاجة، وصدها عن الحق الهوى، وطمع بها النزق، وأصبحت في اللبس والخطب العظيم (ثم يأتي بما يريد قوله) إني نذير لكم أن تصبحوا تليفكم الأمة إلى آخره...».

انظر إلى شدة ارتباط المقدمة بما بعدها وكأنك لا تجد مقدمة للخطاب فالظرف والحالة السائدة كانت تستدعي من الإمام أن يقدم لخطبته تلك المقدمة المثيرة.

وإذا جئنا إلى مقدمة خطبته في جنده لما دعاهم للمسير إلى الشام فاستمهلوه حتى يعودوا إلى بلادهم فيصلحوا من شأنهم، فلما عادوا إلى الكوفة قام يستنفرهم لقتال

(١) الخطابة في صدر الإسلام: ١ / ٢٣.

معاوية وجنده فتأقلا فخطب فيهم خطبة مقدمتها: «عباد الله ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الارض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا، والهوان من العز خلفا، أو كلما نذبتكم للجهاد دارت أعينكم، كأنكم من الموت في سكرة وكان قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون، وكان أبصاركم كعمى، فأنتم لا تبصرون، لله أنتم، ما أنتم إلا أسود الشر في الدعة وثعالب رواغه حين تدعون إلى البأس، ما أنتم لي بثقة سجين الليالي»، ثم دخل في الموضوع «أما بعد فإن لي عليكم حقا، وإن لكم عليّ حقا» إلى آخره...^(١)

فالمقدمة التي قدمها الإمام للخطبة كانت مناسبة لحالة أصحابه الذين كانوا ينفرون من الجهاد فأتى بكلام مناسب صدره بعبارات وردت في آية النفرة والجهاد، ثم أخذ يصف أعماق قلوبهم بأحسن وصف، «دوران الأعين، سكرة للموت، قلوب مألوسة، أبصار كعمى، أسود الشر في الدعة، ثعالب رواغة».

ويستشهد لويس شيخو في حسن تركيب المقدمة، بمقدمة إحدى خطب الإمام أمير المؤمنين وهو قوله: «إن من أحب عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه وأعد القرى ليومه النازل به، فقرب على نفسه البعيد وهون الشديد نظر فأبصر وذكر فاستكثر وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده فشرب نهلا»، وهو في هذه المقدمة يصف رجلا صاحب تقوى ليكون مدخلا للموضوع الذي يريد التحدث عنه، من هنا فالمقدمة التي كان يقدمها الإمام كانت بمقتضى الحال^(٢).

ثانياً: العرض :

وهو الجزء الأساسي من الخطبة التي يبين فيها الخطيب ما يريد أن يقول، والخطبة المثالية هي التي يدور موضوعها حول مسألة واحدة، والتي تترتب فيها الأفكار ترتيباً منطقياً وترتفع فيها حرارة الفكرة وقوتها درجة درجة، فلا يتقدم ما يستحق التأخير،

(١) الطبري: ٤٧ / ٦.

(٢) علم الأدب: ٩٣ / ١.

ولا يتأخر ما يستحق التقديم ، فالموضوع مقسم إلى أجزاء ولكل جزء مكانه وموقعه من العرض ، وترتبط هذه الأجزاء برابط قوي متين ، فالجزء السابق يرتبط بالجزء اللاحق بحيث يستطيع السامع أن يتتبع الأفكار بسهولة في الفهم ويلتذ في التتبع ولا يسأم من التعقيد والغموض ، وإن يكون مؤدياً إلى النتيجة المطلوبة .

ولنا شاهدٌ على سحر الخطابة وامتلاك الخطيب لتلايب القلوب وشاهدنا هو الخطبة الشقشقية التي امتلكت جميع مكونات الخطبة المثالية ، وعندما خطبها الإمام كانت القلوب والنفوس تتحرك مع كلماته من فرط التفاعل ، وبينما كان الإمام يواصل خطبته وإذا برجل من أهل السواد قام وناولته كتاباً (قيل أن فيه مسائل كان يريد الإجابة عنها) فأقبل الإمام ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس : يا أمير المؤمنين لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت .

فقال : « هيهات يا ابن عباس ! تلك شقشقةٌ هدرت ثم قرت » .

قال ابن عباس : فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام ألا يكون أمير المؤمنين ﷺ بلغ منه حيث أراد^(١) .

هكذا كان تأثير خطب الإمام على السامع ، والسامع بالطبع ليس بإنسان عادي إنه ابن عباس حبر الأمة .

ثالثاً: الخاتمة :

وهي ما يختتم به الخطيب خطبته ، والخاتمة الجيدة هي التي بها يتم إقناع السامعين وإن يهيج بهم الميل إلى صنيع ما أذعنوا إليه^(٢) ، وتعتبر خاتمة خطب الإمام أمير المؤمنين في القمة حيث لخص فيها الإمام كل ما يريد قوله في الخطبة في كلمات قليلة ، وبهذه الكلمات القليلة حاول الإمام أن يحفر في ذاكرة المستمعين حقائق سوف لن ينسوها بسهولة .

نذكر أمثلة من خاتمة خطبه ﷺ :

(١) راجع نهج البلاغة: باب الخطب، خطبة رقم ٣ .

(٢) علم الأدب: ١٤٢ / ٢ .

ففي خطبته في وصف مثيري الفتن، يقول في خاتمة الخطبة: «فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نعم الله لا رهج له ولا حسّ وسيبتلى أهلك بالموت الأحمر والجوع الأغبر»، كلمات تأسر القلوب وتجعلها ترتجف ولن تتوقف عن الخوف وهو يداهم أهل البصرة، ليل نهار، سيبتلى أهلك بالموت الأحمر، والجوع الأغبر. فآية ذكرى تتركها لنا هذه الخطبة عند نهايتها التي ستبقى ثقيلة رديحاً من الزمن وهي تحمل الرعب والخوف معاً، كل ذلك نتيجة أعمال هؤلاء الذين سيذوقون وبال ما اقترفته أياديهم المملوخة بدماء الأبرياء، وفي نهاية إحدى الخطب يحذر الإمام من المصير المحتوم الذي ينتظر أهل الفتن والأهواء من أهل الكوفة «هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف ويمر عليها من عاصف، وعن قليل تلتف القرون بالقرون ويحصد القائم ويحطم المحصود».

فآية صورة تجسدها في الخيال عبارة «تلتف القرون بالقرون»، وآية صدى مرعبة يُشيرها إيقاع «يحصد القائم ويحطم المحصود»، إنها كلمات سيبقى صداها مع الزمن يتذكرها الإنسان مع كل حادثة كبيرة ومع كل كارثة تحمل بالكوفة، وحتى يومنا هذا عندما تقع حادثة كبيرة، أو مصيبة عظيمة تستعيد ذاكرتنا كلام أمير المؤمنين (ع) «تلتف القرون بالقرون ويحصد القائم ويحطم المحصود».

وكما أن هذه الخطبة قوية الخاتمة قوية المقدمة أيضاً: فقد ابتدأت بـ«الحمد لله الأول قبل كل أول، والآخر بعد كل آخر، بأوليته وجب أن لا أول له، وبآخريته وجب أن لا آخر له، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة يوافق فيها السر الإعلان، والقلب اللسان»، فكم هذه البداية تحمل معاني الأمن والطمأنينة للنفوس بقدر ذلك جاءت الخاتمة تزرع في النفوس الخوف والهلع حتى يبقى الإنسان في حذر دائم.

وهناك خطبٌ على عكس ذلك تبدأ بالتوبيخ والوعيد، لكنها تنتهي بالأمل. جاء في مقدمة إحدى خطبه (ع) التي ورد فيها التوبيخ لأصحابه على تباطؤهم في نصرة الحق: «ولئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه»، ويختم الخطبة بذكر أصحاب رسول الله طالباً الاقتداء بهم: «إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبلّ جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب

ورجاء للشواب» . . وهي خاتمة سعيدة تبعث الأمل والرجاء في النفوس الحائرة الخائفة .

ومن الخاتمات السعيدة التي تبعث على الأمل والرجاء نهاية خطبة ورد فيها وصف للأنبياء وهي : «اعملوا رحمكم الله ، على اعلام بينة فالطريق نهج يدعو إلى دار السلام وأنتم في دار مستعتب على مهل وفراغ والصحف منشورة والأقلام جارية والأبدان صحيحة والألسن مطلقة والتوبة مسموعة والأعمال مقبولة» .

نجد في خاتمة الكلام خلاصة لموضوع الخطبة ، فكأنما أراد الإمام من خلال الخاتمة أن يسجل في ذاكرة السامعين ما يريده من الخطبة في كلمات قليلة ، فالخاتمة هي الفرصة الأخيرة لاجتذاب السامع ، فلا بد أن يعطيه ما يتردد صده في ذاكرته لأمد طويل وربما لم يبق في ذاكرة السامعين إلا تلك الكلمات الأخيرة التي سمعوها من الإمام والتي لخص فيها أفكاره ، وفيها إما تحذير الفتنة أو تحذير من حب الدنيا ، أو المطالبة بعمل الخير أو المطالبة بإصلاح المجتمع ، هذه هي خلاصة أفكار الإمام التي حاول أن يزرعها في ذاكرة الناس .

خصائص خطب أمير المؤمنين

قفز فن الخطابة في عهد أمير المؤمنين ؑ قفزة نوعية وتطور تطوراً كبيراً على يد الإمام حتى أنه أصبح يعد صاحب مدرسة جديدة في الخطابة صار لها روادها وتلامذتها الذين كانوا يستورثون هذا الفن جيلاً بعد جيل ، ومن خصائص هذه المدرسة التي أوجدها الإمام في الخطابة هي :

أولاً: الميك إلى التطويك :

فقد كانت الخطب قبل الإمام قصيرة لا تتعدى بعض الجمل والعبارات ، وكان الخطباء يراعون الناس في ذلك الوقت الذي كان معظمهم من الأميين الذين لا يستطيعون إدراك الموضوعات الفكرية العميقة ، ومع تطور الحركة العلمية في عهد الإمام أمير المؤمنين ؑ أصبح الناس أكثر استعداداً لسماع الموضوعات الفكرية وأقدر على متابعة ما يلقيه الخطيب من موضوعات مختلفة ، لذا وجدنا أن خطب أمير

المؤمنين ﷺ تميل في أغلبها إلى التطويل حيث كان يستعرض في الخطبة أفكاراً عميقة ويحاول الاستدلال عليها، وردفها بأفكار مؤيدة تدعم الفكرة الأصلية، وهذا يستدعي من الإمام ﷺ أن يطيل في مدة الخطبة، وقد توهم البعض عندما قاس خطب الإمام بالخطب التي سبقته فشك في نسبتها له بحجة أنها طويلة، ومصدر التوهم إن قياسهم غير واقعي فهم قاسوا خطب الإمام بخطب من سبقه لكنهم لم يقيسوا جيل ذلك العصر بجيل الإمام علي ﷺ الذي كان أكثر وعياً وإدراكاً بحكم الزمن وتأثيره على النمو العلمي والتعليمي وبحكم الحرية الفكرية التي أوجدها الإمام أمير المؤمنين ﷺ، كل ذلك كان يستدعي منه أن يتكلم بما يناسب وعي الناس وبما يحتاجون إليه من أفكار عميقة ومستدلة، لذلك وجدناه يطول في خطبه بالأخص الخطب الفكرية التي تتحدث عن الوجدانية والنبوة وخلق الكون والإنسان.

ومن أشهر خطبه الطوال خطبة الوسيلة وخطبة الأشباح.

ويعلق زكي مبارك على هذه الخصيصة: وخطبه ووصاياه وعهوده إلى ولاته تجري على هذا النمط، فهو يطيل حين يكتب عهداً يبين فيه ما يجب على الحاكم في سياسة القطر الذي يرعاه، ويوجز حين يكتب إلى البعض في شأن معين لا يقتضي التطويل^(١).

ثانياً: الابتداء بالحمد والشهادة :

إذا ما راجعنا أصول الخطب التي أوردها السيد الرضي في نهج البلاغة لوجدنا أنها جميعاً تبدأ بالحمد والشهادة وذكر النبي ﷺ^(٢).

وبذلك سن الإمام ﷺ سنة حسنة بابتدائه بالحمد والشهادة وقلده من جاء من بعده حتى أصبح (الحمد والشهادة) جزءاً أصيلاً من الخطبة، فقليل عن الخطبة التي لا تبدأ بالحمد بالخطبة (البترء) والخطبة التي ليس فيها ذكر النبي ﷺ بـ (الشوهاء) والخطبة التي ليس فيها الحمدلة والشهادة بـ (الجدعاء).

(١) النشر الفني في القرن الرابع: ٥٩ / ١.

(٢) راجع تمام نهج البلاغة فقد أورد خطب النهج بكاملها غير ناقصة، وستلاحظ الحمدلة والشهادة فيها.

ثالثاً: تضمين الكلام للآيات القرآنية :

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يكثر من ذكر الآيات القرآنية في كلامه ، فكان يأتي بالآية في مقدمة الكلام في بعض المرات ، أو يأتي بها في مؤخرة الكلام أو في الوسط .

من الخطب التي بدأها بآيات من القرآن الكريم خطبة (١٢١) والآية هي : ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ، وكان حديثه حول الموت والموتى وأنهم سيبعثون في الآخرة .

وأيضاً خطبة (٢٢٢) ابتدأها بآية ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ والخطبة حول ذكر الله وأثر الذكر على النفس البشرية .

وأيضاً خطبة (٢٢٣) ابتدأها بآية ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ وفيها عتاب على ما يفعله الإنسان بنفسه تجافياً لخالقه .

وأورد الإمام في وسط بعض خطبه آيات من القرآن الكريم استشهد بها على قوله أو تمثل بها أو اقتبس منها فضمت خطبة (١٨١) وهي في فضل القرآن على عدد من الآيات القرآنية استشهد بها في نبد البخل طالباً منهم النصرة عارضاً عليهم الآيات التي تطلب النصرة كالآية : ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ، والآية : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ .

وفي خطبته التي يأمر فيها بالتقوى يأتي بهذه الآية : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ وفي الخطبة التي يوصي فيها بالزهد يستشهد بالآية ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ ، وفي خطبة القاصعة التي فيها وصف لإبليس يذكر الإمام هذه الآية : ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وذكر هذه الآية على لسان إبليس ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ، ثم ينقل على لسان الأغنياء هذه الآية ﴿لَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ .

واحتوت وصيته لأصحابه على عدد من الآيات منها ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ ، و﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ

وَأَيُّهَا النَّاسُ، وَالْآيَةُ «وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا».

وفي خطابه للناس: «أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله» أورد الآيَةَ «فَقَرُّوْهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ» وهم قوم ثمود، وكان العاقر شخصاً واحداً ولكن العذاب شملهم بأجمعهم لأنهم رضوا بعمله، وفي وصيته التي وصى بها لما ضربه ابن ملجم أتى بالآيَةِ «أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» والآيَةَ «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ».

وفي كتابه لمعاوية يستشهد بالآيات التي نزلت في أهل البيت (أقرباء رسول الله ﷺ) «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» والآيَةَ «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ».

وقد احتج عليه بتقاعسه في نصره عثمان بينما كان موقفه ﷺ من عثمان أن نصره وحماه فيهدده في الآيَةَ كلا والله «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا»، ويختم رسالته بالآيَةَ: «وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ».

ولو أردنا أن نأتي بجميع الآيات التي أوردناها أو اقتبسها أمير المؤمنين ﷺ في عرض الخطبة ومناسبة ذكرها لاحتجنا إلى الكثير من الصفحات، لكننا نكتفي بهذا القدر القليل من الخطب لنستدل من خلاله على أن أمير المؤمنين ﷺ كان قاصداً ذكر الآيَةَ إما للشرح أو التفسير أو للاستشهاد والاحتجاج بها.

أما الآيات التي تأتي في ختام الخطبة أو الرسالة فلها موقع أكثر أهمية من آيات الوسط، فأكثر هذه الآيات ذكرها الإمام ﷺ اقتباساً في نسق واحد مع الكلام كله، وكأنه جزء من كلامه، وفيما يلي نذكر نماذج من هذه الخطب التي تنتهي بالآيات الكريمة.

ففي الخطبة التي يذكر فيها المكايل والموازن يختتمها بكلام مقتبس من القرآن الكريم «لَعَنَ اللَّهُ الْأَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ»، وأتى بآية في نهاية كلامه لبعض أصحابه حول تنحيته عن مقام الخلافة وما جرى عليه من معاوية بن أبي سفيان وقد أورد الآيَةَ بصورة انسيابية مع الكلام: «وَهَلُمَّ الْخُطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سَفْيَانَ فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ وَلَا غُرُ وَاللَّهُ فَيَا لَهْ خُطْباً يَسْتَفْرِغُ

العجب ويكثر الأود! حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسدّ فواره من ينبوعه وجدحوا بيني وبينهم شرباً وبيئاً، فإن ترتفع عنا وعنهم محن البلوى، احملهم من الحق على محضته، وإن تكن الأخرى ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾»، وكان الآية جزء متجذر في عروق الخطبة غير منفصل عنها لا في اللفظ ولا في المعنى ولا في السياق.

وفي وصيته بالزهد شاهد مشهد آخر في ختام الخطبة بالآية المتصلة اتصالاً متيناً وكأنها جزء من جسد الخطبة: «وقد أدبرت الحيلة وأقبلت الغيلة ولات حين مناص، وهيئات هيئات قد فات ما فات وذهب ما ذهب، ومضت الدنيا لحال بالها ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾».

وفي وصفه للمنافقين يقول الإمام في نهاية الخطبة: «يتوصلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم وينفقوا به أعلامهم، يقولون فيشبهون ويصفون فيموهون، وقد هونوا الطريق وأضلّعوا المضيق، فهم لمة الشيطان وحمة النيران ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾».

ومن عجائب خلق الله في الكون يقول الإمام ﷺ في نهاية خطبته: «فجعلها لخلق مهاداً ويسطها لهم فراشاً فوق بحر لجي راکد لا يجري وقائم لا يسري تكررهُ الرياح العواصف وتمخضه الغمام الذوارف ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾».

وفي دعائه يقول: «اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالإقتار فاسترزق طالبي رزقك وأستعطف سرار خلقك أبتلي بحمد من اعطاني، وأفتن بدم من منعني، وأنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء والمنع ﴿إِلَّاكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾».

وعن الآخرة والموت يقول الإمام في نهاية الخطبة: «فكيف بكم لو تنهات بكم الأمور وبُعْثَرَتِ القبور ﴿هَذَا لِكَيْ تَبْلُو كُلَّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾».

وعندما يلقي عدوه كان يقول: «اللهم إليك أفضت القلوب ومدّت الأعناق وشخصت الأبصار ونقلت الأقدام وانضيت الأبدان، اللهم قد صرح مكنون الشنان

وجاشت مراجل الأضغان، اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا وكثرة عدونا وتششت أهوائنا ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ .

وفي نهاية كتاب كتبه إلى معاوية يقول له: «لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار لا أزال يباحثك ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾» .

لقد خطّ أمير المؤمنين ﷺ بهذا الأسلوب البلاغي منهجاً قوياً للخطباء الذين جاءوا من بعده، فكما وجدنا أن الكلمة التي وضعها الإمام في العبارة جاءت في مكانها، كذلك الآية جاءت في موقعها جزء لا يتجزأ من بدن الخطبة، لا تستطيع أن تميز بين وجودها كآية مستقلة وبين وجودها في الخطبة كامتداد لكلام الإمام ﷺ .

رابعاً: الأخذ بالأسلوب الإنساني :

الخطيب الناجح هو الذي يعتبر المستمعين إليه أناساً لهم عقول ومشاعر، فهو لا يخاطب الجماد فيرمي بالكلام على عواهنه دون اهتمام بالناحية الإنسانية .

ولما كان أمير المؤمنين إماماً ومريئاً فكان على رأس أهدافه في الخطبة هو تربية الناس وإعدادهم إعداداً صالحاً للدنيا والآخرة، ولهذا السبب جاءت خطبه مصبوغة بالطابع الإنساني، فتحس في كلماته نبضات الحياة، وتشعر مع تدفق أقواله تدفق الدم في شرايين المستمعين إليه، صحيح في بعض المرات يرمي بحممه فوق رؤوس مستمعيه، يعاتبهم ويغضب من تصرفاتهم لكنه يبقى إماماً لهم، وغضبه هو لإصلاحهم؛ لأن بعض الناس لا يرتدعون إلا بالقرع والتوبيخ، وحتى لحظات غضب الإمام هي لحظات رحمة تحيطها النظرة الإنسانية، وتوجهها الغاية إلى الإصلاح .

وهكذا فإن أسلوب الإمام لإصلاح البعض هو استخدام التوبيخ بالعتاب ومزجها مزجاً فاعلاً بشيء من العاطفة والعقل، فتأتي كلماته مؤثرة تأثيراً كبيراً مثلاً: «أي دار بعد داركم تمنعون، ومع أي إمام بعدي تقاتلون، ما بالكم ما دواؤكم، ما طبكم، القوم رجال مثلكم»، وفي خطبة أخرى يقول الإمام: «أف لكم، لقد سئمت عتابكم أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوْضاً، وبالذل من العز خلفاً، إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة ومن الدهول في سكرة» .

وصف قلّ نظيره، فحتى الكاميرات لا تستطيع أن تصور لنا حالة بعض أصحابه عندما يأتيهم الأمر بالجهاد.

وعندما يصف أصحاب رسول الله تجد الحس الإنساني وكأنما عدسة كاميرا تنقلك إلى جوف البشر لتصور لك مكان نفوسهم: «ولقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آبائنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على الألم وصبراً على مضض الألم، وجداً في جهاد العدو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، مرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر». . . فالسمات الإنسانية تتعالى من تلك الكلمات التي امتلأت بقوة العاطفة وشدة إيمان الإمام بما يقول وحرصه الشديد على إقناع المستمعين إليه لاستمالتهم ولتغيير عقيدتهم ولتربيتهم، وقد أدرك إحسان النص، هذه الحقيقة فذكر قائلاً: ومن سمات الخطابة في هذا العصر الجنوح إلى الأسلوب الإنساني المعتمد على الاستفهام والتعجب والدعاء ونحو ذلك مثل (وذكر خطبته السابقة التي ذكرناها كشاهد على قوله) أي دار بعد داركم تمنعون، ومع أي إمام بعدي تقائلون، ما بالكم ما دواؤكم. . . إلى آخرها، ثم يقول عن هذه الخطبة: نجدها متميزة بالأسلوب الخطابي عامة والناجمة عن قوة العاطفة وشدة إيمان الخطيب بما يقوله وحرصه على إقناع المخاطبين برأيه واستمالتهم إليه^(١).

خامساً: الخطابة ميدان للفكر :

كانت الخطابة في الجاهلية مجرد نزوة يظهر فيها الخطيب قدراته الأدبية، وقوته في الفصاحة والبيان، وعندما جاء الإسلام جعل للخطابة هدفاً ووضع لها منهاجاً وخطاً لها طريقاً معبداً، فكانت وسيلة للتعبئة الجهادية، ولرد الشبهات والأباطيل، وأخذت تستوعب جميع مناحي الحياة الفكرية والسياسية حتى أخذت شكلها التكاملي في خطبة حجة الوداع للرسول الأكرم ﷺ، وعلى يد الإمام أمير المؤمنين ﷺ، تحولت الخطابة

(١) إحسان النص: الخطابة العربية في عصرها الذهبي ص ٤٢ دار المعارف، القاهرة.

إلى وسيلة للتعليم ونشر الفكر والثقافة الإسلامية، ولما كانت خطب الإمام هي محطات تكلم من خلالها بما يدور حوله وما يحتاجه المسلمون، لذلك نجد أنها تضمنت جميع النواحي العلمية والثقافية، فليس من الصعب أن نجد في نهج البلاغة مختلف العلوم المرتبطة بالحياة من اقتصاد وإدارة وتربية وسياسة وعلم الاجتماع وعلم النفس إلى آخر العلوم، فخطب الإمام ورسائله ما هي إلا مجموعة كبيرة من الوثائق التي تدور حول إدارة دفة الدولة والمجتمع، فكان من الطبيعي أن تتضمن مختلف العلوم، فعهد الإمام إلى مالك الأشتر هو وثيقة سياسية وإدارية نادرة، بينما وصيته لابنه الحسن عليه السلام متضمنة لمبادئ وأصول التربية الإسلامية والمجتمع الإسلامي وعلم النفس الإسلامي.

وهكذا جميع خطبه ورسائله وحكمه، هي علوم وميدان وسيع لطرح مختلف الأفكار البناءة التي يحتاجها المجتمع والدولة، فابتداءً من أول خطبه وانتهاءً بآخر كلمة قصيرة، هناك فكر يسطع من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لنتمعن في الخطبة الأولى: «الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعمائه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون...» إلى آخرها.

نجد في الخطبة التوحيد والنشوء وخلق الإنسان والكون والأجرام السماوية، ونجد فيها نبذاً عن طبقات الأرض ونشوء الأنهار والبحار وتكون المعادن وكيفية نمو الأحياء، وحتى آخر كلمة في نهج البلاغة: «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعف، كاد العفيف أن يكون ملكاً».

نجد بين طيات النهج فكراً نيراً، وبهذا الفكر بنى أمير المؤمنين قواعد الأدلة الإسلامية وأقام عمدة الأمة الإسلامية، ونحن لا نجد بين جميع الخطباء من ترك هذه الثروة الفكرية وهذه العلوم الجمة في خطبه وأقواله وكلماته حتى أصبح هذا الفكر وهذا الأسلوب مدرسة لمن جاء من بعده من الخطباء والكتاب والمفكرين.

الخصائص الفنية لخطب الإمام

تطور فن الخطابة على يد الإمام وقفز أشواطاً إلى الأمام، ففي جانب الشكل جاءت الخطب سهلة كالماء الجاري، تجد فيها صفاء اللفظ ونقائه وسهولته وألفته لدى

الإنسان العربي وعذوبته وإيقاعه على الاذن ، وتجد أيضاً في عباراته السماحة والجزالة والقوة والوضوح ، فهناك انسجام في الكلمة والعبارة والقطعة ، فكل لفظ تحسّ به في مكانه الذي يجب أن يكون فيه وهو منجذب إلى مكانته فيه كأنجذاب الحديد إلى المغناطيس .

أما في الموضوع والمعنى فتجد الوضوح والجلاء والدقة والسلامة والقرب والقوة ، وتجد أيضاً الابتكار والجدّة والاتساع والشمولية والعمق والترتيب ، مستمداً معينه من القرآن الكريم وكلام رسول الله ﷺ ، يصف درويش خطب أمير المؤمنين (ع) : سماحة في لفظه تشبه سماحة نفسه ، وسهولة في عباراته تناسب سهولة طبيعته ، وسمو في غرضه يشاكل سمو خلقه ، وأسلوبٌ زاده حسناً ووقعاً ، فالسجع والازدواج والطباق واستواء الفواصل وتوازن الجمل والإيقاع الموسيقي ومحاكاة القرآن الكريم^(١) .

وإذا ما لاحظنا الألفاظ لوجدناها أنها جاءت طبقاً للمعنى المنشود ، وطبقاً للهدف المقصود ، فمن حق المعنى الكريم أن يلبس اللفظ الذي يبرزه ، وأن يلزم التعبير الذي يفصح عنه ، وإذا اكتسى المعنى الكبير ما يليق به من الألفاظ المختارة كان الكلام عندئذ في أعلى مراتبه ، وأشرف منازلها ، مثال على ذلك : «أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة ، وخرجوا عن طريق المنافرة ، وضعوا تيجان المفاخرة ، أفلح من نهض بجناح ، أو استسلم فأراح ، هذا ماءٌ آجنٌ ولقمةٌ يغصُّ بها أكلها ، ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها ، كالزراع بغير أرضه»^(٢) .

صورة واضحة رسمها أمير المؤمنين للذين يؤججون الفتن ، فكانهم يؤججون البحر الهائج ، وتصوير لمن يريد النجاة ، كيف يسعى بنفسه إنقاذاً لها من الغرق ، بتركه للمنافرة والمفاخرة ، فوصفه للخلافة وصف واقعي : «هذا ماءٌ آجنٌ ولقمةٌ يغصُّ بها أكلها ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها» ، وربما اكتفى السامع بهذه الصور السريعة عن الكثير من الكلمات والعبارات ، أما أسلوب الإمام فمن خصائصه : الطبعية والابتعاد عن التكلف ، وهذا هو أسلوب القرآن الكريم الذي اتخذ الإمام منحاً له ومنهجاً ،

(١) الخطابة في العصر الإسلامي: ٢٤/١ .

(٢) خطبها لما قبض رسول الله وقد خاطبه العباس وأبو سفيان أن يبايعا له بالخلافة .

والطبيعية أبعدته عن الأدب المتكلف، وليس السجع الذي جاء على لسانه إلا عين السجع الذي جرى على لسان الأعراب وأهل البوادي والذي ينساب بلا تكلف. أخذ الإمام بمقدار من السجع المطبوع لما فيه من الجمال والسحر ولما له من حسن الوقع الذي يشبه وقع القافية في الشعر، فأى سحر في هذه الكلمات: «ما بالكم ما دواؤكم، ما طبكم، القوم رجالٌ مثلكم، أقولاً بغير علم، وغفلة من غير ورع وطمعاً في غير حق».

اتصفت خطب الإمام بتساوي الفواصل، حفظاً على التوازن الإيقاعي والجرس الموسيقي المؤثر في أذن السامع، وأكثر من الأخذ من القرآن اقتباساً واستشهاداً وتمثلاً. لم يكتف بالاقتباس وحسب، بل اتبع أساليب القرآن في عرض الحجج الخطابية وإيراد القضايا المنطقية وانتهاج وسائل البرهنة والإقناع، والأخذ بالاستعارة والكتابة القرآنية.

واستعان الإمام بقليل من الشعر خلافاً للخطب التي أقيمت في الجاهلية والتي كان فيها الخطباء يكثرون من الشعر، فقلل الإمام من ذكر الشعر وأكثر من ذكر الآيات، وهذه هي إحدى خصائصه الفنية في الخطابة. ومن الخصائص الأخرى وضوح الهدف والغاية، فكانت خطبه بعيدة عن الغموض والتعقيد، متينة في تراكيبها، محكمة في عباراتها، وربما تكررت في المعنى واللفظ للزيادة في التأكيد والحث، وكان الإمام في أسلوبه يراعي أحوال المستمعين رغبة كاملة وكان يهتم للزمان والمكان والظرف السياسي والاجتماعي الذي يحيط بالدولة الإسلامية.

وفي مخاطبته للمستمعين خاطب عقولهم وعواطفهم معاً، فجاء بالحجة والدليل والبرهان والاستقراء، كما وأنه أثار عواطفهم وخيالهم وأيقظ وجدانهم وضمائرهم باستخدام عبارات ذات وقع موسيقي كبير على النفوس، ومن أجل البلوغ إلى الصورة المثلى استخدم الإمام في خطبه الصور البيانية وأكثر من المجاز والكناية والتشبيه والاستعارة والتمثيل، وقد خصص ابن أبي الحديد لكل قيمة من هذه القيم الأدبية أبواباً تحدث فيها بإسهاب عن المعاني البلاغية في خطب وكلمات أمير المؤمنين (عليه السلام).

مكونات الخطابة

تتكون الخطابة من أمرين الأول: الموضوع والثاني: التعبير.

أولاً- الموضوع :

الموضوع الذي يراد طرحه هو روح الخطابة، وهو الهدف الذي من أجله يتجشّم الخطيب عناء الخطابة، والموضوع الذي يراد طرحه يجب ان يتضمن الشروط التالية :

١: أن يكون مترتباً على قضية واحدة ليس إلّا؛ لأن وحدة الخطاب تقضي بوحدة القضية، ووحدة الغاية^(١)، فبتعدد القضايا يتشتت ذهن السامع إلا إذا كانت القضية الواحدة قابلة للتجزئة إلى قضايا ثانوية كالخطبة الأولى التي يتحدث فيها الإمام ﷺ حول عقيدة التوحيد، فجزء من هذه القضية يتعلق بابتداء الخلقة، خلق السموات والأرض وآدم، ثم الهدف من الخلقة وهو بعث الرسل والأنبياء، ثم رسالة الأنبياء، وفيها تذكير للناس الذين نسوا نعمة الله، فوظيفة الأنبياء الاحتجاج عليهم بالتبليغ، وأن يثيروا لهم دفائن عقولهم ويروّنهـم آيات مقلدة ربهـم، ومن وظائف الأنبياء تبيان واجبات الناس حتى تتحقق عقيدة التوحيد في نفوسهم وسلوكهم، وفي الخطبة (٢) التي خطبها بعد انصرافه من صفين، يتحدث الإمام ﷺ حول القيادة الشرعية المتمثلة برسول الله وأهل بيته ﷺ، وكم دفعت الأمة ضريبة ابتعادها عن ساحة هذه القيادة، فوحدة الموضوع في هذه الخطبة متحققة كما رأينا أنها متحققة أيضاً في الخطبة الأولى، وفي الخطبة الثالثة التي تسمى بالشقشقية، ونجد أيضاً وحدة الموضوع في أحقيته بالخلافة وموقعه من هذا الأمر وكيف تكالبوا عليها واحداً بعد آخر، ومبررات موقفه الصامت من اغتصاب حقه في الخلافة.

وفي الخطبة رقم (٤) يبين مكانته ودوره في إيجاد الكيان الإسلامي في معرض حديثه عن فتن الأعداء الذين حاولوا أن يتطاولوا على حقوقهم، وأن يجمعوا الناس من حولهم ويطلبوا منهم ما لا حق لهم به، وهنا أيضاً نجد وحدة الموضوع في هذه

(١) لويس شيخو: علم الأدب ٢ / ٩٩.

الخطبة حيث لم ينتقل الإمام إلى موضوع آخر.

وفي الخطبة الخامسة التي خطبها عند قدوم العباس وأبوسفيان يطلبان منه أن يمدّ يده لبيابعانه فأمتنع الإمام ووجد في هذه الخطوة التي خطاها أبوسفيان ملامح الفتنة، فخطب خطبة حول المؤامرة التي تحاك ضد الإسلام وأنه لن يصبح جسراً للمتآمرين، وهنا نلتقي أيضاً بوحدة الموضوع، وهكذا لو فتشنا عن جميع خطبه ورسائله وكلماته لوجدناها متصفة بوحدة الموضوع وكأنه أصل من الأصول التي لا تتازع حوله.

٢: أن يكون واضحاً لأن الغرض إذا كان بعيد المآخذ اعتاص على السامع قنبرته

منه^(١).

وليس هناك كلام أوضح من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فمع مرور القرون والأعوام ظلت هذه الخطب ذات أثر كبير في السامع؛ لأنها من الوضوح بحيث يستطيع كل إنسان أن يدرك معانيها، ولا أدلّ على وضوح هذه الخطب أن الناس حتى يومنا هذا يتفاعلون معها عندما تلقى عليهم من على المنابر؛ وكأنهم يسمعون كلام أمير المؤمنين بصورة مباشرة، فأي كلام أوضح من كلامه وهو يقول: «إن للقلوب إقبالاً وإدباراً فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقصروا بها على الفرائض»، وقوله عليه السلام: «ينام الرجل على الشكل ولا ينام على الحرب».

وقوله لولده محمد: «يا بني إني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه، فإن الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت»، وقوله عليه السلام: «إن الله سبحانه فرض من أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني»، كلام يتقبله العقل ويتذوقه اللسان لحلاوته وطراوته وبساطته ووضوحه في معناه وفي ألفاظه، وهذه صفة كلام أمير المؤمنين وميزته على كلام غيره.

٣: أن ينشط السامعين بابتكار صورته ولطيف مخرجه^(٢)، فلكي يتجسد الموضوع في ذهن السامع على الخطيب أن يصوره تصويراً وكأنه جسم يراه أمامه، فقد شبه نفسه عند تقاعسه عن مجادلة خصمه، بالضعف، ذكر ذلك عندما طلبوا منه أن يترك طلحة

(١) علم الأدب: ٩٩/٢.

(٢) المصدر السابق.

والزبير وشأنهما يفعلان ما يريدان فقال: «والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل إليها طالبها ويختلها راصدها، ولكن اضرب بالمقبيل إلى الحق المدبر عنه، وبالسامع المطيع العاصي المريب أبداً».

ويصف تزاحمهم عليه يوم البيعة: «فتداكوا عليّ تذاك الإبل الهيم يوم وردها وقد أرسلها راعيها وخلعت مثنائها»، وهو منظر مألوف لدى العرب الذين كانوا يرعون الإبل كيف تتزاحم إبلهم على الماء بعد طول مسافة وشدة عطش، هكذا كان ازدحامهم عندما أرادوا مبايعته بعد مقتل عثمان، ثم أنه يحذر أهل العراق من حكومة زياد التي ستستولي على أموالهم ولا يبق لهم شيئاً فيصفه بأدق وصف، يقول عنه: «أما أنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه، فبلعومه واسع يسع كل ما يمتلكه الناس، كذلك بطنه لا يُعرف له حجم، فهو لا يشبع مهما نال من أموال الناس»، ثم يصف مداراته لأصحابه: «كم أداريكم كما تداري البكار العمدة» و(البكار) هو الصغير من الإبل، والعمدة التي انقضح داخل سنامها من الركوب وظاهره سليم، وهو منظر مألوف لديهم، فيأخذونها زمناً لا يركبونها ويعطونها الطعام النظيف ويدارونها أحسن مداراة كي تتعافى وتكبر، هكذا شبه أمير المؤمنين عليه السلام مداراته لأصحابه كمداراتهم للبكار العمدة.

ثم إنه شبه أهل العراق بالمرأة الحامل: «يا أهل العراق فإنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلما أتمت أملت ومات قيمها وطال تأيمها وورثها أبعدها».

فقد شبه موقف أهل العراق كالمرأة الحامل التي ما أن وضعت حملها حتى ألقت بولدها في مهالك الموت ثم مات زوجها، فكانت إرثاً لا بعد الناس عنها، وهذا هو حال أهل العراق، فقد حاربوا مع الإمام عليه السلام وقدموا القرابين وعندما وصلوا إلى أبواب النصر في صفين ضعفوا واستكانوا وطالبوا الإمام بالصلح تاركين أوامر إمامهم وراء ظهورهم منساقين لأباطيل معاوية وعمرو بن العاص من أعدائهم.

فأية صورة دقيقة جسّد فيها الإمام حالة أهل العراق.

وفي نهج البلاغة صور كثيرة جداً من هذا القبيل حيث حاول الإمام عليه السلام أن يصور

لهم الموضوعات بشكل يستطيعون فهمها وإدراكها مستفيداً من أشياء موجودة في محيطهم كالضبع والإبل والسحاب والجبال وما شابه ذلك .

ثانياً- التعبير :

يقول الأب شيخو عن التعبير : له شأن عظيم في الخطابة لأنه كساء الكلام وبه تنال الخطبة رونقها وبهاءها كما يزين الثوب لابسها ويجدي شخصه حسناً وجمالاً ، فإن أغضى الخطيب منه أمكنه أن يقنع السامع ، لكنه لن يؤثر في إرادته ولا يحيك في قلبه ، فتبقى عواطفه جامدة باردة ولا يندفع إلى العمل بما يقصده الخطيب^(١) .

ويتكون التعبير من أمرين : ١- اللفظ ، ٢- الأسلوب .

(١) اللفظ : هو المادة البنائية للخطبة ، فإذا كان اللفظ أنيقاً جميلاً كان البناء جميلاً أنيقاً ، وهناك موقفان من اللفظ ؛ فالبعض أهمله وأعطى أهمية للتركيب من أمثال عبد القاهر الجرجاني الذي اعتبر الفصاحة والبلاغة قائمتان على التركيب وليس على اللفظ ، وإلى جانب ذلك هناك مدرسة تعطي اهتماماً كبيراً لللفظ وتعتبره الأساس في بناء الخطبة والرسالة ، من هؤلاء أبو هلال العسكري حيث يقول في كتاب الصناعتين بعد أن ردّ على دعاة إهمال اللفظ : *ومن الدلائل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ ، إن الخطب الرائعة ، والأشعار الرائقة ، عملت لإفهام المعاني فقط لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام ، وإنما يدل حسن الكلام وإحكام صنعته ورونق ألفاظه وجودة مطالعه وحسن مقاطعة وبديع مبادئه وغريب مبانيه ، على فضل قائله وفهم منشئه ، وأكبر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني*^(٢) .

وقد اشترط علماء البلاغة أن يتصف اللفظ بالخصائص التالية :

(أ) أن يكون واضحاً ومكشوفاً وقريباً ومعروفاً ، من السهل أدراك معناه : وإذا ما دققنا في خطب نهج البلاغة ، لوجدنا أنها متركبة من ألفاظ قريبة إلى الناس يستعملونها في حياتهم اليومية ، واضحة في النطق والمعنى معروفة سهلة الإدراك ، فقد أتى أمير

(١) علم الأدب : ١٤٥/٢ .

(٢) كتاب الصناعتين : ص ١٩٨ .

المؤمنين بألفاظ من البيئة العربية كلفظ الناقة والإبل وابن اللبون مثلاً: «كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب»^(١).

وأيضاً أتى الإمام بألفاظ من البيئة الثقافية الإسلامية، أتى بألفاظ الرحمة والنعمة والمغفرة والكفاف، وهي ألفاظ قرآنية استعملها المسلمون بكثرة، وأخذت تتداول في حياتهم الخطابية والمعيشية، فالخطبة التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام في عيد الفطر جاءت متضمنة لهذه الألفاظ المتداولة في الحياة الثقافية الإسلامية:

«الحمد لله غير مقنوط من رحمة، ولا مخلو من نعمة، ولا مايوس من مغفرة، ولا مستكف عن عبادته، الذي لا تبرح منه رحمة، ولا تفقد له نعمة، والدنيا دار منى لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهي خلوة بأحسن ما بحضرتكم من الزاد، ولا تسألوا فيها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ».

وينقل الإمام في خطبه ما تعارف الناس عليه من الكلمات والأمثال المتداولة في مجتمعاتهم، مثلاً في خطبته التي يذم فيها المتخاذلين، يخاطب الإمام أصحابه: «أيها الناس المجتمعمة أبدانهم المختلفة أهوائهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس كيت كيت، فإذا جاء القتال قلتكم حيدي حيا».

وكان الإمام عليه السلام يستخدم الألفاظ المشهورة جداً والتي يستعملها الصغير والكبير، حتى تكون واضحة قريبة إلى الناس، مثلاً في خطبته التي فيها حث لأهل العراق على قتال أهل الشام، يورد الإمام لفظ (أف لكم)، ولفظ (أف) من الألفاظ المتداولة كثيراً بين الناس صغيرهم وكبيرهم.

(ب) ألا تكون الألفاظ مبتذلة: وهي الألفاظ الضعيفة التركيب، أو فيها عجمه لا جذور لها في اللغة العربية، أو رديئة على إذن السامع، وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك: ومن يبلغ به جهله إلى أن لا يفرق بين لفظ الغصن ولفظ العسلوج، وبين لفظة السيف ولفظة الخنثليل، فلا ينبغي أن يخاطب بخطاب ولا يجاب بجواب، بل يترك وشأنه وما مثله في هذا المقام إلا كمن يسوي بين صورة زنجية سوداء مظلمة شوهاء الخلق ذات

عين محمرة وشقة غليظة كأنها كلوة، وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة ذات خد اسيل، وطرف كحيل^(١).

وأورد الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه خطباً كثيرة لخطباء ذكروا في خطبهم ألفاظ مبتذلة لا مجال لذكرها، لو قارناها بخطب أمير المؤمنين عليه السلام لوجدنا تلك الخطب في الحضيض من حيث التركيب اللفظي، بينما لم يجد أحد النقاد والأدباء لفظاً واحداً مبتذلاً في خطب أمير المؤمنين عليه السلام، وهناك بعض الألفاظ التي اعترض عليها البعض كالأزل والقدم والمعلول والعلة، ووجه اعتراضهم أنها كلمات لم تكن معروفة في ذلك الوقت، وليس بسبب الابتذال، وسنناقش هذا الرأي عند الحديث في الشكوك التي أثرت حول نهج البلاغة.

ج) استخدام الألفاظ المثيرة للخيال: وهي كثيرة في نهج البلاغة منها: «معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجليبوا السكينة وعضوا على النواجذ فإنه أنبى للسيوف عن الهام، واكملوا اللامة وقلقلوا السيوف في أعمادها قبل سلها»، وهي ألفاظ تشير الخيال: لفظ (استشعروا) يوحي بالمطالبة القوية والحاجة الكبيرة والالتصاق بالخشية، ولفظ (عضوا على النواجذ) يوحي إلى مدى الإصرار على الحرب، و (اقلقوا) السيوف، وكأننا نسمع صوت صليل السيوف من هذا اللفظ المثير للخيال والاحاسيس، ثم يواصل أمير المؤمنين عليه السلام خطبته في الحث على الإقدام، ويأتي على ذكر الفرار من الحرب فيذكره بأشد الألفاظ تأثيراً «واستحيوا من الفر فإنه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب»، فلفظ استحيوا هو أنسب الألفاظ في ردع الجنود عن الفرار في ذلك الجو العربي الذي يعتبر الفرار من الحرب مذلة ومهانة، ولا يتم المعنى إلا باستخدام ألفاظ أخرى عندما تقترن باللفظ السابق يصبح المعنى وافياً، وعار في الأعقاب وهو ما يخشاه العربي وما يخاف منه أن يشتهر فراره من الحرب لتسمعه الأجيال من بعده.

ونأتي إلى لفظ آخر استخدمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يحمل في طياته معاني كثيرة

(١) ابن الأثير: المثل السائر ١/ ١٥٥ المكتبة العصرية، صيدا.

وكبيرة، فيقول عن قريش: «فماذا قالت قريش؟».

قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول ﷺ، فقال ﷺ: «احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة»، فالأصل في الشجرة هو الثمر فإذا أخذنا الشجرة وتركنا ثمرها لا ننتفع بها، ولا يستطيع أي لفظ آخر أن يعطي المعنى الذي يمنحه لفظ الثمرة في هذه العبارة، وكأننا عندما نستمع إلى كلمات الإمام أمام مهندس يبني بيتاً فيضع الأحجار في مكانها المناسب، فلن نجد فراغاً في هذا البيت الذي شيده، فكل شيء في مكانه المناسب له، وهذا هو الأدب والبلاغة.

وعندما يريد أن يصف وجودهم الكثيف في مواطن الكسل واللهو، يقول: «وإنكم والله لكثير في الباحات...» لكن هذه الكثرة تتبخر في لحظة واحدة، ثم يعلن نفير الحرب وترتفع الرايات فيصفهم الإمام «قليل تحت الرايات» وهاتان العبارتان: (الباحات والرايات) على ما فيهما من جرس موسيقي تدل على قوة اللفظ الذي يستخدمه الإمام في إذكاء قوة التخيل لدى المستمعين إليه.

(د) استخدام الألفاظ المناسبة لموضوع الخطابة: فمكان الشدة تجد مجموعة من الألفاظ الشديدة تتقاطر على لسان الإمام ﷺ، وعندما يكون موضوع الخطابة حول قضية فكرية أو ثقافية فلا تجد وجوداً لتلك الألفاظ، وعند الخطبة التربوية تلاحظ الألفاظ الرقيقة الجزلة وهي تحمل بين طيات حروفها باقات الورد إلى المستمعين، وهذا هو الخطيب الناجح الذي يسوق الألفاظ حسب الحاجة، فلا نجد لفظاً في مكان لفظ آخر.

ففي مقام الخشوع والتعبد نجد الإمام يستخدم أرق الألفاظ مثل: «طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في الليل غمضها حتى غلب الكرى عليها، افترشت أرضها وتوسدت كفها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجاقت عن مضاجعهم جنوبهم، وهممت بذكر ربهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم»... يحس المتأمل لهذه الكلمات شيئاً آخر يختلف عما سمعه من كلمات الإمام النارية، يحس المتأمل والسامع عبر هذه الكلمات نبضات قلب الإمام وهو راعٍ ساجد بين يدي ربه، ويشعر بأهات ودموع تنحدر من مآقيه الشريفة ويشعر

من نفحات تلك الكلمات هداة الليل وسكونه ، وساعات خاشعة لوقوف العبد في جنب ربه طالباً منه المغفرة والتوبة .

فالموقف هنا يتطلب استخدام تلك الألفاظ لأن الكلام حول التوبة والاستغفار ، ثم تشعر بالروح الإنسانية تتدفق من حنجرة الإمام (عليه السلام) : «ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشبع ، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى .
أأقنع من نفسي بأن يقال (هذا أمير المؤمنين) ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش» . . .

لم يترك الإمام في هذه القطعة الأدبية الجميلة في قاموس العربية من الكلمات الرقيقة إلا واستخدمها ، لفظ : هيهات ، المبطان ، غرثى ، أكباد ، حرى . . . عندما تسمع بهذه الكلمات يمتلكك إحساس عميق بأنك أمام أزهـد الزاهدين ، لكنه ليس زهد العاجزين ، لأنه قادر أن يحقق كل ما يتمناه ويريد من ملذات الدنيا ، لكنه لا يريد أن يكون كالبهيمة المربوطة همها علفها .

تحقيقاً لعلوم رسول

وامتداداً مع النص تتغير الألفاظ كما يتغير جو السماء فتتبدل الغيوم في لحظة واحدة عندما يتغير الموقف : «والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها ، وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد» . . .

ينقلب كل شيء في لحظة واحدة ومعه يتغير لحن الكلام ، فمن أكباد حرى ويطون غرثى إلى وقفة شهم يقفها صاحب الحق مطالباً بحقه حتى اقتضى الأمر إلى القتال وسفك الدماء .

فهناك وعلى ضفاف الفقراء والمستضعفين يقول الإمام تلك الكلمة الرقيقة عند مواجهة الطغيان ، وفي قبال منطق القوة يتحول الإمام إلى بحر هائج لا يعرف قراراً إلا بسحق الطغاة والمعتدين .

(٢) الأسلوب: والمقصود به الأسلوب الخطابي والأوصاف التي يجب أن يتحلى بها الخطيب أثناء إلقاء الخطبة.

وكان أمير المؤمنين (ع) كما يقول محمد طاهر درويش: أول من عالج الفنون الأدبية معالجة فنية، فخرج عن سنة الإبلاغ ومحض الأداء إلى صناعة التعبير وفن الأداء، فاستقام له أسلوب مطبوع مصنوع ظهرت فيه آثار دراسة القرآن واقتفاء نهجه وسياقه، وقد أخذ من فحولة البداوة وصقل الحضارة، واشتمال نهج البلاغة على جانب مدروس عليه، لا يحول دون اشتماله على جانب كبير فصيح نسبته إليه، ويتفق مع أسلوبه، ويدل بما فيه من أخلاق ومزاج لأن طابع شخصية الإمام علي يطل من ثنايا السطور ويوحى إليك أنك تسمع علياً دون سواه^(١).

ويشترط في الأسلوب ما يلي:

(أ) تضمين فنون الكلام؛ فالأسلوب الجيد هو الذي لا يكون على وتيرة واحدة، بل تمتاز فيه فنون الكلام كال تقرير والتعجب والتحكم والنفي والاستفهام، لكي يكسب كلامه الجدة ولئلا يعتري السامعين الملل والسأم، نعطي نماذج عن هذه القاعدة من خطب أمير المؤمنين (ع): «لقد بلغني أنكم تقولون علي يكذب! قاتلكم الله! فعلى من اكذب أعلى الله؟ فأنا أول من آمن به، أم على نبيه؟ فأنا أول من صدقه، كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها، ويلمة كيلاً بغير ثمن لو كان له وعاء، ولتعلمن نبأه بعد حين»، مجموعة من أدوات التعجب والاستفهام وردت في هذه الخطبة المهيبة التي أراد من خلالها أمير المؤمنين أن يستثير ضمائر أهل العراق الذين أصبح بعضهم أدوات طيعة بأيدي أعدائه.

نماذج أخرى من خطبه: «أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتُم حيدي حيا، ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل»، ثم يقول: «أي دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أي إمام

(١) الخطابة في صدر الإسلام: ١ / ٣٣٤.

بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخيبي، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل، أصبحت والله لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدو بكم. ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبكم؟ القوم رجال أمثالكم، أقولاً بغير عمل، وغفلة من غير ورع، وطمعاً في غير حق».

خطبة متحركة كأنها السيل المنهمر الذي يغمر الفضاء بعلامات السؤال والتعجب، ويشحن النفس بالمد والحماسة على ما فرطت في جنب إمامها وزعيمها، كلمات كسيت برزمة من علامات التعجب والاستفهام التي حولتها إلى شحنة عاطفية نفذت إلى قلوب وإسماع المتخاذلين الذين تركوا إمامهم لوحده، وأخذوا يرددون ما ينطق به الأعداء، وإذا أردنا أن نأتي بالأمثلة لطال المقام فنكتفي بهذين المثالين.

(ب) حسن التألف بين الألفاظ؛ ومشاركتها في صنع النغمة الموحدة والتي تنحدر على لسان الخطيب في يسر وسهولة، فيكون لها وقع جميل على الإسماع.

يقول ابن الأثير عن نظم الكلام: نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها، لئلا يجئ الكلام قلقاً نافرأ عن مواضعه، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منها بأختها المشاكلة لها^(١) ونماذج من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي يبين فيه حسن التأليف بين الكلمات عهده لمحمد بن أبي بكر: «فأخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وأبسط لهم وجهك، وآسي بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا يياس الضعفاء من عدلك عليهم».

لقد انتهى الإمام (عليه السلام) إلى الغاية القصوى في اختيار تلك الألفاظ ووضعها في مواضعها اللاتقة بها، فلفظة (جناحك) هي الأنسب عند وضعها إلى جانب (فأخفض)، (وجانبك) هي الأجمل عند وضعها عند لفظ (ألن)، ولفظ (الوجه) هو الأنسب عند وضعه عند لفظ (وأبسط)، و(اللحظة) و(النظرة) هي الأنسب عند وضعها عند لفظ (آسي) الذي يوحي بالمساواة حتى في أصغر الأمور اللحظة والنظرة، فلو دققنا في تلك العبارات لوجدناها قد اختيرت اختياراً دقيقاً بحيث لا تفي أية كلمة

(١) ابن الأثير: المثل السائر ١/ ٤٩.

لو وضعناها مكان الكلمة الأخرى .

فأي نظم دقيق نجده في كلامه ﷺ : «ما لابن آدم والفخر، أوله نطفة وآخره جيفة»، فلو أردنا استبدال أية كلمة بقاموس المفردات العربية لما وقت وأتمت ذلك المعنى الذي يمنحه النص، فالنص متكون من ثلاث مفردات أساسية هي: الفخر، نطفة، جيفة. وعبارات غير أساسية: آدم، ما لابن، لا، أوله، آخره.

ولو ألقينا نظرة إلى الألفاظ الأساسية في النص نجد أنها متقاربة متطابقة في الجرس والنغم والمعنى، فالمفتخر الذي يرى نفسه كبيراً لا يستحق من الألفاظ إلا الألفاظ الدونية كنطفة وجيفة.

وأية بلاغة تخر لها الجباه تكمن في هذه العبارة: «الفقر يخرس الفطن عن حجته»، فالإنسان الفطن معروف بالحجة القوية والبيان السريع والدليل الحاضر، لكن أن يقترن الفطن بالخرس فهو أمرٌ غير متوقع وغير قابل للتصديق، فما الذي يجعل الفطن خرساً؟

الفقر هو الذي يجعل الفطن خرساً فيعقد لسانه فلا يستطيع البيان ولا يتمكن أن يدلي بحجته ودليله، فلتأمل نظم هذه العبارة مرة أخرى ثم نسأل أنفسنا ما هي النسبة بين المفردات التي أوردها أمير المؤمنين ﷺ قبل وبعد استخدامها في النص؟

الجواب: النسبة بعيدة والمسافة طويلة بين مفردة (الفقر) ومفردة (الحجة)، وبين الفطن والخرس، لكن بعد استعمالها في النص تضيق المسافة وتتعارض هذه الألفاظ بعضها مع بعض لتكوّن فيما بينها معناً كبيراً يخرّ له العظماء ويسجدون لبلاغته.

ت) تنوع الأسلوب بتنوع الظرف والمخاطب؛ فلكل مقام مقال. كما يقولون. ففي مقام التحريض على القتال يجب على الخطيب اختيار الأساليب الفخمة والعبارات ذات الرنين العنيف، وفي مقام الاستغفار والتوبة يستخدم الخطيب عبارات رقيقة لطيفة، هذا من جانب ومن جانب آخر طبيعة المخاطب، إذ يحتم على الخطيب أن يصوغ خطابه بما يناسبه.

فلحن خطبة المتقين التي خطبها أمير المؤمنين عندما سأله أحد أصحابه أن يصف له المتقين، يختلف عن لحن خطبته في معركة الجمل، وذلك لاختلاف الظرف واختلاف

المخاطب: يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة المتقين: «أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلون ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم ويستشيرون به دواء داءهم، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكك رقابهم.

وأما النهار فحكماء علماء أبرار أتقياء، قد براهم الخوف بري القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض...».

قارن بين هذه العبارات والعبارات التي وردت في الخطبة التي يذم فيها أهل البصرة: «كتم جند المرأة وأتباع البهيمة، رغا فأجبتهم، وعقر فهرتهم، أخلاقكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وماؤكم زعاق، والمقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه».

وتراه طوراً آخر يخاطب عمرو بن العاص بكلام خشن: «فإنك جعلت دينك تبعاً لدنيا أمرء ظاهر غيّه مهتوك ستره، شين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته، فاتبعت أثره وطلبت فضله، اتباع الكلب للضرغام يلوذ بمخالبه وينتظر ما يلق من فضل فريسته».

ويخاطب معاوية باللهجة نفسها: «فسبحان الله ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة، والخيرة المتبعة، مع تضييع الحقائق، وإطراح الوثائق التي هي لله طلبته وعلى عباده حجة».

ويخاطب أحد أصحابه بشي من اللين والشدة عندما سمع عنه بعض الإسراف في الأموال: «أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده في المتكبرين، وتطمع وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة أن يوجب لك ثواب المتصدقين، وإنما المرء مجزي بما أسلف وقادم على ما قدم والسلام».

بينما تتغير لهجته تماماً مع نوف البكالي وهو أحد أصحابه يقول نوف: رأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر في النجوم فقال لي: «يا نوف: طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً وتراها

فراشاً وماءها طيباً والقرآن شعاراً والدعاء دثاراً، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح».

ولهجته مع أبي ذر الغفاري التي كانت تطفح بالحنان والرحمة والمحبة: «يا أبا ذر إنك غضبت لله فأرج من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك..» إلى آخر الوصية.

كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يلاحظ الحال فيتكلم بمقتضاه، وهذه هي البلاغة في أبسط تعريف لها، ففي المدينة المنورة حيث احتفت بكبار الصحابة كان الإمام يتكلم بكلام هادئ ليس فيه من العبارات النارية، بينما نجد في خطبه التي خطبها في العراق مسحة من الغضب والعتاب بسبب ما لقيه منهم، ولالإمام خطب علمية تحدث فيها عن الكون ونشأته وعن التوحيد وما أودعه الله من نعم في الأرض والسماء، وقد اكتسبت تلك الخطب بوشاح من الاتزان والهدوء اقتضاه المقام.

(ث) تجميل الكلام في بعض الأحوال يسجع قليل غير بادي التكلف^(١)؛ وعرف ابن الأثير السجع بأنه تواطؤ القواصل في الكلام المنشور على حرف واحد، ثم رد من خالف السجع: وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولا أرى ذلك جرحاً سوى عجزهم أن يأتوا به، وإلا فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم، فإنه قد أتى منه بالكثير حتى إنه ليؤتي بالسورة جميعها مسجوعة^(٢).

وقد تحدث طويلاً في السجع من كلام الرسول ﷺ ورد على القائلين بمنعه مستنديين إلى كلامه: «أسجعاً كسجع الكهان»، ثم قال: واعلم أن الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء، والنفس تميل إليه بالطبع، ومع هذا فليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط، ولا عند تواطؤ القواصل على حرف واحد، إذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لكان كل أديب من الأدباء سجّاعاً، وما من أحد منهم ولو شدا شيئاً يسيراً من الأدب: إلا ويمكنه أن يؤلف ألفاظاً مسجوعة، ويأتي بها من كلامه، بل ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة

(١) محمد أبو زهرة: الخطابة ص ١٥٠ سنة ١٩٢٤ مطبعة العلوم.

(٢) المثل السائر: ١/١٩٥.

حادة طنانة رنانة، لا غثة ولا باردة، وأعني بقولي غثة باردة، أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة وما يشترط لها من الحسن، ولا إلى تركيبها وما يشترط له من الحسن وهو في الذي يأتي به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقش أثواباً من الكرسف أو ينظم عقداً من الخزف الملون^(١).

ثم أورد أربعة شروط للكلام المسجع:

الشرط الأول: اختيار مفردات الألفاظ على الوجه الذي أشرت إليه.

الشرط الثاني: اختيار التركيب على الوجه الذي أشرت إليه.

الشرط الثالث: أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعاً للمعنى لا المعنى تابعاً للفظ.

الشرط الرابع: أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها^(٢)، ولا ريب فإن ابن الأثير وغيره ممن كتبوا في الأدب والبلاغة صاغوا قوانينهم وقواعدهم من كلمات العظماء كأمير المؤمنين ❀.

وعندما نعرض كلمات هؤلاء العظماء على تلك القواعد لا نريد بذلك أن نصحح كلامهم بل نريد أن نثبت بأن تلك القواعد ما هي إلا استنتاجات ذلك الكلام استنبطها أولئك الكتاب فدونها في كتبهم، ومن هذه القواعد التي ذكرها ابن الأثير، شروط السجع المقبول، وهي الشروط التي استنبطها ابن الأثير من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام البلغاء كأمير المؤمنين ❀.

وإذا تمعنا النصوص البلاغية المسجعة من كلام أمير المؤمنين لوجدناها مطابقة لقواعد ابن الأثير، أو بالأحرى لوجدنا أن قواعد ابن الأثير مطابقة لها، نذكر أمثلة على ذلك.

ورد في خطبة الأشباح:

«الحمد لله الذي لا يفره المنع والجمود ولا يكديه الإعطاء والجود، إذ كل معط

منتقص سواء، وكل مانع مذموم ما خلاه، وهو المنان بفوائد النعم، وعوائد المزيد

(١) المصدر نفسه: ١٩٧/١-١٩٨.

(٢) المثل السائر: ٢٠٥/١.

والقسم، عياله الخلائق، ضمن أرزاقهم وقدر أقواتهم، ونهج سبيل الراغبين إليه، والطالبين ما لديه، وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل، الأول الذي لم يكن له قبل، فيكون شيء قبله، والآخر الذي ليس له بعد، فيكون شيء بعده..» إلى آخر الخطبة.

كلمات منظومة كنظم القلادة ومرصوفة كالبنيان المرصوص لا تجد ثغرة صغيرة بين جميع ما ورد من الكلمات، كل مفردة في مكانها وهي تعانق جارتها المفردة التالية لها عناقاً أبدياً لا تقدر على الفصل بينهما، فالكلمات رتبت ترتيباً هندسياً في الشكل وتركيباً معنوياً في الدلالة، لا تجد كلمة اضافية، فالمعنى مستولي على العبارات وهو يتحكم بالألفاظ ويسوقها سوقاً نحو المعنى العام، كل قطعة مسجعة لوحة مستقلة بذاتها في المعنى والإشارة لكنها ترتبط بالقطعة التي في جوارها لتشكل من مجموع تلك القطع سجادة عريقة واحدة (لا يفره المنع والجمود) إشارة إلى أن ما عنده لا يزداد إذا امتنع عن صرفه - كما هو الإنسان - ولا يكديه الإعطاء والجود، وإذا أعطى فإن عطائه لا ينقص ما عنده، إذ كل معط منتقص سواء، هذا في الإنسان وذلك في الرب الخالق، وكل مانع مذموم ما خلاه، لأنه لا يمنع إلا عن حكمة..

وهكذا فكل فقرة ذات معنى مستقل بحد ذاتها لكنها مرتبطة بالفقرة التالية لها بالمعنى وليس باللفظ، وهذا هو الفرق بين السجع السليم والسجع العليل، فالسجع السليم ينبض فيه المعنى وتتدفق فيه الروح من كل جانب، بينما السجع العليل هو سجع مشلول لا روح فيه يطغى فيه اللفظ على المعنى فيسلب منه الروح والحياة.

ونموذج آخر للسجع العلوي الذي يعتبر مثلاً للسجع المستقيم الذي يستمد وجوده من القرآن الكريم، «كل شيء خاشع له، وكل شيء قائم به، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه» آية من آيات البلاغة والفكر، وقد يتحير الأديب أمام هذه القطعة أيهما يسبق الآخر البلاغة أم الفكر؟ وربما بعد طول تأمل سيكتشف أنهما يبدآن معاً، ويتهيان معاً، وهذا مالا يستطيع عليه أحد إلا مهندس البلاغة، وصانع الأدب ذاك أمير الكلام أمير المؤمنين ﷺ، عبارات مسجعة، لكن لا تشعر بالسجع بل تشعر بفكر عملاق يداهمك وينفحات رقيقة تسحر فؤادك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه للمؤمن: «المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدرأ وأذل شيء نفساً، يكره الرفعة ويشنأ السمعة، طويل غمه، بعيد همه، كثير صمته، مشغول وقته، شكور صبور، مغمور بفكرته ضنين بخلته، سهل الخليفة، لين العريكة، نفسه أصلب من الصلد وهو أذل من العبد»، يقولون الكلمات كريشة فنان، فكما الرسام يرسم لوحته بالريشة، فالأديب يرسم أفكاره بكلماته، وعندما ننظر إلى هذا النص كأننا ننظر إلى ريشة فنان يرسم لنا صورة إنسان يصنع الألوان فوق الخطوط، والخطوط فوق اللوحة، لكن مع فارق بين ريشة أمير المؤمنين التي رسم بكلماته صورة الإنسان المؤمن وريشة الفنان، والفرق بين ريشة أمير المؤمنين عليه السلام أنها تعطي الروح للكلمات فتأخذ بالنطق، بينما ريشة الفنان لا تستطيع أن تعطي للخطوط إلا اللون، فالصورة التي رسمها أمير المؤمنين بكلماته هي صورة حية ناطقة، وكل عبارة فيها هي إضافة ضرورية لتكمل الصورة ولتصبح أكثر بهاء وأكثر قدرة على النطق.

ولو أردنا أن نأتي بنماذج أخرى لطال بنا المقام، فنكتفي بهذا القدر، ثم نأتي بشهادة أحد البلغاء والأدباء وهو أبو الفرج قدامة بن جعفر في سجع أمير المؤمنين عليه السلام، يقول قدامة بن جعفر: «فمما أتى في نهاية النظم قول أمير المؤمنين (رضي الله عنه) في بعض خطبه: أين من سعى واجتهد، وجمع وعدد، وزخرف ونجد، وبنى وشيد»، فاتبع كل حرف بما هو في جنسه وما يحسن معه نظمه، ولم يقل: أين من سعى ونجد، وزخرف وشيد وبنى وعدد، ولو قال ذلك لكان كلاماً مفهوماً، ومن قائله مستقيماً وكان مع ذلك فاسد النظم قبيح التأليف^(١).

وهذه الاستنتاجات التي ذكرها قدامة تحولت إلى قواعد على أيدي ابن الأثير في المثل السائر كما ذكرنا سلفاً.

وليس قدامة وحده هو الذي اعجب بسجع أمير المؤمنين عليه السلام، بل هناك أدباء محدثون وقفوا وقفة إعجاب إزاء هذا الأسلوب المتين، منهم محمد طاهر درويش في

(١) نقد النثر: ص ٧٧.

كتابه الخطباء في صدر الإسلام، فبعد إشادته بأسلوب الإمام في الخطابة ذكر قائلاً:
 وأسلوب زاده حسناً ووقعاً السجع والازدواج والطباق، واستواء الفواصل وتوازن
 الجمل والإيقاع الموسيقي^(١).

أنواع الخطب

يقسم أرسطو الخطب إلى ثلاثة أنواع: الخطابة الاستشارية (الحملية) والخطابة
 القضائية، والخطابة الاستدلالية أي خطابة المدح والذم، ثم يقول: فالخطابة الاستشارية
 يتوجه فيها الخطيب إلى السامعين بالنصيحة أو بالتحذير. أما الخطابة القضائية تتوجه
 إما إلى الاتهام وإما إلى الدفاع، ومهمة المتقاضين لا تخرج بالضرورة عن القيام بواجب
 من هذين، أما النوع الثالث (الاستدلالي) فإنه يتوجه إما إلى المدح وإما إلى الذم^(٢).
 أما خطب أمير المؤمنين ﷺ فتتقسم على أساس غرضها وأهدافها إلى الأنواع
 التالية:



- ١- الخطب الفكرية.
- ٢- خطب الوعظ.
- ٣- خطب التقرير.
- ٤- خطب التحريض.
- ٥- خطب الملاحم.
- ٦- خطب الاستسقاء.
- ٧- الخطب الحربية.
- ٨- الخطب السياسية.

أولاً: الخطب الفكرية :

وهي الخطب التي تتناول قضايا العقيدة من التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد، وما

(١) الخطابة في صدر الإسلام: ١ / ٣٤٠.

(٢) كتابة الخطابة: أرسطو طائيس ص ٩٥-٩٦ تحقيق إبراهيم سلامة ص ٢١، مكتبة الانجلو
 المصرية.

خلق الله في السموات والأرض وما أودع من نعم ظاهرة وباطنة، وهذه الخطب مصدر مهم من مصادر الثقافة الإسلامية، فقد اشتملت على علوم كثيرة من علم الفلك وطبقات الأرض، والبيولوجيا، وعلم الحيوان، والفيزياء، وتضمنت علوماً مرتبطة بكائنات غير مرئية كالملائكة والجن والشياطين.

من الخطب الفكرية التي اشتملت على تلك العلوم الخطبة الأولى في نهج البلاغة التي يذكر فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم، فسابتدأت الخطبة بصفات الخالق مؤكداً في نهاية المقطع أن أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه.

ثم تحدث الإمام في الخطبة عن خلق السموات وكيفية نشوء الكون، وبعد ذلك تحدث حول خلق آدم (عليه السلام)، وحكاية إبليس مع آدم عندما أمره الله بأن يسجد له فاعتزته الحمية وغلبت عليه الشقوة، وأخذ نسل آدم ينتشر منهم الصالح ومنهم الطالح، ومنهم كان الأنبياء حتى آلت المسؤولية إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فبعثه الله سبحانه وتعالى لإنجاز عدته وإتمام نبوته، وبعث مع النبي كتاباً فيه حلال الله وحرامه، فرائضه والفضائل ناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه وخاصه وعامه، هذه خلاصة ما ورد في هذه الخطبة من أفكار.

نجد في الخطبة الكلمات الرصينة: حجة، محجة، تحكم، قائم... وتجد فيها عبارات قوية: أول الدين معرفته، وفي طيات كل كلمة وعبرة هناك فكر عملاق ينبض بالحياة.

وحول صفات الله عز وجل تكلم أمير المؤمنين كثيراً وخطب كثيراً، فتركيزه حول التوحيد جاء في أعقاب فراغ فكري عاشته الأمة ردحاً من الزمن، ولما كان التوحيد هو قاعدة الإسلام الأولى التي لولاها لانهار كل شيء، لذا وجدنا في أكثر الخطب حتى السياسية منها إشارات حول التوحيد بالإضافة إلى خطب مستقلة في هذا الباب، ومنها في صفات الخالق: «الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور، ودلت عليه اعلام الظهور، وامتنع على عين البصير، فلا عين من لم يره تنكره، ولا قلب من أثبتته يبصره».

وفي وصف رسول الله ﷺ كرس خطبته التي أولها: «اللهم داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك ونواحي بركاتك على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفتاح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدافع جيئات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل» إلى آخره..

تجد في الخطبة الفكرية التطويل أولاً، غلبة الجانب الفكري على اللفظ، الابتداء بالتوحيد لأنه الأساس ثم انتقال الحديث إلى الأمور الأخرى كالنبوة والإمامة والمعاد، لأن كل شيء مصدره التوحيد، فالتوحيد قاعدة المنهج الفكري والمنطلق الذي ينطلق منه الإمام إلى بقية النواحي الفكرية.

ثانياً: خطب الوعظ :

وتشمل الخطب التربوية والأخلاقية التي أوصى بها أمير المؤمنين ﷺ أولاده وأصحابه، وما ورد عنه في ذكر الموت والآخرة. ومنهج الإمام ﷺ في الوعظ هو التركيز على حقيقة الموت وما سيلقيه الإنسان في القبر وما بعد الموت والتذكير بالاستغفار وما يترتب على المذنب من مسؤوليات.

يقول الإمام في تعظيم ما بعد الموت: «فإنكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتهم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريب ما يطرح الحجاب، ولقد بصّرتهم إن أبصرتهم، وأسسمعتهم وهديتهم إن اهتديتم. بحق أقول لكم لقد جاهرتمكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر، وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر»، تجد في هذه العبارات العناية الفائقة في اختيار التعابير لتكون ذات تأثير على وجدان الإنسان وضميره فهي تقرّب لهم غير المحسوس عما يلاقي الميت بعد موته وكأنه أصبح أمراً محسوساً. بغيته ﷺ من ذلك دفعهم إلى الطاعة، فلو كانوا مكان هذا الميت وشاهدوا ما شاهد، هل كانوا يبقون عصاة أم أنهم سيعلمون الطاعة المطلقة؟.

ويقول أيضاً: «فإن الغاية أمامكم وإن ورائكم الساعة تحذوكم، تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر بأولكم آخركم»، يقول السيد الرضي عن هذه العبارة: لو وزن بعد كلام

الله سبحانه وبعد كلام رسول الله ﷺ بكل كلام لمال به راجحاً، ويرز عليه سابقاً، ويقول عن «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلاماً أقل منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً .
وهذه صفة خطبه الوعظية، إنها مختصرة مجملة في عدة كلمات لها رنين وصدى كبير مثل عبارة تخففوا تلحقوا التي جمعت كل ما قاله الأنبياء والرسل والأولياء من المواعظ، وهنا تكمن عظمة الإمام ﷺ الذي ضغط أفكاراً جمّة في كلمات قليلة لا تعد إلا بعدد الأصابع .

وللإمام ﷺ باع طويل في الخطب الوعظية التربوية: «فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس، فلا تكونن له فتنة، فإن المرء المسلم البريء من الحياة ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت، ويغرى بها لثام الناس، كان كالفالج الياسر الذي ينتظر أول فورة من قداحه توجب له المغنم، ويرفع بها عنه المغرم» .

ثم يقول: «أيها الناس إنه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألستهم وهم أعظم الناس حيلة من ورائه، وألستهم لشعته وأعطفهم عليه عند نازلة إذا نزلت به» .

ثم دعوته إلى الزهد هي من أكثر مواعظه في زمن كان فيه الناس يتسابقون إلى جمع المال، حتى ظهرت الطبقة بينهم .

يقول الإمام ﷺ: «أيها الناس: الزهادة قصر الأمل والشكر عند النعم والورع عند المحارم، فإن عزب ذلك عنكم، فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنصروا عند النعم شكركم، فقد أعذر الله إليكم بحجج مسفرة ظاهرة وكتب بارزة العلو واضحة» .

وتنتهي كلماته عند هذه النقطة لتؤكد بأن الخطب الوعظية هي من أقصر الخطب، فهي بمثابة الحبة المقوية التي اجتمعت فيها كل الفيتامينات والمقويات، فلا عبرة بكثرة الكلام لكن العبرة بما تتركه هذه الكلمات من أثر .

وهنا نستطيع أن نستنتج قاعدة نفسية هي: اختصر كلامك عندما تريد أن تعظ إنساناً، فالكلام القليل المؤثر أنفع من الكلام الكثير غير النافع .

ثالثاً: خطب التقرير

وتمتاز خطب التقرير بالكلمات الحادة والعبارات ذات الجرس الغنيث على أذان

السامع ، والهدف منها استشارة الأحاسيس الأدمية عند المستمعين والمخاطبين ، وتعظيم مواقفهم الخيانية ، فلم يتل أحد كما ابتلى أمير المؤمنين ﷺ بأناس جفاة لا يعيرون أذنأ صاغية لإمامهم عندما يطالبهم بغزو عدوهم تراهم يتخاذلون ، وهم الذين طلبوا منه التحكيم وأرادوا قتل مالك الأشتر عندما أراد مواصلة الحرب ، وهم أنفسهم بعد ذلك أنكروا على الإمام قبوله بالتحكيم وطالبوا بالحرب . كانت نفوسهم قلقة مضطربة لا تستقر عند رأي ولا تلتزم بموقف وتعهد ، فكان خطاب الإمام لهم عنيقاً مرأ كاللدواء الذي يصفه الطبيب إلى المريض ، فكان البعض منهم مرضى حقاً لا ينفعه إلا التدبير والتفريع وكلمات الدم .

وكان في خطبه التفريعية يضع يده على الجرح : «أيها الشاهدة أبدانهم ، الغائبة عنهم عقولهم ، المختلفة أهواؤهم ، المبتلى بهم أمراؤهم ! صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه ، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه ! لوددت والله أن معاوية صارفني بكم الدينار بالدرهم ، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم» ، مقايسة أصحابه بأصحاب معاوية هو منتهى التفريع والدم ، لكنه منتهى المعقولية والمنطق ، فأورد أمير المؤمنين هذه المقايسة حتى يزيد في استشارة ما تبقى عند أهل العراق من حمية ووجدان في الدفاع عن حقوقهم .

ونلمس من الكلمات التالية نبضات الأسى عند الإمام علي ﷺ : «ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها وأصبحت أخاف ظلم رعيتي» ثم يواصل تأنيبهم : «استفرتكم للجهاد فلم تنفروا وأسعتكم فلم تسمعوا ، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا ، ونصحت لكم فلم تقبلوا» .

ثم يصف بعض ممارساتهم : «أشهود كغياب وعيب كآرباب ؟ أتلوا عليكم الحكم فتنفرون منها ، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها ، وأحثكم على جهاد أهل البغي فما أتني على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سباً ترجعون إلى مجالسكم وتتخاذلون عن مواعظكم» .

وبسهولة يستطيع كل واحد منا أن يكتشف ما تبطن هذه النفسية التي وصفها أمير المؤمنين ﷺ من قلق وعدم استقرار وشك ، لكن الإمام مع كل ما لقي منهم لا يتركهم

وشأنهم، بل يحاول أن يجد لهم طريقاً للنجاة ولتخليص أنفسهم من الاضطراب والقلق فيدعوهم للإقتداء بأصحاب رسول الله بعد ما أن يأتي على وصفهم قائلاً: «لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجّداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبلّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب، ورجاءً للثواب»^(١).

من هنا فإن تقرير الإمام ﷺ ليس لإفراغ شحنات النفس التي قال عنها: (لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحتهم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً)، بل القصد من الخطبة التريية، فالتقرير هو أحد أساليب التربية إذا استخدم الاستخدام الحسن، وإلا فإنه سيدفع إلى الانهيار.

فمسؤوليته إزاء أصحابه أن يدفعهم إلى الصلاح، فيحاول أن يجد طريقاً لصلاحهم أما الأعداء فلا ينفعهم إلا التقرير المرافق بالتهديد بما يجري عليهم في المستقبل.

خطب في أهل البصرة: «كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة، رغا فاجبتم وعقر فهرتتم» ثم يصفهم وصفاً دقيقاً: «أخلاقكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وماؤكم زعاق، والمقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه»، ومثل هؤلاء لا تنفعهم المواعظ كما هي طريقته مع أصحابه، بل الذي ينفعهم هو التخويف بالمستقبل وما سيلقونه جراء أعمالهم التي ستوصلهم حافة الهاوية إذا استمروا عليها: «كأنني بمسجدكم كجوجو سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها، (وفي رواية) وأيم الله لتغرقن بلدتكم حتى كأنني أنظر إلى مسجدك كجوجو سفينة، أو نعمة جائمة» (وفي رواية) كجوجو طير في لجة بحر^(٢)، فمن لا تنفعه المواعظ ستردعه الزواجر».

وخوف أهل النهروان بمصير قريب سيلقونه على مدى أيام قريبة حتى يرتدعوا

(١) محمد عبده: شرح نهج البلاغة ص ٢١٨.

(٢) نهج البلاغة: باب الخطب رقم ١٢.

ويكفوا عن معانداتهم.

قال لهم: «فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر، وباهضام هذا الغائط، على غير بينة من ريكم ولا سلطان مبين معكم، قد طوحت بكم الدار واحتبلكم المقدار، وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبيت عليّ إيباء المخالفين المنابذين، حتى صرفت رأيي إلى هواكم، وأنتم معاشر أخفاء الهام سفهاء الأحلام، ولم آت - لا أبأ لكم - بجرأ ولا أردت لكم ضرأ»^(١).

فمثل هؤلاء الذين سدوا آذانهم عن سماع الموعظة، وتعاموا عن رؤية الحقيقة الناصعة مثل هؤلاء لا ينفعهم إلا التحذير بشيء قريب سيقع عليهم جراء أعمالهم، وهو أن يقتلوا جميعاً لأنهم على باطل، وكان الأولى بهم أن يسمعوا كلام أمير المؤمنين ويكفوا عن غيهم ويعودوا إلى رشدهم، لكنهم تمادوا فكان مصيرهم كما حدثهم به أمير المؤمنين ﷺ.

رابعاً: خطب التحريض :

وهي الخطب التي كان أمير المؤمنين يبحث فيها أصحابه للجهاد ويدفعهم للقتال وهي كثيرة في نهج البلاغة، وفي كل مرة كان ينطلق من أسلوب خاص يتحكم به الظرف وحالة أصحابه.

فعندما أغار سفيان بن عوف خطب في أصحابه وحثهم على الجهاد ذاكراً آثاره وفوائده، وضرر تركه :

«أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماء وضرب على قلبه بالأسداد وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف».

وهو كلام منطقي حول أهمية الجهاد وضرورته، ينتفع به العاقل المتزن الذي يستطيع أن يدرك الأمور بإشارات قليلة، لكن البعض لا ينفعهم هذا الأسلوب، فهم

(١) نهج البلاغة: باب الخطب رقم ٣٦.

بحاجة إلى طريقة أخرى لحثهم على الجهاد، وذلك باستخدام أسلوب التوبيخ والتنديد قال الإمام في إحدى خطبه: «أف لكم! لقد سئمت عتابكم، أَرْضَيْتُمْ بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالدُّل من العز خلفاً، إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة، ومن الدهول في سكرة، يرتج عليكم حوارِي فتعمهون، فكان قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون، ما أنتم لي بثقة سَجِيس الليالي، وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر عز يفتقر إليكم، ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر، ثم تنتهي الخطبة بهذه النتيجة: أيها الناس: إن لي عليكم حقاً، ولكم علي حق: فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفير فينكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقِّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين أمركم».

فالهدف في هذه اللحظة ليس التوبيخ والتنديد، بل التوبيخ هو وسيلة للحث على الجهاد إذ إن البعض لا ينفعهم أسلوب الموعظة والإرشاد، ولا يجدي بهم نفعاً إلا التقرُّيع والتنديد، ومن أساليب الحث على الجهاد إثارة روح الحمية والشجاعة بتصوير ما فعله الأعداء بهم، فقال لهم أمير المؤمنين (ع): «ألا وإنِّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، سراً وعلناً، وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولي، واتخذتموه وراءكم ظهرياً حتى شنت عليكم الغارات وملكتم الأوطان، هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقتل ابن حسان البكري، ورجالاً منهم كثيراً ونساءً، وأزال خيلكم عن مسالحها»، وكان أمير المؤمنين (ع) يريد أن يقول لهم: أين أصحاب الحمية أين الشجعان، لقد أغار عليكم العدو فماذا أنتم صانعون، هل ستقفون موقف المتفرج، أم تخرجون سيوفكم من أغمارها وتدنسونها في صدور أعدائكم الذين فعلوا ما فعلوا؟.

ولم يكتف الإمام باستشارة حمية الشجاعة بل استثار فيهم حمية الرجولة أيضاً على أمل أن تكون مثيرة لغيرتهم، فذكر لهم ما كان يجري على النساء المسلمات من تجاوزات وحشية:

«والذي نفسي بيده، لقد بلغني أنه كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعشها، وما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرین، ما نال رجلاً منهم كلم ولا أريق لهم دم، فلو أن امرأة مسلماً مات من دون هذا أسفاً، ما كان عندي فيه ملوماً، بل كان به عندي جديراً».. فأين الرجولة؟، وأين الرجال لدفع هؤلاء الأراذل عن نساء المسلمين؟! .

ما أروع هذا التصوير لتلك الحادثة المؤلمة التي تزلزل الجبال فكيف بقلوب أرياب الحمية والرجولة .

ومن أساليب الحث والتحريض التي استخدمها أمير المؤمنين ﷺ مقابلة العدو بالمثل، فإذا كان العدو يهاجم فإن المنطق يستدعي مواجهته بالرد المناسب لا الصمت، والسكوت عليه .

قال أمير المؤمنين في ذلك: «يا عجباً كل العجب، عجب يمت القلب، ويشغل الفهم، ويكثر الاحزان، من تضافر هؤلاء على باطلهم وفشلهم عن حقكم حتى أصبحتم غرضاً، تُرمون ولا تُرمون، ويغار عليكم ولا تغيرون، ويعصى الله عز وجل فيكم وترضون» .

فإذا لم يكن لآيات القرآن في الجهاد من أثر في نفوسكم.. وإذا لم يكن في ما ارتكبه العدو من جرائم بشعة أثر يدفعكم إلى جهاده، فإن الرد بالمثل هو أقل ما يثير في نفوسكم حمية القتال والاستعداد للجهاد .

خامساً: خطب الملاحم :

وهي الخطب التي يذكر فيها أمير المؤمنين ﷺ، ما سيحدث في المستقبل وسميت الملاحم لأن الإمام تطرق لموضوع المستقبل أثناء حديثه عن الفتن والحروب والاضطرابات التي وقعت في عهده والتي ستقع في المستقبل، فسميت بالملاحم إشارة إلى تلك الفتن والاضطرابات، ففي خطبة يذكر فيها الملاحم يحذر أمير المؤمنين ﷺ عما سيؤول إليه وضع الناس :

«ألا فتوقعوا ما يكون من أدبار أموركم وانقطاع رحيلكم واستعمال صغاركم،

ذاك حيث يكون المعطى أعظم أجراً من المعطى ، ذاك حيث تسكرون من غير شراب ، بل من النعمة والنعيم ، وتحلفون من غير اضطرار وتكذبون من غير إحراج ، ذاك إذا عضكم البلاء كما يعض القتب غارب البعير . . ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء» .

فترقب المستقبل عند الإمام ﷺ لا يأتي من فراغ بل على أساس ما يرتكبه القوم من أعمال وأفعال ، فهناك سننٌ طبيعية تتحكم بمسيرة الإنسان في الحياة ، فإذا ما جاوزها أو عاكسها فإن مصيره حتماً إلى البلاء الذي لا رجاء من نهايته .

فالتبعية الحتمية لقطع الصلات واستخدام الصغار من الناس في إدارة أمور البلاد ، وعندما يصبح المعطى قسراً هو المفضل على المعطى للمال ، وعندما يسكر الناس بسبب امتلاكهم المال والعقار وعندما يحلفون بالله بلا سبب معقول ويكذبون بلا مبرر ، عندها يعمهم البلاء الذي لا رجاء بعده .

فسلوك هذا الطريق سيؤدي إلى هذه النتيجة ، أما إذا سلكوا طريقاً آخر فإن الأمور ستغير ، وأمير المؤمنين ﷺ هو الإمام الذي يقتدي به الناس والذي يلتجأ إليه المتحير ليدلهم طريق النجاة وينقذهم من السقوط في الهاوية السحيقة .
يقول تحصيناً لهم من الفتن :

«ألقوا هذه الأزمة التي تحمل ظهورها الأثقال من أيديكم ، ولا تصدّعوا سلطانكم فتدموا غباً فعالكم ، ولا تقتحموا ما استقبلتم من فور نار الفتنة ، وأميطوا عن سننها وخلوا قصد السبيل لها ، فقد لعمرى يهلك من لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم»^(١) .

فالسبيل إلى النجاة هو الابتعاد عن الفتنة وتركها تسير لوحدها كنار منطلقة من بركان ، فكل ما يقف في طريقها يحترق ، والفتنة تحرق الأخضر واليابس حتى المؤمن يشملها بلاءها ، من هنا فخطب الملاحم ليست ضرباً في الأخماس والأسداس ، ولا هو قول منجم يقول عن المستقبل ما يراه في حساب النجوم ، بل هو كلامٌ مرصوص هدفه

بالدرجة الأولى تغيير الناس وتحذيرهم من مخاطر ما يرتكبونه من أعمال، وتذكيرهم بأن أعمالهم هذه ستجلب لهم الوبال والخراب.

فهذه الخطب بمثابة جرس الإنذار الذي يقرعه أمير المؤمنين ﷺ لينتبه الناس عما يفعلون من الشرور؛ لأنه يرى المستقبل من بعيد كما يراه أي إنسان ملهم من السماء، يقول في ذلك:

«إنما مثلي بينكم كمثل السراج في الظلمة، يستضيء به من وجها، فاسمعوا أيها الناس وعوا، واحضروا آذان قلوبكم تفهموا»^(١).

فالهدف ليس كشف المستقبل بقدر ما هو تحذير لهم من مغبة نتائج أعمالهم، وكلام أمير المؤمنين فيه من التأنيب والتحليل والتدقيق وقراءة المستقبل، وهذا هو الأسلوب المتبع في خطب الملاحم.

في خطبة له تحدث فيها عن فتنة بني أمية واستعرض مخاطر هذه الفتنة وأبعادها الإنسانية المختلفة:

«ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها واخطأ البلاء من عمى عنها، وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي كالناب الضروس»، ثم يصف سلوك بني أمية وعدوانيتهم: «تقدم بفيها، وتخط بيدها، وتزبن برجلها، وتمنع درها، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم، أو غير ضائر بهم، ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه، والصاحب من مستصحبه»، ثم يبين لهم مصير هذه الفتنة وإنها سرعان ما تنجلي لأنها: «فتنة شوهاء ليس فيها منار هدى ولا علم يرى، ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الأديم بمن يسومهم خسفاً ويسوقهم عنفاً ويسقيهم بكأس مصبره، لا يعطيهم إلا السيف ولا يحلسهم إلا الخوف، فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يروني مقاماً واحداً»^(٢).

يقول ابن أبي الحديد عن هذه الخطبة: وهذا الكلام إخبار عن ظهور المسودة

(١) محمد عبده: ص ٢٨٥.

(٢) باب الخطب: محمد عبده ص ٢١٢ (٩٢).

(العباسيين) وانقراض ملك بني أمية .

ووقع الأمر بموجب إخباره صلوات الله عليه ، حتى لقد صدق قوله : «تود قريش» . فقد نقل أن مروان بن محمد قال يوم الزاب لما شاهد عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بازائه في صف خراسان : لوددت أن علي بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى ، والقصة طويلة وهي مشهورة^(١) .

ولم يكن مقصود الإمام من ذكر الملاحم أخبارهم بالمغيبات وما كتبه الله في غيبه وحسب ، بل أراد أن يضعهم أمام مسؤولياتهم إزاء فتنة بني أمية التي اشتدت في زمانه وأصبحت ذات قدرة دينية ودنيوية كبيرة على الناس البسطاء .

أراد الإمام من عرضه للملاحم أن يوعي الناس ، لذا وجدناه يبدأ كلامه بتجاربه في إخماد الفتنة ، ثم يصف لنا طبيعة الفتنة : إن الفتن إذا أقبلت شبهت ، ففي الابتداء يلتبس أمر الفتنة على الناس البسطاء وحتى الحاذقين ولا يعلم الحق من الباطل إلى أن تنقضي وتنتهي ويسدل ستارها فحينذاك يكشف حالها ، ويعلم ما كان مشتبهاً منها .

ثم يصف لنا حركة الفتنة وانتشارها السريع فهي تنتشر كالوباء تحوم حول الرياح فتصيب بلداً وتخطأ بلداً ، وهذا هو المقصود من خطب الملاحم ، فالهدف هو وضع الناس أمام مسؤولياتهم وتعريفهم بما يجري حولهم حتى لا يلتبس الأمر عليهم .

وفي أثناء عرضه للفتن يعطي الإمام بعض الإشارات المستقبلية عن أحداث ستقع مما تعلمه من رسول الله ﷺ مثل إخباره بغزو معاوية للعراق واستيلائه على الكوفة ، وإخباره عن الحجاج وعن الناكثين والقاسطين والمارقين وإخباره عن عبد الله بن الزبير وعن ظهور الزنج وإخباره عن الأئمة الذين سيظهرون من طبرستان من نسله كالناصر والداعي وغيرهما ، وإخباره عن المملكة العلوية بالمغرب ، وإخباره عن بني بويه إلى آخر ما أظهره من أخبار المستقبل .

وقد أخبرهم بهذه الأخبار ليأخذوا منها العبرة وليحددوا موقفهم مع من يكونون ، هل يكونون مع الظالمين أم مع الحق ؟ فخطب الملاحم ليست ترفاً وضرراً في المستقبل بل

(١) ابن أبي الحديد : ٥٧/٧ .

هي تحمل أجل الغايات التي يريد الإمام من خلالها أن يضع الأمة أمام مسؤولياتها ويمنحها حق الاختيار مع من تكون، فإذا كانت مع الحق كان مصيرها الانتصار وإذا كانت مع الباطل فإن مصيرها الهواية والسعير.

وليست جميع أخبار الملاحم أخبار سوء وحزن وأسى، بل هناك من الأخبار المفرحة التي أخبر الإمام بها أصحابه ليزيدهم ثباتاً وليقوي من عزيمتهم ويجعلهم أقدر على مواجهة الأعداء، كإخباره عن مصير الكوفة: «كأنني بك يا كوفة تمدين مدّ الأديم العكاظي، تعركين بالنوازل وتركبين بالزلازل، وإنني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوء إلا ابتلاه الله بشاغل ورماء بقاتل»^(١).

فصحيح أن الكوفة ستكون هدفاً لعدوان مستمر لا تخمد نيرانها ولا تنتهي أهدافها، لكنها ستصمد أمام كل التيارات ولا تنكس رأسها للعدوان والسبب، لأن في أهل الكوفة روح المقاومة، فرما خبت تلك الروح عهداً من الزمن لكنها سرعان ما تعود لتطيح بالطغاة والجبابرة.

ومثل هذه الكلمات تبعث في نفوس المؤمنين شحنة كبيرة من الأمل بالانتصار فتجعلهم على أهبة الاستعداد للدفاع عن القيم والمقدسات، وهذا ما حدث فعلاً، فقد انهزم العدوان على طول التاريخ أمام صمود أهل الكوفة الشجعان.

سادساً: **خطب الاستسقاء :**

وهي الخطب التي خطبها أمير المؤمنين طلباً للمطر، ولما كانت هذه الخطب قد قيلت في مناسبات خاصة ولهدف محدد فقد جاءت بكيفية تختلف عن بقية الخطب، إذ نرى فيها أن أمير المؤمنين قد مزج بين الدعاء وبين ما أنعم الله على الناس وبين الموعدة وطلب التوبة والاستغفار، فلنقف عند بعض كلمات هذه الخطبة:

«اللهم قد انصاحت جبالنا، واغبرت أرضنا، وهامت دوابنا وتحيرت في مرائبها، وعجّت عجيج الثكالي على أولادها، وملّت التردد في مراتعها والحنين إلى مواردها، اللهم فارحم أنين الآثّة، وحنين الحائّة، اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها،

(١) باب الخطب: رقم ٤٧ في ذكر الكوفة.

وأنينها في مواجهها»^(١).

نلمس من هذه الكلمات الرقيقة حالة الخشوع والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، وهي تعكس حالة الإمام عليه السلام وحالة الناس في تلك اللحظات التي وقفوا فيها أمام ربهم يطلبون منه أن يمدهم بالمطر وهي الحالة المطلوبة حين الاستسقاء.

من هنا كانت خطبة الاستسقاء متفردة عن بقية الخطب برقة الكلمات وامتزاج الدعاء بالوعظ، وطلب الرحمة وإعلان التوبة والاستغفار والإنابة، وهي تمزج عجز الإنسان أمام إرادة الله وقدرته على تسديد عبده: «ندعوك... ألا تأخذنا بأعمالنا، ولا تأخذنا بذنوبنا واتشر علينا رحمتك بالسحاب»، وخطبة الاستسقاء هي فرصة ذهبية للوعظ والإرشاد حيث تكون القلوب في تلك الساعة مستعدة لسماع الموعظة وقابلة للتغيير والتأثر.

قال الإمام عليه السلام في خطبة أخرى: «إن الله يتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات، وإغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب، ويقطع مقلع، ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر، وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدرور الرزق، ورحمة الخلق فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴿١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴿٢﴾ وَيُمْسِدْكُمْ بِأَفْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ فرحم الله امرأ استقبل توبته واستقال خطيئته، ويادر منيته»^(٢)، فكلام أمير المؤمنين عليه السلام في خطب الاستسقاء شيء آخر يختلف عن كلامه في خطب التفرغ والتحريض، فهنا تشاهده خاشعاً مستسلماً أمام إرادة الله مستخدماً عبارات التوبة الاستغفار والإنابة، داعياً إلى الاستغفار وطلب التوبة.

وهو أيضاً لا ينسى أن يذكرهم بحقائق الحياة المتعلقة بالاستسقاء كتيبان الغاية من نزول المطر وكيفية النزول وسره: «ألا وإن الأرض التي تحملكم والسماء التي تظلكم، مطيعتان لربكم، وما أصبحتا تجودان لكم ببركتيهما توجعاً لكم، ولا زلفةً إليكم، ولا خيراً ترجوانه منكم، ولكن أمرتا بمنافعكم فاطاعتا، وأقيمتا على حدود مصالحكم

(١) باب الخطب: رقم ١١٤.

(٢) باب الخطب: رقم ١٤١.

فقامت»^(١).

وهذه حقيقة غير قابلة للإنكار، لكن الإمام ﷺ يعرضهما عرضاً جميلاً، فكأنما السماء والأرض تتكلمان، تركعان وتسجدان، وهما برسم تقديم الخدمة للإنسان. في هذه الخطبة إشارات رقيقة لم يكن بمقدور الإنسان في ذلك العصر دركها وفهمها، لكن اليوم أصبح علماء الغرب يفقهون كلام أمير المؤمنين ﷺ، ولما كانت مشكلة العصر (عصرنا الحاضر) هي مشكلة قلة الموارد فثمة مساعٍ حثيثة يقوم بها العلماء كلٌّ على اختصاصه لكشف موارد جديدة تنفع البشرية، ولربما بعد عقود من الزمن سيتوصل هؤلاء العلماء إلى وجود موارد وثروات نافعة في الأجرام والكواكب السماوية فيسعون للحصول عليها.

أما نحن المسلمون فنعتقد بأن ما يقوله أمير المؤمنين ﷺ هو حقيقة ثابتة فنجزم على وجود تلك الموارد حسب هذه الخطبة.

سابعاً: الخطب الحربية :

وهي الخطب التي تلقى في الحروب لحث الجنود على القتال، والطاعة، والامثال للأوامر ورعاية القوانين والأعراف الحربية، وتنصف هذه الخطب بـ:

١- يلقيها الخطيب بحماسة عظيمة فتثير في قلوب سامعيه ما فيها من الحمية والنشاط.

٢- كونها خطبة بليغة متضمنة للأفكار الشريفة والقيم المهيبة لروح الجندية.

٣- كونها واضحة قريبة المنال يدركها الجندي ويتجاوب معها دون عناء.

٤- كونها قصيرة لا يمل منها الجند فتخرج من فم الخطيب كشهب النار الملتهبة ويتلقاها السامعون كالنبال الراشقة فلا يكادون يتماكون أنفسهم عن نزال العدو.

وقد خطَّ أمير المؤمنين ﷺ في خطبه الحربية منهجاً لمن جاء من بعده لكثرة الخطب التي ألقاها في الجمل وصفين والنهروان، ولكثرة الأغراض التي عرضها في تلك الخطب.

من تلك الأغراض التعاليم القتالية، إذ كثيراً ما تحدث أمير المؤمنين (عليه السلام)، في خطبه عن فنون القتال، ففي كلامه لولده محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل قال له: «تزول الجبال ولا تنزل، عضّ على ناجذك، أعر الله جمجمتك، تدّ في الأرض قدمك، إرم ببصرك أقصى القوم وغض بصرك، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه»^(١).

ومن تعاليمه في فنون الحرب: «فقدموا الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام والتووا في أطراف الرماح فإنه أمور للأسنة، وغضوا الأبصار فإنه أربط للجأش واسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرده للفشل، ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم والممانعين الذمار منكم، فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحققون براياتهم ويكتفون حفافها، ووراءها وأمامها، ولا يتأخرون عنها فيسلموها، ولا يتقدمون عليها فيفردوها»^(٢).

ومن أغراض الخطب الحربية: تعظيم أمر الفرار من الحرب وتصويره على أنه أكبر الكبائر وأعظم الذنوب، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن في الفرار موجدة الله والذل اللازم، والعار الباقي، وإن الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه». وقال أيضاً: «واستحيوا من الفر فإنه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب»^(٣).

ومن أغراض الخطب الحربية أيضاً استثارة روح الشهادة في المقاتلين، فيصف أمير المؤمنين (عليه السلام)، الشهداء قائلاً: «الرائح إلى الله كالظمآن يرد الماء.. الجنة تحت أطراف العوالي.. أعر الله جمجمتك»، فقد وصف الإمام الشهادة بأجمل الأوصاف فالرائح إلى الله كالظمآن الذي يرد الماء، والذي يجاهد كأنه أعار جمجمته لله وسرعان ما يرد عاريته مع ثمن كبير.

(١) باب الخطب: رقم ١١.

(٢) باب الخطب: ١٢٢.

(٣) باب الخطب: رقم ٦٥.

بهذه الكلمات المؤثرة كان أمير المؤمنين ﷺ يحث أصحابه على قتال الأعداء .

ومن أغراض الخطب الحربية رفع معنويات المقاتلين بوصفهم بأحسن الأوصاف :
«وأنتم لها ميم»^(١) العرب ويأفخ الشرف^(٢) والأنف المقدم والسنام الأعظم»^(٣) ومن
أساليب رفع المعنويات إشعارهم بأن الله معهم وأن القائد معهم أيضاً يقاتل إلى
جنبهم : «واعلموا أنكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله ﷺ»^(٤) .

ويقدر ما كان الإمام يرفع من معنويات جنوده ويشيد بهم ويمواقفهم يقلل من شأن
أعدائهم حتى يتصاغروا في أعين المقاتلين فيقول عن أعدائهم في معركة صفين : «وقد
رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفأة الطغام وأعراب أهل الشام . . .
ولقد شفى وحاوَحَ صدري أن رأيتم باخرة تحوزونهم كما حازوكم، وتزيلونهم عن
مواقفهم كما أزالوكم»^(٥) .

وهكذا عندما حققوا النصر أشاد بهم وأثنى عليهم وبارك لهم انتصارهم، ثم
يصف الإمام شجاعتهم أثناء القتال : «حساً بالنضال وشجراً بالرماح، تركب أولاهم
أخراهم، كالإبل الهيم المطرودة ترقى عن حياضها وتزداد عن مواردها» .

وعندما تشرع الرماح وتخرج السيوف من الإغماد يناديهم أمير المؤمنين ﷺ : «أين
القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى القتال
فولها وَاَلَلَّ اللقاح إلى أولادها وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً
زحفاً وصفاً صفاً بعض هلك وبعض نجا، لا ييشرون بالأحياء، ولا يعزّون عن
الموتى» .

ثم يصف أصحابه وصفاً دقيقاً وهو في ساحة الحرب بعد أن تحقق لهم النصر في
ليلة الهيرير : «مرّة العيون من البكاء خمص البطون من الصيام، ذُبلُ الشفاء من الدُّعاء،

(١) لها ميم: السابق الجواد من الخيل والناس.

(٢) يأفخ: جمع يأفوخ وهو من الرأس حيث يلتقي عظم مقدمه مع مؤخره.

(٣) من كلام له رقم ١٠٦ .

(٤) الخطبة رقم ٦٥ .

(٥) باب الخطب: رقم ١٠٦ .

صَفَرُ الألوان من السهر، على وجوههم غَبَرَةُ الخاشعين»^(١).

والخطب الحربية ليست موجهة إلى المقاتلين وحسب بل موجهة أيضاً إلى الأعداء، إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام يكثر من تقديم النصيح لأعدائه الذين جاءوا إلى حربه بلا مبرر أو سبب معقول، كان يتنفرهم ويحذرهم مغبة أعمالهم إن عمادوا ولم يأخذوا بالنصيحة والموعظة.

خطب في أهل النهروان الذين كانوا بالأمس القريب من أصحابه: «فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر، وباهضام هذا الغائط، على غير بينة من ربكم، ولا سلطان مبین معكم، قد طوحت بكم الدار واحتبلكم المقدار»^(٢).

إذا نحن أمام منهاج متكامل من الخطب الحربية التي احتوت على كافة قواعد وأصول الحرب النفسية، فكان أمير المؤمنين عليه السلام هو صاحب الفضل في رسم نظرية متكاملة في الحرب النفسية من خلال خطبه التي ألقاها في المعارك والرسائل المتبادلة بينه وبين معاوية وعمرو بن العاص وطلحة والزبير، وقد كتبت دراسات كثيرة في هذا المضمار، فنكتفي بهذا القدر اليسور.

ثامناً: الخطب السياسية :

بدأت الخطبة السياسية في جزيرة العرب مع بدايات الدعوة، وقيام الدولة الإسلامية، فلأول مرة أقيمت في جزيرة العرب دولة منظمة لها دين ودستور، وهي تخضع للقوانين ويحكمها حاكم يمارس حكمه حسب الدستور ويستمد سلطته من تفويض الناس له، فكان هذا الحاكم يخاطب الأمة في مختلف شؤون البلاد، ومن هذا المنطلق ظهرت الخطبة السياسية ابتداءً من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أنها تكاملت في عهد أمير المؤمنين عليه السلام، الذي عرف بخطاباته السياسية.

ويرى إحسان النص أن ازدهار الخطبة السياسية جاء في عهد بني أمية لكنه لا ينسى أن يذكر أن حركة الخطابة في العهد الأموي هو مدين لخطب الرسول والإمام علي عليه السلام،

(١) باب الخطب: رقم ١٢٠.

(٢) باب الخطب: ٣٦.

وقد كانت خطب الرسول ﷺ وخلفائه، ولا سيما خطب علي نموذجاً وضعه خطباء العصر الأموي نصب أعينهم واهتدوا بهديه^(١).

وعلى رغم إشارة إحسان النص إلى تأثير خطب أمير المؤمنين على خطب عهد بني أمية إلا أنه ذكر نصف الحقيقة التي لا يمكن إنكارها مطلقاً، ذلك أن الخطابة السياسية بدأت بشكل متكامل مع عهد أمير المؤمنين وهذا ما أكدّه محمد طاهر درويش حيث ذكر قائلاً: وهكذا ترى الخطابة عند الإمام علي قد تحولت إلى خطابة سياسية تدور في مجال الأحزاب والطوائف يوشيها ما يتطلبه نجاحها وبلوغها غايتها من موعظة حسنة، وتذكير بالله والرسول والإسلام واليوم الآخر ولهذا لا يعدو الصواب من يقول: إن العصر السياسي للخطابة الإسلامية بدأ على يد علي بن أبي طالب^(٢).

ويعود سبب ازدهار الخطابة السياسية في عهد الإمام علي عليه السلام إلى عاملين اثنين:

الأول: انتشار الوعي السياسي في عهد الإمام علي عليه السلام في أكثر مناطق الدولة الإسلامية بحيث أصبح لهذا الوعي تأثير مباشر على السلطة الحاكمة ونظام الحكم، وكان إحدى ثمار هذا الوعي انتشار الثورة في عهد الخليفة عثمان والتي انتهت بمقتله وإعلان الجماهير بيعتها لأمر المؤمنين عليه السلام، فالمرقب لهذه الأحداث يجد متغيراً مهماً في هذا العهد لم يكن موجوداً من قبل وهو تنامي الوعي السياسي للامة، وقد شكل هذا الوعي الأرضية الصلبة لنمو وازدهار كل الأنشطة السياسية ومنها الخطب السياسية.

الثاني: منظومة العلاقة بين الحاكم والامة في عهد الإمام علي عليه السلام، فقد منح الإمام أبناء الامة أعلى درجات الحرية وفسح المجال أمام المعارضين أن يتحركوا وينشطوا داخل الدولة الإسلامية حتى أنه فسح المجال أمام الخوارج ليخطبوا في مسجد الكوفة.

هذه الحرية التي لم يشهد لها التاريخ الإسلامي مثيلاً إلا في عهد رسول الله ﷺ والتي فسحت المجال أمام التيارات السياسية لأن تعلن عن موقفها عبر منابرها السياسية

(١) إحسان النص: الخطابة في عصرها الذهبي ص ١٥٠.

(٢) محمد طاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام ١/ ٣٦٣.

وبواسطة خطبائها المشهورين ، لذا وجدنا نمو وازدهار الخطابة السياسية في عهد أمير المؤمنين (ع) .

وقد عزى إحسان النص ازدهار الخطابة السياسية إلى حالة عدم الاستقرار السياسي ، ويرر ذلك قائلاً : لأنها (الخطابة) فن يتجه إلى مخاطبة الجماعات وإثارة مشاعر الجماهير وتحريك عواطفهم ، فإن كانت أحوال البلاد مستقرة وكان الناس راضين عن الحكومة التي تسوسهم والسلطة التي تتولى أمورهم فما حاجة القوم إلى الخطابة وفيهم يتحدث الخطباء .

أما عندما تضطرب أحوال البلاد الداخلية ويسود التذمر والسخط على السلطان لسوء سياسته ، فحينئذ تظهر المعارضة لهذا السلطان وتكثر الفتن والثورات ، ويقوم الخطباء فيحرضون القوم على الثورة ، داعين إلى حكم أفضل وسياسة أقوم ، فتتشط الخطابة السياسية وتزدهر ويكثر الخطباء (١) .

وهذا التحليل يتطابق مع أوضاع حكم بني أمية ، أما في عهد الإمام أمير المؤمنين (ع) فلم يكن عدم الاستقرار عاملاً لازدهار الخطابة السياسية بل إفساحه المجال للمعارضة بأن تقول كلمتها هو العامل المهم في هذا الباب .

وقد أورد المؤرخون مناظراته (ع) مع الخوارج في مسجد الكوفة وحواراته مع ابن الكواء زعيم الخوارج (٢) .

موضوعات الخطبة السياسية :

تناول أمير المؤمنين (ع) في خطبه السياسية أهم الموضوعات المتعلقة بالدولة الإسلامية ، وبمسيرة الأمة وعوامل تقدمها وتأخرها ، وفيما يلي نجمال أهم تلك الموضوعات مع الأمثلة :

أولاً: صاحب الحق في السياسة والحكم: لقد تحدث أمير المؤمنين (ع) في عدة أماكن من خطبه السياسية عن حقه في الخلافة ، وكيفية تنحيته عن هذا الحق المشروع .

(١) إحسان النص: الخطابة في عصرها الذهبي ص ١٤٥ .

(٢) راجع كتاب القضاء والنظام القضائي عند الإمام علي (ع) ففيه تفصيل هذا المطلب .

فقد أورد في خطبته الشقشقية الأدلة الثابتة على هذا الحق قائلاً: «لقد قمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً».

ثم يذكر بعد ذلك ما حدث من انتقال الخلافة من أبي بكر إلى عمر: «فيا عجباً بينا هو يستقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته»، وانتقالها بعد ذلك إلى عثمان: «إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين ثيله ومعتلفه».

ولم يكن حديثه عن حقه في الخلافة طمعاً في الحكم والسلطة، بل هدفه هو ترسيخ معالم الدين وإصلاح البلاد، ونشر الأمن والاستقرار وإقامة العدل بإقامة الحدود.

وهذا ما ذكره في إحدى خطبه:

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شئ من فضول الخطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك»^(١).

ثانياً: صفات الحاكم: ومن القضايا التي تطرق إليها أمير المؤمنين في خطبه السياسية صفات الحاكم، كي يطبق الناس هذه الصفات على من يحكمونهم، فإذا توفرت فيهم هذه الصفات كانوا حكاماً مصلحين وإلا فلا، قال أمير المؤمنين: «قد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين، البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضللهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الخائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنّة فيهلك الأمة»^(٢).

وقال أيضاً: «أيها الناس! إن أحق الناس بهذا الأمر أقوامهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه»^(٣).

(١) محمد عبده: ص ٢٧٨ رقم ١٢٩ مؤسسة الأعلمي.

(٢) محمد عبده: ص ٢٧٩ رقم ١٢٩ مؤسسة الأعلمي.

(٣) محمد عبده: ص ٢٤٨ رقم ١٧١ مؤسسة الأعلمي.

ثالثاً: دوره في تقوية الإسلام ونشره والإنجازات التي قام بها أيام حكمه: فيقول عن نفسه: «فقيمت بالأمر حين فشلوا، وتطلعت حين تقبّعوا، ونطقت حين تعتموا، ومضيت بنور الله حين وقفوا، وكنت أخفضهم صوتاً وأعلامهم قوتاً، فطرت بعنانها، واستبددت برهانها كالجبل لا تحركه القواصف، ولا تزيله العواصف لم يكن لأحد في مهمز ولا لقائل في مغمز»^(١).

ثم يصف نفسه ويقول عن دوره في إقامة الدولة الإسلامية ومنزلته من رسول الله: «أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر، وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقراءة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعتني في حجره وأنا ولد يضمنني إلى صدره، ويكفني إلى فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلغمه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل».

ثم يقول عن معاصدته لرسول الله ﷺ: «ولقد كنت معه ﷺ لما أتاه الملائكة من قریش»، ثم أنهى خطبته بهذه العبارات الخاتمة: «وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيما الصديقين وكلامهم كلام الأبرار، عمّار الليل ومانار النهار متمسكون بحبل القرآن، يحيون سنن الله وسنن رسوله، لا يستكبرون ولا يعلنون ولا يغفلون، ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل»^(٢).

ثم يذكر بعض ما أنجزه في عهده: «ولقد أحسنت جواركم، وأحطت بجهدي من ورائكم، وأعتقتكم من ريق الذل وحلق الضيم»^(٣).

رابعاً: السياسة العامة: ومن الأمور المهمة التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام، في خطبه السياسية، قواعد منهجه السياسي في الحكم، وهي قواعد متناثرة في خطبه ورسائله إلى ولاته، وفي عهده إلى مالك الأشتر، نذكر منها ما ورد في هذه الخطبة: «الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه»^(٤).

(١) باب الخطب: رقم ٢٧.

(٢) محمد عبده: ص ٤١٢ - رقم ١٩٠.

(٣) المصدر نفسه: ص ٣١٨ رقم ١٥٧.

(٤) باب الخطب: رقم ٢٧.

ويقول أيضاً في الإمارة البرّة: «فيعمل فيها التقى»^(١)، ويقول أيضاً في استخراج الحق وإبرازه: «فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه»^(٢).

خامساً: الإشادة بأهل البيت (عليه السلام): فهم أقرباء النبي وعشيرته وقد أراد البعض أن يحط من قدرهم ويمنعهم حقهم فانبرى أمير المؤمنين (عليه السلام)، يدافع عنهم ويشيد بمنزلتهم ومكانتهم في الإسلام، فيطلب في إحدى خطبه: «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»^(٣).

سادساً: الرد على المنحرفين وإسقاط حججهم: وهو كثير في خطب أمير المؤمنين ورسائله حيث اتصف زمانه بكثرة الفتن وظهور التيارات السياسية، وكان الإمام يواجهها بسلاح الفكر قبل سلاح السيف، ومن أشهر ردوده على الخوارج الخطبة التي خطبها عندما سمع قولهم لا حكم إلا لله، فقال (عليه السلام): «كلمة حق يراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله، وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر. يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيه الأجل، ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح به بر ويستراح من فاجر»^(٤).

ويناقشهم في خطبة أخرى: «إننا لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وإنما سينطق عنه الرجال، ولما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا القرآن لم تكن الفريق المتولي عن كتاب الله تعالى، وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه وردّه إلى الرسول أن نأخذ بسنته، فإذا حكم

(١) باب الخطب: رقم ٤٠.

(٢) باب الخطب: رقم ٣٣.

(٣) محمد عبده: ص ٢١٧ رقم ٩٦.

(٤) بابا لخطب رقم ٤٠.

بالصدق في كتاب الله ، فنحن أحق الناس به ، وإن حكم بسنة رسول الله ﷺ فنحن أولاهم به»^(١).

ثم يلزمهم في خطبة أخرى : «فإن أيتم إلا أن تزعموا أنني أخطأت وضللت ، فلم تضلّلون عامة أمة محمد ﷺ بضلالي ، وتأخذونهم بخطيائي ، وتكفرونهم بذنوبي ! سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم»^(٢).

سابعاً: التاريخ السياسي: ومن الموارد الكثيرة التي نشاهدها في خطب أمير المؤمنين عليه السلام السياسية تحليله للتاريخ السياسي من أجل أخذ العبرة والتأسي بالذين سبقوا أصحابه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «وإنما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيّب آجالهم ، حتى نزل بهم الموعد الذي تُردُّ عنه المعذرة ، وترفع عنه التوبة ، وتحل معه القارعة والنقمة»^(٣) ، ويحلل لنا أمير المؤمنين بذور حرب الجمل : «كل واحد منهما يرجو الأمر له ويعطفه عليه دون صاحبه ، لا يمتّان إلى الله بحبل ، ولا يمدّان إليه بسبب ، كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه وعمّا قليل يكشف قناعه به . . فقد سنّت لهم السنن وقدم لهم الخبر ، ولكل ضلّة علّة ، ولكل ناكث شبهة»^(٤).

وفي ذكر نهايات الظالمين وما جرى عليهم من مصير أسود قال أمير المؤمنين عليه السلام : «أين العمالقة وأبناء العمالقة ؟ أين الفراعنة ، أين أصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين وأطفأوا سنن المرسلين ، وأحيوا سنن الجبارين ، وأين الذين ساروا بالجيوش ، وهزموا الالوف ، وعسكروا العساكر ومدّنوا المدائن ؟»^(٥).

عندما يستعرض الإمام تاريخ الأمم السابقة لم يقصد بذلك نقل حكايات الأولين إلى أصحابه كما كان يفعل بعض الخلفاء ، لكن من أجل توضيح الحقائق وتقويم

(١) محمد عبده: ص ٢٧٠ رقم ١٢٢.

(٢) محمد عبده: ص ٢٧٢ رقم ١٢٥.

(٣) محمد عبده: ص ٢٩٦ رقم ١٤٥.

(٤) محمد عبده: ص ٢٩٧ رقم ١٤٦.

(٥) محمد عبده: ص ٣٦٧ رقم ١٨٠.

الاتجاهات، وأشهر نص في التاريخ السياسي خطبة الإمام المعروفة بالشقشقية التي ذكر فيها مراحل انتقال الحكم بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى آلت الأمور إليه.

لأمناً: نظام الحقوق: حق الرعية وحق الحاكم؛ وهذا النظام يرسم العلاقة المتينة بين الطرفين، وقد أولى الإمام أمير المؤمنين ﷺ اهتماماً بالغاً بهذا الأمر، فذكره في أماكن عديدة من خطبه ورسائله، ففي الخطبة التي يستنفر فيها الناس لقتال معاوية قال الإمام: «أيها الناس إن لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق، فإما حقكم عليّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم»^(١).

وفصل أمير المؤمنين نظرية الحقوق في خطبة ألقاها بعد ذلك وهو في صفين جاء فيها: «وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل، فجعلها نظاماً لألفتهم، وعزاً لدينهم فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية، ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية. فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عزّ الحق بينهم وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على إذلالها السنن فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويشتت مطامع الأعداء. وإذا غلبت الرعية واليهما، وأجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدين، وترك محاج السنن، فعمل بالهوى وعُطّلت الأحكام وكثرت علل النفوس، فلا يُستوحش بعظيم حق عطل ولا لعظيم باطل فعل، فهناك تذلل الأبرار وتعز الأشرار وتعظم تبعات الله عند العباد.

فعليكم بالتناصح في ذلك، وحسن التعاون عليه، فليس أحداً وإن اشتد على رضا الله حرصه، وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة له، ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة

الحق بينهم ، وليس أمرؤ وإن عظمت في الحق منزلته ، وتقدمت في الدين فضيلته بفوق أن يعاون على ما حمّله الله من حقه ، ولا امرؤ وإن صغرت النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه»^(١).

خصائص الخطب السياسية :

لأعدنا النظر إلى الخطب السياسية التي ذكرها ﷺ لوجدنا أنها تمتاز عن الخطب الأخرى بالخصائص التالية :

- ١- حسن اختيار الألفاظ والتعابير المعبرة عن موقف سياسي ، أو وصف سياسي لحالة من الحالات أو لشخص من الأشخاص ، وهذه الألفاظ تعبر عن معانيها دون لبس أو غموض .
- ٢- الإيجاز حيث يلاحظ في تلك الخطب أنها أقصر بكثير من الخطب الفكرية والدينية إذ يتناسب الإيجاز مع المواقف السياسية .
- ٣- الاكتفاء بالإشارة العابرة واللمحة السريعة وعدم الاستفاضة في الألفاظ والعبارات والأمثلة والتي في العادة يستخدمها الخطباء في الأمور الخطابية الأخرى .
- ٤- الاستمداد بالكلمات والآيات القرآنية .
- ٥- مخاطبة العقل والعاطفة في الخطب السياسية ، إذ أن مخاطبة العقل وحده لا يكفي ، من هنا جاءت الخطبة السياسية ممتزجة بالوعظ بالتذكير بالآخرة وبالموت ، وفي الإجمال : إن الخطب السياسية تقتضي قوة ومتانة وتفناً ليتمكن المتكلم من امتلاك قيادة عقل السامعين فيستوقف نظرهم ويأسرهم بحجته ويدفعهم ببلاغته إلى ما يريد من الغايات الكبرى .

الأداء الخطابي

الأداء الخطابي: هو إلقاء الخطبة بما يليق من حسن المنظر واللفظ والصوت وحركات الجسم، والوسائل المستخدمة أثناء الإلقاء، فلا شك أن طريقة الإلقاء والمكان الذي يلقي فيه الخطيب خطبته، وكيفية إيراد الخطبة هي من مرتكزات الخطابة الجيدة، وأخذ رجال الإعلام يهتمون بهذه الناحية ويضعون لها قواعد وأصول تكفل للخطيب أعلى مستويات التأثير في المستمعين.

وكان أمير المؤمنين (ع)، يهتم أكبر الاهتمام بهذه الناحية، فضلاً على تأثير كلامه الذي كان يمتلك مقومات الخطابة الناجحة من بيان بليغ ولسان فصيح، وتوافق القلب مع اللسان، واللسان مع الأركان، وبالإضافة إلى هذه المقومات التي كانت متضمنة في خطب أمير المؤمنين (ع) كان إلى جانب ذلك يأخذ بالنواحي الشكلية لما لها من تأثير في ذهن المستمع، فيقف في بعض الخطب ويجلس في بعضها، يتكأ على قوسه في بعض المرات، وفي بعض الأحيان كان يتكأ على وسادة، يخطب على المنبر في بعض الأحيان وفي بعضها على ناقته أو على بغلة رسول الله (ص)، فلم يكن اختياره لهذه الكيفية محض الصدفة أو أنها حدثت بصورة غير مقصودة، حاشا للإمام أن يفعل شيئاً بدون حساب دقيق.

فلقد عُرِف الإمام أمير المؤمنين (ع) بأنه أخطب العرب بعد رسول الله (ص)، لا لكون خطبه تتضمن النواحي البلاغية والأدبية وحسب بل لأنه كان يستخدم كل العوامل المؤثرة في السامع من مضمون الخطبة وأسلوب الإلقاء وما شابه ذلك. ولأهمية هذا الموضوع كانت لنا وقفة مع الصور والأشكال التي كان يخطب بها:

أولاً: الوقوف على ربوة :

والربوة (الرباوة) مرتفع من الأرض يقع في مكان مكشوف يستطيع أن يستوعب عدداً كبيراً من الناس مثل الجيش الذي يبلغ تعدادة عشرات الآلاف وكان الإمام يستخدم هذا المرتفع لإلقاء الخطب العسكرية في وسط جيشه حتى يراه ويسمعه القريب والبعيد.

ذكر المبرد: إنه انتهى إلى علي (ع) أن خيلاً وردت الأنبار لمعاوية فقتلوا عاملاً له

يقال له حسان بن حسان، فخرج مغضباً يجر رداءه، حتى أتى النخيلة، واتبعه الناس فرقى رياوة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: «أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيم الخسف»^(١).

ثم روى المبرّد ما حدث في آخر الخطبة: فقام إليه رجل ومعه أخوه فقال: يا أمير المؤمنين، إني وأخي هذا، كما قال الله تعالى ﴿رَبِّ إِلَهِي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾^(٢)، فمرنا بأمرك فوالله لنتنهين إليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد، فدعاهما بخير وقال: «وأين تقعان مما أريد؟» ثم نزل.

لقد استخدم الإمام ﷺ في تعبئة أهل الكوفة ضد الغزاة كل الوسائل النفسية التي من خلالها يستطيع التأثير في وجدان المجتمع الكوفي، كخروجه إلى النخيلة مسرعاً وإلقاء خطابه هناك في جو حربي حيث كانت الجموع قد وصلت المنطقة التي لا تبعد كثيراً عن الكوفة.

وذكر الثقيفي صورة أخرى عن خروج الإمام أمير المؤمنين ﷺ إلى النخيلة على رواية محمد بن مخنف يقول: إن سفيان بن عوف لما أغار على الأنبار قدم عالج من أهلها على علي ﷺ فأخبره الخبر فصعد المنبر فقال: «أيها الناس إن أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار، وهو معتزل لا يخاف ما كان، فاختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم، فإن أصبتم منهم طرفاً انكلموهم عن العراق أبداً ما بقوا...»، ثم سكت عنهم رجاء أن يجيئوا أو يتكلموا، أو يتكلم متكلم منهم بخير (فلم ينبس أحد منهم بكلمة) فلما رأى النخيلة (والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرافهم) فقالوا: ارجع يا أمير المؤمنين نحن نكفيك، فقال: «ما تكفونني ولا تكفون أنفسكم» فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله، فرجع وهو واجم كئيب^(٣).

وذكر الثقيفي أن علياً لم يخطب حينها حيث كان عليلاً فلم يطق القيام في الناس، بل كتب كتاباً ودعا سعد بن الحارث الخراعي مولاه أن يقرأ الكتاب وكان ذلك في الكوفة عند المسجد وليس النخيلة^(٤)، وذكر ابن أبي الحديد الحادثة كما أوردها الثقيفي

(١) الكامل في الأدب: ١٠٤/١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٢٥.

(٣) الفارات: ص ٣٢٤.

(٤) المصدر نفسه: ص ٣٢٥.

في الغارات^(١).

أما ابن عبد ربه ، فذكر كيفية إلقاء الخطبة بهذه الصورة : ولما أغار سفيان بن عوف الأزدي على الأنبار في خلافة علي عليه السلام ، وعليها ابن حسان البكري ، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها ، فخرج علي عليه السلام حتى جلس على باب السدة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال^(٢) فإذا هي خطبة وليست كتاباً كما ذكر الثقيفي في الغارات .

والمرجح بين الآراء رأي المبرد الذي اعتمده ابن أبي الحديد في صدر شرحه للخطبة ، وقد نقلنا الرأي والصور الإعلامية التي تبرز من خلالها .

ثانياً: الوقوف على الحجارة :

وهو الصورة المعتادة في الحروب ، فأغلب خطابات القادة العسكريين أثناء المعركة تتم بهذه الصورة ، حيث يوضع للقائد العسكري حجارة كبيرة ويقف فوقها ثم يلقي خطبته ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يستخدم هذا الأسلوب في خطبه التي خطبها في معاركه ، حيث كانت تنصب له حجارة يقف عليها ويخطب فوقها ، وفي حالات استثنائية كان يستخدم الحجارة في الكوفة عندما كان يريد طرح موضوعات مهمة ، ومنها الخطبة الأخيرة التي خطبها في الكوفة قبل شهادته^(٣) والتي حث فيها أهل الكوفة للعودة إلى حرب معاوية بعد خدعة التحكيم ولعبة عمرو بن العاص ، فقد أراد الإمام عليه السلام أن يجسد لأهل الكوفة مشاهد المعركة ، وخرج إليهم بصورة المتأهب للحرب فقد روي عن نوف البكالي قال : خطبنا أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة^(٤) وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة من صوف ، وحمائل سيفه ليف وفي رجليه نعلان من ليف ، وكان جبينه ثقنة بغير .

انظر إلى دقة الراوي في وصف صورة الخطابة وصفة المكان الذي وقف عليه أمير المؤمنين عليه السلام وصفة الإمام في ملبسه وحتى صفة نعله وحمائل سيفه ، وهذه دلالة غاية في الأهمية ، مصورة الخطيب في نظر المراقب الذي يراقب الأحداث التاريخية .

(١) ابن أبي حديد : ٢ / ٨٧-٨٨ .

(٢) العقد الفريد : ٤ / ١٦٠ .

(٣) كما ذكر ابن أبي الحديد : ١٠ / ١١٢ .

(٤) باب الخطب : ١٨٢ .

والخطبة نفسها تستحق هذه الصورة، وهذا المنظر الذي كان عليه الإمام (عليه السلام)، فبعد الحمد وذكر الله سبحانه وتعالى، ووصاياه بالزهد أخذ يذكر العبر التي يأخذها الإنسان من أحداث التاريخ:

«أين العمالقة وأبناء العمالقة! أين الفراعنة وأبناء الفراعنة! أين أصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين وأطفشوا السنن؟!» ثم يأخذ بالتأوه عندما يذكر أصحابه الخلفاء الذين استشهدوا في سبيل الله: «أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟».

وفي نهاية الخطبة يرفع صوته ويقول: «الجهاد الجهاد عباد الله، ألا وإني معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج...»، فالخطبة بمجملها استثنائية ابتداءً فيها الحديث حول عظمة الله ونعمه على الإنسان إلى الوعظ والإرشاد بترك الدنيا وذكر نماذج عمّن ترك الدنيا والتحق بسوح الجهاد من أمثال عمار بن ياسر، وابن التيهان وذو الشهادتين الذين يجب أن يكونوا قدوة صالحة لأهل الكوفة.

بهذه المضامين العالية أراد الإمام (عليه السلام) أن يوجد تحولاً في المجتمع الكوفي الذي أصيب بالانكسار النفسي بعد التحكيم، وكان المطلوب من هذا المجتمع أن يوازر الإمام علي (عليه السلام) ويقف وقفة الرجال أمام تحديات معاوية وأهل الشام، ويعود إلى صفين لتصحيح الحوادث التي جرت بعد رفع المصاحف وقبولهم بمبدأ التحكيم ثم قيام أنصار معاوية بالهجوم على المواقع القريبة من الكوفة.

ثالثاً: الخطاب من على الناقة :

إلقاء الخطبة من على الناقة له خصوصياته، فمن جانب ارتفاع الناقة يجعل الخطيب متسلطاً على السامعين بحيث يراه القريب والبعيد، ومن ناحية يستطيع أن يتنقل أثناء إلقاء الخطاب فيسمعه الجميع ويلتقي به كل من حضر مكان الخطابة.

ويذكر لنا التاريخ أن أمير المؤمنين (عليه السلام) ألقى أطول خطبة له في ذم إبليس وما روجه من العصبية والحمية المقيتة وتحذير الناس من سلوك طريقته، من فوق الناقة، ويبدو أن الجمع كان كبيراً بحيث استخدم الإمام هذه الوسيلة في إيصال صوته إلى أكبر عدد

يمكن من الناس ، من خلال ارتفاع الناقة وانتقالها من مكان لآخر .

وكانت الناقة تقصع بجرتها أي تملأ فاهها عما في جوفها ثم ترده إلى جوفها ، فهي من هذه الناحية أصلح من بقية الحيوانات لأنها لا تحتاج أثناء الخطاب إلى المعلق سيما إذا كانت الخطابة طويلة وتستغرق مدة طويلة ، وسميت هذه الخطبة المرقمة (١٩٠) بالقاصعة لتلازمها مع تلك الصورة التي بدت فيها الناقة أثناء إلقاء الإمام ﷺ خطابه وهي تقصع بما في جوفها .

وهي ليست المرة الوحيدة التي خطب فيها الإمام من على الناقة بل كان يستخدم هذا الأسلوب في بعض خطبه كما ذكر ابن ميثم في شرحه لنهج البلاغة^(١) .

رابعاً: الخطابة من على المنبر :

وهو الأسلوب الطبيعي الذي كان يستخدمه أئمة المسلمين في خطاباتهم ، وبالأخص في خطب الجمعة ، وكانت أكثر خطب الإمام أمير المؤمنين ﷺ في مسجد الكوفة تلقى من على المنبر ، وكثيراً ما نقرأ في صدر خطب أمير المؤمنين مشاهدات ومسموعات الراوي رأيت علياً على منبر مسجد الكوفة ، أو سمعت علياً من منبر المسجد ، وبالأخص خطب الجمعة التي ذكرها السيد الرضي ، واشتهرت إحدى خطبه بالمنبرية ، وهي الخطبة التي قاطعه فيها أحد الحاضرين وسأله بعض الأسئلة فأجابه الإمام من على المنبر ، فسميت تلك المسائل بالمنبرية وسميت تلك الخطبة بالخطبة المنبرية ، فلا يتوهم أن علة التسمية إنها الخطبة الوحيدة التي خطبها على المنبر ، بل العلة مرتبطة بتلك المسائل التي أجاب الإمام عليها وليست مرتبطة بالخطبة نفسها .

خامساً: إسناد الظهر إلى حائط القبلة :

كان الإمام في بعض المرات يُغيّر طريقته في الإلقاء خصوصاً عندما يكون الموضوع مهماً ، ويحتاج إلى جلب أنظار السامعين ، فعند مجيئه إلى البصرة استخدم هذا الأسلوب ، يقول ابن ميثم : لما فرغ أمير المؤمنين ﷺ من أمر الحرب لأهل الجمل أمر منادياً ينادي في أهل البصرة إن الصلاة جامعة لثلاثة أيام من غد إن شاء الله ، ولا عذر

لمن تخلف إلا من حجة أو علة، ففي اليوم التالي صلى صلاة الغداة في المسجد الجامع، فلما قضى صلاته قام واستند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلي فخطب وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله^(١) فقد استخدم الإمام في هذه الخطبة ثلاثة قواعد مهمة في لفت الأنظار ودعوة الناس للحضور:

القاعدة الأولى: الإعلان أن الصلاة جامعة ثلاثة أيام وأن هناك خطاباً سيلقيه الإمام بعد الصلاة، فكل من كان يسمع هذا الصوت تأكد له أهمية الخطاب الذي سيخطبه الإمام ﷺ، فيلزم حضوره.

القاعدة الثانية: تحذير من تخلف عن الحضور إلا لمن كان له عذر شرعي، وهذا التحذير كان يؤكد لهم بأن الخطبة تتضمن أموراً مهمة تتعلق بحياتهم ومصيرهم فلا بد من الحضور لاستماعها.

القاعدة الثالثة: عدم إلقاء الخطبة من على المنبر كما هي العادة في المسجد الجامع، فخرجوا على العادة المألوفة وقف الإمام واستند ظهره إلى حائط القبلة (وربما قصد به المحراب)، فأراد الإمام بهذا الأمر أن يفهم المستمعين أن الخطاب استثنائي وخارج عن إطار الخطب المعتادة، لذا لم يلق من على المنبر، فجميع هذه العوامل ساهمت في إيجاد التأثير النفسي بمضامين الخطابة وإذا ما تأملنا الخطبة التي خطبها الإمام بعد أن استند ظهره إلى القبلة لأدركنا لماذا فعل الإمام ﷺ ذلك، فقد خطب قائلاً:

«يا أهل البصرة والبصرة، يا أهل السبيخة والخريبة وتدمر، يا بقايا ثمود، يا أهل الموتفة، اتتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله تمام الرابعة، يا أهل الداء العضال، كتتم جند المرأة واتباع البهيمة، رغا فأجبتهم وعقر فهرتهم، أخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق، بلادكم انتن بلاد الله تربة، أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء. خفت عقولكم وسفهت حلومكم، فأنتم غرض لنابل وأكلة لآكل وفريسة لصائل»، وأخذ يتحدث عن مستقبل البصرة فقام إليه الأحنف بن القيس فقال: يا أمير المؤمنين متى يكون ذلك؟.

(١) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة ١٥/٣.

فأجابه الإمام بجواب مذكور في نهج البلاغة، ثم أن الإمام أخذ يسألهم: «كم بينكم وبين الإبلّة»، فأجاب المنذر بن الجارود عن السؤال، وأخذ الواحد والثاني يسأل الإمام بأسئلة مختلفة تتعلق بأحوال مدينتهم، والإمام يجيبهم على كل سؤال، واستمر الاجتماع لوقت طويل بين سؤال وجواب.

من هنا لم يكن كلام الإمام خطبة وحسب بل تضمن أيضاً الإجابة على الأسئلة، وخصوصاً إنه المرة الأولى التي يلتقي فيها مع أهل البصرة، وإذا أضفنا إلى ذلك أن هذا اللقاء قد تم بعد فتنة الجمل فكان لا بد أن ندرك لماذا وقف الإمام قبال المستمعين ولم يصعد المنبر، فأراد أن يتحول الحديث مع أهل البصرة إلى حوار، فثمة أسئلة لازالت عالقة في أذهان أهل البصرة تبحث عن الإجابة، وفعلاً كانت معظم الأسئلة تدور حول الفتنة وموقفه ﷺ من أصحاب الجمل.

ويهذا الأسلوب يضع الإمام أسس بناء الحوار الفكري والسياسي بين القائد والمعارضة، حيث كانت البصرة إلى ذلك الوقت تخضع لدعايات المعارضة المتمثلة بأصحاب الجمل، وإذا دققنا في بعض الأسئلة لوجدنا رائحة المعارضة كامنة في أسئلة بعض السائلين مثل (الكلبي) الذي اعترض على الإمام علمه بالمغيبات فرد عليه الإمام رداً جميلاً وقانعاً.

وذكر الشيخ المفيد أنه خطب بتلك الخطبة وهو راكب بغلة رسول الله ﷺ^(١)، وذلك حتى يبين لضعاف العقول الذين انخدعوا بأصحاب الجمل قربه من رسول الله ﷺ فلربما لم يؤثر فيهم ما قاله رسول الله ﷺ، فيه ولربما لم يدركوا معنى الوصاية والإمامة فإنهم أخرى بان يدركوا كل هذه المعاني من مشهد حسّي هو بغلة رسول الله ﷺ فبعض الناس لا يتمكنون من إدراك المعاني المجردة فهؤلاء تنفعهم الشواهد الحسية.

سادساً: الخطبة من على فرس النبي ﷺ :

كان أمير المؤمنين ﷺ في صفين يركب فرس الرسول ﷺ، ويخطب عليه، ولهذه

الخطوة معان كبيرة ودلالات كثيرة فهو أولاً يرفع من معنويات أصحابه وجنوده عندما يرون أثراً من آثار الرسول ﷺ، فيتصورون وكان رسول الله ﷺ يقاتل معهم، ومن ناحية أخرى فإن هذا الأسلوب سيضعف معنويات العدو الذي سيجد نفسه وكأنه وجهاً لوجه مع رسول الله ﷺ، فهناك بالطبع أناس يحملون عقولاً محدودة لا يتأثرون بالوعظ والإرشاد ولا تقنعهم الحجج والبراهين، ومثل هؤلاء لا ينفعهم إلا مثل هذه الأعمال الحسية التي تقدم برهاناً مادياً وعينياً له تأثير أكبر من تأثير الكلام النظري.

أورد الصدوق بسنده عن أبي حيان التميمي عن أبيه، وكان مع علي عليه السلام يوم صفين، قال بينا علي بن أبي طالب عليه السلام يعبئ الكتائب يوم صفين ومعاوية مقابله على فرس له يتأكل تحتة تأكلأ، وعلي عليه السلام على فرس رسول الله المرتجز، ويده حربة رسول الله ﷺ وهو متقلد سيفه ذو الفقار، فقال رجل من أصحابه احترس يا أمير المؤمنين فإننا نخشى أن يفتالك هذا الملعون، فقال عليه السلام: «لأن قلت ذاك إنه غير مأمون على دينه، وإنه لأشقى القاسطين وألعن الخارجين على الأئمة المهتدين، ولكن كفى بالأجل حارساً..» إلى آخر كلامه عليه السلام^(١) *منزلة تحفة كوتور علوم رسول* وذكر المسعودي أنه على بغلة رسول الله ﷺ الشهباء^(٢).

سابعاً: كان يخطب وهو متقلد سيفه :

يساهم منظر السلاح وهو بيد الخطيب مساهمة كبيرة في التأثير على السامع خصوصاً إذا كان الحديث يتطلب شكلاً من أشكال القوة. وكان أمير المؤمنين في أكثر خطبه التي يخطبها أثناء المعارك أو في فترات الصراع التي تنذر بالحرب، أو في ظروف التآمر على الدولة الإسلامية، كان يتقلد سيفه حتى يشترك منظر السيف في إدخال الرعب في نفوس أعدائه. فمئذ أن لاحت في الأفق مؤامرة أصحاب الجمل بدأت الحرب النفسية في تاريخ

(١) الصدوق: التوحيد ص ٢٦٤.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ٢/٣٩٠.

الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

وهو إذ ذاك في المدينة المنورة، فكان للإمام قدم السبق في كل علم ومنه الإعلام، فقد استطاع أن يستخدم كل الوسائل المتاحة من أجل تغيير الواقع المزري من تثقيف إلى إعلام إلى مواجهة عسكرية في بعض الحالات.

روى أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن جنادة قال: قدمت من الحجاز أريد العراق في أول إمارة علي (عليه السلام)، فمررت بمكة فاعتمرت ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ نودي: الصلاة جامعة فاجتمع الناس وخرج علي (عليه السلام) متقلداً سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال:

«أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذا تنزى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا فصارت الإمرة لغيرنا وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الدليل».

ثم عرج في الكلام إلى طلحة والزبير: «ويا يعني هذان الرجلان في أول من بايع -تعلمون ذلك- وقد نكثا وغدرا ونهضنا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم ويلقيا باسكم بينكم، ثم أخذ يدعو عليهما: اللهم فخذهما بما عملا أخذه رايبة ولا تنعش لهما صرعة...» وإلى آخر الخطبة^(١).

فالكلمات التي قالها الإمام كانت بحاجة إلى وجود السيف في يده لأنها كلمات تنتظر أياماً دامية من الصراع المرير بين جيش الحق وجيش الباطل، لذا وجدنا أمير المؤمنين (عليه السلام) يخطب وهو في المدينة بتلك الخطبة النارية وهو متقلد سيفه ليشارك المقال بالمقام في إظهار قوة الحق وصمود أصحابه على طريق الإسلام.

لقد كان خروج الإمام وهو متقلد سيفه، نقطة جذب لأهل المدينة التي كان فيها الصديق والعدو، وربما كان الأعداء أكثر من الأصدقاء وهو أحد أسباب خروجه من المدينة واتخاذ الكوفة عاصمة له، يقول الراوي: وخرج علي (عليه السلام) متقلداً سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، وكيف لا والناس كانوا بانتظار إمامهم وخليفتهم في تلك

الأوضاع المثشجة ليسمعوا منه كلمة وليشهدوا منه موقفاً رداً على الأوضاع، فكان منظر السيف خير جواب ووسيلة للردع وتهداة الخواطر - لردع المتأمرين وتهداة خواطر المؤمنين - وأن أمير المؤمنين لا يسكت على ما يفعله المتآمرون وأنه سيواجه القوة بالقوة.

ثامناً: وخطب أمير المؤمنين وهو متكاً على قوسه :

والتوكأ على القوس يشير إلى التهيب للحرب والمقاومة، ويحمل صورة الاستعداد للدفاع عن الحق، وهو أيضاً يحمل معاني العتاب والتألم على ما يحدث فالقوس هو تعبير عن المقاومة، والتوكأ يحمل معنى العتاب، وهذا ما نستطيع أن نتحسس به في إحدى خطبه التي خطبها لما أخبر بخطبة معاوية وعمرو وتحريضهما الناس عليه، فأمر الناس فجمعوا، وقال راوي الخطبة: وكأنني انظر إلى علي متوكأً على قوسه^(١).

وخطب تلك الخطبة التي أورد السيد الرضي جزءاً منها يبين فيها رابطته المتينة برسول الله ﷺ: «ولقد قبض رسول الله ﷺ وإن رأسه لعلى صدري ولقد سألت نفسه في كفي».

ثم بحث أصحابه على مواجهة حيل ومكر معاوية وصحبه قائلاً: «فأنفذوا على بصائرکم، ولتصدق نياتکم في جهاد عدوكم، فوالذي لا اله إلا هو إني لعلی جادة الحق، وإنهم لعلی مزلة الباطل».

تاسعاً: خلط الدموع بالكلمات :

عندما يتغير الخطاب من الكلمات النارية التي تستنفر الناس للجهاد والمقاومة والتي تبين ضلالة الأعداء إلى خطاب فيه ذكر الله، وأحوال الآخرة وظلام القبر، تتغير الصورة فتتغير تعابير وجه الخطيب ويتغير صوته... فالحديث عن القبر والآخرة يختلف عن حديث القتال والحرب، ويجب أن يكون مظهر الخطيب متناسباً مع موضوعه حتى يتأثر الناس بما يقول؛ فالناس لا يتأثرون إلا عندما ينطلق الكلام من قلب الخطيب، فتختلط أحاسيسه الباطنية بالكلمات التي تنساب على لسانه، فالقلب واللسان عضوان

مرتبطان ارتباطاً وثيقاً عند الخطيب الناجح ، وهكذا كان أمير المؤمنين (عليه السلام) ، كان قلبه وراء لسانه كما ذكر هو نفسه في وصف العاقل .

وكما وصفه زياد الأعرابي في إحدى خطبه التي خطبها بعد الفتنة وفراغه من النهروان ، كان الظرف صعباً جداً على الإمام (عليه السلام) ، صعباً عليه وهو يرى تسارع الناس نحو الباطل وانصرافهم عن الحق واستماتتهم للدفاع عن الباطل .

كان صعباً عليه أن يرى عشرات الآلاف من المسلمين يتساقطون بدون سبب وبدون هدف بل دفاعاً عن أشخاص ديدنهم المكر والخديعة ، كان صعباً عليه مشاهدة مصرع خيرة أصحابه في حرب ليس وراءها طائل سوى أهواء المنحرفين وطلاب السلطة والطامعين في الحكم .

كان صعباً عليه فراق الأشتر وغياب عمار وابن التيهان وذي الشهادتين ، استذكر الإمام ذكرى هؤلاء الأحبة بعد أن طهر الأرض من دنس الخوارج ومن قبلهم من دنس المارقين والناكثين ، استذكر بعبارة كبيرة الدنيا والآخرة والقبر وأحوال القيامة ، ذلك العالم الذي اجتمع فيه أصدق أصحابه فذرف الدموع حتى أخذت قطرات من دموعه تتطاير على رؤوس الناس كما جاء في وصف الأعرابي ذلك الوصف البليغ والدقيق ، يقول زياد الأعرابي - كما جاء في كنز العمال براوية ابن النجار - صعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب منبر الكوفة بعد الفتنة وفراغه من النهروان فحمد الله وخنقته العبرة حتى اخضلت لحيته بدموعه وجرت ثم نفص لحيته فوق رشاشها على أناس ، فكنا نقول : إن من أصابه من دموعه فقد حرّمه الله على النار ثم قال : «يا أيها الناس لا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير العمل ، ويرجو التوبة بطول الأمل ، يقول في الدنيا يقول الزاهدين ، ويعمل فيها بعمل الراغبين ، إن أعطي فيها لم يشبع وإن منع منها لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أتى ، ويبغى الزيادة فيما بقي ، ينهي ولا ينتهي» إلى آخر الخطبة^(١) .

وصف الإمام في هذه الخطبة حالة الذين سوك لهم الشيطان سوء أعمالهم وأقدموا على قتاله ، وهم الخوارج الذين يقولون في الدنيا قول الزاهدين ويعملون فيها عمل

(١) ذكر السيد الرضي الخطبة برقم ١٥ مع تفسير صيغة الخطاب من الجمع إلى المفرد .

الراغبين . . . وحديث من هذا القبيل يكون تأثيره في السامع أكبر إذا علت على محيا الخطيب صورة الخشوع والاستكانة لله سبحانه وتعالى ، وكأنني انظر إلى الناس الذين كانوا يستمعون إلى علي بن أبي طالب وهو يخطب بتلك الخطبة وهم قد ذابوا في كلماته وأخذوا يسبحون في عالم آخر نقلهم إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) لأنهم لمسوا أحاسيس الإمام من خلال كلماته فسبحوا في بحارها التي فاضت بدموع عينيه ، وربما لمس بعضهم بيده قلب الإمام كيف يتفطر مما جرى على الأمة ، كما يلمس البحار الصدف أثناء غوصه في البحر ، هكذا تصنع الكلمات بالناس عندما تخرج من القلب .

عاشراً: عمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) :

المظهر الخارجي للخطيب ذو تأثير كبير على المخاطبين وبالأخص العمامة -لونها وشكلها وحجمها- وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) ، يغير لون عمامته بما يتناسب والظرف ، فالمشهور عنه أنه كان يرتدي عمامة سوداء ملتف بساج كما يقول ابن أبي الحديد^(١) . أما في الأوقات التي تتطلب تغيير المظهر بالأخص في الحرب فكان أمير المؤمنين يغير لون عمامته من السوداء إلى البيضاء ، يقول ابن عباس : رأيت في هذا اليوم (اليوم الثامن من صفين) علياً وعليه عمامة بيضاء وكان عيبيه سراج سليلط ، وهو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم حتى انتهى إلي وأنا في كثيف من الناس فقال : «يا معشر المسلمين ، عموا الأصوات وأكملوا اللأمة ، واستشعروا الخشية ، واقلقوا السيوف في الأجفان قبل السلة»^(٢) .

والظاهر أنه لم يكن مرتدياً العمامة البيضاء قبل ذاك فارتدائه لهذه العمامة لفت نظر ابن عباس لأنه لم يكن قد شاهده قبل ذلك اليوم مرتدياً لها .

واللون الأبيض يدل على الطهارة وعلى السلام ، ويدل على الاستعداد الكامل للشهادة في طريق الإسلام ، وربما أراد الإمام بهذا التغيير في ملبسه أن يبعث برسالة إلى معاوية وكل من يقف إلى جانبه بأنه لا يريد الحرب وإن الحرب فرضت عليه من جانبهم

(١) ابن أبي الحديد : ٢٠٩ / ١ .

(٢) المسعودي : ٢٨٩ / ٢ .

وأنه على استعداد تام لإيقافها وإيقاف سيل الدماء والقتل .

وكان في بعض المرات يرتدي عمامة رسول الله ﷺ ويلبس برديه ، ذكر الشيخ المفيد برواية الأصمغ بن نباتة : لما بويع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالخلافة خرج إلى المسجد معتمداً بعمامة رسول الله ﷺ لابساً برديه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وأنذر ثم جلس متمكناً وشبك بين أصابعه ووضعها أسفل سترته^(١) .

الحادي عشر : كان يثني الوسادة ويخطب :

ففي الأحاديث الخاصة التي تتم بين جمع من أقربائه أو أصحابه كان أمير المؤمنين يخطب وهو جالس ، لأن الحديث في مثل هذا الموضع هو حديث أخوي ، أو حديث خاص ، أو في بعض الأحيان يجري الحديث مجرى الدرس فلا ضرورة للمنبر أو الأماكن العالية فكان يثني الوسادة ويقول كلمته .

ذكر الشيخ المفيد قوله ﷺ : «لو ثني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم حتى يزهر كل كتاب من هذه الكتب ويقول : يا رب إن علياً قد قضى بقضائك»^(٢) .

وكان يقول كما ذكر ابن شهر آشوب : «سلوني قبل فقدي إن لي علماً وما فيكم له مستودع وكذلك لو ثني الوسادة حكمت بالكتب التي فيها الشرائع تشرع»^(٣) .

فثني الوسادة هنا كناية عن حاجة العلماء إليه وأنهم سيتعلمون منه ما لا يستطيعون الحصول عليه من شخص آخر ، ومن المواطن التي استخدم فيها أمير المؤمنين ﷺ الوسادة أثناء كلامه حين وصيته لأولاده وعشيرته ، وقد أخذ الضعف يدب في جسده فلم يستطع الجلوس إلا بوسادة ، روى الكليني بسند ذكره :

لما ضرب أمير المؤمنين حفاً به العواد وقيل له يا أمير المؤمنين أوص فقال ﷺ : «اثنوا لي وسادة» ثم قال : «أيها الناس كل امرئ لاق ما يفر منه في فراراً . . إلى آخره»^(٤) .

(١) المفيد : الإرشاد ٢٤/١ .

(٢) المفيد : الفصول المختارة ص ٢٢٢ .

(٣) ابن شهر آشوب : المناقب ٤٠/٢ .

(٤) باب الوصايا : رقم ٢٢ .

الثاني عشر: كان يخطب ثم يأمر بأن يكتب ويقرأ على الناس :

لأن الكلام المكتوب أقوى سنداً من غير المكتوب، ولما لم تكن من عادة أمير المؤمنين أن يكتب ما يريد أن يقول للناس، فهو سيد الخطباء والبلغاء، لكن لوجود المانع كان الإمام يضطر لاستخدام الكتابة، مرة خطب أمير المؤمنين عليه السلام في داره، ومن المفترض أن يكون عدد الحاضرين في الدار عدداً محدوداً، ولما كانت مطالب الخطبة ذات أهمية شاملة وأن موضوعاتها تتعلق بكافة المسلمين فقد أمر بأن تكتب.

ذكر الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى، وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن أحمد بن خالد، جميعاً عن الحسن بن محبوب، عن يعقوب السراج عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام وبأسانيد مختلفة عن الأصمغيني قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام في داره، أو قال - في القصر - ونحن مجتمعون ثم أمر صلوات الله عليه فكتب وقرأ على الناس ^(١).

وطوراً طلب من أصحابه أن يكتبوا ما يريد أن يقوله للناس وأمرهم أن يقرأ ما كتبه عليهم كل يوم جمعة.

وقد ذكروا أنه لما سألوه عن أبي بكر وعثمان وعمر، غضب عليه السلام وقال: «قد تفرغتم للسؤال عما لا يعنكم وهذه مصر قد انفتحت وقتل معاوية ابن خديج محمد بن أبي بكر فيا لها من مصيبة، ما أعظم مصيبتني بمحمد فوالله ما كان إلا كبعض بني سبحان الله بينا نرجو أن نغلب القوم على ما في أيديهم إذ غلبونا على ما في أيدينا وأنا كاتب لكم كتاباً فيه تصريح ما سألتكم»، ثم أنه كتب كتاباً مطلعته: «من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى شيعته من المؤمنين والمسلمين»، وأمر بأن يقرأ على الناس كل يوم جمعة.

والكتاب بمثابة بيان سياسي يعرض فيه الإمام مواقفه من الأحداث التي جرت خلال التاريخ الإسلامي منذ البعثة النبوية وحتى وفاة الرسول واستلام الخليفة الأول زمام الأمور ثم الثاني والثالث، وما حدث من تطورات في فترة حكمه، والكتاب

طويل، قطعته السيد الرضي إلى عشرات الخطب، وجعل كل خطبه في شأن من الشؤون، وهو في المجال التاريخي لا يقل أهمية من عهده إلى مالك الأشر في المجال السياسي.

الثالث عشر: كان الإمام يطلب من البعض أن يخطب بما يريد نيابة عنه :

ففي بعض الظروف الصعبة التي لا يقدر فيها أمير المؤمنين عليه السلام الخطابة كان يأمر أحد المقربين إليه وبالأخص ابنه الحسن بأن يخطب بالنيابة عنه، فقد طلب أمير المؤمنين عليه السلام من ابنه الحسن عليه السلام أن يخطب مكانه في الشهر الذي ضرب فيه وهو شهر رمضان.

روى الصدوق قال حدثنا أبو محمد عمار بن الحسين قال : حدثنا علي بن محمد بن عصمة، قال : حدثنا أحمد بن محمد الطبري بمكة، قال : حدثنا محمد بن الفضل عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب القرشي عن ابن سليمان عن حميد الطويل عن أنس بن مالك، قال :

كنت عند علي بن أبي طالب في الشهر الذي أصيب فيه وهو شهر رمضان فدعا ابنه الحسن ثم قال : «يا أبا محمد أعل المنبر فاحمد الله كثيراً وأثنى عليه واذكر جدك رسول الله صلى الله عليه وآله بأحسن الذكر وقل : لعن الله ولدأ عق أبويه، لعن الله ولدأ عق أبويه، لعن الله عبداً أبق من مواليه، لعن الله غنماً ضلت عن الراعي وانزل»^(١).

(١) الصدوق: معاني الأخبار ص ١١٨.

الكلام

وهو قول مختصر قاله أمير المؤمنين عليه السلام في مناسبة غير منظورة، بينما الخطب قالها أمير المؤمنين عليه السلام في مناسبات منظورة كالجمعة والعيدين وخطب الجهاد والحرب وما إلى ذلك، ومن البديهي أن يأتي الكلام مختلفاً عن الخطبة في السبك الأدبي وفي الطول وفي استخدام أساليب المعاني والبيان، لأن الغرض منه ليس جمال الكلمات والعبارات بقدر إيصال الفكرة إلى المستمع، ومع ملاحظة هذه الحقيقة في اختلاف الكلام عن الخطبة إلا أن كلام أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن بأقل من خطبه في البلاغة والفصاحة، والسبب أنه كان يتكلم عن فطرة أدبية لا تحتاج إلى صناعة وتهياة، فكلامه عين خطبه مع ملاحظة الإيجاز والتكلم بالقدر المناسب.

أصناف كلام أمير المؤمنين عليه السلام

أما أصناف كلام أمير المؤمنين فقد أورده السيد الرضي فهو على سبعة أصناف:

الصف الأول: أجزاء من خطبة

فهناك الكثير مما أورده السيد الرضي في قسم كلام أمير المؤمنين عليه السلام هو في الواقع أجزاء من خطبة، ولأنه أقتطع جزءاً صغيراً من الخطبة لم يشأ أن يسميها (من خطبة له) فذكر قائلاً من كلام له: ومن الأمثلة على ذلك: «كتتم جند المرأة»^(١) وهو جزء من

خطبة خطبها أمير المؤمنين في البصرة، وجزء آخر من الخطبة: «أرضكم قرية من الماء»^(١)، كذلك: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء»^(٢)، فيما يرده على المسلمين من قطائع عثمان بن عفان، وهو جزء من خطبة خطبها في المدينة بعد البيعة بل هي أول خطبة بالمدينة بعد البيعة.

وكلامه «ذمتي بما أقول رهينة»^(٣) جزء من خطبه خطبها بالمدينة، والسيد الرضي يشير إلى ذلك في المقطع الثاني من الكلام حيث يقول: «إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان»^(٤) وجزء آخر من الخطبة: «ترد على أحدهم القضية»^(٥).

وهناك قسم كبير مما ورد تحت عنوان: ومن كلام له ﷺ هو في الواقع أجزاء من خطبة لم ير السيد الرضي أهمية ذكر اسم الخطبة عليها، لأن اقتطاعها سلب منها عنوان الخطبة المعروفة بالطول والترتيب والقواطع.

الصف الثاني: كلام قاله لشخص معين حول أمر خاص

وهناك أمثلة كثيرة في نهج البلاغة منها: هناك كلام قاله لأشعث بن قيس عندما اعترض عليه وهو على المنبر قائلاً: يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك. فخفض ﷺ بصره ثم قال له: «ما يدريك ما عليّ مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين! حائك ابن حائك منافق ابن كافر، والله لقد أسرك الكفر مرة والإسلام أخرى». . . إلى آخر الكلام^(٦).

وهناك كلام قاله للبرج بن مسهر الطائي، وقد قال له عندما سمعه يقول (لا حكم إلا لله) وكان من الخوارج: «اسكت قبحك الله يا أثم! فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضئيلاً شخصك، خفياً صوتك، حتى إذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز»^(٧).

(١) باب الخطب: رقم ١٤.

(٢) باب الخطب: رقم ١٥.

(٣) باب الخطب: رقم ١٦.

(٤) باب الخطب: رقم ١٧.

(٥) باب الخطب: رقم ١٨.

(٦) باب الخطب: رقم ١٩.

(٧) محمد عبده: ص ٢٧٤ رقم ١٨٢.

نلاحظ في هذا الكلام أن أمير المؤمنين عليه السلام حافظ على مستواه في البلاغة والفصاحة بالرغم من أنه قاله ارتجالاً ودون تهيئة من قبل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن البلاغة حالة فطرية عند الإمام علي عليه السلام.

الصنف الثالث: ما قاله لجمع من الناس أكثر من واحد

مثال على ذلك: كلم الخوارج عندما اعتزلوا الحكم فقال لهم: «أصابكم حاصب ولا بقي منكم أبر! أبعد إيماني بالله، وجهادي مع رسول الله أشهد على نفسي بالكفر؟ لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين، فأوبوا شرماب، وارجعوا على أثر الأعقاب، أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثره يتخذها الظالمون فيكم سنة»^(١). فلو تمعنا في هذا الكلام لما وجدنا أي اختلاف بينه وبين الخطبة من حيث السبك البلاغي والسردي البياني، لكن الاختلاف الوحيد هو في قصر هذا الكلام وأنه متكون من مقطع واحد، بينما الخطبة تتكون من أكثر من مقطع وهي أطول من الكلام. ومن الأمثلة الأخرى كلامه إلى طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة: «لقد نعمتما يسيراً، وأرجأتما كثيراً، ألا تخبرانني أي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه؟ وأي قسم استأثرت عليكما به؟ أم أي حق رفعه إلي أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته، أم أخطأت بابه»^(٢).

الصنف الرابع: تعليق على حادثة وقعت

وهو أكثر ما ورد من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام ومن منطلق شعوره بالمسؤولية كان يستثمر أية حادثة أو أي خبر يسمعه فيعلق عليه ليوجه أنظار أصحابه إلى رسالته الإسلامية، فمثلاً علق الإمام عليه السلام عندما سمع بخروج طلحة والزبير قائلاً: «وقد أروعوا وأبرقوا ومع هذين الأمرين الفشل، ولسنا نرعد حتى نوقع، ولا نُسيل حتى نُمطر»^(٣).

(١) محمد عبده: ص ١٣١ رقم ٥٨.

(٢) محمد عبده: ص ٤٣٦ رقم ٢٠٢.

(٣) باب الخطب: ٩.

ولما سمع الإمام بهروب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية وكان قد اشترى سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين ﷺ فلما طالبه بالمال هرب إلى معاوية فعلق الإمام على هذه الحادثة قائلاً: «قبح الله مصقلة فعل فعل السادات، وفرّ فرار العبيد، فما أنطق مادحه حتى أسكته، ولا صدق واصفه حتى بكته، ولو أقام لأخذنا ميسوره وانتظرنا بماله وفوره»^(١).

ولما نصره الله، وكان للأنصار دور بارز في النصر علق على هذا الانتصار قائلاً: «أنتم الأنصار على الحق، والإخوان في الدين، والجنن يوم البأس والبطانة دون الناس، بكم اضرب المدبر وأرجو طاعة المستقبل، فأعينوني بمناصحة خلية من الغش، سليمة من الريب، فوالله إني لأولى الناس بالناس»^(٢).

وعندما سمع أصحابه يسبون أهل الشام في معركة صفين علق قائلاً: «إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتهم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به»^(٣).

الصف الخامس: جواب علي واقعه

وكان هذه الواقعة تبحث عن إجابة؛ ومثال على ذلك:

لما أشير عليه بأن يترك طلحة والزبير وشانهما قال الإمام: «والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل إليها طالبها ويختلها راصدها، ولكني اضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه، وبالسامع المطيع العاصي المريب أبداً، حتى يأتي عليّ يومي. فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً عليّ منذ قبض الله نبيه ﷺ حتى يوم الناس هذا»^(٤).

(١) باب الخطب: ٤٤.

(٢) محمد عبده: ص ٢٥٨ رقم ١١٧.

(٣) محمد عبده: ص ٤٣٧ رقم ٢٠٤.

(٤) باب الخطب: رقم ٦.

فالذي عليه هذا الكلام من البيان والفصاحة يجعله في مصاف الخطب، لكن باختلاف الموضوع وحجم الكلام، فعندما سمع المسلمون قول الخوارج لا حكم إلا لله أكان يدور في مخيلتهم بماذا سيجيبهم الإمام؟ ويسرعة البرق، جاء الجواب: «كلمة حق يراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله وإنه لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر»^(١)، وكان جوابه سيفاً قاطعاً قطع الفتنة من جذورها، ولم يدعها تنفس وتكبر لأن التأخير في الجواب كانت له عواقب وخيمة لا يحمد عقابها.

سمع رجلاً من الخوارج يتهمد ويقرأ، وكانت عبارته مثار تساؤل واستغهام لدى الناس، كيف يمكن أن يدخل النار من هو بهذا القدر من التهمد، فسارع الإمام وأجاب على ما يدور في خلدهم من تساؤل: «نوم على يقين خيرٌ من صلاة في شك»^(٢).

الصنف السادس: الإجابة على الأسئلة

فكثيراً ما كان الإمام يُسأل عن أسئلة مختلفة فكان يجيب بقدر السؤال.
من الأسئلة التي سُئل الإمام بها:

سأله أحد أصحابه: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به، فأجابه الإمام بجواب مختصر مفيد^(٣).

وسأله ذعلب اليماني: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فأجابه الإمام أيضاً بالجواب الوافي^(٤)، وسأله أحد أصحابه عن قول رسول الله ﷺ «غَيَّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّمَا قَالَ ﷺ ذَلِكَ وَالَّذِينَ قُلُّ، فَأَمَّا الْآنَ وَقَدْ اتَّسَعَ نَطاقُهُ، وَضُرِبَ بِجُرَانِهِ، فَأَمَرُوا وَمَا اخْتَارَ»^(٥).

فإذا تمعنا في جواب الإمام لوجدناه على قدر السؤال، وعلى مستوى رفيع من

(١) باب الخطب: رقم ٤٠.

(٢) باب الحكم: رقم ٩٧.

(٣) محمد عبده: رقم ١٦٠.

(٤) محمد عبده: رقم ١٧٧.

(٥) قصار الكلمات: رقم ١٦.

البيان والبلاغة والفصاحة وسأله الشامي: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ فأجابه بجواب مبسط، فإذا كان جواب السؤال السابق قصيراً فإنّ جوابه لهذا السائل جوابٌ مفصل لاقتضاء الموضوع لأنه سأله عن القضاء والقدر.

وسأله أحد أصحابه عن الخير ما هو؟ فقال: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهى الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجل يسارع في الخيرات»^(١).

وكان جواب الإمام على السؤال جواباً عملياً فقد ابتعد عن الأجوبة الفلسفية التي كان بإمكانه أن يجيب بها، فقد رعى الإمام حالة السائل في الجواب. من هنا فإن حالة السائل وشخصيته هي التي تحدد طبيعة الجواب من حيث الأسلوب والموضوع.

الصنف السابع: الحوار

وهو كثير في كلام أمير المؤمنين، لأن الحوار هو خط استراتيجي في منهج الإمام أمير المؤمنين ﷺ مثال على ذلك: لما نصره الله تعالى على أصحاب الجمل، قال له بعض الأصحاب: وددت أن أخى فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك.

فقال ﷺ: «اهوى أخيك معنا؟».

فقال: نعم، قال: «فقد شهدنا، ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوامٌ في أصلاب الرجال وأرحام النساء سير عوف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان».

مثال آخر: أرسل رجلاً من أصحابه يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة قد هموا باللحاق بالخوارخ، وكانوا على خوف منه ﷺ، فلما عاد إليه الرجل قال له: «أأمنوا فقطنوا أم جبنوا فقطنوا؟».

فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمير المؤمنين.

فقال ﷺ: «بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ، أَمَا لَوْ أَشْرَعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَصَبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ، لَقَدْ نَدَمُوا مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفْلَهُمْ وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ وَمَتَخَلٌّ عَنْهُمْ، فَحَسِبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى، وَصَدَّاهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَجَمَّاهُمْ فِي التَّبَيُّهِ»^(١).

وهناك حوارات سياسية وفكرية عقدها أمير المؤمنين مع الخصوم والأعداء كالخوارج وبعض قادة معركة الجمل تزخر بها كتب التاريخ ونهج البلاغة.



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

(١) باب الخطب: محمد عبده ص ٣٦٢-٣٦٣ (١٧٩).



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الرسائل

لا تختلف الرسالة كثيراً عن الخطابة، فربما الفرق الرئيسي بينهما أن الرسالة تكتب والخطابة تلقى أما في أركانها وعناصرها ومكوناتها فلا اختلاف بينهما.

يعتبر ابن قدامة البلاغة في الكتابة والخطابة واحدة، ولكنه يتساهل مع الخطيب المرتجل، ويغفر له هنات لا يغفرها للكاتب، ويروي قول عبد الله بن الأصم: إني لست أعجب من رجل تكلم بين قوم فخطأ في كلامه، أو قصر في حجته، لأن ذا الحجا قد تناله الخجلة، ويدركه الحصر، ويعزب عنه القول، ولكن العجب ممن أخذ دواة وقرطاساً، وخلا بفكره وعقله، كيف يعزب عنه باب من أبواب الكلام يريد، أو وجه من وجوه المطالب يؤمه^(١).

ويقول أبو هلال العسكري في المشتركات بين الخطب والرسائل: واعلم أن الرسائل والخطب مشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفيه، وقد يتشكلان أيضاً من جهة الألفاظ والفواصل، فالفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة والعدوية، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل، ولا فرق بينهما إلا أن الخطبة يشافه بها والرسالة تكتب بها، والرسالة تجعل خطبة، والخطبة تجعل رسالة في أيسر كلفة، ولا يتهيأ مثل ذلك في الشعر من سرعة قلبه وإحاطته إلى الرسائل إلا بكلفة، وكذلك الرسالة والخطبة لا يجعلان شعراً إلا بمشقة ومما يعرف أيضاً من الخطابة والكتابة أنهما مختصان بأمر الدين والسلطان وعليهما مدار الدار، وليس للشعر بهما

اختصاص ، أما الكتابة فعليها مدار السلطان^(١) .

ولأمير المؤمنين ﷺ خطبة خطبها وأمر أن تكتب وتقرأ بعد الصلاة كل يوم جمعة ، وهذا ما يؤكد ما ذهب إليه أبو هلال العسكري في أن الخطبة يمكن أن تتحول إلى رسالة ، والرسالة إلى خطبة ، ولربما اختلفت الرسالة عن الخطبة في أمر مهم هو أن الرسالة تأتي في العادة مشبعة بالأدلة والأفكار ، لأن الكاتب يمتلك الفرصة لأن يعدها أعداداً متكاملة ، يقول أبو هلال في ذلك : ولا شك في أن الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة والفتوح الجليلة ، وتفخيم النعم الحادثة ، والترغيب في الطاعة والنهي عن المعصية ، سبيلها أن تكون مشبعة مستقصاة تملأ الصدور وتأخذ بمجامع القلوب^(٢) .

لكن نحن لا نجد حتى هذا الفرق بين ما يكتبه أمير المؤمنين وبين ما يخطبه ، وهذا إن دل على شيء فهو دليل على بلاغته ﷺ ، أما الطول والقصر والإيجاز فهي مرتبطة بطبيعة الرسالة والموضوع الذي كتب من أجلها وطبيعة المرسل إليه ، فرمما كانت رسالة طويلة وأخرى قصيرة ، يقول ابن قتيبة عن كاتب الرسائل البليغ : ولكنه أطال تارة للتولية ، وحذف تارة للإيجاز ، وكرر تارة للإفهام^(٣) ، ولو تمعنا في رسائل أمير المؤمنين ﷺ لوجدناها منحصرة في المناسبات والأغراض التالية :

(١)

إلى ولاته

إما ينههم فيها أو يأمرهم بأمر أو ينصحهم بنصيحة أو يعطيهم تعليمات إدارية ، وفيما يلي نماذج من ذلك :

أولاً: المحاسبة والتأنيب

كتب إلى الأشعث بن قيس عامله على أذربيجان مؤنباً وموبخاً : « وإن عملك

(١) كتاب الصناعتين : ص ١٣٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٩٠ .

(٣) أدب الكاتب : ص ١٥ ، تحقيق محي الدين عبد الحميد سنة ١٩٦٣ مطبعة السعادة .

ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك، ليس لك أن تفتات في رغبة، ولا تخاطر إلا بوثيقة، وفي يديك مال من مال الله عز وجل، وأنت من خزائنه حتى تسلمه إليّ، ولعلّي أن لا أكون شر ولا تك لك والسلام»^(١).

وكتب إلى أحد ولاته عندما سمع بخيائته في المال: «أما بعد: فإنني كنت أشركتك في أمانتي وجعلتك شعارى ويطائتي، ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي وأداء الأمانة إليّ»^(٢).

واختلف المؤرخون في المرسل إليه، وقال البعض أنه عبد الله بن العباس وقد ناقشنا ذلك في فصول مخصصة لهذا الموضوع.

وكتب إلى عامله في (أردشير خرة) يؤنبه في بعض أفعاله المخلة: «بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك، وأغضبت إمامك. أنك تقسم فيئ المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقت عليه دماؤهم إلى آخره»^(٣).

يلاحظ في هذه الرسالة أن الإمام لم يبدأ على عادته بعبارة أما بعد، ربما لأهمية ما سمعه عن واليه وإن فعله فعلٌ غريب يحتاج إلى رسالة استثنائية، واشهر كتب التوبيخ التي بعثها إلى ولاته رسالته إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري عندما بلغه أنه حضر وليمة قوم أغنياء، ولم يكن في تلك الوليمة شخص عادي من عامة المسلمين، وهي من روائع رسائله التي تضمنت عبارات بليغة توقف عندها الأديباء ملأ منها: «ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً. ولو شئت لا هتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة

(١) محمد عبده: ص ٤٩٤.

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٥٢.

(٣) باب الكتب والرسائل: رقم ٤٢.

من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى؟.. إليك عني يا دنيا؛ فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك وأفلت من حبالك، واجتبت الذهب في مداحضك، أين القرون الذين غررتهم بمداعبتك؟ أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك؟ ها هم رهائن القبور ومضامين اللحد، والله لو كنت شخصاً مرثياً وقالباً حسيّاً، لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأمانى»^(١).

يلاحظ في هذه الرسالة أن الإمام لم يختصر بل أطل وانتقل من موضوع التأنيب على ما ارتكبه واليه إلى الوعظ والإرشاد والتحدث عن نفسه خلافاً للرسائل السابقة التي اقتصرت على التأنيب الشديد، ولم يتوسع الإمام إلى أكثر من ذلك، بينما هنا احتوت الرسالة مواضيع شتى من الموعظة، والسبب هو اختلاف الحالة واختلاف الشخص، فعثمان بن حنيف يختلف تماماً عن مصقلة والحارث، وما قام به عثمان ليس أكثر من غلطة عابرة لن تتكرر في حياته بعد تلك الرسالة سيما ما جاء فيها من مواعظ ومن تقديم الإمام نفسه كقدوة حسنة لأصحابه والولاء في تجنب الترف وحياة البذخ.

ثانياً: النصم

وكان أمير المؤمنين عليه السلام ينصح أصحابه وولاته ليحصنهم ضد الانحراف والخيانة، نصح واليه زياد بن أبيه وكان نائباً عن عبد الله بن العباس في البصرة، جاء في كتابه: «وإني أقسم بالله، قسماً صادقاً لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً، صغيراً أو كبيراً لأشدنّ عليك شدة تدعك قليل الوفرة ثقيل الظهر ضئيل الأمر، والسلام»^(٢).

ويحث إليه برسالة نصحه بعدم الإسراف: «فدع الإسراف مقتصداً واذكر في اليوم غداً، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك، أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين، وأنت عنده من المتكبرين؟ وتطمع - وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة - أن يوجب لك ثواب المتصدقين! وإنما المرء مجزي بما أسلف وقادم

(١) باب الرسائل: رقم ٤٥.

(٢) باب الكتب: رقم ٢٠.

على ما قدم والسلام»^(١).

ونصح ابن عمه عبد الله بن العباس: «أما بعد، فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً، وليكن همك فيما بعد الموت».

يقول عبد الله بن العباس: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله كانتفاعي بهذا الكلام^(٢).

ونصح واليه على حلوان الأسود بن قطيبة: «أما بعد: فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء، فإنه ليس في الجور عوض من العدل، فاجتنب ما تنكر أمثاله، وابتذل نفسك في ما افترض الله عليك، راجياً ثوابه، ومتخوفاً عقابه.

واعلم أن الدنيا دار بليه لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعة، إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة، وإنه لن يغنيك عن الحق شيء أبداً ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك، فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك والسلام»^(٣).

وهذه النصائح هي من الإجراءات العادية التي يقوم بها أي حاكم أو خليفة بغية إدارة دفة الأمور، وهي تكشف عن حرص الإمام على إصلاح وضع البلاد بإصلاح حالة الولاة بتتبع شؤونهم الخاصة والعامة، ومحاولة إصلاح ما يطرأ على سلوكهم من ثغرات.

رابعاً: التعليمات الإدارية والحربية

وهي رسائل عادية يوجهها الحاكم أو الخليفة إلى ولاته وكبار موظفيه وقادة جيشه يوجههم فيها إلى أمور ذات أهمية في المجالين الإداري والعسكري.

(١) باب الكتب: رقم ٢١.

(٢) باب الكتب: رقم ٢٢.

(٣) باب الكتب: رقم ٥٩.

من هذه الرسائل ، رسالته ﷺ إلى عبد الله بن العباس وهو يطلب منه مراعاة بعض الاحتياطات في علاقاته مع الناس ، ويرشده إلى قضايا اجتماعية ذات أهمية في إدارة البلاد ، جاء في الرسالة :

«واعلم أن البصرة مهبط إبليس ، ومغرس الفتن ، فحادث أهلها بالإحسان إليهم ، واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم ، وقد بلغني تنمر كلبني تميم وغلظتكم عليهم ، وإن بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر ، وإنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام ، وإن لهم بنا رحماً ماسة وقرابة خاصة ، نحن مأجورون على صلتها ، ومازرون على قطيعتها فأربع أبا العباس ، رحمك الله ، فيما جرى على لسانك ويدك من خير وشرفنا شريكاً في ذلك ، وكن عند صالح ظني بك ولا يفيلن رأيي فيك والسلام»^(١).

في الرسالة يحاول أمير المؤمنين ﷺ أن يرسم لأبن عباس خطة متكاملة يعرض له فيها المشكلة ثم يضع إلى جانبها الحلول ، ثم يبين له أن ممارساته سواء في السلب أو الإيجاب ستعكس عليه ، وشبيه بهذه الرسالة تلك التي بعثها إلى بعض عماله جاء فيها :

«أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك ، شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة ، ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يُدنوا لشركهم ولا أن يُقَصَّوا ويُجَفَّوا لعهدهم ، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة ، وداول لهم بين القسوة والرافة ، وامزج لهم بين التقريب والإدناء ، والإبعاد والإقصاء إن شاء الله»^(٢).

وهذه هي سياسة التوازن التي بها يتحقق العدل ، والأمن والسلام في البلاد ، وكان أمير المؤمنين ﷺ على اتصال دائم بولاياته وعلى إحاطة كاملة بشؤون البلاد حتى الأمور الصغيرة منها ، فيحاول علاجها قبل أن تستفحل وتكبر وتصبح غير قابلة للحل والإصلاح .

عندما بعث بأحد عماله لجمع الصدقات كتب إليه بهذه التعليمات : «ولا تروعن

(١) باب الرسائل : رقم ١٨ .

(٢) باب الرسائل : رقم ١٩ .

مسلماً ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله»، ثم يرغب عمال الصدقات في إنجاز عملهم بكفاءة وأمانة وأن يحرصوا على مال الله من الصدقات: «وإن لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً وشركاء أهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة وأنا موقوفك حقك فوقهم حقوقهم»^(١).

ويكتب إلى واليه على مكة قثم بن العباس عندما سمع بأن معاوية بعث بجماعة إلى مكة لإثارة البلبلة فيها، وبث الشائعات لتحريك الناس ضد أمير المؤمنين عليه السلام فكتب إليه:

«أما بعد فإن عيني بالمغرب كتب إلي يعلمني أنه وجه على الموسم أناس من أهل الشام العمي القلوب، الصم الأسماع، الكمه الأبصار، الذين يلبسون الحق بالباطل، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درها بالدين، ويشترون عاجلها بأجل الأبرار والمتقين، ولن يفوز بالخير إلا عامله، ولا يجزى جزاء الشر إلا فاعله، فأقم على ما في يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب والتابع لسلطان المطيع لإمامه، وإياك وما تعتذر منه، ولا تكن عند النعماء بطراً ولا عند البأساء فشلاً والسلام»^(٢).

مركز تحقيق كتب أمير المؤمنين عليه السلام

في هذه الرسائل نجد أن الإمام يطرح المشكلة، ثم يعطي العلاج وبعد ذلك يوجه الوالي إلى الموقف الصائب الذي يجب أن يتخذه، وهذا الأمر يختلف عن الرسائل التي تحمل إلى الولاة أوامر تعتبر كالفرمان الذي يجب إطاعته بأي شكل من الأشكال.

رابعاً: الأوامر العسكرية

وأكثر هذه الأوامر موجهة إلى القادة العسكريين يأمرهم الإمام بتنفيذ بعض الأعمال الضرورية لتقدم الجيش في الميدان، فقد بعث بهذا الكتاب إلى بعض أمراء جيشه: «فإن عادوا إلى ظل الطاعة فذاك الذي نحب، وإن توافقت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان، فانهذ بمن أطاعك إلى من عصاك، واستغن بمن اتقاد معك بمن

(١) باب الرسائل: رقم ٢٦.

(٢) باب الرسائل: رقم ٢٣.

تقاعس عنك، فإن المتكاره مغيبه خير من مشهده، وقعوده أغنى من نهوضه»^(١). وعلى الرغم من أن الكتاب موجه إلى قائد عسكري فإنه جاء آية من آيات البلاغة، ويمكننا أن نلاحظ فيه الإيجاز باستخدام العبارات المطاطية مثل فانهذ بمن أطاعك إلى من عصاك واستغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك.

وكتب أمير المؤمنين إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية: «أما بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم ثم خيره بين حرب مجلية أو سلم مخزية، فإن اختار الحرب ما نبذ إليه، وإن اختار السلم فخذ بيعته والسلام»^(٢).

رسالة قوية في ألفاظها متراصة في عباراتها محكمة في مدلولاتها، بالأخص العبارة القوية التي تقدح شرراً: «ثم خيره بين حرب مجلية، أو سلم مخزية»، ورسائل الحرب يجب أن تكون بهذه القوة سيما قبل قيام المعركة لأن للكلمات أثراً كبيراً على النفوس، فهي التي تجعل بعض الجيوش على أهبة الاستعداد للحرب أو على أهبة الاستعداد للاستسلام وتلك الرسالة مقصودة في قوتها حتى تُري معاوية أن الأمر ليس لعباً بل أنه جد إذا تمادى في غيه.

ويبحث إلى أميرين من أمراء جيشه يطلب منهما إطاعة مالك الأشتر:

«وقد أمرتُ عليكما، وعلى من في حيزكما، مالك بن الحارث الأشتر، فاسمعاله واطعيا، واجعله درعاً ومجنأ فإنه ممن لا يخاف وهنه، ولا سقطته، ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل»^(٣).

تمتاز هذه الرسائل التي تحمل الأوامر العسكرية إلى قادة الجيوش بالاختصار لأنها محصورة بالأمر الذي يراد تنفيذه، فلا حاجة لذكر مبررات ذلك الأمر الصادر لأن الوقت ليس وقت كلام وشرح بل وقت تنفيذ الأوامر وما على الجندي الذي يقف في ساحة الحرب إلا الإسراع إلى تنفيذها.

(١) محمد عبده: ص ٤٩٣.

(٢) المصدر نفسه: ص ٤٩٦.

(٣) المصدر نفسه: ص ٥٠٢-٥٠٣.

خامساً: إخبارهم بما يجري في البلاد

القائد المثالي هو الذي يصارح الفريق العامل معه بكل ما يجري من الأحداث والتطورات لأن الصراحة هي مفتاح المشاركة الفعالة، بينما اتخاذ موقف الصمت وعدم إعلام الولاة بما يجري سيجعلهم أبعد ما يكونون عن شؤون البلاد، فالصراحة تجعل من الجميع يدأ واحدة، يفكرون مع الحاكم لحل معضلات الدولة، فهو يوجد لديهم الإحساس بالمسؤولية، ولقد قامت سياسية أمير المؤمنين على إخبار ولاته وكبار موظفي الدولة بما يجري من الأحداث، فكان يبعث بالرسائل إلى ولاته يخبرهم بالتطورات، ومن نماذج هذه الرسائل رسالته إلى ابن عباس حول استشهاد محمد بن أبي بكر واستيلاء معاوية على مصر. كتب الإمام:

«أما بعد: فإن مصر قد افتتحت، ومحمد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد، فعند الله نحسبه ولداً صالحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً، وقد كنت حثت الناس على لحاقه وأمرتهم بغياثه قبل الواقعة، ودعوتهم سراً وجهراً وعوداً وبدءاً، فمنهم الآتي كارهاً ومنهم المعتل كاذباً، ومنهم القاعد خاذلاً، أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً، فوالله لو لا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية لا حبيت أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً ولا التقي بهم أبداً»^(١).

وقد انبهر ابن أبي الحديد بفصاحة هذه الرسالة معلقاً عليها بقوله: انظر إلى الفصاحة تعطي هذا الرجل قيادها وتملكه زمامها، واعجب لهذه الألفاظ المنظومة يتلو بعضها بعضاً كيف تواتيه وتطاوعه سلسلة سهلة تتدفق من غير تعسف ولا تكلف، حتى انتهى إلى آخر الفصل فقال: يوماً واحداً ولا التقي بهم أبداً، وأنت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبة جاءت القرائن والفواصل تارة مرفوعة وتارة مجرورة، وتارة منصوبة، فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها في التكلف أثرين وعلامة واضحة، وهذا الصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز في القرآن.

ثم أن فواصل كل واحد منها تنساق سياقه بمقتضى البيان الطبيعي لا الصناعة التكلفية، ثم انظر إلى الصفات والموضوعات في هذا الفصل، كيف قال: «ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً»، ولو قال: ولداً كادحاً وعاملاً ناصحاً، وكذلك ما بعده لما كان صواباً، ولا في الموقع واقعاً^(١).

(٢)

رسائل المناظرة والمحاكمة

وهي الرسائل التي بعثها إلى معاوية وطلحة والزبير، وهي كثيرة جداً نختار منها ما يرتبط بأسلوب المناظرة والمحاكمة، فقد استخدم أمير المؤمنين ﷺ شتى أساليب المناظرة لدفع حجج خصومه، وفيما يلي بعض هذه الأساليب:

أولاً: أسلوب الاستدراج

وهو أن يستدرج الخصم إلى حجة الطرف الآخر من خلال حجة الأصلية، ومثال على ذلك كتاب أمير المؤمنين ﷺ إلى معاوية:

«إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة، ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى»^(٢).

ولما كانت حجة معاوية هي الشورى فقد استدرجه الإمام إلى البيعة التي تمت له والتي جرت ضمن تلك الحجة التي يؤمن بها.

ومن أساليب الاستدراج مطالبته معاوية بالخروج للقتال، كتب له أمير المؤمنين ﷺ:

(١) ابن أبي الحديد: ١٠ / ٤٠٥.

(٢) باب الكتب: رقم ٦.

«وقد دعوت إلى الحرب، فدع الناس جانباً وأخرج إليّ وأعف الفريقين من القتال، ليعلم أينا المرين على قلبه والمغضى على بصرم»^(١).

ثانياً: التهمك والسخرية

وهو من أساليب محاكمة الخصم العنيد الذي لا يفيق إلى عقل أو منطق فلا تنفعه إلا أساليب التهمك والسخرية لتحطيم معنويته.
مثال على ذلك كتابه لمعاوية:

«أما بعد فقد أتنني منك موعظة موصلة ورسالة محيرة، نغقتها بضلالك، وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب أمرئ ليس له بصري يهديه ولا قائد يرشده، قد دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فأتبعه، فهجر لا غطاء وضلّ خابطاً»^(٢).

ثالثاً: الاستدراك

وهو أن يقابل اعتراضات الخصم باعتراضات مثلها توهم قواه، مثلاً على ذلك الاستدراك، كتابه لمعاوية جواباً على رسالته إليه:

«فأما طلبك إليّ الشام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس، وأما قولك: إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت، ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة، ومن أكله الباطل فإلى النار. وأما استواؤنا في الحرب والوجال، فلست بأمضى على الشك مني على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة، وأما قولك: إنا بنو عبد مناف، فكذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا الحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم»^(٣).

رابعاً: رد الحجة على الخصم

وذلك أن تعتمد إلى حجة الخصم وتبين أنها عليه لا له، وقد استخدم أمير المؤمنين

(١) باب الكتب: رقم ١٠.

(٢) باب الكتب: رقم ٧.

(٣) محمد عبده: ص ٥٠٥.

هذا الأسلوب مع معاوية في هذه الرسالة الجوابية على رسالته :

«وذكرت انه ليس لي ولأصحابي إلا السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار.. .
فسيطلبك من تطلب (يقصد السيف) ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مرقلٌ نحوك في
جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتامهم
متسرلين سرايل الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذرية بذرية
وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك» وما هي
من الظالمين ببعيد».

ويذكره الإمام بعلاقته مع عثمان وكيف نصره يوم كان محصوراً بينما خذله
معاوية وطلحة والزبير الذين أخذوا يطالبون بدمه فيما بعد :

«ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه،
فأينا كان أعدى له، وأهدى إلى مقاتله؟ أمّن بذل له نصرتُهُ فاستغفده واستكفهُ، أمّن
استنصره فتراخى عنه وبث المنون إليه حتى أتى قدره عليه؟»^(١).



رسائل التعبئة والتحريض

عندما كان أمير المؤمنين ﷺ يريد تجهيز جيشه لقتال عدوه كان يبعث برسائل التعبئة
والتحريض إلى المناطق الإسلامية المختلفة مناشداً المسلمين الإسراع إلى الامتثال لأمر
الجهاد المقدس، فعند قيام طلحة والزبير ضد أمير المؤمنين ﷺ كتب رسالة إلى أهل
الكوفة جاء فيها :

«من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة، جبهة الأنصار وسمام العرب،
أما بعد: فإني أخبركم، عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه، إن الناس طعنوا
عليه، فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه وأقل عتابه، وكان طلحة والزبير أهون
سيرهما فيه الوجيف، وأرفق حدائهما العنيف، وكان من عائشة فيه فلتة غضب فأتبع
له قوم فقتلوه، وبإيعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين، بل طائعين مخيرين.

واعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها، وقلعوا بها، وجاشت جيش الرجل، وقامت الفتنة على القطب، فأسرعوا إلى أميركم، وبادروا جهاد عدوكم إن شاء الله...»^(١).

وشبه بهذه الرسالة، الرسالة التي بعثها أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها يبتدأ فيها الحديث عن البعثة الشريفة وكيف تنازع المسلمون الأمر من بعده، فيقسم قائلاً: «فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر بباله أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده عليه السلام عن أهل بيته»، ثم يبين لهم أحداث ما بعد وفاته عليه السلام، وموقفه من الأحداث حتى آلت الخلافة إليه ثم الأحداث التي جرت في حياته وأهمها رغبة معاوية في السيطرة على بلاد الإسلام، وعن هذه النقطة كتب: «لكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دُولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً والفاسقين حزباً، فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجلد حداً في الإسلام».

ثم يحثهم للجهاد: «ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت وإلى أمصاركم قد افتتحت وإلى ممالككم تُزوى وإلى بلادكم تُغزى، انفروا - رحمكم الله - إلى قتال عدوكم، ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقرؤا بالخسف، وتبوءوا بالذل، ويكون نصيبكم الأخسر، وإن أخطا الحرب الأرق، ومن نام لم ينم عنه، والسلام».

وكانت هذه الرسائل تبعث بسرعة وتقرأ في المسجد الجامع، وكان في العادة يقرأها على الناس أقربهم إلى الإمام عليه السلام كأحد أبنائه أو أحد أقربائه.

(٤)

رسائل أشبه ما تكون بالبيان السياسي

بعض الرسائل التي كان يعيشها الإمام إلى البلدان كانت أشبه ما تكون بالبيان السياسي فهي متضمنة للموقف والتحليل والرؤية السياسية للأوضاع الجارية في العالم

الاسلامي، كتب إلى أهل البصرة: «وقد كان من انتشار جبلكم، وشقاقكم ما لم تغبوا عنه، فغفوت عن مجرمكم ورفعت السيف عن مدبركم، وقبلت من مقبلكم، فإن خطت بكم الأمور المردية وسفه الآراء الجائرة إلى منابذتي وخلافي، فهذا أنا إذا قد قربت جيادي، ورحلت ركابي، ولئن ألتأتوني إلى المسير إليكم، لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلا كلعقة لاقق، مع أنني عارف لذي الطاعة منكم فضله، ولذي النصيحة حقه، غير متجاوز متهماً إلى بريء ولا ناكثاً إلى وفي»^(١).

وبعث بهذه الرسالة التي هي بمثابة بيان سياسي: «من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه وذهب بحقه، فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والطاعن، فلا معروف يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه».

ثم يكتب لهم بأنه بعث إليهم مالك الأشتر ويطلب منهم طاعته، والمعروف أن هذه الرسالة لم تقرأ على أهل مصر لأن معاوية لم يمهّل وصول مالك الأشتر إلى مصر، وكتب إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين:

«وكان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة لا تستزيدهم في الإيمان بالله، والتصديق برسوله ﷺ، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء، فقلنا تعالوا نداؤ ما لا يدرك اليوم بإطفاء النائرة، وتسكين العامة، حتى يشتد الأمر ويستجمع فنقوى على وضع الحق مواضعه، فقالوا: بل نداؤيه بالمكابرة، فأبوا حتى جنحت الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمست، فلما ضرستنا وإياهم ووضعت مخالبتها فينا وفيهم، أجابوا عند ذلك إلى الذي دعوناهم إليه فأجبناهم إلى ما دعوا، وسارعناهم إلى ما طلبوا حتى استبان عليهم الحجة، وانقطعت منهم المَعذرة، فمن تمّ على ذلك منهم فهو الذي أنقذه الله من الهلكة، ومن لجّ وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على رأسه»^(٢).

(١) محمد عبده: ص ٥٢٤-٥٢٥.

(٢) محمد عبده: ص ٦٠٠-٦٠١.

إذا أعدنا النظر إلى تلك الرسائل لوجدناها مشبعة بتحليل الأحداث والتطورات التي كانت تغلي في البلاد الإسلامية، ومن مسؤولية الإمام والحاكم أن يعطي رؤية واضحة عن تلك الأحداث لئلا تتأثر الأمة بالدعايات المظلمة والأفكار الكاذبة فكانت رسائل الإمام إلى المناطق الإسلامية وبالأخص مناطق التوتر كالבصرة مثلاً هو من هذا القبيل، فهذه الرسالة حملت إلى أبناء الأمة رؤية الإمام - السلطة - للأحداث وما يجب أن يتخذ إزاءها من مواقف، ومما يلاحظ على هذه الرسائل شبهها للأسلوب الخطابي لأن الغاية منها هي مخاطبة الجماهير، وعليه فإن الغاية تجمعها مع الخطب التي تستهدف الأهداف نفسها.

ولو أردنا أن نقارن بين الرسائل والخطب بصورة عامة لوجدنا بعض الفروق الطفيفة منها، ربما في الخطب سنجد بعض التكرار وسنجد بعض الكلمات ذات الرنين المؤثر على آذان المستمع وهذه أمور طبيعية إذ يهتم الخطيب الناجح إلى إقناع السامع بالكلمة والإيقاع والإشارة والحالة أثناء الإلقاء، بينما يهتم الكاتب عند كتابة الرسالة إلى استقامة الأسلوب وإلى النسق المنطقي في تنظيم الأفكار وإلى الأدلة والحجج والبراهين العقلية، لأن السامع يستخدم جميع مشاعره في التفاعل مع الخطيب (السمع والبصر والأحاسيس) بينما في الرسائل ينتهي دور السمع ويكون الدور الرئيسي للعين.



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

الوصايا

هو أسلوب يجمع بين الكلام المباشر والرسائل، ففيه خصائص الكلام المباشر الموجه نحو شخص معين أو جماعة معينة لغاية معينة، وفيه خصائص الرسائل، لأن أكثر الوصايا تلقى لتكتب أو أنها مكتوبة في الأصل. وتقسم الوصايا إلى السياسية والاجتماعية والحرية:



الوصايا السياسية

وهي الوصايا التي تتناول قضايا الدولة، أسلوب الحكم، طريقة التعامل مع الناس، كيفية إدارة دفة البلاد، وتعتمد قوة هذه الوصايا على ما يتحلى به الموصي من بعد نظر وحنكة سياسية وخبرة بنفوس الرعية وطريقة معاملتها، وقد أورد السيد الرضي بعض وصايا أمير المؤمنين (ع) وهي مشتملة على الأنواع الثلاثة المتقدمة، ومنها وصايا السيامية.

من هذه الوصايا وصيته لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج فقال له: «لا تخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً»^(١).

ومن وصاياہ السياسية وصيته قبل شهادته لما ضربه ابن ملجم : «وصيتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئاً ومحمداً ﷺ فلا تضيعوا سنته ، أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ، أنا بالأمس صاحبكم ، واليوم عبرة لكم ، وغداً مفارقكم ، إن أبقيت فأننا ولي دمي ، وإن أفن فالفناء ميعادي وإن أعف فالعفو لي قرية وهو لكم حسنة فاعفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم» .

فالقسم الأول من الوصية تحدد واجبات الإمام والأمة فيما بعد بعدم تضييع السنة وإقامة العمودين وإيقاد المصباحين ، وفي القسم الثاني غلب على الوصية الجانب الأخلاقي والوعظي ، فالوصية مهما كانت سياسية أو عسكرية أو ما شابه ذلك فهي متضمنة لقدر من النصائح الأخلاقية .

ومن الوصايا الإدارية التي تدخل في نطاق الوصايا السياسية ، وصيته لمن بعثه إلى جمع الصدقات ، فقد تضمنت جانباً من التعاليم الإدارية والسياسية بالإضافة إلى جانب من الوصايا الخلقية : «انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ، ولا تروعن مسلماً ولا تجتازنَّ عليه كارهاً ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله ، فإذا قدمت على الحي فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أيأتهم ، ثم امضي إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ، ولا تخرج بالتحية لهم ، ثم تقول : عباد الله أرسلني إليكم ولي الله ، وخليفته ، لآخذ منكم حق الله في أموالكم فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه ؟ فإن قال قائل : لا ، فلا تراجع ، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه ، أو توعدده أو تعسفه ، أو ترهقه ، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة ، فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه» ، ثم يأمره في نهاية الوصية المكتوبة أن يأتيه بهذه الصدقات ليقسمها على المسلمين على كتاب الله وسنة نبيه ، والوصية هذه متضمنة على جملة من التعاليم السياسية والإدارية والتربوية في كيفية التعامل مع الرعية وهي لا تخص عمال الصدقات وإن خصصت لهم بل تشمل جميع موظفي الدولة الذين يباشرون أعمالاً تتعلق بالناس .

(٢)

الوصايا الحربية

وهي الوصايا التي كان يوصي بها أمير المؤمنين قادة جيشه، يعرفهم فيها بأساليب القتال وأخلاقية المقاتل المؤمن، ويصف لهم فنون القتال وفقاً للأصول المتبعة، وهذه الوصايا في العادة غاية في الإيجاز والوضوح لأنها قيلت في ساحة الحرب أو كتبت لقادة موجودين على ساحة الحرب، ومن أهم تلك الوصايا وصيته لمعقل بن قيس الرياحي وكان قائداً على ثلاثة آلاف مقاتل:

«اتق الله الذي لا بد لك من لقائه، ولا تنتهي لك دونه، ولا تقاتلن إلا من قاتلك، وسر البردين وغور بالناس ورقه في السير، ولا تسر أول الليل، فإن الله جعله سكناً، وقدره مقاماً لا ظعنًا، فأرح فيه بدنك، وروح ظهرك، فإذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر، فسر على بركة الله، فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن يتشب الحرب، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري، ولا يحملنكم شأنهم على قتالهم، قبل دُعائهم»^(١).

وعن أخلاقية الحرب وآداب المقاتلين يوصي أمير المؤمنين عسكره قبل لقاء العدو في صفين: «لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم، فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيخوا معوراً ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول، إن كننا لنومر بالكف عنهن، وأنهن لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر، أو الهراوة فيعير بها وعقبه من بعده»^(٢).

وعندما تقوم الحرب كان يراقب سير المعارك ويسد الثغرات فيوصي المقاتلين وصايا

(١) محمد عبده: ص ٥٠١-٥٠٢.

(٢) محمد عبده: ص ٥٠٢.

تفتح لهم أبواب النصر، ومنها وصيته لابنه محمد بن الحنفية، لما أعطاه الراية يوم الجمل، قال له: «تزول الجبال ولا تزل، عض على ناجذك، أعر الله جمجمتك، تد في الأرض قدمك، إرم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك واعلم أن النصر من عند الله سبحانه»^(١).

وبعض وصاياه تبدأ بعبارة (أوصيك، أوصيكم، أو أوصيكما)، وبعضها لا تبدأ بهذه العبارات، وقد أتى السيد الرضي على ذكر بعض الوصايا في باب الخطب ولم يشر إلى أن الكلام هو نفسه وصية، بل اقتصر قائلاً: ومن (كلام له)، أو (قال).

(٣)

الوصايا الاجتماعية

وهي أكثر وصايا أمير المؤمنين ﷺ التي ذكرها السيد الرضي في نهج البلاغة، وهذا النوع من الوصايا تتجه في غاياتها إلى النواحي التربوية والخلقية، وإلى تبصر الموصى له بأداب السلوك الاجتماعي، فتجد فيها حثاً على التمسك بكمال الأخلاق، والتحلي بالسجيا الحميدة، وعلى حسن معاشرته الأخوان، والحذر من رفاق السوء، والصبر على النوائب والتحمل في الشدائد، وضبط النفس عند الغضب وتقدير العلماء وتوقير الكبار وصلوة الرحم، والتعاون والمساواة وما إلى ذلك من قيم اجتماعية وفضائل إسلامية.

ومن أشهر وصايا أمير المؤمنين الاجتماعية وصيته لولده الحسن التي كتبها له بحاضرين عند انصرافه من صفين، والتي تبدأ بذكر دور الآباء في تربية أبنائهم ثم التوصية بالتقوى وعمارة القلب بذكر الله والاعتصام بالقرآن الكريم.

وفي هذه الوصية يضع الإمام أمام ولده الحسن منهاجاً قوياً في بناء الشخصية السوية الفاعلة داخل المجتمع، بناء عقله وروحه وفكره وجسده وعواطفه وأحاسيسه وضميره ووجدانه، ثم يوصي ولده بالتقوى وعمارة القلب بذكر الله سبحانه وتعالى والاعتصام بالقرآن الكريم، لأنها الوسائل الكفيلة ببناء الشخصية السوية.

إنه يشرع المنهج ببناء الذات ثم إقامة الفرائض الدينية، ثم المعايير الاجتماعية التي يجب أن يأخذ بها، ولأنها وصية طويلة لا يمكن أن نذكرها إلا بهذا المقدار ونحيل من يريد المزيد إلى كتاب النهج^(١).

وهناك وصية ثانية لولده الحسن ثم الحسين تتضمن عصارة الفكر الاجتماعي والأخلاقي والإداري لأمير المؤمنين ﷺ:

«أوصيكم بما.. بتقوى الله ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم.. الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم.. الله الله في جيرانكم.. الله الله في القرآن لا يسبقكم في العمل به غيركم، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا، والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألستكم في سبيل الله، وعليكم بالتواصل والتبازل وإياكم والتدابير والتقاطع، لا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً تقولون قتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي»^(٢).

لم تقتصر الوصية على الجوانب الاجتماعية وحسب بل وتضمنت بعض الأفكار السياسية التي تخص إدارة الدولة كالأمن القضائي ومبدأ الاستقرار الاجتماعي، وجهاد الأعداء الخارجين على شرعية الدولة، وتحمل الأمة لمسؤوليتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنها إن تخلت عن هذه المسؤولية فسيحكم في أمور الدولة شرار الناس.

ومن الوصايا الأخلاقية التي كان يوصي بها كبار قادته العسكريين والإداريين هذه الوصية التي أوصى بها شريح بن هاني لما جعله على مقدمته إلى الشام: «اتق الله في كل صباح ومساء، وخف على نفسك الدنيا الغرور، ولا تأمنها على حال، واعلم أنك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروه سمّت بك الأهواء إلى كثير من الضرر، فكن لنفسك مانعاً رادعاً ولنزوتك عند الحفيظة واقماً قامعاً»^(٣).

(١) راجع باب الرسائل: رقم ٢١.

(٢) محمد عبده: ص ٥٦٥-٥٦٦.

(٣) محمد عبده: ص ٥٩٩.

كان ﷺ يوصي رجاله الذين يتولون مناصب مهمة في الدولة وقبل أن يباشروا أعمالهم يوصيهم بوصايا أخلاقية واجتماعية، ومنها وصيته لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه البصرة: «سَعِ الناس بوجهك ومجلسك وحكمك وإياك والغضب، فإنه طيرة من الشيطان، واعلم أن ما قريك من الله، يباعذك من النار وما باعدك من الله، يقريك من النار»^(١).

ومع أن هذه الوصايا تدخل من جهة في الوصايا السياسية، لأنها موجهة لمسؤولين من الدرجة الأولى في الدولة الإسلامية، إلا أن غلبة الناحية الأخلاقية فيها جعلنا نضعها في دائرة الوصايا الاجتماعية، لأن فيها من المشتركات الأخلاقية بالقدر الكافي الذي يضعها في هذه الدائرة.

وبالإضافة إلى الأنواع المتقدمة من الوصايا هناك وصية الموت التي يستحب أن يوصي بها كل مؤمن ليعطي لوارثه الحق في التصرف في أمواله، وقد كتب أمير المؤمنين وصيته بعد منصرفه من صفين، وأوصى ولده البكر الإمام الحسن ﷺ العمل بها، وكتبها على غرار ما تكتب به الوصايا، جاء في أولها:

«هذا ما أقر به عبد الله علي بن أبي طالب في ماله، ابتغاء وجه الله، ليولج به به الجنة ويعطيه به الأمانة، ومنها: وإنه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفق منه في المعروف، فإن حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالأمر بعده، وأصدره مصدره، وإن لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي، وإنني إنما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله، وقربه إلى رسول الله وتكريماً لحرمة وتشريفاً لوصلته... إلى آخره»^(٢).

(١) محمد عبده: رقم ٢١٤ ص ٦٢٢.

(٢) محمد عبده: رقم ٢٦٢ ص ٥١١.

العهد

من عادة الملوك والحكام إذا نصبوا أحداً لولاية بلد يكتبون له عهداً يوضحون فيه ما يجب أن يفعله الوالي أثناء توليته ، وقد أورد السيد الرضي في نهج البلاغة عهدين لأمير المؤمنين (ع) الأول كتبه لمحمد بن أبي بكر عند توليته مصر ، والثاني كتبه لمالك الأشتر عندما ولاه مصر .

فالعهد الأول أتى السيد بجزء منه ، أما الثاني فقد أوردته كاملاً :

العهد : هو مجموعة قواعد أخلاقية وأصول سياسية وإدارية استقهاها أمير المؤمنين (ع) من تجاربه ومعرفته بأحوال الرعية وبمداخل النفس البشرية ، فإذا أخذنا عهده إلى محمد بن أبي بكر لوجدناه قد احتوى على مجموعة كبيرة من الآداب والسنن والقواعد الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها الوالي ، ومنها :

« فأخفض لهم جناحك ، وألن لهم جانبك وأبسط لهم وجهك ، وأسي بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ، ولا يياس الضعفاء من عدلك عليهم فإن الله تعالى يسألكم معشر عباده ، عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة ، والظاهرة والمستورة ، فإن يعذب فأنتم أظلم وإن يعف فهو أكرم » .

لم يحصر الإمام (ع) خطابه لمحمد بن أبي بكر فقط ، بل تطرق إلى ما ينفع أهل مصر ، فوجه لهم الخطاب في المقطع الثاني : « واعلموا - عباد الله - أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وأجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم ، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت فحفظوا من الدنيا

بما حظي به المترفون وأخذوا منها ما أخذوا الجبابرة المتكبرون ، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابع . . » ثم يحذرهم الموت ، ويحذرهم النار ويعد ذلك يبين لمحمد أهمية مصر وما عليه فعله هناك .

أما ولاية العهد الأخرى فهي ولايته لمالك الأشتر وهي بحق أعظم وثيقة سياسية صدرت عن أمير المؤمنين (ع) بل لا نجد لها مثيلاً في جميع أحقاب التاريخ الإسلامي وقد كتب عنها المفكرون والعلماء وأشاد بها السياسيون والإداريون لما تضمنت من قواعد وأساليب في الحكم والإدارة ، وبحق هي دستور يمكن بواسطته إدارة أي بلد من البلدان ، اشتملت على النشاط الاقتصادي والإداري والقضائي ولم تترك شاردة ولا واردة إلا وذكرت فيها .

تضمنت ولاية العهد على نظرية الحكم والإدارة عند أمير المؤمنين (ع) وعلاقة السلطات التنفيذية والقضائية فيما بينها .

وقد اعتمدنا على هذا العهد في كتابنا الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي (ع)، وكتاب دولة الإمام علي (ع) فلمن يريد المزيد من المعلومات فليراجع هذين الكتابين وكتب أخرى كثيرة في هذا المجال ، بقي أن نقف قليلاً عند أسلوب كتابة العهد ، فكتابة العهد لا تختلف كثيراً عن الرسائل والوصايا السياسية في الأسلوب والتركيب البلاغي ، فالصفة الغالبة في ولاية العهد هي غلبة الفكرة على اللفظ بحيث تنساق الألفاظ مع الفكرة وليس العكس ، وهي مقسمة إلى مقاطع وكل مقطع يتناول موضوعاً مستقلاً ، وأهم ما يمكن أن نجده في ولاية العهد التي كتبها لمالك الأشتر براعة أمير المؤمنين في نقل أفكاره وتجاربه وذلك من خلال لفت انتباه مالك الأشتر إلى نقاط حساسة للغاية ربما غير قابلة للاهتمام لو كان الكتاب صادراً من غيره .

مثال على ذلك : يطلب الإمام من مالك الأشتر أن يحدد وقتاً لذوي الحاجة ويجلس لهم مجلساً عاماً ويطلب منه أن يمنع حراسه وشرطته من حضور المكان حتى يستطيع الناس أن يتكلموا بما يريدون بلا خوف ولا وجل : «وتقعد عنهم جنسك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متمتع» .

ويلاحظ أيضاً أن الإمام لم يكتف في عهده بإصدار الأوامر بل يذكر لواليه مالك

الأشتر مبررات تلك الأوامر والنواهي حتى يكون على بينة تامة من أمره مثلاً يقول له : «ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن في ذلك تزهداً لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة ، والزم كلاً منهم ما ألزم نفسه» ، ومثال آخر : «ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور» .

فقد جاء عهدہ لما لك الأشتر مشبعاً بالأفكار ولم يعط مجالاً للتساؤل والاستفهام ، والسبب في ذلك أن الكتاب موجه إلى والي من ولاته ومن ستناط به مسؤولية إدارة دولة واسعة وكبيرة فكان لا بد أن يكون مسلحاً بكل ما يحتاج إليه من أفكار وأساليب لإدارة دقة الأمور .



مركز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الأحلاف

من بين الأدوار المهمة التي قام بها أمير المؤمنين ﷺ إنهاء الصراع المرير بين أهل اليمن وربيعة وإبرام اتفاقية حلف بين الطرفين تنتهي بموجبها المشاكل العالقة بينهما، وتؤكد فيها على دعوتهم الواحدة وتضع حداً للتأثيرات العاطفية والشارت القديمة، وتجعل من الطرفين يداً واحدة تتصدى لعوامل التخريب والتفرقة التي قد تعمل لتفتيت أواصر الوحدة والتعاون بين الفريقين، وهذا هو نص الحلف الذي كتبه أمير المؤمنين بن ربيعة واليمن:

«هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وبآديها، وربيعة حاضرها وبآديها، أنهم على كتاب الله يدعون إليه ويأمرون به، ويجيبون من دعا إليه وأقر به، لا يشتركون به ثمناً، ولا يرضون به بدلاً، وإنهم يدّواحدة على من خالف ذلك وتركه، أنصار بعضهم لبعض، دعوتهم واحدة لا يتقضون عهدهم لمعتبة عاتب، ولا لغضب غاضب، ولا لاستدلال قوم قوماً، ولا لمسبة قوم قوماً، على ذلك شاهدتهم، وغائبهم وحليمهم وسفيهم وعالمهم وجاهلهم، ثم إن عليهم بذلك عهد الله، وميثاقه، إن عهد الله كان مسؤولاً، وكتب علي بن أبي طالب»^(١).

ومن يقيس هذا الحلف على بقية الأحلاف المبرمة بين القبائل يجد فيه حلاوة الأسلوب وجمال البيان وعظمة المعنى، ففي هذا الحلف تجد نسمات أمير المؤمنين ﷺ ورائحته الزكية وأفكاره الهادية وهي تطفح في كل كلمة قالها أو كتبها، تجد في هذا

النص الدعوة إلى التوحيد وإلى نبذ الخلافات وإلى تجاوز المحن والمشكلات وإلى الارتفاع لمستوى الشعور بالمسؤولية وإلى التوافق حول محور التوحيد، وهي القيم والأهداف التي تجدها في خطبه ورسائله ووصاياه وفي كل كلمة من كلماته.



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

الدعاء

أورد السيد الرضي عدداً من الأدعية التي دعا بها في مناسبات مختلفة، ولم يورد عدداً آخر موجودة في الكتب الأخرى، بالأخص كتب الأدعية، وربما أورد بعض الأدعية وكتب فوقها من كلام له، أو (وكان يقول) أو ما شابه ذلك.

وإذا دققنا في أدعية الإمام لوجدناها تمتاز بخصائص بلاغة الإمام عليه السلام ومطبوعة بأسلوبه وبيانه، فحتى دعاء الإمام عليه السلام هو استثناء، لأنه يتصف بخصائصه وبلاغته، وهذا رمز عظمة الإمام عليه السلام الذي حافظ على مستواه البلاغي في كل ما قاله وكتبه وتفوه به سواء في الخطابة أو الكلام أو الدعاء، تمتاز أدعية الإمام عليه السلام بأنها مصبوغة بصيغة روحانية قلما تجدها في الأدعية الأخرى، كذلك تجدها مصبوغة بصيغة بلاغية قلما تجدها في الأدعية الأخرى أيضاً.

قد سكب الإمام عليه السلام من روحانيته أقصى ما يستطيع من التعابير الأدبية التي تظهر الخشوع والتذلل والخضوع لله سبحانه وتعالى، فلتأمل هذا الدعاء:

«اللهم صن وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالإقتار فاسترزق طالبي رزقك واستعطف سرار خلقك، أبتلي بحمد من أعطاني، وأفتن بدم من منعني، وأنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء والمنع، إنك على كل شيء قدير».

وهناك دعاء كان يدعو به عند لقاء العدو:

«اللهم إليك أفضت القلوب ومدت الأعناق، وشخصت الأبصار، ونقلت الأقدام، وانضيت الأبدان، اللهم قد صرح مكنون الشنآن وجاشت مراجل الأضغان،

اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت أهوائنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الفاتحين».

وفي بعض أدعيته نلتقي بهذه العبارات البليغة: «أصبحت عبداً مملوكاً ظالماً لنفسي، لك الحجة علي ولا حجة لي، لا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني، ولا أتقي إلا ما وقيتني، اللهم إني أعوذ بك أن أفقر في غناك، أو أضل في هداك، أو أضام في سلطانتك أو اضطهد والأمر لك»^(١)، ففي تلك الكلمات نلتقي برقة القلب وجمال اللفظ، وبالكلمات المغموسة في بحر العواطف الجياشة والمسبوكة بسبائك الأدب والبلاغة، فهذا أمير المؤمنين في قوله وفعله، وكيف لا يكون كذلك في دعائه وهو يخاطب فيه رب العالمين الذي انعم عليه بكل شيء، أنعم عليه بالقلب المشيع بالإيمان وباللسان المفعم بالبيان، فكيف لا يشكره بذلك القلب المؤمن وبذلك اللسان البليغ.



مركز تحقيقات علوم اسلامی

الحكم والمواعظ والكلام القصير

أكثر ما ورد من الحكم والمواعظ والكلام القصير - الذي خصص له السيد الرضي باباً مستقلاً - هو أجزاء مقتطعة من الخطب والرسائل والكلام، فكلما وجد السيد عبارة جميلة في خطبة من الخطب اقتطعها وجعلها في هذا الباب ليعطيها مكاناً مستقلاً على أمل أن تجد طريقها للحفظ واستخدام الأدباء والشعراء، وفعلاً صدق ظن السيد الرضي فالكثير من تلك الحكم والمواعظ دخلت عالم الأدب من أوسع أبوابه، فقد تحولت إلى أبيات شعرية على لسان كبار الشعراء كالمتنبي وأبي تمام وأبي العتاهية والطغرائي، واستشهد بها شعراً ونثراً العظماء وجرت على لسان حكام وخلفاء وشخصيات كآبي جعفر المنصور وعبد الملك بن مروان وحسن البصري، فقد اتخذ السيد الرضي منهجاً مناسباً في ذلك الوقت هو استخراج العبارات المناسبة وإعطائها هالة من الاستقلالية، وربما قسم خطبة من الخطب إلى أكثر من مائة كلمة قصيرة كخطبة الوسيلة التي وجد نفسه بعدها مستغنياً عنها لأنه لم يترك منها شيئاً إلا وقطعه إلى أجزاء وكلمات قصار فلم يأت على ذكر الخطبة في نهج البلاغة.

وربما كان هذا المنهج على حساب فقدان الخطبة لنسيجها المنطقي في المعنى، أو إعطاء الحكم معاني لم يقصدها الإمام مثال ذلك: ورد في باب الحكم والمواعظ هذه الحكمة: «غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان»، وهذه العبارة اقتطعها السيد الرضي من وصية الإمام أمير المؤمنين إلى ولده الحسن، وإذا أرجعناها إلى مكانها لكان لها معنى

آخر غير المعنى الذي ذهب إليه شراح نهج البلاغة : فمكان هذه العبارة من الخطبة هو : «واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن فإن شدة الحجاب أبقي عليهن ، وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن ، وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فأفعل فإن غيرة المرأة كفرٌ وغيرة الرجل إيمان» ، فمعناها وهي في داخل النص الأصلي يختلف عن معناها وهي مستقلة ، لقد حرص السيد الرضوي أن يهتم بالجانب الأدبي ، وكان يريد بهذه الطريقة أن يوصل كلمات أمير المؤمنين إلى المحافل الأدبية ، وربما كانت بعض هذه الكلمات القصار من حكم ومواعظ أمير المؤمنين ﷺ تدور على السنة الناس فجمعها السيد الرضوي بكلمات مستقلة بينما هي أجزاء من خطب لم يكن من السهل حفظها بأجمعها ، أي أن التقطيع من عمل عليه وليس من عمله .

وهكذا فإن أكبر الحكم والمواعظ ما هي إلا أجزاء من الخطب والرسائل وإذا أردنا شرحها واستخراج معانيها فلا بد من إعادتها إلى جذورها الأصلية قبل أن ننظر إليها نظرة مستقلة .



مركز تحقيقات علوم اسلامی



مركز تحقيقات كچويز علوم اسلامی

نهمج البلاغة بين التوثيق والتشكيك



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تمهيد

كثر المشككون في نهج البلاغة ، وأحد أسباب التشكيك هو فقدان السند الرجالي فيه فقد استغل البعض هذا النقص للطعن في إسناد نهج البلاغة لأمير المؤمنين (ع) ، من هنا كان الموضوع يدور في محورين اثنين ، الأول : في رواة نهج البلاغة والمحور الثاني في المشككين ومواطن شكهم .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

رواية نهج البلاغة

لم يعتن السيد الرضوي بذكر رواية الخطب والرسائل التي أوردها عن أمير المؤمنين في كتابه نهج البلاغة إلا القليل جداً حيث حاول أن يرجع بعض النصوص إلى مصادرها الأصلية ككتاب البيان والتبيين للجاحظ، والمقتضب للمبرد وكتاب المغازي لسعيد بن يحيى الأموي، وكتاب الجمل للواقدي، والمقامات في مناقب أمير المؤمنين لأبي جعفر الإسكافي، وتاريخ ابن جرير للطبري، وحكاية أبي جعفر محمد بن علي الباقر، ورواية اليماني عن أحمد بن قتيبة، ورواية ابن جحيفة، ورواية ثعلب عن ابن الأعرابي، فبغير هذه الموارد المحدودة لم يذكر المصادر ولا الشيوخ، وربما كان السبب وراء ذلك هو ما يتوخاه من الكتاب، وهو أن يكون كتاباً أدبياً على غرار الكتب الأدبية كـ(البيان والتبيين) للجاحظ والعقد الفريد لابن عبد ربه والكامل للمبرد، فهذه الكتب لم تتضمن على شيوخ الحديث مع كثرة ما ورد فيها من النصوص الشعرية والأدبية. وقد أعطى إهمال السيد الرضوي لشيوخ الحديث الفرصة لنزوي القلوب المريضة بإثارة شبهة أن النهج هو من تأليف الرضوي ولا نسبة له للإمام أمير المؤمنين (ع). ومنذ أن أثار ابن خلكان وغيره هذه الشبهة وهناك محاولات جارية لإرجاع كل كلام أو خطبة لأمير المؤمنين إلى أصله، وكتبت دراسات شافية وعديدة في هذا المضمار، لكن تأت هذه الدراسات على شكل ظاهرة أدبية في تاريخنا الإسلامي وهي أن جمعاً من المحدثين كانوا يضعون في أولوية عملهم رواية الأحاديث عن أمير المؤمنين والبعض منهم جمع خطب أمير المؤمنين في مجموعة واحدة.

وقد ارتأينا أن ندخل في بحث سندية نهج البلاغة من هذه الزاوية لتتعرف على شيوخ الحديث، ومقدار وثافتهم وصدقهم، ومن ثم ما نقلوه من خطب أمير المؤمنين وكلماته، فهذا المنهج يوصلنا إلى الهدف بصورة أسرع وهو إثبات أن نهج البلاغة لأمر المؤمنين، كما وإنه يكفل لنا معرفة الرعيل الأول الذي قام بجمع كلمات أمير المؤمنين قبل السيد الرضي.

(١)

الرواة من أصحاب أمير المؤمنين

(١) الأصبغ بن نباتة التميمي المجاشعي :

كان من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وشهد معه صفين، وكان على شرطة الخميس، وكان شاعراً، وعده البرقي في رجاله من أصحاب علي عليه السلام من اليمن، وقال الشيخ في رجاله في أصحاب علي عليه السلام ^(١) وذكر النجاشي: وقد عمر بعد أمير المؤمنين، روى عنه عهد الأشر ووحيته إلى ابنه محمد، أخبرنا ابن الجندي عن علي بن همام عن الحميري عن هارون بن مسلم عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة بالعهد، وأخبرنا عبد السلام بن الحسين الأديب بن أبي بكر الدوري عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج عن جعفر بن محمد الحسيني عن علي عبدك عن الحسن بن طريف عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الأصبغ بالوصية ^(٢).

وقال عنه الخوئي: هو من المتقدمين من سلفنا الصالح ^(٣). وللأصبغ بن نباتة كتاب باسم (عجائب أحكام أمير المؤمنين عليه السلام) رواية محمد بن علي بن إبراهيم بن هشام عن أبيه علي بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم بن هاشم عن محمد بن الوليد عن محمد بن الفرات عن أصبغ بن نباتة، وكان الكتاب موجوداً حتى القرن الخامس الهجري، ذكره

(١) رجال الطوسي: ص ٢٤.

(٢) رجال النجاشي: ص ٦٩.

(٣) معجم رجال الحديث: ٢ / ٢١٩.

نصر بن مزاحم في كتابه (صفين): كان الأصمغ شيخاً ناسكاً عابداً وكان إذا لقي القوم بعضهم بعضاً بصفين يغمد سيفه وكان من ذخائر علي عليه السلام ممن قد بايعه على الموت، وكان من فرسان أهل العراق، وكان علي يضمن به على الحرب والقتال^(١).

وفي طبقات ابن سعد: الأصمغ بن نباته بن الحارث بن عمرو بن قاتك بن أهام بن مجاشع بن دارم من بني تميم، روى عن علي وكان من أصحابه، وعده ابن حجر في الطبقة الثالثة^(٢).

وفي تهذيب التهذيب: أصمغ بن نباته التميمي ثم الحنظلي أبو القاسم الكوفي، روى عنه سعد بن طريف والجلح وثابت وفطر بن خليفة محمد بن السائب وغيرهم قال جرير: كان مغيرة لا يعبا بحديثه وقال عمرو بن علي ما سمعت عبد الرحمن ولا يحيى حدثا عنه بشيء، وقال يونس بن أبي إسحاق كان أبي لا يعرض به وقال أبو بكر بن عياش: الأصمغ بن نباته وهشيم من الكذابين، وقال ابن معين ليس يساوي حديثه شيئاً، ليس بثقة، ليس حديثه بشيء.

وقال النسائي: متروك الحديث ليس بثقة، وقال أبو حاتم: لين الحديث، وقال العقيلي: كان يقول بالرجعة، وقال ابن حبان: فتن بحب علي فأتى بالطامات فاستحق الترك، وقال الدارقطني: منكر الحديث وقال ابن عدي: عامة ما يرويه عن علي لا يتابعه عليه أحد وهو بين الضعف وإذا حدث عنه ثقة فهو عندي لا بأس بروايته وإنما أتى الإنكار من جهة من روى عنه، وقال العجلي تابعي ثقة روى له ابن ماجه حديثاً واحداً في الحجامة^(٣).

تبين من موقف البعض أنهم يقدحون في أحاديثه بسبب حبه لأمير المؤمنين عليه السلام وهو موقف لا يعتد به بل هو دليل على وثاقته وصلاحيته وقد روى عن أمير المؤمنين ما يلي: عهد الإمام إلى مالك الأشر:

وقد روى عهده إلى الأشر المذكور في نهج البلاغة برقم ٥٣، ذكره النجاشي في

(١) نصر بن مزاحم: صفين ص ٤٤٢.

(٢) تقريب التهذيب: ١ / ٨١.

(٣) تهذيب التهذيب: ١ / ٣٦٣ رقم ٦٥٨.

فهرسه مسنداً: أخبرنا ابن الجندي عن علي بن همام عن الحميري عن هارون بن مسلم عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباته، وكان من خاصة أمير المؤمنين وعمر بعده وروى عنه عهد الأشر^(١).

وصية الإمام إلى محمد بن الحنفية:

أورد السيد ابن طاووس وصية الإمام إلى ولده محمد برواية: جعفر بن محمد الحسني قال: حدثنا الحسن بن عبدل قال: حدثنا الحسن بن ظريف بن ناصح عن الحسن بن علوان عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباته المجاشعي، قال: كتب أمير المؤمنين إلى ابنه محمد: «واعلم يا ولدي محمد ضاعف الله جل جلاله عنايته بك..» إلى آخر الوصية^(٢).

للمؤمن ثلاث ساعات:

أوردها البرقي بسنده عن الأصبغ بن نباته^(٣): «الحمد لله ولي الحمد ومتهى الكرم».

رواها الكليني مسنداً إياها إلى الأصبغ بن نباته برواية علي ابن إبراهيم عن أبيه ومحمد بن علي جميعاً عن إسماعيل بن مهران، وأحمد بن محمد بن أحمد، عن علي ابن الحسن التميمي، وعلي بن الحسين عن أحمد بن محمد بن خالد جميعاً عن إسماعيل بن مهران عن المنذر بن جيفر عن الحكم بن ظهير عن عبد الله بن جرير العبدي عن الأصبغ بن نباته^(٤).

الصدق أمانة:

رواها الصدوق مسنداً إياها إلى الأصبغ بن نباته برواية أبيه عن محمد بن يحيى العطار وأحمد بن إدريس عن سهل عن محمد بن الحسن الزيات عن عمرو بن عثمان الخزاز عن ثابت بن دينار عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباته^(٥).

(١) رجال النجاشي: ص ٦٩.

(٢) كشف المحجة لثمرة المهجة: فصل ١٥٤ ص ١٥٧.

(٣) المحاسن: ص ٣٤٥.

(٤) الكليني: الروضة رقم ٥٨٦.

(٥) الصدوق: الخصال ٢ / ٩٤.

والله ما معاوية بأدهى مني:

أسنده الكليني في الكافي بسندين هما الإمام الصادق والأصمغ بن نباته^(١).

(٢) جابر بن عبد الله الأنصاري (توفي سنة ٧٨هـ) :

جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري، يكنى أبا عبد الله صحابي ذائع الصيت^(٢)، عمر طويلاً، وكان مع أبيه في تلك الليلة التاريخية المصيرية التي عاهد فيها أهل يثرب رسول الله ﷺ في بيعة العقبة الثانية، كان محباً لأهل البيت، شهد مع أمير المؤمنين صفين، ذكره الشيخ الطوسي في رجال الرسول قائلاً: جابر بن عبد الله الأنصاري المدني العربي الخزرجي، نزل المدينة وشهد بدرًا وثمانية عشرة غزوة مع النبي ﷺ، مات سنة ٧٨، وذكره أيضاً في أصحاب علي عليه السلام وذكره في أصحاب الحسن والحسين وعلي بن الحسين، والباقر عليه السلام.

قال الفضل بن شاذان في حقه: إنه من السابقين الذين رجعوا إلى آل البيت، وقال ابن عقده: إن جابر بن عبد الله منقطع إلى أهل البيت، وروى مدحه عن محمد بن مفضل عن محمد بن سنان عن حرير عن الصادق عليه السلام، وذكر الكشي في رجاله: حدثنا أيوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن عاصم بن حميد عن معاوية بن عمار عن أبي الزبير المكي، قال: سألت جابر بن عبد الله فقلت: أخبرني أي رجل كان علي بن أبي طالب؟ قال: فرغ حاجبيه عن عينيه وقد كان سقط على عينيه قال: فقال: ذلك خير البشر أما والله إن كنا لتعرف المتأفقين على عهد رسول الله ﷺ يفضهم إياه^(٣).

وكان جابر يتوكأ على عصاه وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم ويقول: علي خير البشر فمن أبى فقد كفر، معاشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي فمن أبى فلينظر في شأن أمه.

أما الرواية إليه ومنه فقد ورد في (تهذيب التهذيب) أنه روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر وعلي وأبي عبيدة وطلحة ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وخالد بن

(١) الكليني: الكافي ٢ / ٢٣٦-٢٣٨.

(٢) رجال الطوسي: ص ٣٧.

(٣) رجال الكشي: ص ١٨٢.

الوليد وأبي بردة بن نيار وأبي قتادة وأبي هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن أنيس وأبي حميد الساعدي وأم شريك وأم مالك وأم مبشر من الصحابة وأم كلثوم بنت أبي بكر وهي من التابعين ، روى عنه أولاده عبد الرحمن وعقيل ومحمد وسعيد بن المسيب ومحمود بن ليبيد وأبو الزبير وعمرو بن دينار وأبو جعفر الباقر وابن عمه محمد بن عمر بن الحسن ومحمد بن المنكدر وأبو نصره العبدي ووهب بن كيسان وسعيد بن ميناء والحسن بن محمد بن الحنفية وسعيد بن الحارث وسالم بن أبي الجعد وأيمن الحبشي والحسن البصري وأبو صالح السمان وسعيد بن أبي هلال وسليمان بن عتيق وعاصم بن عمر بن قتادة والشعبي وعبد الله وعبد الرحمن إبننا كعب بن مالك وأبو عبد الرحمن الحبلي وعبيد الله بن مقسم وعطاء بن أبي رباح وعروة بن الزبير ومجاهد والقعقاع بن حكيم وزيد الفقير واسمه سلمة بن عبد الرحمن وخلق كثير^(١).

وكان رضوان الله عليه قوياً في دينه ، شجاعاً أبي الضيم ذا نفس عالية ، يذكر المسعودي في مروج الذهب إنه قدم على معاوية بدمشق فلم يأذن له أياماً فلما إذن له قال : يا معاوية أما سمعت رسول الله يقول : من حجب ذا فاقة وحاجة حجه الله يوم فاقته وحاجته . فغضب معاوية وقال : لقد سمعته يقول لكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تردوا علي الخوض أفلا صبرت ، قال : ذكرتني ما نسيت ، وخرج فاستوى على راحلته ومضى فوجه إليه معاوية بستمائة دينار فردها وكتب إليه :

إني لأختار القنوع على الغنى وفي الناس من يقضي عليه ولا يقضي

وألبس أثواب الحياء وقد أرى مكان الغنى لا أن أهين له عرضي

وقال لرسوله : قل له والله يا ابن آكلة الأكباد لا وجد في صحيفتك حسنة أنا سببها أبداً^(٢).

ولأن جابر الأنصاري عمّر طويلاً فكان من أكثر من روى الأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام وقد روى الكثير من خطب وكلمات أمير المؤمنين بصورة مباشرة أو بواسطة أحد الأئمة عليهم السلام ، ومما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام :

(١) تهذيب التهذيب: ٢ / ٤٤ ، رقم ٦٧.

(٢) مروج الذهب: ٣ / ١٢٢.

أما بعد فقد جعل الله تعالى عليكم حقاً:

وهي إحدى خطب الإمام في صفين أوردها الكليني برواية عن علي بن الحسن المؤدب عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، وأحمد بن محمد بن علي بن الحسن التميمي عن إسماعيل بن مهران قال: حدثني عبد الله بن الحارث عن جابر عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) (ذكر الخطبة) (١).

الحمد لله الخافض:

أوردها الكليني عن علي بن الحسين المؤدب وغيره وعن أحمد بن محمد بن خالد عن إسماعيل بن مهران عن عبد الله بن أبي الحارث الهمداني عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن أبي جعفر (عليه السلام) (٢).

أيها الذام الدنيا:

أوردها الطوسي في الامالي عن جماعة عن أبي الفضل عن محمد بن جعفر الرزان عن أيوب بن نوح عن الشارب بن ذراع عن أخيه يسار عن محمد بن عبد الله عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: بينما أمير المؤمنين في جماعة من أصحابه أنا فيهم إذ ذكروا الدنيا وتصرفها بأهلها فذمها رجل، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أيها الذام الدنيا» (٣)، ذكرها السيد الرضي في باب الحكم والمواعظ برقم (١٣١).

قد استطعموكم القتال:

أوردها نصر بن مزاحم برواية عمرو بن شمر عن جابر بن عبد الله الأنصاري (٤)، ذكرها السيد الرضي في باب الخطب برقم (٥١)، وكلام رواء جابر بن عبد الله الأنصاري بصورة مباشرة فهو كان حاضراً في صفين وسمع هذه المقالة عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

(١) الكليني: الروضة رقم ٥٥٠، ذكرها السيد الرضي في باب الخطب برقم ٢٦.

(٢) الكليني: الروضة رقم ١٩٣.

(٣) الطوسي: الامالي ٢٠٧/٢.

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ١٩٥.

قوام الدين والدنيا بأربعة:

أوردها الصدوق في الخصال بسنده عن شجاع بن وادعة صاحب جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: حدثني جابر، قال: دخلت على أمير المؤمنين لاعوده في بعض علقه فلما نظر إليّ قال: يا جابر بن عبد الله قوام الدين والدنيا بأربعة، عالمٌ مستعملٌ علمه، وجاهلٌ لا يستنكف أن يتعلم، وجوادٌ لا ييخل بمعروفه، وفقيرٌ لا يبيع آخرته بدنياه^(١). وأسند السيد الرضي الكلام إلى جابر بن عبد الله الأنصاري أيضاً^(٢).

(٣) جندب بن عبد الله الأزدي (توفي سنة ٦٠-٦١هـ):

هو جندب بن كعب بن عبد الله الأزدي الغامدي، ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول ﷺ تارة بعنوان بن عبد الله بن سفيان البجلي العلقمي قال، ويقال جندب الخير وجندب العارف^(٣) وهو أحد شيوخ الحديث روى عنه من أهل البصرة الحسن بن أبي الحسين ومحمد بن سيرين وأنس بن سيرين وأبو السوار العدوي ويكر بن عبد الله المدني ويونس بن جبير الباهلي وصفوان بن محرز المازني وأبو عمران الجوني، وروى عنه من أهل الكوفة عبد الملك بن عمير والأسود بن قيس وسلسلة بن كهيل وله رواية عن أبي بن كعب وحذيفة^(٤).

وقد نفى إلى الشام ومعه مالك الأشتر ورجال آخرون، لأنهم كانوا يذكرون مساوئ عثمان ومثالبه، وحضر جندب حروب الإمام أمير المؤمنين كلها.

وروى المفيد عن جندب بن عبد الله قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالمدينة بعد بيعة الناس لعثمان، فوجدته مطرقاً كئيباً، فقلت له: ما أصاب قومك، قال: صبرٌ جميلٌ، فقلت له: سبحان الله! والله إنك لصبور! قال: فأصنع ماذا؟ فقلت: تقوم في الناس وتدعوهم إلى نفسك، وتخبرهم أنك أولى الناس بالنبي ﷺ بالفضل والسابقة، وتسألهم النصر على هؤلاء المتماثلين عليك، فإن أجابك عشرة من مائة شددت بالعشرة

(١) الخصال: ٩١ / ١.

(٢) انظر باب الحكم والمواعظ: برقم ٣٧٢.

(٣) رجال الطوسي: ص ٣٧.

(٤) الاستيعاب: ١ / ٣٢٥-٣٤٧.

على المائة ، فإن دانوا لك كان ذلك على ما أحببت ، وإن أبوا قاتلهم ، فإن ظهرت عليهم فهو سلطان الله الذي أتاه نبيه ﷺ ، وكنت أولى به منهم ، وإن قتلت في طلبه قتلت شهيداً ، وكنت أولى بالعدل عند الله ، وأحق بميراث رسول الله ﷺ .

فقال : أترأى يا جندب ييايعني عشرة من مائة ؟

قلت : أرجو ذلك .

قال : لكنني لا أرجو ولا من كل مائة اثنين ، وسأخبرك من أين ذلك ، إنما ينظر الناس إلى قريش وإن قريشاً تقول : إن آل محمد يرون لهم فضلاً على سائر الناس ، وإنهم أولياء الأمردون قريش ، وإنهم إن ولوه لم يخرج منهم هذا السلطان إلى أحد أبداً ومتى كان في غيرهم تداولتموه بينكم ولا والله لا تدفع قريش إلينا هذا السلطان طائعين أبداً .

قال : فقلت له : ألا أرجع فأخبر الناس بمقالتك هذه وأدعوهم إليك ، فقال لي : يا جندب ليس هذا زمان ذاك ، قال : فرجعت بعد ذلك إلى العراق ، فكنت كلما ذكرت للناس شيئاً من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ ومناقبه وحقوقه زيروني ونهروني ، حتى رفع ذلك من قلبي إلى الوليد بن عقبة فبعث إلي فحسني حتى كُلم في ، فخلني سبيلي^(١) .

روى عنه الطبري عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه قال : ما رأيت علياً غلس بالصلاة أشد من تغليسه يومئذ ، ثم خرج بالناس إلى أهل الشام فزحف إليهم فكان يبدأهم فيسير إليهم فإذا رأوه قد زحف استقبلوه بوجههم^(٢) . وقد روى جندب بن عبد الله العديد من خطب ورسائل أمير المؤمنين ﷺ منها رسالته إلى أصحابه بعد مقتل محمد بن أبي بكر .

رواها الثقيفي عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه جندب قال : دخل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي وحبّة العرني والحارث الأعور وعبد الله بن سبأ على أمير

(١) المفيد: الإرشاد ١ / ٢٤١ .

(٢) الطبري: ٤ / ١٠ .

المؤمنين ﷺ بعدما افتتحت مصر وهو مغمووم حزين فقالوا له : بين لنا ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال لهم علي ﷺ : «وهل فرغتم لهذا؟ وهذه مصر قد افتتحت ، وشيعتي بها قد قتلت؟ أنا مخرج إليكم كتاباً أخبركم فيه عما سألتهم ، وسألتكم أن تحفظوا من حقي ما ضيعتم فأقرءوه على شيعتي وكونوا على الحق أعواناً ، وهذه نسخة الكتاب : من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين ، السلام عليكم ، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله بعث محمداً ﷺ نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل»^(١).

٤) ربيعة بن ناجد :

ذكره الطوسي في (رجال أمير المؤمنين) : ربيعة بن ناجد الأسدي الأزدي عربي كوفي^(٢) وفي تهذيب التهذيب عدّه ابن حيان من الثقة^(٣).

روى عن علي وابن مسعود وعبادة بن الصامت ، وروى عنه أخوه أبو الصادق ، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ، وروى عنه خطبة الجهاد بسنده عن أبي صادق عن ربيعة ابن ناجد ، قال : خطبنا علي بالأبواب فقال : «أيها الناس إن الجهاد باب من أبواب الجنة»^(٤).

وروى الطبرسي كلام أمير المؤمنين ﷺ «لتعطفن الدنيا علينا» بسند متصل إلى ربيعة بن ناجد^(٥).

٥) زيد بن صوحان (شهادته ٥٣٦هـ) :

زيد بن صوحان بن حجر العبدي أخو صعصعة وسيحان ، كان خطيباً مصقفاً وشجاعاً ثابت الخطى ، وكان من العظماء والزهاد والأبدال ، ومن أصحاب أمير

(١) الفارات: ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢) الطوسي: الرجال ص ٤٢.

(٣) تهذيب التهذيب: ٢ / ٦٦٣.

(٤) تاريخ بغداد: ٨ / ١١٥.

(٥) جمع البيان: ٧ / ٢٣٧.

المؤمنين ﷺ الأوفياء، ذكره الشيخ الطوسي في أصحاب أمير المؤمنين^(١)، استشهد يوم الجمل سنة ٣٦هـ.

وفي الاستيعاب كان مسلماً على عهد النبي ﷺ ولا نعلم له عن النبي رواية وإنما يروي عن عمر وعلي، روى عنه أبو وائل، وذكره محمد بن السائب الكلبي عن أشياخه في تسمية من شهد الجمل، فقال: زيد بن صوحان العبدي، كان قد أدرك النبي ﷺ وصحبه^(٢)، وهو محمود من الفريقين، ذكره اليافعي: وعن قتل يوم الجمل زيد بن صوحان وكان من سادة التابعين صوآمياً وقوآمياً^(٣).

وفي شذرات الذهب في حوادث سنة ٣٦هـ: قتل يومئذ زيد بن صوحان من خواص علي من الصلحاء الأتقياء^(٤).

وذكره ابن الأثير في حوادث سنة ٣٦: قيل إن عدد من سار من الكوفة (لنصرة أمير المؤمنين ﷺ يوم الجمل) اثنا عشر ألف رجل ورجل ثم ذكر رؤساء الجماعة من الكوفيين ورؤساء النصارى وعد من رؤساء النصارى زيد بن صوحان^(٥).

ووصفه عقيل بن أبي طالب عند معاوية بن أبي سفيان لما سأله وصف آل صوحان وجمع معه أخاه عبد الله فقال: وأما زيد وعبد الله فإنهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان. رجلاً جداً لا لعب معه، ووصف زيدا أخوه صعباً لما قال له ابن عباس فأين أخواك منك - زيد وعبد الله - صفهما لا عرف ورثكم قال:

إذا نال خلان الكرام شحوبُ	أما زيد لا يبالي أن يكون بوجهه
فلم ينطقوا العوراء وهو قريب	إذا ما تراها الرجال تحفظوا
إليه ويدعوه الندى فيجيب	حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
إذا لم يكن في المنقيات حلوب	بيت الندى يا أم عمرو ضجيعه

(١) رجال الطوسي: ص ٤٠.

(٢) الاستيعاب: ٢ / ١٢٥ / ٨٧٥.

(٣) الطبري: ٤ / ١٠ حوادث: ٣٧.

(٤) مرآة الجنان: ١ / ٩٩.

(٥) شذرات الذهب: ١ / ٤٤.

كان بيوت الحي ما لم يكن بها بسائس ما يلعن بهن غريب

كان والله يا ابن عباس عظيم المروة شريف الاخوة جليل الخطر بعيد الأثر كمش العروة أليف البدوة سليم جوانح الصدر قليل وساوس الدهر ذا كراً لله طرفي النهار وزلفاً من الليل، الجوع والشبع عنده سيان لا ينافس في الدنيا، وأقل أصحابه من ينافس فيها، يطيل السكوت ويحفظ الكلام وإن نطق نطق بمقام، يهرب منه الدعار الأشرار ويألفه الأحرار الأخيار. فقال ابن عباس: ما ظنك برجلٍ من أهل الجنة، رحم الله زيدا^(١).

وكان رسول الله ﷺ، يذكره بخير، ويقول: من سره أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان^(٢).

وكان يقول له سلمان يوم الجمعة: قم فذكر قومك، وكان سلمان يقول وهو أمير في المدائن: أمرنا أن لا نؤمكم، تقدم يا زيد، فكان زيد بن صوحان يؤمنا ويخطبنا^(٣). وأورد ابن سعد رواية عن إبراهيم، كان زيد بن صوحان يحدث، فقال أعرابي: إن حديثك ليعجبني وإن يدك لتريني. فقال: أوما تراها الشمال؟، فقال: والله ما أدري اليمين يقطعون أم الشمال. *مركز تحقيق كتب علوم الحديث* فقال زيد: صدق الله ﴿الْأَغْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾^(٤) وقد روى زيد بن صوحان الكثير من أقوال أمير المؤمنين عليه السلام منها:

فصدع بما أمر به:

روى ابن أبي الحديد: عن أبي مخنف عن زيد بن صوحان، قال: شهدت علياً عليه السلام بذي قار وهو معتم بعمامة سوداء ملتف بساج يخطب فقال في خطبته: «الحمد لله

(١) الكامل في التاريخ: ١٦ / ٣.

(٢) أعيان الشيعة: ١٠٢ / ٧.

(٣) مسند أبي يعلى: ١ / ٢٦٦ / ٥٠٧.

(٤) رجال الكشي: ١ / ٢٨٤ / ١١٩.

على كل حال»، وقال: «فصدع بما أمر به وبلغ رسالات ربه، فلم الله به الصدع»^(١).

٦ زيد بن وهب الجهني (ت ٤٩٦هـ) :

ذكره الطوسي في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام^(٢)، وذكره في الفهرست: زيد بن وهب له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر في الجمع والأعياد وغيرها أخبرنا أحمد بن موسى عن أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن يعقوب بن يوسف ابن زياد الضبي عن نصر بن مزاحم المنقري عن عمرو بن ثابت عن عطية ابن الحارث عن عمر بن سعد عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن أبي منصور الجهني عن زيد بن وهب قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام وذكر الكتاب^(٣).

ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى: زيد بن وهب الجهني أحد بني حسل بن نصر بن مالك بن عدي بن الطول بن عوف بن غطفان بن قيس بن جهينة بن قضاة. توفي في ولاية الحجاج بعد الجماجم، يكنى أبا سليمان وشهد مع علي بن أبي طالب مشاهدته وكان يصفر لحيته، وكان ثقة كثير الحديث وروى عنه أحاديث تدل على أنه كان بصفيين مع أمير المؤمنين عليه السلام وأنه من خلص أصحابه^(٤).

وفي الميزان للذهبي: زيد بن وهب من أجلة التابعين وثقاتهم متفق على الاحتجاج به إلا ما كان من يعقوب الفسوي إنه قال في تاريخه: في حديثه خلل كثير، ولم يصب الفسوي، ثم أنه ساق من روايته قول عمر يا حذيفة بالله أنا من المنافقين (وذلك أن حذيفة كان أعرف الناس بالمنافقين)، قال: وهذا محال أخاف أن يكون كذباً. قال: ومما يستدل به على ضعف حديثه روايته عن حذيفة قوله: إن خرج الدجال تبعه من كان يحب عثمان، ومن خلل روايته قوله: حدثنا والله أبو ذر بالريذة قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله فاستقبلنا أحد الحديث فهذا الذي استنكره الفسوي من حديثه ما سبق إليه، ثم روى بسنده عن الأعمش كنت إذا سمعت الحديث من زيد بن وهب فكأنما سمعته من

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٠/ ١٠٢.

(٢) رجال الطوسي: ص ٤٢.

(٣) الطوسي: الفهرست ص ١٤.

(٤) الطبقات الكبرى: ٦/ ٦٩.

الذي يحدث عنه . وبسنده عن عبد الرحمن بن يوسف بن خراش : زيد بن وهب كوفي ثقة دخل دمشق ، روايته عن أبي ذر صحيحة^(١) .

وفي تهذيب التهذيب : زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي قال ابن معين ثقة وقال العجلي ثقة وقال يعقوب بن سفيان في حديثه خلل كثير وعن تقريب ابن حجر زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي مخضرم ثقة جليل لم يصب من قال : في حديثه خلل^(٢) .

وهو أول من جمع خطب أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان كتابه موجوداً في زمن الطوسي وروى عنه الطبري بعض خطب أمير المؤمنين ، ومن الخطب التي رواها : «فإن لي عليكم حقاً» .

رواها الطبري عن أبي مخنف : أن علياً قال للناس وهو أول كلام قاله لهم بعد النهر : «أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده ، خيارى في الحق جفاة عن الكتاب» ، إلى أن يقول : «أما بعد فإن لي عليكم حقاً وإن لكم علي حقاً فأما حقكم فالنصيحة . . إلى آخره»^(٣) .

فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بآثاء هذا النهر

رواها الطبري عن أبي مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب : أن علياً أتى أهل النهر فوقف عليهم ، فقال : «أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة وصدها عن الحق الهوى وطمع بها النزق وأصبحت في اللبس والخطب العظيم ، إنني نذير لكم أن تصبحوا تلفيكم الأمة غداً صرعى بآثاء هذا النهر ، باهضام هذا الغائط بغير بينة من ربكم ، ولا برهان بين»^(٤) .

وقد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم:

رواها نصر بن مزاحم عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب قال : إن علياً لما رأى

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال ١٠٧/٢ رقم ٢٠٢ .

(٢) تهذيب التهذيب: ٤٢٧/٢ رقم ٧٨١ .

(٣) الطبري: ٦٧-٦٨ ، جزء من الخطبة التي رواها الرضي في (٣١) .

(٤) الطبري: ٦٢/٤ ، ذكره السيد الرضي في رقم ٤٠ .

ميمنته قد عادت إلى موقفها ومصافها وكشف من يازائها حتى ضاربوها في مواقعهم ومراكزهم اقبل حتى انتهى إليهم، فقال: (وذكر الخطبة)^(١).

فقدموا الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس:

ذكره الطبري في حوادث سنة ٣٧ بسنده عن أبي مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب الجهني^(٢)، وذكره السيد الرضي برقم ١٢٤.

اللهم رب السقف المرفوع:

روى الطبري عن أبي مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب الجهني أن علياً خرج إليهم غداة الأربعاء (صفين) فاستقبلهم فقال: «اللهم رب السقف المرفوع المحفوظ المكفوف الذي جعلته»... إلى آخره^(٣).

يرحم الله خباب بن الارت، طوبى لمن ذكر المعاد:

هاتان الكلمتان قالها ﷺ في مناسبة واحدة، قال زيد بن وهب سرنا مع علي حين رجع من صفين، حتى إذا كان عند باب الكوفة، إذا نحن بقبور سبعة عن أيماننا فقال: ما هذه القبور، فقالوا: يا أمير المؤمنين إن خباب بن الارت توفي بعد مخرجك إلى صفين فأوصى أن يدفن في ظاهر الكوفة، فقال علي ﷺ: «رحم الله خباباً، أسلم راغباً...» إلى آخره^(٤).

(٧) سعيد بن قيس الهمداني (توفي سنة ٤١هـ):

هو أحد التابعين، بل أحد رؤسائهم وزهادهم، وكان سيد همدان وعظيمها والمطاع فيها، من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ^(٥)، وقد مدحه مراراً منها في صفين عندما اشتدت الحرب فنادى معاوية في أحياء اليمن فقال لهم: عبثوا لي كل فارس مذكور فيكم أتقوى به لهذه الحي من همدان. فخرجت خيل عظيمة فلما رآها علي عرف أنها

(١) وقعة صفين: ص ٢٥٤.

(٢) الطبري: ٩/٥.

(٣) الطبري: ٤/ ١٠، حوادث رقم ٣٧.

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٥٣١.

(٥) ذكره الطوسي في رجاله بلفظ سعد: ص ٤٤.

عيون الرجال فنأدى يالهمدان فأجابه سعيد بن قيس، قال علي ؑ: أحمل، فحمل حتى خالط الخيل بالخيول واشتد القتال وحطمتهم همدان حتى الحقوهم بمعاوية، وجمع علي همدان فقال: «انتم درعي ورمحي، يا همدان ما نصرتم إلا الله ولا أجبتكم غيره» فقال سعيد بن قيس: اجبنا الله ونصرنا نبي الله ﷺ في قبره وقاتلنا معك من ليس مثلك فأرم بنا حيث أحببت، وفي هذا اليوم قال علي ؑ:

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام^(١)

وروى نصر أيضاً: أن معاوية دعا أخاه عتبة وأمره أن يلقي الأشعث ويقول له في جملة كلامه وأما سعيد فقلد علياً دينه.

وفي شجاعته يقول المسعودي: لما صرع عمار بن ياسر تقدم سعيد بن قيس الهمداني في همدان وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم إلى معاوية، وقد كان معاوية صمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همداني^(٢).

فكان شجاعاً شهد الجمل وصفين وجعله أمير المؤمنين أميراً على همدان في الجمل وصفين، ثم أنه بعث به إلى الأنبار بعد معركة صفين لصعد الغارات التي كان يشنها سفيان بن عوف، وبعد صفين أخذ الإمام يحث أصحابه للخروج لحرب معاوية فتباطأ الكثير، بينما قام سعيد بن قيس وقال: يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة، ووداً ونصيحة، وأنا أول الناس جاء بما سألت وبما طالبت^(٣).

ويذكر الثقفى أن سعيد بن قيس قام فقال: يا أمير المؤمنين والله لو أمرتنا بالسير إلى قسطنطينية ورومية مشاة حفاة على غير غطاء ولا قوة ما خالفتك أنا ولا رجل من قومي^(٤).

وكان خطيباً متكلماً وشاعراً فذاً، ذكر نصر خطبته في صفين في أصحابه قائلاً: الحمد لله الذي هدانا لدينه وأورثنا كتابه وامتن علينا بنبيه فجعله رحمة للعالمين وسيداً

(١) معركة صفين: ص ١٧١.

(٢) المسعودي: مروج الذهب: ٢ / ٢٢.

(٣) الطبري: ٥ / ٧٩.

(٤) الغارات: ص ٤٣٩.

للمرسلين وقائداً للمؤمنين وخاتماً للنبيين وحجة الله العظيم على الماضين والغابرين، ثم كان مما قضى الله وقدره وله الحمد على ما أحببنا وكرهنا أن ضمنا وعدونا بقناصرين فلا يحمل بنا اليوم الحياض، وليس هذا بأوان انصراف ولات حين مناص، وقد خصنا الله منه برحمة لا نستطيع أداء شكرها، ولا نقدر قدرها، أن أصحاب محمد ﷺ المصطفين الأخيار معنا وفي حيزنا، فوالله الذي هو بالعباد بصير أن لو كان قائدنا حبشياً مجدعاً إلا أن معنا من البدرين سبعين رجلاً لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا وتطيب أنفسنا فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نينا بدري صدق وصلى صغيراً، وجاهد مع نبيكم كبيراً، ومعاوية طليق من وثاق الأسارى، إلا أنه أخو جفأة فأوردتهم النار وأورثهم العار والله محل بهم الذل والصغار، ألا أنكم ستلقون عدوكم غداً فعليكم بتقوى الله من الجد والحزم والصدق والصبر فإن الله مع الصابرين، ألا أنكم تفوزون بقتلهم ويشقون بقتلكم، والله لا يقتل رجل منكم رجلاً منهم إلا أدخل الله القاتل جنات عدن وأدخل المقتول ناراً تلظى لا تفتر عنهم وهم فيها مبلسون، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه وجعلنا وإياكم ممن أطاعه واتقاه وأستغفر الله العظيم لي ولكم والمؤمنين... ثم قال الشعبي: لعمرى لقد صدق فعله ما قال في خطبته^(١).

وقد روى سعيد بن قيس خطب وكلمات لأمر المؤمنين ﷺ منها:

ليس من أحد إلا عليه من الله حافظة يحفظونه:

روى نصر بن مزاحم بسنده أنه خرج علي يوم صفين ويده عنزة فمر على سعيد بن قيس الهمداني فقال له سعيد أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يفتالك أحد وأنت قرب عدوك، فقال له علي: «إنه ليس من أحد إلا عليه من الله حافظة يحفظونه من أن يتردى في قلب أو يخر عليه حائط أو تصيبه آفة فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه»^(٢).

وروى الكليني بسنده عن سعيد بن قيس الهمداني قال: نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان، فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ١٧٥.

(٢) وقعة صفين: ص ٢٢٥.

هذا الموضع ، قال : نعم يا سعيد إنه ليس من عبد إلا وله من الله حافظ وواقية ، معه ملكان يحفظان من أن يسقط من راس جبل ، أو يقع في بئر فإذا نزل القضاء خلياً بينه وبين كل شيء^(١) .

(٨) سلام بن سويد :

لم نعثر على ترجمته في كتب الرجال والتراجم ، روى عن أمير المؤمنين عليه السلام دعاء كان يدعو به إذا لقي العدو وهو «اللهم إليك أفضت القلوب» ، رواه نصر بن مزاحم عن عمرو بن شمر عن عمران عن سلام بن سويد قال : كان علي عليه السلام إذا أراد أن يسير إلى الحرب قعد على دابته وقال : (وذكر الدعاء)^(٢) .

(٩) سليم بن قيس الهلالي (٥٧٦هـ) :

سليم بن قيس الهلالي العامري يكنى أبا صادق ، كان من محدثي التابعين ، وعلمائهم وعظمائهم وهو من أصحاب أمير المؤمنين والحسن والحسين وزين العابدين والباقر عليهم السلام ، وكان من شرطة الخميس وعُدَّ من السباقين في التأليف وضبط الحقائق وكتابة التاريخ ، ولسليم بن قيس الهلالي كتاب ذكر فيه أحاديث كثيرة عن أمير المؤمنين عليه السلام ، ذكر الكتاب الشيخ في الفهرست وقال عنه : سليم بن قيس الهلالي يكنى أبا صادق له كتاب أخبرنا به ابن أبي الحديد عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد ابن عيسى عن عثمان بن عيسى عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس ، وذكر النجاشي كتاب سليم قائلاً : له كتاب ويكنى أبا صادق : أخبرني علي بن أحمد القمي حدثنا محمد بن الحسن بن الوليد حدثنا محمد بن أبي القاسم ما جيلويه عن محمد بن علي الصيرفي عن حماد بن عيسى وعثمان بن عيسى قال : حماد بن عيسى وحدثنا إبراهيم بن عمر اليماني عن سليم بن قيس بالكتاب ، وفي الخلاصة قال السيد علي بن أحمد العقيلي ، كان سليم بن قيس من أصحاب أمير المؤمنين طلبه الحجاج ليقتله فهرب وآوى إلى إبان بن أبي عياش ، فلما حضرته الوفاة قال لأبان : إن لك علي حقاً وقد

(١) الكليني: الروضة ص ١١٨ .

(٢) نصر بن مزاحم: موقعة صفين ص ٢٣١ .

حضرني الموت، يا ابن أخي أنه كان من الأمر بعد رسول الله ﷺ كيت وكيت وأعطاه كتاباً فلم يرو عن سليم بن قيس أحد من الناس سوى إبان وذكر إبان في حديث قال، كان (أي سليم) شيخاً متعبداً له نور يعلوه، وقال ابن الغضائري: سليم بن قيس الهلالي العامري روى عن أبي عبد الله والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليه السلام وينسب إليه هذا الكتاب المشهور، وكان أصحابنا يقولون أن سليماً لا يعرف ولا ذكر في حديث، ووجدت ذكره في مواضع كثيرة، من غير جهة كتابه ولا من رواية إبان بن أبي عياش عنه، وقد ذكره ابن عقدة في رجال أمير المؤمنين في أحاديث عنه، والكتاب موضوع لا مرية فيه وعلى ذلك علامات تدل على ما ذكرناه^(١).

أما حول كتاب سليم بن قيس وجاء في منتهى المقال: حدثني محمد بن الحسن البرائي حدثنا الحسن بن علي بن كيسان عن إسحاق بن إبراهيم بن عمر اليماني عن ابن أذينة عن إبان بن أبي عياش قال هذا نسخة كتاب سليم بن قيس العامري ثم الهلالي، رفعه إلى إبان بن أبي عياش وقرأه وزعم إبان أنه قرأه على علي بن الحسين عليه السلام فقال صدق سليم رحمة الله عليه هذا حديث نعرفه^(٢).

وذكر النعماني في كتاب الغيبة: إن كتاب سليم بن قيس أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم حملة حديث أهل البيت^(٣)، وقد أورد سليم بن قيس في كتابه جملة من خطب وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام نذكر منها: «أما بعد فإن الله - سبحانه وتعالى - خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم» أوردتها سليم بن قيس الهلالي في كتابه^(٤)، وهذه الخطبة التي يصف فيها أمير المؤمنين المتقين حيث روي أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلاً عابداً فقال له: يا أمير المؤمنين، صف لي المتقين كأنني أنظر إليهم فتناقل عليه السلام عن جوابه ثم قال: يا همام اتق الله وأحسن إِنَّ اللَّهَ مَعَ

(١) العلامة الحلي: خلاصة الرجال، ٨٢-٨٣ المطبعة الحيدرية ط ٢ ١٩٦١ م.

(٢) أبو علي الحائري المازندراني: منتهى المقال ٢/ ٢٧٦، راجع ترجمته فقيه تفصيل عن سليم بن قيس مؤسسة آل البيت ١٩٩٨.

(٣) الخوئي: معجم رجال الحديث ٨/ ٢١٩.

(٤) كتاب سليم بن قيس ص ٢١١ ذكره السيد الرضي باب الخطب برقم ١٩٤.

الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ثم قال : «أما بعد ، فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم ، آمناً من معصيتهم» . . إلى آخر الخطبة .
ليتأس صغيركم بكبيركم :

رواها سليم بن قيس الهلالي^(١) وذكرها السيد الرضي في باب الخطب برقم (٢٦٤) .

منهومان لا يشبعان :

رواها الكليني بسنده عن سليم بن قيس ، قال : سمعت أمير المؤمنين يقول : «قال رسول الله ﷺ منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا»^(٢) .

١٠ شريح القاضي (توفي سنة ٥٧٨ هـ) :

هو شريح بن الحارث بن قيس الكوفي النخعي القاضي المخضرم ، توفي وله من العمر أكثر من مائة وثمان سنين ، ولي القضاء سبعين سنة ، وقيل أنه من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، وكان حليف كندة ، مختلف في صحبته ، قال ابن السكن : روى عنه خبر يدل على صحبته ، وقال ابن مندة : ولاء عمر القضاء وله أربعون سنة ، وكان في زمن النبي ﷺ ، ولم يره ولم يسمع عنه ، قلت وهذا هو المنشهور لكن روى ابن السكن وغير واحد من طريق علي بن عبد الله بن معاوية بن ميسرة بن شريح القاضي حدثنا أبي عن أبيه معاوية عن أبيه ميسرة عن أبيه شريح قال : أتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله إن لي أهل بيت ذوي عدل باليمن قال جيء بهم فجاء بهم والنبي ﷺ قد قبض .

وأخرج أبو نعيم بهذا الإسناد إلى شريح قال : وليت القضاء لعمر وعثمان وعلي فمن بعدهم إلى أن استعفيت من الحجاج وكان له يوم استعفي مائة وعشرون سنة وعاش بعد ذلك سنة .

(١) المصدر نفسه : ص ٨٩ .

(٢) أصول الكافي : ١ / ٤٦ ، ذكره السيد الرضي في باب الحكم والمواظد برقم ٤٥٧ .

وقال ابن المدني: ولي قضاء الكوفة ثلاثاً وخمسين سنة ونزل البصرة سبع سنين يقال أنه تعلم من معاذ إذ كان باليمن، وكان شاعراً فائقاً وقال ابن سيرين كان كوسجاً وقال أبو إسحاق السبيعي عن هبيرة بن مريم قال علي لشريح: أنت أفضى العرب^(١). وقد نقل شريح بعض كلمات أمير المؤمنين منها:

ترصدوا مواعيد الآجال:

رواها الطوسي عن الحسين بن عبيد الله عن علي بن محمد بن محمد العلوي عن محمد بن موسى الرقي، عن علي بن محمد بن أبي القاسم عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن أبيه عن إيمان مولى زيد بن علي بن عاصم بن بهدلة عن شريح القاضي^(٢).

يا شريح؛ أما أنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك:

روى الصدوق عن صالح بن عيسى العجلي عن محمد بن محمد بن علي عن محمد بن الفرغ عن عبد الله بن محمد العجلي عن عبد العظيم الحسيني عن أبيه عن إيمان مولى زيد بن علي عن عاصم بن بهدلة، قال شريح: اشتريت داراً. إلى آخر الرواية^(٣) التي ذكرها السيد الرضي في باب الرسائل برقم ٣.

(١١) شريح بن هاني (قتل سنة ٧٨هـ) :

شريح بن هاني بن يزيد الحارثي يكنى أبا المقدام، من المخضرمين، أدرك النبي ولم يره، وكان من أكابر التابعين، ومن كبار أصحاب علي عليه السلام، وشهد معه المشاهد، وكان أحد أمراء الجيش في الجمل وصفين وشهد الحكمين بدومة الجندل وبقي دهرًا طويلاً وسار إلى سجستان غازياً فقتل بها سنة ٧٨هـ، وقال شريح في ذلك اليوم:

أصبحت ذا بث أقاسي ببحراً قد عشت بين المشركين اغصرا
عشت وأدركت النبي المنذرا ويعده صديقه وعمرا

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ٢٠٢/٢ رقم ٢٨٧٥.

(٢) أمالي الطوسي: ٢/ ٢٦٦.

(٣) الصدوق، الأمالي، المحلي: ٥١، ص ١٨٧.

ويوم مهران ويوم تسترا
ويا طميرאות والمشقرا
والجمع في صفيهم والنهرا
هيهات ما أطول هذا عمرا

وفي الإصابة: أدرك النبي ﷺ ولم يهاجر إلا بعده ووفد أبوه على النبي ﷺ فسأله عن أكبر ولده، فقال شريح فقال: أنت أبو شريح وكان قبل ذلك يكنى أبا الحكم، أخرج ذلك أبو داود والنسائي وابن حبان وذكره مسلم في المخضرمين، ولشريح رواية عند مسلم وغيره عن عائشة وعلي وبلال وغيرهم، روى عن أبنائه المقدام ومحمد الشعبي وآخرون قال ابن سعد: كان من أصحاب علي وذكر سنده أن علياً بعث في التحكيم أبا موسى ومعه أربعمئة رجل عليهم شريح بن هانئ ومعهم عبد الله بن عباس فصلى بهم وقال معاوية بن صالح عن ابن معين وفد أبوه وأخبر النبي ﷺ باسم ولده، وعده يعقوب بن سفيان من أمراء علي في وقعة الجمل، وقال أبو نعيم الفضل بن دكني عاش مائة وعشر سنين، وقال القاسم بن مخيمرة ما رأيت أفضل منه وقتل غازياً مع عبد الله بن أبي بكر بسجستان سنة ثمان وسبعين وكان الكفار قد أخذوا الدروب على المسلمين فقتل عامة ذلك الجيش^(١).

وعندما ذكر اسمه في زمرة الشاهدين على حجر بن عدي، أنفذ إلى معاوية كتاباً كذب فيه ذلك وأثنى على حجر^(٢)، وقد روى العديد من الخطب منها هذا الكلام الذي رواه مسنداً:

اللهم إني أستعديك على قریش:

روى الثقيفي عن ابن عائشة التيمي قال: حدثنا أبو زيد القروي عن أبي إبراهيم بن عثمان عن فراس عن الشعبي عن شريح بن هانئ قال: قال ﷺ: «اللهم إني استعديك على قریش فإنهم قطعوا رحمي، واصفوا انائي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي»^(٣). وقد أورد السيد الرضي هذا الكلام في باب الخطب برقم ١٧٢ و٢١٧.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ٢ / ٢٢٣.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري ٥ / ٢٧٢.

(٣) الطبري: المستدرک ص ٩٥.

إلا وأن الشيطان قد ذمر حزبه:

رواها الطبري عن الشعبي عن شريح بن هانئ^(١)، ورواها السيد الرضي في باب الخطب برقم (٢٢).

(١٢) صعصعة بن صوحان (نحو ٦٠ للهجرة) :

صعصعة بن صوحان بن حجر العبدي، أسلم في عهد النبي ﷺ ولم يره، ذكره ابن حجر: له ذكر في السنن مع عمر، ذكره الإمام أبو بكر الطرطوسي في مصنفه في السماع أنه من أصحاب النبي ﷺ ولم يذكر له مسنداً وما أظنه ذكره كذلك إلا بالتوهم لشهرته في عصر كبار الصحابة.

قال أبو عمر: كان مسلماً في عهد رسول الله ﷺ ولم يره، قلت: وله رواية عن عثمان وعلي وشهد صفين مع علي، وكان خطيباً فصيحاً وله مع معاوية مواقف، وقال الشعبي: كنت أتعلم منه الخطب، وروى عنه أيضاً أبو اسحق السبيعي والمنهال بن عمرو وعبد الله بن بريدة وغيرهم، مات بالكوفة في خلافة معاوية وقيل بعدها، وذكر العلاني في أخبار زياد أن المغيرة ثقي صعصعة بأمر معاوية من الكوفة إلى جزيرة أو إلى البحرين، وقيل إلى جزيرة ابن كافان فمات بها وانشد له المرزباني:

هلا سألت بني الجارود أي فتى عند الشفاعة والبان بن صوحانا

كنا وكانوا كام أرضعت ولداً عق ولم تجز بالإحسان إحساناً^(٢)

وكان خطيباً بليغاً مقدماً في الخطابة، دخل مع جمع من المصريين على عثمان، فقال لهم عثمان: قدموا رجلاً منكم يكلمني، فقدموني، فقال عثمان: هذا؟ وكأنه استحدثني، فقلت له: إن العلم لو كان بالسن لم يكن لي ولا لك فيه سهم، ولكنه بالتعلم فقال عثمان: هات، فقلت:

(١) الطبري: المسترشد: ص ٩٥.

(٢) الإصابة: ٤ / ٢٦٠.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(١).

فقال عثمان: دع هذا وهات ما معك فقلت له: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الَّذِينَ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾^(٢) فقال عثمان: وهذه أيضاً نزلت فينا، فقلت له: فأعطنا بما أخذت من الله، فقال عثمان: يا أيها الناس، عليكم بالسمع والطاعة فإن يد الله على الجماعة، وإن الشيطان مع الفذ، فلا تستمعوا إلى قول هذا، وإن هذا لا يدري من الله ولا أين الله، فقلت له: أما قولك عليكم بالسمع والطاعة، فإنك تريد منا أن نقول غداً ﴿رَبُّنَا إِنَّا أطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾^(٣)، وأما قولك: أنا لا أدري من الله، فإن الله ربنا ورب آبائنا الأولين، وأما قولك: أني لا أدري أين الله؟، فإن الله تعالى بالمرصاد، فغضب وأمر بصرفنا وغلق الأبواب دوننا^(٤).

وكان أمير المؤمنين ﷺ يستخدمه في التحاور ويبحث به ممثلاً عنه لما عرف منه من حسن البيان. بعثه إلى معاوية لما منع الماء عن أصحاب أمير المؤمنين في صفين، فكان له موقفٌ خالدٌ في مجلس معاوية وكان محبباً لأمير المؤمنين ﷺ ملازماً له، جاءه في أحد الأيام عائداً فدخل عليه فقال له: يا صعصعة، لا تجعلن عيادتي إليك أبهةً على قومك، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن نعمة وشكراً، فقال له علي ﷺ: إن كنت لما علمت الخفيف المؤونة عظيم المعونة، فقال صعصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين، بكتاب الله عليم، وإن الله في صدرك عظيم، وإنك بالمؤمنين لرؤوف رحيم^(٥).

قال فيه أمير المؤمنين (هذا الخطيب الشحشح) أي الماهر في الخطبة الماضي فيها،

(١) سورة الحج: الآية ٤١.

(٢) سورة الحج: الآية ٤٠.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٦٧.

(٤) أمالي الطوسي: ص ٢٣٦، رقم ٤١٨.

(٥) الفارات: ص ٢٥٩.

وفي الجمل كانت الراية بيد أخيه سيحان فقتل فأخذها زيد فقتل فأخذها صعصعة، وشهد صفين مع علي عليه السلام، وظل على استقامته بعد شهادته عليه السلام، ويذكر أن معاوية طلب إليه أن يصعد المنبر فينال من علي عليه السلام فصعد المنبر فقال: أيها الناس إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن علياً فالعنوه عليه لعنة الله فضج أهل المسجد بآمين فقال معاوية: والله ما عنيت غيري فقال معاوية: أخرجوه والله لا يساكنني في بلد فأخرجوه^(١).

وروى صعصعة بن صوحان خطب وكلمات لأمر المؤمنين عليه السلام منها: كتابه إلى أهل مصر:

رواه الثقيفي عن جابر وذكر ذلك عن الشعبي عن صعصعة بن صوحان أن علياً كتب إليهم: «من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى من بمصر من المؤمنين: سلام عليكم فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو: أما بعد فإني قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الأعداء حذار اللواتر، لا ناكل عن قدم، ولا واه في عزم، من أشد عباد الله بأماً وأكرمهم حسباً..» إلى آخر الكتاب^(٢)، ذكره السيد الرضي باختلاف في باب الكتب والرسائل برقم ٣٨.

لما بلغ علياً موت الأشر:

روى الثقيفي عن صعصعة بن صوحان، قال: فلما بلغ علياً عليه السلام موت الأشر، قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، اللهم إني احتسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر، فرحم الله مالكاً فقد وفي بعهد، وقضى نجه ولقي ربه مع أنا قد وطنا أنفسنا على أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله فإنها أعظم المصائب»^(٣).

(١) علي هامش الفارات: ص ٢٥٩.

(٢) الفارات: وذكره النجاشي، عن جابر قال: سمعت الشعبي ذكر ذلك عن صعصعة، رجال

النجاشي ١/ ٤٤٩.

(٣) الفارات: ص ١٦٩.

كلام أمير المؤمنين ﷺ عندما عاده في مرضه:

روى الطوسي في الأمالي عن أبي الصلت عن ابن عقدة عن القاسم بن جعفر المعروف بابن الشامي عن عباد بن أحمد القزويني قال: حدثني عمي عن أبيه عن مطرف عن الشعبي عن صعصعة بن صوحان قال: عادني أمير المؤمنين في مرضي ثم قال: انظر فلا تجعل عيادتي إياك فخراً على قومك... إلى آخر الخطبة.

(١٣) ضرار بن ضمرة الضبائي :

لم يذكره الشيخ الطوسي في أصحاب أمير المؤمنين ﷺ، لكن مما ذكره المؤرخون من دخوله على معاوية وسؤاله عن أمير المؤمنين يتبين أنه كان من الملازمين لأمير المؤمنين ﷺ.

روى المسعودي: دخل ضرار بن ضمرة - وكان من خواص علي - على معاوية وافداً، فقال له: صف لي علياً، قال: اعفني يا أمير المؤمنين، قال معاوية: لا بد من ذلك، فقال: أما إذا كان لا بد من ذلك، فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى... إلى آخر كلامه^(١)، ويستدل من كلام المسعودي (وكان من خواص علي) ومن وصفه لأمير المؤمنين ذلك الوصف الدقيق أن ضرار بن ضمرة هو أحد المقربين إلى أمير المؤمنين ﷺ.

ووقع الاختلاف في اسم أبيه ضمرة أو حمزة، ربما حدث تصحيف في الاسم لقرب ضمرة إلى حمزة في الرسم الكتابي.

وأثناء الحوار الذي دار بين الاثنين طلب معاوية من ضرار أن يذكر له شيئاً من كلام أمير المؤمنين ﷺ، قائلاً: زدني شيئاً من كلامه، فآخذ ضرار يسرد إليه بعض حكم الإمام ومواعظه، وكل من جمع تلك المواعظ آخذ بعض تلك الحكم التي أخبر عنها ضرار وهي:

يا دنيا إليك عني:

رواها السيد الرضي في باب الحكم والمواعظ برقم (٧٧) قائلاً: ومن خبر ضرار بن

حمزة (ضمرة) الضبائي عند دخوله على معاوية ومسالته له عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقال فاشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تملل السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول: «يا دنيا يا دنيا...»^(١).
ما قال الناس لشيء طوبى له إلا وقد خبا له الدهر يوم سوء:

رواها سبط ابن الجوزي عن الشعبي عن ضرار بن ضمرة^(٢) وذكرها السيد الرضي في باب الحكم والمواعظ برقم (٢٨٦) في نهج البلاغة.

١٤. عاصم بن ضمرة :

ذكره ابن سعد في الطبقات عاصم بن ضمرة السلولي من قيس عيلان روى عن علي وتوفي في الكوفة في ولاية مروان وكان ثقة وله أحاديث^(٣).
وذكر في حاشية الفارات، وعده الشيخ في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام إلا أننا لم نجد ذلك في رجال الطوسي ولم يترجم له السيد الأمين في أعيان الشيعة، وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الذام الدنيا»^(٤).
روى ابن عساكر هذا الكلام عن عاصم بن ضمرة^(٥) بينما روى ابن قتيبة في عيون الأخبار والجاحظ في البيان والتبيين والشيخ المفيد في الإرشاد والصدوق في الأمالي بسند متصل بجابر بن عبد الله الأنصاري^(٥).
وروى عنه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا أن الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله».

١٥. عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٣هـ) :

وهو من شعب همدان وهو الشعبي الحميري الكوفي الفقيه المعروف، رأى أمير

(١) المسعودي: مروج الذهب: ٢/ ٤٣٣.

(٢) تذكرة الخواص: ص ١٥٦.

(٣) الطبقات الكبرى: ١٥٥/٦.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٢/ ٤٧٥.

(٥) راجع عيون الأخبار لابن قتيبة ٢/ ٣٢٩ والبيان والتبيين: ١/ ٢١٩، والإرشاد للمفيد ص ١٣٧، والصدوق في الأمالي: ٢/ ٣٦.

المؤمنين وهو صغير فقد روى الثقيفي عن الشعبي : دخلت الرحبة وأنا غلام في غلمان ، فإذا بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قائماً على صبرتين من ذهب وفضة ومعه مخفقة فجعل يطرد الناس بمخفقتة ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين الناس حتى لم يبق منه شيء ورجع ولم يحمل إلى بيته منه شيئاً ، فرجعت إلى أبي فقلت لقد رأيت اليوم خير الناس أو أحق الناس ، قال : ومن هو يا بني ؟ قلت : رأيت أمير المؤمنين عليه السلام فقصصت عليه الذي رأيته يصنع فبكى وقال : يا بني رأيت خير الناس ^(١) .

ذكره الخوئي وقال عنه : الخبيث الفاجر الكذاب ، ^(٢) وقد روى عن أمير المؤمنين العديد من كلماته وخطبه منها :
والله ما أنكروا علي منكرأ :

ذكر ذلك ابن عبد البر بسنده إلى عامر الشعبي قال : إن علياً رضي الله عنه قال في خطبته حين نهوضه إلى الجمل ^(٣) ، وذكره السيد الرضي في باب الخطب برقم (٣٧) رسالة إلى معاوية : إنه بايعني القوم .

رواها نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن نعيم بن وعلة عن عامر الشعبي ^(٤) وذكرها السيد الرضي في باب الرسائل برقم (٦) :
هلك امرء لم يعرف قدره :

رواه الصدوق بسنده عن عامر الشعبي ^(٥) وذكره السيد الرضي برقم (١٤٩) باب الحكم والمواعظ .
إنما اختلفنا عنه لا فيه :

أورد ابن الجوزي بسنده عن عامر الشعبي وابن المسيب قالا : جاء خبر من أخبار اليهود إلى علي عليه السلام فناظره فقطعه فقال له : أنتم ما دفتنم نبيكم حتى اختلفتم فيه

(١) الفارات: ص ٣٦.

(٢) معجم رجال الحديث: ١٩٣/٩.

(٣) الاستيعاب: في ترجمة طلحة بن الزبير.

(٤) وقعة صفين: ص ٢٩.

(٥) الخصال: ٤٦/١.

فقال ﷺ: كذبت ويلك نحن ما اختلفنا فيه وإنما اختلفنا عنه، أما أنتم ما خفت أرجلكم من ماء البحر حتى قلتم: يا موسى اجعل لنا إلهاً، فأسلم اليهودي، أورد هذا الكلام السيد الرضي في باب الحكم رقم (٣١٧)^(١).

١٦ عبد الخير الخيواني :

ذكره الطوسي في أصحاب أمير المؤمنين ﷺ^(٢) وكان مدافعاً عن الإمام محاوراً أعداءه، أرسل أمير المؤمنين ﷺ ولده الحسن وعمار بن ياسر إلى الكوفة يستنفران أهلها يوم الجمل فجعل أبو موسى الأشعري يشبههم، فقال له عبد الخير: يا أبا موسى هل بايع طلحة والزبير علياً قال: نعم، قال: هل أحدث علي ما يحل تقض بيعته قال: لا أدري قال: لا دريت نحن نتركك حتى تنري، هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة إنما الناس أربع فرق عليّ بظهر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة، ومعاوية بالشام وفرقة بالحجاز لا غناء بها ولا يقاتل بها عدو، قال أبو موسى: أولئك خير الناس وهي فتنة فقال عبد الخير: غلب عليك غشك يا أبا موسى^(٣).

وذكره الخوئي: عبد خير الخيواني، خيران بن همدان من اليمن^(٤) وروى عن الإمام:

ليس الخير أن يكثر مالك وولدك:

روى أبو نعيم عن عمر بن محمد عن محمد بن حسين بن محمد بن عفر عن الحسن بن علي عن خلف بن تميم عن عمر بن الرجال عن العلاء بن المسيب عن عبد خير قال أمير المؤمنين ﷺ: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك»^(٥) ذكره السيد الرضي في باب الحكم والمواعظ برقم (٩٤).

(١) تذكرة الخواص: ص ١٦٢.

(٢) رجال الطوسي: ص ٦٢.

(٣) أعيان الشيعة: ٤٥٨/٧-٤٥٩.

(٤) معجم رجال الحديث: ٢٨٦/٩.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ٥٠٢/١.

(١٧) عبد الرحمن بن يسار أو سيار :

ذكره الشيخ في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ^(١) روى كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل الكوفة .

روى المحدثون عن محمد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار : لما نزل علي الربيعة متوجهاً إلى البصرة بعث إلى أهل الكوفة محمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد ابن أبي بكر وكتب إليهم بذلك الكتاب ^(٢) .

(١٨) عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري (ت ٨٨٣هـ) :

ذكره ابن حجر في الإصابة : ذكر العدوي النسابة عن ابن الكلبي أن أبا ليلى شهد أحداً ومعه ابنه عبد الرحمن قال : ابن البرقي في رجال الموطأ في ترجمة عبد الرحمن بن أبي ليلى التابعي المشهور ، أدرك عبد الرحمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكأنه اشتبه عليه بأبيه وإلا فقد صرح غيره بأنه ولد في عهد عمر واختلف في صحة سماعه منه وله مراسيل ومات في الحمام سنة ٨٣ للهجرة ، وأما الذي شهد مع أبيه أحداً فلم يذكروا تاريخ وفاته ^(٣) .
اشترك عبد الرحمن بن أبي ليلى في صفين مع علي عليه السلام .
أيها المؤمنون إنه من رأى عدواناً يعمل به :

روى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه : وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الأشعث ، أنه قال فيما كان يحض به الناس على الجهاد : إني سمعت علياً رفع الله درجته في الصالحين وأثابه ثواب الشهداء والصديقين يقول يوم لقينا أهل الشام : ذكر الخطبة ^(٤) .

وذكر السيد الرضي ذلك في باب الحكم برقم (٣٧٣) .

(١) رجال الطوسي : ص ٨٢ .

(٢) أمالي الطوسي : ٢/٣٥٩ وابن قتيبة : الإمامة والسياسة ١/٦٧ .

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة : ٤/١٨١ رقم ٥١٨٤ .

(٤) الطبري : ٥/٢٢٠ حوادث سنة ٨٢ بسنده عن أبي مخنف عن أبي الزبير الهمداني .

١٩- عبد الله بن جعفر (ت. ٨٠هـ) :

هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ولد في الحبشة في الهجرة الأولى التي قام بها المسلمون بقيادة أبيه جعفر بن أبي طالب المشهور بذي الجناحين وزوجته أسماء بنت عميس وورد إلى المدينة وهو ابن سبع سنين ، ولما نظر إليه رسول الله ﷺ تبسم وبسط يده فبايعه عبد الله .

ويذكر في صفته أنه طويل الباع ، فصيح اللسان ثابت على الحق ، عده المؤرخون وأصحاب التراجم من أجود العرب المشهورين بل من أسخاهم .

كان الحزين الكناني مع قوم من أهل المدينة بالعقيق يقامر فقرر ثيابه فيناهم كذلك إذ أقبل عبد الله بن جعفر فقال الحزين أعطوني ثوباً حتى ألقاه فأعاروه ثوباً فقال له :
أقول له حين واجهته عليك السلام أبا جعفر

قال : وعليك السلام فقال :

فأنت المهذب من هاشم وفي البيت منه الذي يذكر

قال : كذبت ذاك رسول الله ﷺ فقال :

فهني ثيابي قد اخلقت وقد عضني زمن منكر

قال : فثيابي لك بها وانصرف إلى منزله وبعث إليه بشيابه التي كانت عليه ^(١) .

ذكره ابن حجر : حفظ عن النبي ﷺ وروى عنه وعن أبويه وعمه علي وأبي بكر وعثمان وعمار بن ياسر ، روى عنه بنوه إسماعيل وإسحاق ومعاوية وأبو جعفر الباقر والقاسم بن محمد وعروة والشعبي وآخرون ، وقال البغوي : حدثنا القواريري حدثنا عبد الله بن داود عن قطر بن خليفة عن أبيه عن عمرو بن حريث أن رسول الله ﷺ مرّ بعبد الله بن جعفر وهو يبيع الصبيان فقال : اللهم بارك له في بيعه ، وروى مسلم عن طريق الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر قال : أردفني رسول الله ﷺ وراءه ذات يوم فأسر إلي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس ، كان أحد أمراء علي يوم صفين ، وأخرج ابن أبي الدنيا والخرائطي بسند حسن إلى محمد بن سيرين أن دهقاناً من أهل السواد كلم ابن جعفر في أن يكلم علياً في حاجة فكلمه فيها فقضاها فبعث إليه

الدهقان أربعين ألفاً، فقالوا: أرسل بها الدهقان فردها وقال: إنا لا نبيع معروفاً، وأخرج الدار قطني في الأفراد عن طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال: جلب رجل من التجار سكرّاً إلى المدينة فكسر عليه فبلغ عبد الله بن جعفر فأمر قهرمانه أن يشتريه ويهبه الناس.

وأخبره في الكرم شهيرة.

مات سنة ثمانين للهجرة عام الجحاف وهو سليل كان بيطن مكة جحف الحاج وذهب بالإبل وعليها الحمولة، وصلى عليه ابان بن عثمان وهو أمير المدينة حيثئذ لعبد الملك بن مروان^(١).

كيف يكون حال من يفنى ببقائه:

روى هذه الحكمة الشيخ الطوسي بسنده عن عبد الله بن جعفر قال: دخلت على عمي علي بن أبي طالب عليه السلام صباحاً وكان مريضاً فقلت: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ فقال: «يا بني كيف أصبح من يفنى ببقائه»^(٢)، ذكرها السيد الرضي باختلاف طفيف في باب الحكم والمواعظ برقم (١١٥).

٢٠ أبو عبد الرحمن السلمي: عبد الله بن حبيب (ت بعد السبعين):

وهو من شيوخ القراء، ذكره صاحب أعيان الشيعة، تخرج عليه عاصم (قارئ القرآن) وقرأ عليه وقرأ عبد الله على أمير المؤمنين عليه السلام صرح بذلك صاحب مجمع البيان وطبقات القراء، وهو من أصحاب علي عليه السلام^(٣) وذكره ابن حجر في الإصابة في أصحاب رسول الله قال: ذكره الماوردي وأخرج من طريق يزيد بن رومان عن عمار بن عقبة عن عبد الله بن حبيب الأسلمي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في عمرة حتى إذا كنا بيطن رابع استقبلتنا ضيابة فأضللنا الطريق فذكر الحديث وفيه ذكر المعوذتين، وأخرج البراز هذا الحديث من هذا الوجه، لكنه قال عن عبد الله الأسلمي: لم يسم أباه وقال بعده رواه غير يزيد بن رومان عن غير عبد الله. قلت هو معروف من رواية معاذ بن

(١) ابن حجر: ٤٨/٤ - ٤٩.

(٢) أمالي الطوسي: ٢٥٤/٢.

(٣) أعيان الشيعة: ٥٠/٢.

عبد الله بن حبيب الجهني عن أبيه واسم الجهني خبيب بالمعجمة مصغر^(١).
ملكنتني عيني وأنا جالس:

أورده محمد بن حبيب البغدادي بسند رواه عن أبي عبد الرحمن السلمي قال:
دخلت عليه وهو مجروح فقال: أدن مني يا أبا عبد الرحمن والنساء يبكين فدنوت منه،
فقال لي: بت الليلة أوقف أهلي، فملكنتني عيني وأنا جالس، فسبح لي رسول الله ﷺ
فقلت: اللهم أبدلني من هو خير لي منهم وأبدلهم من هو شر لهم مني^(٢).
وقد ذكرها السيد الرضي في باب الخطب برقم (٧٠) وقال عن وقت إطلاق هذا
الكلام، في سحرة اليوم الذي ضرب فيه.

(٢٦) عبد الله بن العباس (ت ٨٦٨):

ولد عبد الله بن العباس بمكة في شعب أبي طالب قبل الهجرة بثلاث سنوات
وهاجر إلى المدينة سنة ٨ للهجرة عام الفتح، التحق بركب أمير المؤمنين منذ نعومة
أظفاره، فكان تلميذه الذي يتبع تعاليم أستاذه، فكان ملازماً له طيلة حياته لم يفارقه
قط، كان على مقدمة الجيش في معركة الجمل ثم كان واليه على البصرة بعد ذلك،
وعندما قرعت أجراس الحرب في صفين سارع ابن عباس في الالتحاق بأمر المؤمنين
مستخلفاً مكانه أبا الأسود الدؤلي، وكان على رأس إحدى جيوشه في معركة صفين.
وقع اختيار الإمام عليه ليصبح مثله في التحكيم إلا أن الخوارج وعلى رأسهم
الأشعث بن قيس قال: لا فرق بينه وبين علي عليه السلام، بعثه الإمام عليه ليناقدش الخوارج في
معركة النهروان فظهرت منه مقدرة فائقة في نقاشاته.

أورد البلاذري: إن ابن عباس خلا بعلي حين أراد أن يبعث أبا موسى فقال: إني
أخاف أن يخدع معاوية وعمرو أبا موسى فابعثني حكماً ولا تبعثه ولا تلتفت إلى قول
الأشعث وغيره ممن اختاره فأبى فلما كان من أمر أبي موسى وخديعة عمرو له ما كان،
قال علي: لله در ابن عباس إن كان لينظر إلى الغيب من ستر رقيق^(٣).

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ٥٢/٤.

(٢) كتاب المغتالين: ص ٢٥٠.

(٣) أنساب الأشراف: ١٢٠/٣.

وهذا لا يعني أن الإمام لم يكن يعلم بهذه النتيجة ، فقد كان عالماً بمصير التحكيم ، لكنه كان قد أعطى عهداً ووعداً كان عليه الوفاء بهما .

أخذ ابن عباس من أمير المؤمنين عليه السلام علومه وفنون السياسة والإدارة وهو أول من أملى في تفسير القرآن عن علي عليه السلام قال أبو الخير في طبقات المفسرين ولكثرة علمه كان يسمى حبر الأمة .

ولم تقتصر علاقته بالإمام في المجال العلمي وحسب بل كان مرافقاً له في جميع الأحداث والأيام وصحبه في حروبه كلها ، وكان يعده لمهمات كبيرة ، أرسله إلى عائشة بعد حرب الجمل ليعظها ويرشدها ويحث به إلى الخوارج ليتحاور معهم ويقيم الحجة عليهم ، فكان بحق ممثله الشخصي الذي يعتمد عليه وبالمقابل كان ابن عباس وفيّاً لأمر المؤمنين أشد الوفاء نصره بيده ولسانه وكان يقول في أواخر حياته : اللهم إني أحيا ما حيي عليه علي بن أبي طالب وأموت على ما مات عليه علي بن أبي طالب .

أورد ابن حجر في فضل ابن عباس الكثير من أقوال العلماء والصلحاء منها في علمه ، أخرج ابن سعد بسند صحيح عن ميمون بن مهران قال : لو أتيت ابن عباس بصحيفة فيها ستون حديثاً لرجعت ولم تسأله عنها وسمعتها يسأله الناس فيكفونك .

وفي أمالي الصولي من طريق شريك عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق كنت إذا رأيت ابن عباس قلت : أجمل الناس فإذا نطق قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدث قلت : أعلم الناس .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل قال : قرأ ابن عباس سورة النور فجعل يفسرها فقال رجل لو سمعت هذا الديلم لأسلمت .

وفي رواية أبي العباس السراج من طريق أبي معاوية عن الأعمش بهذا السند خطب ابن عباس وهو على الموسم فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقول لو سمعت فارس والروم لأسلمت ، وزاد ابن أبي شيبة من طريق عاصم عن أبي وائل سنة قتل عثمان وكان أمره على الحج تلك السنة وزاد قال أبو وائل قال رجل : إني لاشتهد أن أقبل رأسه ، يعني من حلاوة كلامه .

وقال الزبير بن بكار: حدثت عن عمرو بن دينار قال: لما مات عبد الله بن العباس قال: مات رباني هذه الأمة وساق بسند له إلى موسى بن عقبة عن مجاهد أن ابن عباس مات بالطائف فصلى عليه ابن الحنفية فجاء طائر أبيض فدخل في أكفانه فما خرج منها فلما سوى عليه التراب قال ابن الحنفية: مات والله اليوم حبر هذه الأمة، وذكروا أنه لما وضع في قبره سمعنا تالياً يتلو ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(١).

وذكر المؤرخون والمحدثون في استقامته آراء شتى أوردنا ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب وذكرنا هناك رأيين باستقامته وعدم مفارقتها لأمير المؤمنين حتى آخر لحظة من حياته، وما ذكر عنه في أمر بيت المال مبالغ فيه، وهو من صنع بني أمية الذين كانوا يريدون تشويه سمعته وسمعة أمير المؤمنين وقد رد العلماء على جميع ما ذكروا من المآخذ، يقول السيد ابن طاووس: حاله في المحبة والإخلاص لمولانا أمير المؤمنين  وموالاته والنصر له والذب عنه والخصام في رضاه والموازرة له عما لا شبهة فيه، ثم قال معرضاً بأخبار الذم: ومثل الخبر موضع أن يحسده الناس ويباهتون. كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً أنه لدميم

وقال: ولو ورد في مثله ألف رواية أمكن أن تعرض للتهمة، فكيف بهذه الأخبار الضعيفة الركيكة^(٢).

وقد نقل عنه المؤرخون والمحدثون الكثير من الوقائع التي وقعت في حياة أمير المؤمنين والكثير من الخطب والكلمات التي قالها في حياته لأنه كان ملازماً مصاحباً له في جميع المواطن التي تنقل فيها. الخطبة الشقشقية:

أورد الصدوق هذه الخطبة بسنده عن ابن عباس برواية الطالقاني عن الجلودي عن أحمد بن عمار بن خالد عن يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن عيسى بن راشد عن علي بن حذيفة عن عكرمة عن ابن عباس^(٣).

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ٩٤/٤ رقم (٤٧٧٢).

(٢) أعيان الشيعة: ٥٧/٨.

(٣) علل الشرائع: ص ١٥٠ ومعاني الأخبار: ص ٣٦.

وأوردها الطوسي بسنده عن ابن عباس برواية أخرى عن الحفار عن أبي القاسم الدعبل عن أبيه عن أخيه دعبل عن محمد بن سلامة عن زرارة عن أبي جعفر الباقر عن أبيه وجده، والباقر عن ابن عباس: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين فقال: والله لقد قمصها ابن أبي قحافة... إلى آخر الكلام، وذكر الخطبة السيد الرضي برقم (٣).
شقوا أمواج الفتن:

أورد سبط ابن الجوزي بسنده عن مجاهد عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما دفن رسول الله ﷺ جاء العباس وأبو سفيان بن حرب وجماعة من بني هاشم إلى علي فقالوا: مد يدك نبأيك وحرضوه، فأمتنع وقال له العباس: أنت والله بعد اليوم عبد العصا، فخطب علي وقال: شقوا أمواج الفتن... إلى آخره^(١)، ذكره الرضي في باب الخطب برقم (٥).

والله لو وجدته قد تزوج به النساء، ومُلك به الإماء:

قالها فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان بن عفان، وذكر ابن أبي الحديد: وهذه الخطبة ذكرها الكلبي مروية مرفوعة إلى أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه: أن علياً ﷺ خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة، فقال: ألا إن كل قطعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال... إلى آخر الكلام^(٢) وقد ذكرها السيد الرضي في باب الخطب برقم (١٥).
والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً:

أوردها سبط ابن الجوزي بسنده عن مجاهد عن ابن عباس^(٣) وأورده السيد الرضي في باب الخطب برقم (٢٢٤).

بأي أنت وأمي يا رسول الله لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء والأخبار:

وهو كلام قاله الإمام ﷺ وهو يلي غسل رسول الله وتجهيزه، ذكره المفيد بسنده

(١) أمالي الطوسي: ص ٢٤٠.

(٢) تذكرة الخواص: ص ٢٥.

(٣) ابن أبي الحديد: ١/٢٦٩.

عن ابن عباس^(١) ، وذكره السيد الرضي في باب الخطب برقم (٢٣٥) .
لا تجعلوا علمكم جهلاً:

رواه ابن عساكر بسنده عن عكرمة عن ابن عباس^(٢) وذكره السيد الرضي في باب
الحكم والمواعظ برقم (٢٧٤) .
المؤمن بشره في وجهه:

رواه سبط ابن الجوزي بسنده عن مجاهد عن ابن عباس^(٣) وأورده السيد الرضي
في باب الحكم والمواعظ برقم (٣٣٣) .

(٢٢) عبد الله بن مسعود (ت ٢٢ أو ٢٣ هـ) :

صحابي جليل ، لم يعده الشيخ ضمن أصحاب أمير المؤمنين ﷺ لأنه مات مبكراً
لكنه كان يروي عنه ، وهو من الذين اسلموا قديماً وهاجر الهجرة وشهد بدرأ
والمشاهد بعدها ، ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه وحدث عن النبي ﷺ بالكثير
وعن عمرو وسعد بن معاذ ، وروى عنه أبناء عبد الرحمن وأبو عبيدة وابن أخيه عبد الله
بن عتبة وامراته زينب الثقفية ، ومن الصحابة العبدلة أبو موسى وأبو رافع وأبو شريح
وأبو سعيد وجابر وأنس وأبو جحيفة وأبو إمامة وأبو الطفيل ، ومن التابعين علقمة وأبو
الأسود ومسروق والربيع بن خيثم وشريح القاضي وأبو وائل وزيد بن وهب وزر بن
حبيش وأبو عمرو السفياني وعبيدة بن عمرو السلماني وعمرو بن ميمون وعبد
الرحمن بن أبي ليلى وأبو عثمان النهدي والحريث بن سويد وربيع بن حراش وآخرون ،
وأخى النبي ﷺ بينه وبين الزبير وبعد الهجرة بينه وبين سعد بن معاذ ، وقال له في أول
الإسلام أنك لغلّام معلم .

وعن عبد الرحمن بن زيد النخعي قال : أتينا حذيفة فقلنا : حدثنا بأقرب الناس من
رسول الله ﷺ هدياً ودلاً تلقاه فناخذ عنه ونسمع منه قال : كان أقرب الناس هدياً ودلاً
وسمناً برسول الله ﷺ ابن مسعود لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم

(١) سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص ص ٢٦ .

(٢) تاريخ دمشق: ١٢/١٣٨ .

(٣) تذكرة الخواص: ص ١٢٨ .

عبد من أقربهم إلى الله زلفى ، أخرجه الترمذي بسند صحيح وأخرج عن طريق الحريث عن علي رفعه : لو كنت مؤمراً أحداً بغير مشورة لأمرت ابن أم عبد ، ومن أخباره بعد النبي ﷺ أنه شهد فتوح الشام ، وسيّر عمر إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم ويحث عماراً أميراً وقال : إنهما من النجباء من أصحاب محمد فأقتدوا بهما .^(١)

وفي الغارات : أن أمير المؤمنين ﷺ سئل عن أصحاب رسول الله ومنهم عبد الله بن مسعود قال عنه : قرأ القرآن وعلم السنة وكفى بذلك ، قالوا : فوالله ما درينا بقوله وكفى بذلك ، كفى بقراءة القرآن وعلم أم كفى بعبد الله؟^(٢) .

وقد روى ابن مسعود هذا الكلام لأمر المؤمنين ﷺ :
أما أنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البعوم مندحق البطن :
رواه المناوي عن طريق عبد الله بن مسعود^(٣) .

٢٣ عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود :

يظهر من تتابع الوقائع أنه المذكور في رجال الطوسي في باب الكنى أبا الكنود الوائلي ، وهو من صحابة أمير المؤمنين كما أورد ذلك الطوسي^(٤) ، وذكره الخوئي في المعجم^(٥) وقد روى بعض خطب أمير المؤمنين ﷺ منها :
الحمد لله كلما وقب ليل وغسق :

رواها نصر بن مزاحم عن عمرو بن شمر وعمر بن سعد ومحمد بن عبد الله قال عمر : حدثني رجل من الأنصار عن الحارث بن كعب الوائلي عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود ، قال : لما أراد علي الشخوص من النخيلة قام في الناس خمسين مزين من شوال يوم الأربعاء (وخطب بتلك الخطبة) .^(٦)

(١) ابن حجر: الإصابة ٤/ ١٣٠ .

(٢) الغارات: ص ١٠٢ .

(٣) المناوي: كنز الحقائق ص ١٩ .

(٤) رجال الطوسي: ص ٦٥ .

(٥) معجم الحديث: ٩/ ٢٢٠ .

(٦) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ١٢١ .

كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى جارية بن قدامة:

روى الثقفى عن الحارث بن حصيدة عن عبد الرحمن بن عبيدة قال : لما بلغ علياً (عليه السلام) دخول بسر أرض الحجاز وقتله ابني عبيد الله بن العباس وقتله عبد الله بن عبد المدان ، ومالك بن عبد الله ، بعثني بكتاب في أثر جارية بن قدامة قبل أن يبلغه أن يسراً ظهر على صنعاء وأخرج عبيد الله منها وابن ثمران ، فخرجت بالكتاب حتى لحقت به جارية ففضه فإذا فيه : أما بعد فإني بعثتك في وجهك الذي وجهت له ، وقد أوصيتك بتقوى الله وتقوى ربنا جماع كل خير . . إلى آخر الكتاب^(١) .

(٢٤) علقمة بن قيس (توفي ٦١ أو ٦٥ هـ) :

هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ، كان فقيهاً وقارئاً للقرآن ، ذكره الطوسي في أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال : علقمة بن قيس قتل بصفين وأخوه أبي بن قيس^(٢) شارك أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين والنهروان ، أمضى سنتين في خوارزم وتوجه إلى خراسان للقتال ، ذكر الطبري إنه قطعت رجله في حرب صفين فكان يقول : ما أحب أن رجلي أصح ما كانت ، لما أرجو بها من حسن الثواب من ربي^(٣) .
نقل عن أمير المؤمنين كلامه في مالك : «مالك وما مالك والله لو كان جبلاً لكان فنداً» .

روى أبو عمر ومحمد بن يوسف الكندي (ت ٣٥٠) بإسناده عن علقمة بن قيس قال : دخلت على علي في نفر من النخع حين هلك الأشر فلما رأي قال : لله مالك لو كان جبلاً لكان فنداً^(٤) . وقد أورد السيد الرضي ذلك في باب الحكم والمواعظ برقم (٤٤٣) .

٢٥- عمار بن ياسر (شهادته ٣٧ هـ) :

هو عمار بن ياسر العنسي ، كنيته أبو اليقضان ، يعتبر من أوائل من أسلم ويذكر

(١) لم يأت السيد الرضي على ذكر هذا الكتاب وقد أورده الثقفى في الفهارات: ص ٤٣١ .

(٢) رجال الطوسي: ص ٧٣ .

(٣) تاريخ الطبري: ٣٢/٥ .

(٤) كتاب الولاة والقضاة: ص ١٨٥ .

المؤرخون في سبب إسلامه أنه صادف صهيب بن سنان الرومي واقفاً أمام باب الأرقم ولما كان الأمر يقتضي منهما الكتمان وإخفاء الغرض تساءلا بدهشة : قال عمار : ما تريد؟ ، قال صهيب : وما تريد أنت؟ فأجاب عمار : أردت أن أدخل على محمد وأسمع كلامه ، وقال صهيب : وأنا أردت كذلك ثم دخلا ، فعرض عليهما النبي الإسلام فأسلما معاً ، وعاد عمار إلى بيته فحدث والديه بما سمع وشاهد من النبي ﷺ فأسلم والده ياسر وأمه سمية وأخوه عبد الله ، استشهد في صفين وعمره حينذاك أربعة وتسعون عاماً ويكفيه فخراً أن قال رسول الله في قاتله : تقتلك الفئة الباغية ، روى عمار عن إمامه أمير المؤمنين ﷺ :
لو أمرت به لكنت قاتلاً:

روى البلاذري هذا الكلام لأمير المؤمنين ﷺ بسنده عن عمار بن ياسر^(١).

٢٦) أبو إسحاق الهمداني : عمر بن عبد الله (ت ١٢٩هـ) :

ذكره الطوسي في أصحاب أمير المؤمنين ﷺ^(٢) اسمه عمر بن عبد الله بن علي بن كليب الهمداني الكوفي السبيعي^(٣) من أعيان التابعين ورؤوس المحدثين بالكوفة .
في (تقريب التهذيب) : مكث ثقة غاب اختلط بآخره ولعل هذا الاختلاط الذي رمى فيه لروايته مالا يروق لبعضهم ولا يمكن الطعن بروايته ثقة الناس فيه إلا من هذا الوجه^(٤).

روى عن أمير المؤمنين عهده إلى محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ، حين ولاه مصر وقد رواه المفيد في المجالس عن علي بن محمد بن حبيش الكاتب عن الحسن بن علي الزعفراني عن إبراهيم بن محمد الثقفي عن عبد الله بن محمد بن عثمان عن علي بن محمد بن أبي سعيد عن فضيل بن الجعد عن أبي إسحاق الهمداني قال : لما ولي أمير المؤمنين محمد بن أبي بكر مصر وأعمالها كتب له كتاباً وأمره أن يقرأه على أهل مصر ،

(١) أنساب الأشراف : ٩٨/٥ .

(٢) رجال الطوسي : ص ٦٤ .

(٣) أعيان الشيعة : ٢٨٦/٢ .

(٤) تقريب التهذيب : ٧٣/٢ .

وليعمل بما وصاه به فيه .

(٢٧) أبو أراكة البجلي : عمرو بن أراكة

ذكره الطوسي في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال عنه كوفي ^(١) وهو في الأصل من اليمن ^(٢).

وذكره ابن حجر في الإصابة اسمه عمرو بن أراكة أو ابن أبي أراكة ذكره البخاري في الصحابة وقال عنه سكن البصرة وقال ابن السكن روى عنه حديثاً واحداً ولم يثبت له ثم أخرج من طريق أبان بن عثمان عن الحسن أن عمرو بن أراكة صاحب النبي صلى الله عليه وآله كان جالسا مع زياد بن أبي سفيان على سريرته فأتى بشاهد فتعتع في شهادته فقال له زياد : والله لأقطعن لسانك فقال عمرو بن أراكة : سمعت النبي صلى الله عليه وآله ينهى عن المثلة قال ابن السكن المشهور في هذا عن الحسن عن عمران بن حصين ^(٣).

ونقل عن البرقي عد بعضهم من الأصفياء وبعضهم من أوليائه ^(٤) ثم قال : ومن خواص أمير المؤمنين عليه السلام من مضر وعد جماعة ثم قال وأصحابه من ربيعة وعد جماعة ثم قال : وأصحابه من اليمن وعد جماعة إلى أن قال : وأبو أراكة البجلي ^(٥).

وقد أورد أبو أراكة خطب وكلمات أمير المؤمنين منها :

أما والله لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يكابدون هذا الليل :

رواها المفيد عن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد عن أبيه الصفار عن العباس بن معروف عن علي بن مهزيار عن محمد بن سنان عن أبي معاذ السدي عن أبي أراكة قال : صليت خلف أمير المؤمنين عليه السلام الفجر في مسجدكم هذا على يمينه وكان عليه كآبة ، ومكث حتى طلعت الشمس على حائط المسجد قيد رمح وليس هو على ما هو اليوم ، ثم أقبل على الناس فقال : أما والله لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وهم

(١) رجال الطوسي : ص ٦٤ .

(٢) معجم رجال الحديث : ١١/٢١ .

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة : ٢٨٤/٤ .

(٤) تقريب التهذيب : ٧٣/٢ .

(٥) أعيان الشيعة : ٢٨٥/٢ .

يكابدون هذا الليل يراو حون بين جباههم وركبهم كأن زفير النار في آذانهم فإذا أصبحوا غبراً صفراً بين أعينهم شبه ركب المعزى فإذا ذكر الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وأنهم ملت أعينهم حتى تبطل ثيابهم ، قال ثم نهض وهو يقول فكأنما بات القوم غافلين ثم لم ير مفترأ حتى كان من أمر ابن ملجم لعنه الله ما كان^(١) .
إن عباداً كسر قلوبهم خشية الله:

روى الحسين بن سعيد عن محمد بن سنان عن أبي عمار صاحب الأكسية عن البريدي عن أبي أراكة قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : «إن لله عباداً كسرت قلوبهم خشية الله فاستنكفوا عن المنطق وإنهم لفصحاء عقلاء ألباء نبلاء يستبقون الله بالأعمال الزاكية لا يستكثرون له الكثير ولا يرضون له القليل يرون أنفسهم أنهم شرار وأنهم الأكياس أبرار»^(٢) .

٢٨) كميل بن زياد (استشهد ٨٢هـ) :

كميل بن زياد بن نهيك النخعي الكوفي من أصحاب الإمامين أمير المؤمنين والحسن بن علي عليه السلام وكان شجاعاً زاهداً عابداً ذكره الطوسي في أصحاب أمير المؤمنين^(٣) ، بل عدّ من أعظم خواص أمير المؤمنين عليه السلام وقد ولاه أمير المؤمنين هيت ، فلم يستطع إدارتها فعاتبه أمير المؤمنين بكتاب جاء فيه : أما بعد : فإن تضييع المرء ما ولي ، وتكلفه ما كفى لعجز حاضر ، ورأي متبر وإن تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا ، وتعطيلك مسالحك التي وليناك ليس بها من يمنعه ، ولا يرد الجيش عنها لرأي شعاع ، فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ، ولا ساد ثغرة ، ولا كاسر لعدو شوكة ولا مغن عن أهل مصره ولا مجز عن أميره^(٤) .
روى عن أمير المؤمنين عليه السلام العديد من خطبه وأقواله ، ومما رواه الدعاء المشهور بـ :
دعاء كميل :

ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال وقال عنه : كميل بن زياد بن نهيك بن هيثم

(١) أمالي المفيد : ص ١٩٦ - ١٩٧ المجلس الثالث والعشرون .

(٢) الحسين بن سعيد : كتاب الزهد ص ٥ باب الصمت .

(٣) رجال الطوسي : ص ٥٦ .

(٤) نهج البلاغة : باب الرسائل رقم (٦١) .

النخعي، حدث عن علي عليه السلام وغيره، شهد صفين مع علي عليه السلام وكان شريفاً مطاعاً ثقة عابداً^(١). قتله الحجاج بن يوسف الثقفي وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبره بأنه سيقتله.

ومما روى عنه في نهج البلاغة:

الناس ثلاث؛ عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع:

روى ابن عبد ربه: حدثنا أيوب بن سليمان قال: حدثنا عامر بن معاوية عن أحمد ابن عمران الأخنس عن الوليد بن صالح الهاشمي، عن عبد الله بن عبد الرحمن الكوفي، عن أبي مخنف، عن كميل النخعي، قال: أخذ بيدي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فخرج بي إلى ناحية الجبانة فلما أصبح تنفس الصعداء ثم قال: «يا كميل إن هذه القلوب أوعية، فخبرها أو عاها فأحفظ عني ما أقول لك...» إلى آخر كلماته عليه السلام^(٢).

يا كميل مرّ أهلك أن يروحوا:

رواها السيد الرضي في باب الحكم والمواعظ برقم (٢٥٧) وذكر قائلاً: وقال عليه السلام لكميل بن زياد النخعي، وذكر الحديث.

(٢٩) محمد بن الحنفية (هـ ٨١) مؤرخ تقي الدين

هو أبو القاسم أو أبو عبد الله من الطبقة الأولى من التابعين ولد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ومات في أيام عبد الملك بن مروان وعمره خمس وستون سنة. انتشر فضله في البلدان حتى أن قوماً ادّعوا إمامته وهم الملقبون بالكيسانية، ومنهم السيد الحميري في أول أمره، يستدلّ من أبيات شعرية له في هذا المجال، ومنهم كثير عزة الشاعر.

أمه خولة الحنفية من بني حنيفة وهي بنت جعفر بن قيس بن سلمة من بكر بن وائل، ذكر في قصة خولة أن بني أسد أغارت على بني حنيفة في خلافة أبي بكر فسبوا خولة فباعوها من علي فقدم قومها عليه فأخبروه بموضعها منهم فأعتقها وأمهرها.

(١) ميزان الاعتدال: ٢٥/٤.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٨١/٢ وذكرها الثقفي في الفارات ص ٨٩ برواية أبي زكريا يحيى بن صالح الحريري.

وتزوجها^(١).

وكان أديباً بليغاً، ذكر البلاذري بعض كلماته منها؛ ليس بحليم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدّاً، حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً. وقال أيضاً: الكمال في ثلاث العفة في الدين، والصبر في النوائب، وحسن التقدير للمعيشة.

وقال أيضاً: من كرمته عليه نفسه صغرت الدنيا في عينه. وكان يقول: شرّ عادات المرء أتباعه هواه.

وقوله: إنما يأمن في غده، من خاف الله في يومه^(٢).

وله اختبار طويل مع والده أمير المؤمنين عليه السلام وأخيه الحسن وأخيه الحسين عليهم السلام. وبعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام شجع المختار الثقفي على الانتقام من قتلة الشهيد، ولما علم ابن الزبير بقصة محمد مع المختار حبسه في مكان يقال له حبس عارم.

وقال هشام: وإنما حبسه في قبة زمزم وحبس معه عشرين من وجوه عشيرته وجماعة من بني هاشم لم يبايعوه، وضرب لهم أجلاً أن يبايعوه فيه وإلا حرقهم بالنار، وأشار بعض من كان مع محمد أن يبعث إلى المختار فيعرفه حديثهم وما توعدهم به ابن الزبير وقال في كتابه: يا أهل الكوفة لا تخذلونا كما خذلتهم الحسين، فلما قرأ المختار كتابه بكى وجمع الأشراف وقرأ عليهم الكتاب وقال: هذا كتاب مهديكم وسيد أهل بيت نبيكم وقد تركهم الرسول ينتظرون القتل والحريق ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم وأسرب الخيل في أثر الخيل كالسيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل، ثم سرج إليهم عبد الله الجدلي في ألف فارس وأتبعه بألف ثم بألف فساروا حتى هجموا مكة ونادوا يا لثارات الحسين وكان ابن الزبير قد ألقى الخطب على باب القبة، ولم يبق من الأجل سوى يومين، فقال محمد: لا أستحل القتال في حرم الله ثم تتابع عدد المختار حتى خرج محمد في أربعة آلاف فخرج إلى أيلة فأقام بها مدة سنتين

(١) أنساب الأشراف: ١٥٥/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٥٢٢/٢.

وكان ابن الزبير قد أحرق داره وقيل بل أقام بالطائف وهو الأشهر^(١).
وقد روى ابن الحنفية بعض كلمات أمير المؤمنين منها:
من كرمته عليه نفسه هانت عليه شهواته:

روى هذا الكلام ابن عبد ربه عن محمد بن الحنفية بلفظ «هانت عليه الدنيا»^(٢).
وأورده السيد الرضي في باب الحكم والمواعظ برقم (٤٤٩).

٣. نون بن فضالة البكالي (ت بعد التسعين للهجرة) :

هو نون بن فضالة البكالي الحميري أبو يزيد أو أبو رشيد، تابعي صاحب أمير المؤمنين^(٣)، ومن خواصه، وهو من قبيلة بني بكال وهي بطن من جُمَيْر، لم يذكره الطوسي في أصحاب أمير المؤمنين^(٤)، ذكره السيد الأمين في أعيان الشيعة^(٥).
روى نون بعض أقوال أمير المؤمنين^(٦) منها:
الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق:

روى السيد الرضي عن نون البكالي قال: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين علي^(٧) بالكوفة، وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف وفي جبينه ثغنة من أثر السجود (وذكر الخطبة)^(٨).

وأورده الشيخ المفيد في المجالس على شكل وصية مروياً عن ابن إدريس عن أبيه عن ابن أبي طالب عن المغيرة بن محمد عن بكر بن خنيس عن أبي عبد الله الشامي عن نون البكالي (وذكر الوصية)^(٩).

يا نون طوبى للزاهدين في الدنيا:

روى السيد الرضي عن نون البكالي، قال: رأيت أمير المؤمنين^(١٠) ذات ليلة، وقد

(١) تذكرة الخواص: ص ١٥٠.

(٢) العقد الفريد: ١٧٣/٣.

(٣) أعيان الشيعة: ٢٣٠/١٠.

(٤) نهج البلاغة: باب الخطب رقم (١٨٢).

(٥) المفيد: المجالس ص ٢٦٧.

خرج من فراشه ، فنظر في النجوم فقال لي : يا نوف أراقداً أنت أم رامق ؟ فقلت : بل رامق ، قال : يا نوف ، طوبى للزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة^(١) .

وروى الصدوق هذه الوصية عن أبيه عن سعد عن أيوب بن نوح عن الربيع بن محمد المسلي عن عبد الأعلى عن نوف قال : بت ليلة عند أمير المؤمنين فكان يصلي الليل كله ، ويخرج ساعة بعد ساعة فينظر إلى السماء ويتلو القرآن ، قال : فمررت به بعد هدوء من الليل فقال : يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا^(٢) .

(٢١) أبو جحبة : وهب بن عبد الله السوائي (ت ٦٤هـ) :

ذكره الطوسي في رجاله ، وذكر اسمه وهب بن عبد الله السوائي^(٣) وهو من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من مضر^(٤) .

كان مراهقاً عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، سكن الكوفة ، وولي بيت المال والشرطة لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، فكان يدعوه وهب الخير ومات في ولاية بشر بن مروان على العراق ، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة^(٥) .

شهد مع أمير المؤمنين أكثر حروبه ، وكان يحبه ويشق به وكان يسميه بأسماء جميلة : وهب الخير ، وهب الله ، وذكره الجزري في (أسد الغابة) في باب الكنى تارة وفي باب الواو أخرى ، وقال عنه : كان من شرطة علي بن أبي طالب عليه السلام وكان يقوم تحت منبره ، واستعمله على خمس المتاع الذي كان . ومما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام :

أول ما تغلبون عليه من الجهاد؛ الجهاد بأيديكم:

أوردها السيد الرضي في باب الحكم والمواعظ برقم (٣٧٥) بسنده عن أبي جحيفة قائلاً : وعن أبي جحيفة قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أول ما تغلبون عليه من الجهاد؛ الجهاد بأيديكم .

(١) نهج البلاغة: باب الحكم والمواعظ (١٠٤).

(٢) الصدوق: الخصال ١٦٤/١ .

(٣) رجال الطوسي: ص ٦١ .

(٤) معجم رجال الحديث ٢٠٨/١٩ .

(٥) رجال الطوسي: ص ٦٤ .

(٢)

الذين رووا كلام أمير المؤمنين عبر الأئمة من ولده

ذكرنا فيما سبق قائمة بالذين رووا عن أمير المؤمنين عليه السلام بصورة مباشرة سواء كانوا من أصحابه أو من غير أصحابه، وهناك جملة من الخطب والأقوال والأحاديث التي رواها أصحاب الحديث عن الأئمة عليهم السلام باعتبارهم ورثة علم الإمامة، وإن كتاباً لأمير المؤمنين بعنوان الصحيفة كانوا يستورثونه واحداً بعد آخر، وسنجد في قائمة الرواة عدداً كبيراً من الخطب وصلتنا عن طريق هؤلاء، الأمر الذي دفع بنا لأن نُفرد له مكاناً في هذا البحث ذاكرين الأئمة الذين رووا هذه الخطب ثم الذين رووا تلك الخطب عبرهم.



المروى عن طريق الحسن المجتبي :

- ١- روى المحدثون وصية أمير المؤمنين عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام عن طريقه بصورة مباشرة، ذكر ذلك الشيخ الطوسي عن المفيد عن عمر بن محمد المعروف بابن الزيات عن محمد بن همام الإسكافي عن جعفر بن محمد بن مالك عن أحمد بن سلامة الغنوي عن محمد بن الحسن العامري عن أبي معمر عن أبي بكر بن عياش عن الجميع العقيلي قال: حدثني الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما حضرت والدي الوفاة أقبل يوصي فقال: «هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب...» إلى آخر الوصية^(١).
- ٢- روى ابن عساكر بسنده عن أبي العيلاء عن الأصمعي عن شعبة بن سماك بن حرب قال: قال الحسن بن علي: وذكر وصيته لابنه: «لا تُخلفن وراءك شيئاً»^(٢).
- ٣- وروى الكليني في الكافي خطبة أمير المؤمنين «فإن الأمر ينزل» بسند متصل

(١) أمالي الطوسي: ٦/١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٨٥/١٢ وذكرها السيد الرضي في باب الحكم برقم (٤٠٦).

عن يحيى بن عقيل عن الحسن عليه السلام ^(١). ذكرها السيد الرضي في باب الخطب برقم (٢٣).

المروي عن طريق الإمام الحسين عليه السلام :

روى الكافي بسنده عن الحسين بن علي أنه قال : لما قبضت فاطمة عليها السلام دفنها أمير المؤمنين عليه السلام سرّاً وعفا على موضع قبرها ، ثم قال : (كلام الإمام) ثم حوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله (وذكر الكلام بزيادة) ^(٢).

المروي عن طريق الإمام زين العابدين عليه السلام :

١- روى الطوسي الخطبة التي يقول فيها : «السلام عليك يا رسول الله عني ، وعن ابنتك النازلة في جوارك» عن طريق الإمام زين العابدين عن علي بن محمد الهرمزداري ^(٣) ذكر الرضي برقم (٢٠٢).

٢- روى الطوسي عن أحمد بن محمد بن الصلت عن ابن عقدة عن محمد بن عيسى الضرير عن محمد بن زكريا المكي عن كثير بن طارق عن زيد عن أبيه علي بن الحسين ، قال : خطب أمير المؤمنين بهذه الخطبة في يوم الجمعة فقال : «الحمد لله المتوحد بالقدم والأزلية الذي ليس له غاية» ^(٤).

المروي عن طريق أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام :

١- روى الصدوق في الأمالي عن أبيه عن سعد عن ابن هاشم عن ابن أبي نجران عن ابن حميد عن محمد بن قيس عن أبي جعفر الباقر قال : كان أمير المؤمنين بالكوفة إذا صلى العشاء الآخرة ينادي الناس ثلاث مرات حتى يسمع أهل المسجد : «أيها الناس تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل» ^(٥).

(١) الكافي: ٥٦/٥.

(٢) أصول الكافي: ٤٥٨/١ رواها السيد الرضي برقم (٢٠٢).

(٣) أمالي الطوسي: ١٠٨/١.

(٤) المصدر نفسه: ٢/٢١٥.

(٥) أمالي الصدوق: ص ٢٩٨.

محمد بن قيس الأنصاري:

ذكره الشيخ الطوسي في رجال الإمام الباقر عليه السلام وروى الكشي عن محمد بن غالب عن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن محمد بن زياد عن فضيل بن عثمان، عن مرزوق قال، قلت لأبي عبد الله: محمد بن قيس يقرئك السلام! فقال لي: محمد بن القيس الذي بينه وبين عبد الرحمن القصير قرابة؟ قلت: نعم، قال: قل له أعبد الله ولا تشرك به شيئاً وآمن برسوله خاتم النبيين لا نبي بعده وإنه كان لرسول الله الطاعة المفروضة وعليّ ابن عمه، وإياك والسمع من فلان وفلان^(١).

وذكره الكشي في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام^(٢). إلا أن الطوسي ذكره في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام محمد بن قيس أبو نصر الأسدي وقال عنه ثقة (للتأكيد)، وهو نفسه الذي ذكره في أصحاب الباقر لأنه ليس هناك محمد بن قيس وورد في حاشية الكتاب أنه أحد بني نصر بن قعين بن الحرث بن ثعلبة من دودان بن أسد، وجه من وجوه العرب بالكوفة، وكان خصيصاً بعمير بن عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الملك، وكان أحدهما أنفذه إلى بلاد الروم في فداء المسلمين، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وله كتاب في قضايا أمير المؤمنين عليه السلام^(٣).

٢- روى الصدوق عن أبيه عن سعد عن اليقطيني عن يونس عن ابن أيوب عن أبي حمزة عن أبي جعفر قال: قال أمير المؤمنين: «جمع الخير كله في ثلاث خصال: النظر والسكوت والكلام...» إلى آخره^(٤).

أبو حمزة الثمالي (ت ١٥٠هـ):

وهو راوي هذا الكلام عن الإمام الباقر، واسمه ثابت بن دينار الكوفي أو ثابت ابن أبي صفية بن دينار الكوفي، ذكره الطوسي في أصحاب الإمامين زين العابدين والباقر عليهما السلام^(٥).

(١) رجال الكشي: ص ٢٤٠ رقم (٦٣٠).

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٧.

(٣) راجع رجال الطوسي ص ٢٩٨.

(٤) الصدوق: معاني الأخبار ص ٣٤٤.

(٥) رجال الطوسي: ص ١١٠.

روى عن السنة والشيعة، قال عنه الإمام الصادق (عليه السلام): أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه.

نال منه بعض علماء السنة، قال عنه ابن حجر: إنه ضعيف رافضي من الخاصة، مات بعد المائة في خلافة أبي جعفر (١).

ذكره العلامة في الخلاصة، وقال عنه: ثابت بن دينار يكنى ديناراً أبا صفية وكنيته ثابت أبو حمزة الثمالي روى عن علي بن الحسين (عليه السلام) ومن بعده، واختلف في بقاءه إلى وقت أبي الحسن موسى (عليه السلام)، وكان ثقة وكان عربياً أزدياً (٢).

وروى الكشي عن حسين بن أبي حمزة عن أبيه، قال والله إنني لعلی ظهر بعيري بالبقيع إذ جاءني رسول فقال: أجب يا أبا حمزة فجئت وأبو عبد الله (عليه السلام) جالس، فقال: إنني لأستريح إذ رأيتك، ثم قال: إن أقواماً يزعمون إن علياً (عليه السلام) لم يكن إماماً... إلى آخره (٣).

وروي عن عبد الملك بن أعين، وكان أبو حمزة يشرب النبيذ ومتهم به إلا أنه قال ترك قبل موته، وزعم أن أبا حمزة ووزارة ومحمد بن مسلم ماتوا في سنة واحدة بعد أبي عبد الله (عليه السلام) بسنة أو بنحو منه، وكان أبو حمزة كوفياً، وروي أيضاً أنه ذكر عند الإمام الصادق أنه يشرب النبيذ، ولما سمع أبو حمزة بذلك قال: استغفر الله من الآن وأتوب إليه.

وروى عن أبي بصير أنه دخل على الصادق (عليه السلام) فسأله عن أبي حمزة الثمالي فقال: خلفته عليلاً، قال: إذا رجعت إليه فاقرأه مني السلام واعلمه أنه يموت في شهر كذا في يوم كذا (٤).

وروى عن الشاذاني قال: سمعتُ الفضل بن شاذان قال: سمعتُ الثقة، يقول سمعتُ الرضا (عليه السلام) يقول: أبو حمزة الثمالي في زمانه كلقمان في زمانه، وذلك أنه قدم

(١) تقريب التهذيب: ١١٦/١ رقم ٩.

(٢) الخلاصة: ص ٨٥.

(٣) رجال الكشي: ص ٣٢ رقم (٦١).

(٤) المصدر نفسه: ص ٢٠٢ رقم (٣٥٥).

أربعة منا علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وبرهة من عصر موسى بن جعفر ❦.

قال أبو عمرو: سألت أبا الحسن حمدوية بن نصير، عن علي بن أبي حمزة الثمالي والحسين بن أبي حمزة ومحمد أخويه وأبيه؟ فقال: كلهم ثقات فاضلون ^(١). وقد روى عن الأئمة الكثير من الأحاديث ومما رواه عن الإمام زين العابدين دعاء السحر في شهر رمضان ذلك الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي.

روى عنه الكثير منهم: أبيض بن الأعز بن الصباح المنقري والحسن بن محبوب وحفص بن غياث، وأبو أسامة حماد بن أسامة؛ وحمزة بن حبيب الزيات، وحميد بن حماد بن حوار، وخالد بن يزيد بن أبي مالك، وخالد بن يزيد القسري، وزاخر بن سليمان، وسعاد بن سليمان، وسعيد بن يحيى اللخمي، وسفيان الثوري وشريك بن عبد الله النخعي في (سنن الترمذي)، وعاصم بن حميد الحنطاط، وعبد الله ابن الأجلح، وعبد الملك بن أبي سليمان في مسند علي وعبد الله بن موسى، وعلي بن هاشم بن البريد، وعمرو بن أبي المقدام ثابت بن هرمز، وعيسى بن موسى الطهوي، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وقيس بن الربيع، ومحمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، ومنصور بن وردان، وأبو المغيرة النضر بن إسماعيل البجلي، ووکیع بن الجراح في (سنن الترمذي) وأبو بكر بن عياش في (سنن الترمذي) ^(٢).

٣- وروى الطوسي عن المفيد عن أحمد بن الوليد عن أبيه عن الصفار عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي جعفر عن آبائه، قال أمير المؤمنين: أفضل ما توسل به المتوسلون بالإيمان بالله... إلى آخره ^(٣)، رواها السيد الرضي في باب الخطب برقم (١١٠) والخطبة مروية عن أبي بصير.

ليث بن البخاري المرادي (أبو بصير):

عده الطوسي من رجال الباقر، الصادق، الكاظم ❦ ^(٤)، وذكره في الفهرست

(١) المصدر نفسه: ص ٢١٣ رقم (٢٥٧).

(٢) المزي: تهذيب الكمال ٢٥٨/٤.

(٣) أمالي الطوسي: ٢٢٠/١.

(٤) رجال الطوسي: ص ١٣٢.

وقال: له كتاب ثم ذكر طريقه إلى روايته عنه.

روى الكشي عن حمدوية بن نصير، قال حدثنا يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: بشر المختين بالجنة يزيد بن معاوية العجلي وأبو بصير ليث بن البختري المرادي ومحمد بن مسلم وزرارة، أربعة نجباء أمناء الله على حاله وحرامه، لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست ^(١).

وعن حمدوية قال: حدثنا يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير عن شعيب العرقوفي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء فمن نسأل؟ قال: عليك بالأسدي، يعني أبا بصير ^(٢).

٤- وروى (الخطبة الشقشقية) عن ابن عباس عن طريق الحفار عن أبي القاسم الدعبل عن أبيه عن أخيه دعبل، عن محمد بن سلامة الشامي عن زرارة عن أبي جعفر الباقر، والباقر عن ابن عباس ^(٣).

٥- وأسند البرقي رواية الخطبة (٥٠) من نهج البلاغة: إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع... إلى الحسن بن علي فضال بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ^(٤).

٦- هناك خطب رواها جابر بن عبد الله الأنصاري عن الإمام الباقر ذكرناها في القسم الأول، منها الخطبة التي تبدأ بـ «الحمد لله الخافض» والخطبة التي تبدأ بـ «أما بعد فقد جعل الله تعالى عليكم».

٧- وروى الصدوق في الخصال وفي التوحيد بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر: أن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين فقال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك، فقال: عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحل العقود ونقض الهمم ^(٥).

(١) رجال الكشي: ص ١٧٠ رقم ٢٨٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٧١ رقم ٢٦١.

(٣) أمالي الطوسي: ص ٢٨٥.

(٤) المحاسن: ٢٠٨/١.

(٥) الخصال: ص ٦ والتوحيد ص ٢٠٩.

أورد ذلك السيد الرضي في باب الحكم والمواظظ برقم (٢٥٠).

٨- وروى وصية الإمام إلى ولده الحسن عليه السلام، أوردها السيد ابن طاووس برواية علي بن محمد بن إبراهيم التستري قال: حدثنا جعفر بن غنيسة قال: حدثنا عباد بن زياد قال: حدثنا عمرو بن أبي المقدام عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن بن علي ^(١).

أما عمرو بن أبي المقدام فقد ذكره الكشي في رجاله راوياً عن أبي جعفر الأول عليه السلام حديثاً عن يحيى بن أم الطويل ^(٢).

٩- روى الصدوق عن ابن عصام عن الكليني عن محمد بن علي بن معن عن محمد بن علي بن عاتكة، عن الحسين بن النضر الفهري، عن عمرو الأوزاعي عن عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: «الحمد لله الذي أعجز الأوهام» ^(٣).

فالراوي عن الإمام الباقر هو جابر بن يزيد الجعفي الذي نقف عند اسمه ملياً: جابر بن يزيد الجعفي (ت ١٢٨):

هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي عليه السلام أبو عبد الله، وقيل أبو محمد الكوفي، محدث موثق عند الطائفتين: قال أبو عيسى: وسمعت الجارود يقول: سمعت وكيعاً يقول: لولا جابر الجعفي لكان أهل الكوفة بغير حديث ^(٤).

وقال إسماعيل بن علية عن شعبة: جابر صدوق في الحديث ^(٥)، وعن ابن مهدي: سمعت سفيان يقول: ما رأيت في الحديث أورع من جابر الجعفي ^(٦).

وعن الجراح بن مليح يقول: سمعت جابراً يقول: عندي سبعون ألف حديث عن

(١) كشف المحجة لثمره المهجة: فصل ١٥٤ ص ١٥٧.

(٢) رجال الكشي: ص ١٢٣ رقم ١٩٥.

(٣) الصدوق: التوحيد ص ٧٣ الأعلمي.

(٤) سنن الترمذي: ٧٤١/٥.

(٥) تهذيب الكمال: ٤٦٧/٤.

(٦) ميزان الاعتدال: ٢٨٢/١.

أبي جعفر عن النبي ﷺ كلها^(١).

ذكره الطوسي في أصحاب الباقر والصادق ﷺ: جابر بن يزيد بن الحرث بن عبد يغوث الجعفي توفي سنة ثمان وعشرين ومائة على ما ذكر ابن حنبل، وقال: يحيى بن معين مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقال القتيبي هو من الأزد^(٢). واشتهر بأنه كان يروي عن الباقر ﷺ، كذلك روى عن الصادق وعن جابر الأنصاري^(٣).

ذكر الكشي عن حمدويه وإبراهيم، قال: حدثنا محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم عن زياد بن أبي الحلال، قال: اختلف أصحابنا في أحاديث جابر الجعفي فقلتُ لهم: أسأل أبا عبد الله ﷺ فلما دخلت ابتدأني فقال: رحم الله جابر الجعفي كان يصدق علينا، لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا.

وروى عن حمدويه، قال: حدثنا يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير عن عبد الحميد بن أبي العلا، قال: دخلت المسجد حين قُتل الوليد، فإذا الناس مجتمعون، قال: فأتيتهم فإذا جابر الجعفي عليه عمامة خمر حمراء وإذا هو يقول: حدثني وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء محمد بن علي ﷺ قال: فقال الناس: جُنَّ جابر^(٤).

وروى عن جبرئيل بن أحمد، حدثني الشجاع عن محمد بن الحسين عن أحمد ابن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: دخلت على أبي جعفر ﷺ وأنا شاب، فقال: من أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: ممن؟ قلت: منك، قال: فإذا سألك أحد من أين أنت؟ فقل من أهل المدينة، قال: قلت: أسألك قبل كل شيء عن هذا: أيحلّ لي أن أكذب؟ قال: ليس هذا بكذب، من كان في مدينة فهو من أهلها حتى يخرج، قال ودفع إلي كتاباً وقال لي: إن أنت حدثت به حتى تهلك بنو أمية فعليك لعنتي ولعنة آبائي، ثم دفع إلي كتاباً آخر، ثم قال: وهاك هذا فإن حدثت بشيء

(١) صحيح مسلم: ٢٠/١ في المقدمة.

(٢) رجال الطوسي: ص ١١٠.

(٣) معجم رجال الحديث: ٢٦/٤.

(٤) رجال الكشي: ص ١٩٢ رقم (٣٣٦) و (٣٣٧).

منه أبداً فعليك لعنتي ولعنة آبائي^(١).

وروى عن علي بن محمد، قال: حدثني محمد بن أحمد عن يعقوب بن يزيد عن عمرو بن عثمان، عن أبي جميلة، عن جابر، قال: رويت خمسين ألف حديث ما سمعه أحد مني.

وعن جبريل بن أحمد، حدثني محمد بن عيسى، عن إسماعيل بن مهران، عن أبي جميلة المفضل بن صالح، عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: حدثني أبو جعفر^(٢) بسبعين ألف حديث لم أحدث بها أحداً قط، ولا أحدث بها أحداً أبداً، قال جابر: فقلت لأبي جعفر^(٣) جعلت فداك أنك قد حملتني وقرأ عظيمًا بما حدثتني به من سركم الذي لا أحدث به أحداً، فرما جاش في صدري حتى يأخذني منه شبه الجنون! قال: يا جابر فإذا كان ذلك فأخرج إلى الجبان فاحفر حفيرة ودل رأسك فيها ثم قل حدثني محمد بن علي بكذا وكذا^(٤).

وروى نصر بن الصباح، قال: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن محمد البصري، قال حدثنا علي بن عبد الله، قال: خرج جابر ذات يوم وعلى رأسه قوصرة راكباً قصبة حتى مرّ على سكك الكوفة، فجعل الناس يقولون جنّ جابر جنّ جابر! فلبثنا بعد ذلك أياماً، فإذا كتاب هشام قد جاء يحمله إليه، قال، فسأل عنه الأمير فشهدوا عنه أنه قد اختلط، وكتب بذلك إلى هشام فلم يتعرض له، ثم رجع إلى ما كان من حاله الأول^(٥).

وكان الإمام قد أخبره بأن هشاماً سيطلبه فافتعل فعل المجانين عملاً بنصيحة الإمام حتى يتركه وشأنه.

١٠- روى الكليني عن علي بن الحسن المؤدب وأحمد بن محمد بسنديهما عن أبي جعفر^(٦) قال: خطب أمير المؤمنين بصفين: «إما بعد فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقاً بولاية أمركم ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم فالحق أوسع الأشياء في

(١) المصدر نفسه: ص ١٩٣.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٩٤ رقم ٢٤٣.

(٣) رجال الكشي: ص ١٩٥ رقم ٢٤٤.

التواصف، وأضيقتها في التناصف»^(١).

وأورد السيد الرضي الخطبة برقم (٢١٦).

١١- روى المفيد: تجهزوا رحمكم الله! فقد نودي فيكم بالرحيل، بسنده عن

الباقر^(٢) أوردها السيد الرضي برقم (٢٠٤) باب الخطب.

ما روي عن طريق الإمام الصادق :

١- روى الكليني عن أحمد بن محمد الكوفي عن جعفر بن عبد الله الحمدي عن

أبي روح فرج بن قرة عن جعفر بن عبد الله عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله قال:

خطب أمير المؤمنين بالمدينة: «أما بعد فإن الله تبارك وتعالى لم يقصم جباري دهر إلا

من بعد تحصيل...» إلى آخر الخطبة^(٣) أوردها السيد الرضي في باب الخطب برقم

(٢٨٨).

مسعدة بن صدقة:

ذكره الطوسي وعده من أصحاب الإمام الصادق: مسعدة بن صدقة العبسي

البصري أبو محمد برقم (٥٤٥)^(٤).

روى الكشي عن محمد بن إسحاق، ومحمد بن المكندر، وعمرو بن خالد

الواسطي وعبد الملك بن جريح، والحسين بن علوان، والكلبي، هؤلاء من رجال

العامة إلا أن لهم ميلاً ومحبة شديدة، وقد قيل أن الكلبي كان مستوراً ولم يكن

مخالفاً، وقيس بن الربيع بترى كانت له محبة، فأما مسعدة بن صدقة بترى، وعباد بن

صهيب عامي، وثابت أبو المقدام بترى، وكثير النواء بترى، وعمرو بن جميع بترى،

وحفص بن غياث عامي، وعمرو بن قيس الماصر بترى، ومقاتل بن سليمان البجلي،

ومثل البجلي بترى، وأبو نصر بن يوسف بن الحارث بترى^(٥).

(١) الكليني: الروضة ص ٢٥٢.

(٢) المجالس: ص ١١٦.

(٣) الروضة: رقم (٢٢).

(٤) رجال الطوسي: ص ٢١٤.

(٥) رجال الكشي: رقم ٢٢ ص ٢٩٠.

وقد روى مسعدة عن طريق الإمام الصادق عدداً من كلمات وخطب وأشعار أمير المؤمنين عليه السلام، وفي الذريعة: أنه له كتاب بعنوان خطب أمير المؤمنين لأبي بشر مسعدة بن صدقة العبدي الراوي^(١).

روى الكشي عن محمد بن مسعود قال: حدثني محمد بن يزيد الرازي، عن محمد بن علي الحداد، عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: ذكرت التقية يوماً عند علي عليه السلام فقال: «إن علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، وقد آخى رسول الله بينهما، فما ظنك بسائر الخلق»^(٢).

وروى أيضاً عن محمد بن مسعود، قال: أخبرنا محمد بن يزيد الرازي، قال: حدثنا محمد بن علي الحداد عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه، إن علياً عليه السلام قال:

لما رأيت أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً^(٣)

٢- وعن طريق مسعدة بن صدقة وردت إلينا الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام في البصرة والتي مطلعها «المدة وإن طالبت قصيرة» وردت بسند مرفوع إلى الإمام الصادق عليه السلام عن محمد بن علي عن عمه محمد بن أبي القاسم عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن الصادق عليه السلام^(٤).

٣- وروى السيد الرضي عن مسعدة بن صدقة عن جعفر الصادق هذه الخطبة: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة على منبر الكوفة، وذلك أن رجلاً أتاه فقال له: يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا مثلما نراه عياناً لنزداد له حباً وبه معرفة، فغضب ونادى، الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله، فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «الحمد لله الذي لا يفره المنع والجمود...» إلى آخره^(٥).

(١) الذريعة: ١٨٧/٧.

(٢) رجال الكشي: ص ١٧ رقم (٤١).

(٣) المصدر نفسه: ص ٧٢ رقم ١٢٧.

(٤) المجالس: ص ٦٧.

(٥) خطبة الأشباح وهي برقم (٩١).

٤- وعن طريق المفضل بن عمر وردت الخطبة التي فيها «والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً» بسند مرفوع إلى الإمام الصادق عليه السلام عن الدقاق عن محمد بن الحسن الكاري عن محمد بن الحسين الخشاب عن محمد بن محسن عن المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد ^(١) وذكرها السيد الرضي في باب الخطب برقم (٢٢٤).

المفضل بن عمر الجعفي الكوفي:

اختلفت الآراء حول المفضل بن عمر بين قادح ومادح فاتهمه التجاشي بأنه فاسد المذهب مضطرب الرواية لا يعاب به وقيل كان خطائياً، وذكرت له مصنفات لا يعول عليها ونحوه.

ووصفه العلامة بالغلو في حديثه ولم يجز لأحد كتابة حديثه.

والى جانب هذه الآراء القادحة هناك آراء معاكسة، قال المفيد في الإرشاد ممن روى صريح النص بالإمامة من أبي عبد الله عليه السلام على ابنه أبي الحسن موسى عليه السلام من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاصته ويطائنه وثقاته الفقهاء الصالحين رحمة الله عليهم ^(٢).

ومدحه الطوسي وقال عنه: أنه من قوامهم وكان محموداً عندهم وروى عن هشام بن أحمر أنه سمع الصادق يبيحه ^(٣).

أما الكشي فقد أورد الأحاديث الدامة والمادحة. فعن جبريل بن أحمد قال: حدثني محمد بن عيسى، عن يونس عن حماد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول للمفضل بن عمر الجعفي: يا كافر يا مشرك مالك ولا بنسي! يعني إسماعيل بن جعفر وكان منقطعاً إليه يقول فيه مع الخطابية ثم رجع بعد.

وروى حديثاً عن الإمام أبي الحسن (موسى بن جعفر عليه السلام) يقول: لما أتاه موت

(١) المجالس: ص ٢٦٨.

(٢) المفيد: الإرشاد ٢/٢١٦.

(٣) الطوسي: الغيبة ص ٢٤٦ مؤسسة المعارف.

المفضل بن عمر، قال: رحمه الله كان الوالد بعد الوالد، أما أنه قد استراح.

وروى حديثاً عن يسير الدهان، قال أبو عبد الله ﷺ لمحمد بن كثير الثقفي: ما تقول في المفضل بن عمر؟ قال: ما عسيت أن أقول فيه، لو رأيت في عنقه صليلاً وفي وسطه كستيجا لعلمت أنه على الحق، بعد ما سمعتك تقول فيه ما تقول، قال رحمه الله لكن حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة أتياني فشتماه عندي، فقلت لهما لا تفعلوا فإنني أهواه، فلم يقبلأ فسالتهما وأخبرتهما أن الكف عنه حاجتي فلم يفعلا، فلا غفر الله لهما، أما إنني لو كرمت عليهما لكرم عليهما من يكرم علي، ولقد كان كثير عزّة في مودّته لها أصدق منهما في مودّتهما لي، حيث يقول:

لقد علمت بالغيب إنني أخونها إذا هولم يكرم علي كريمها

أما إنني لو كرمت عليهما لكرم عليهما من يكرم علي.

وروى عن هشام بن أحمر، قال: دخلت على أبي عبد الله ﷺ وأنا أريد أن أسأله عن المفضل بن عمر، وهو في ضيعة له في يوم شديد الحر والعرق يسيل على صدره فابتدأني فقال: نعم والله الذي لا إله إلا هو، المفضل بن عمر الجعفي، حتى أحصيت نيفاً وثلاثين مرة يقولها ويكررها، قال: إنما هو والد بعد والد.

وروى خالد بن نجيح الجوّان قال: قال لي أبو الحسن ﷺ ما يقولون في المفضل بن عمر؟ قلت: يقولون فيه هبه يهودياً أو نصرانياً وهو يقوم بأمر صاحبكم، قال: ويلهم ما أخبث ما أنزلوه! ما عندي كذلك وما لي فيهم مثله^(١).

ونوه السيد الأمين إلى هذه الأحاديث المتناقضة في المفضل بن عمر، وقد رجّح كثير من العلماء وثاقته بل جلالة قدره لعدم ثبوت ما رُمي به من الغلو وظهور أحواله في خلافه وروايته ما يظهر من ذم الغلاة، واحتمال أن يكون رميهم له بالغلو كرمي من نفي السهو والنسيان عن الأنبياء ونحو ذلك أو لرواية الغلاة عنه أو غير ذلك مع أن له كتاب التوحيد، ولكثرة رواياته المتلقاة بالقبول وكونه خطائياً قد عرفت دلالة بعض الأخبار على رجوعه عنه.

قال البهبهاني ومن العجب الإتيان برواية شريك الملعون قدحاً فيه ، وأما حكاية ترك الصلاة فلا يبعد كونها موضوعه لتضمنها تركه لها مجاهرة ومخالفة لرفقائه وإنهم سألوه عن السبب وكانت صلاة الصبح فقال : صليت قبل أن أخرج وقد خرج ليلاً وكل ذلك بعيد وإن صحّ أمكن كونه في وقت خطايته كسائر ما ورد في ذمه في كونه خطاياً في وقت ما . ويظهر من أخباره أنه كان في الغالب على حسن العقيدة^(١) .

ويقول السيد الخوئي بعد فحص الروايات عنه : إن الاختلاف هو في الروايات التي رويت عن الصادق^(ع) ، وأما ما روى عن الكاظم والرضا^(ع) فكلها مادحة على ما تقدم ، وهذا يكشف عن أن القدح الصادر عن الصادق (سلام الله عليه) إنما كان بعلّة ، ويكفي في جلالة المفضل تخصيصه الإمام الصادق^(ع) إياه بكتابه المعروف بتوحيد المفضل^(٢) .

وفي النتيجة يمكننا القول إن المفضل بن عمر كان مغالياً في عهد من عمره ، لكنه تاب ورجع إلى صوابه وحسن ولائه مثله مثل العديد من الأصحاب الذين انزلقوا في بعض الأوقات وخرجوا عن الجادة لكنهم عادوا إليها .

٥- وروى أبو نعيم عن إبراهيم بن محمد بن الحسن قال : كتب إليّ أحمد بن إبراهيم بن هشام الدمشقي ، حدثنا أبو صفوان القاسم بن يزيد بن عوانه عن ابن حرث عن ابن عجلان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : شيع أمير المؤمنين^(ع) جنازة فلما وضعت في لحدها عجز أهلها وبكوا فقال : « الحمد لله الذي لا يحويه مكان ولا يحده زمان ، علا بحوله ودنا بطوله » .

وتسمى هذه الخطبة بالغراء ، وقد أوردها السيد الرضي في باب الخطب برقم (٨٣) .

٦- وروى كلام أمير المؤمنين^(ع) : « لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي ، الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار والإقرار هو الأداء والأداء هو العمل » عن الإمام الصادق^(ع) من طريق غياث بن إبراهيم ، عن محمد بن علي ماجليوية عن عمه محمد بن أبي القاسم عن أخيه عن

(١) أعيان الشيعة: ١٠/١٣٢ .

(٢) معجم رجال الحديث: ١٨/٣٠٤ .

أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن محمد بن يحيى عن غياث بن إبراهيم عن الصادق عن آبائه ، وأورد السيد الرضي هذا الكلام في باب الحكم برقم (١٢٥).
غياث بن إبراهيم:

ذكره الطوسي في أصحاب الإمامين الصادق والكاظم ؑ وذكره بهذا الشكل :
غياث بن إبراهيم أبو محمد التميمي الأسدي أسند عنه وروى عن أبي الحسن ؑ^(١).
وذكره الكشي باسم غياث الهمداني ، يمكن أن يكون مقصوده غياث بن إبراهيم الأسدي ثم حُرّف وأسقط وأضيف إليه كلمة الهمداني .
وقد روى عن بشر بن عمرو الهمداني قال : مرّ بنا أمير المؤمنين ؑ فقال : اكتبوا في هذه الشرطة فوالله لا غنى بعدهم إلا شرطة النار إلا من عمل بمثل أعمالهم^(٢).
وقال عنه النجاشي : بصري سكن الكوفة ، ثقة^(٣).

٧- أسند الكليني من كلام له في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك أهل إلى الإمام الصادق ؑ^(٤) ، وذكره السيد الرضي في باب الخطب برقم (١٧).

٨- وأسند الكليني من كلام له : «فإنكم لو عايتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم» إلى الإمام الصادق ؑ^(٥) . ذكره السيد الرضي في باب الخطب برقم (٢٠).

٩- روى الصدوق خطبة «فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ، ولا يناله حدس الفطن» بسنده عن الصادق ؑ قال : إن أمير المؤمنين ؑ خطب بهذه الخطبة لما استنهض الناس لحرب معاوية في المرة الثانية^(٦) . أوردها السيد الرضي في باب الخطب برقم (٩٣).

١٠- وروى الكليني : «والله ما معاوية بأدهى مني ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا

(١) رجال الطوسي: ص ٢٧.

(٢) رجال الكشي: ص ٥.

(٣) رجال النجاشي: ص ٢١٥.

(٤) أصول الكافي: ١/ ٥٥.

(٥) أصول الكافي: ١/ ٤٠٥.

(٦) الصدوق: التوحيد ص ٢٠.

كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس» بسنده إلى الإمام الصادق (ع) ^(١) . أورد السيد الرضي هذا الكلام في باب الخطب برقم (٢٠٠) .

١١ - وأسند الكليني كلام أمير المؤمنين (ع) «العلم مقرون بالعمل» إلى أبي عبد الله الصادق (ع) ^(٢) وأورد السيد الرضي ذلك في باب الحكم والمواعظ برقم (٣٦٦) .

١٢ - وروى الكليني : «من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا» بسنده إلى الإمام الصادق (ع) ^(٣) وذكره السيد الرضي في باب الحكم والمواعظ برقم (٤٤٧) .

١٣ - وروى الصدوق : «من أطال الأمل أساء العمل» بسنده عن السكوني عن جعفر بن محمد عن آبائه ^(٤) وأورد ذلك السيد الرضي في باب المواعظ برقم (٣٦) .

والسكوني هو إسماعيل بن أبي زياد :

ذكره الطوسي : إسماعيل بن مسلم وهو ابن أبي زياد السكوني الكوفي ^(٥) وثقه النجاشي وقال عنه : إسماعيل بن أبي زياد السلمي ثقة كوفي ^(٦) وفي لسان الميزان عن ابن طي أنه ذكر إسماعيل بن أبي زياد السلمي ^(٧) .

وفي الخلاصة : إسماعيل بن أبي زياد السلمي كوفي ثقة ^(٨) .

١٤ - وروى المفيد عن الإمام الصادق (ع) : إذا كان عند غروب الشمس وكُلَّ الله بها ملكاً ينادي : أيها الناس اقبلوا على ربكم فإن ما قلّ وكفى خير مما كثر والهوى وملكٌ موكلٌ بالشمس عند طلوعها ينادي : يا ابن آدم لُدَّ للموت وابن للخراب واجمع للفناء ^(٩) .

وهو جزء من كلام قاله أمير المؤمنين (ع) أخذه الصادق عنه ، ذكره السيد الرضي

(١) أصول الكافي: ٢/٣٣٦ .

(٢) أصول الكافي: ١/٤٠ .

(٣) الكافي: ٥/١٥٤ .

(٤) الخصال: ١/١١ .

(٥) رجال الطوسي: ص ١٤٧ .

(٦) رجال النجاشي: ص ١٠٩ رقم ٤٦ .

(٧) لسان الميزان: ١/٦٢٨ دار إحياء التراث العربي .

(٨) العلامة: خلاصة الرجال ص ٦٥ .

(٩) الاختصاص: ص ٢٣٤ .

في باب المواعظ برقم (١٣٢).

١٥- وروى ابن عساكر جواب أمير المؤمنين ﷺ للذي سمعه وهو يذم الدنيا: «أيها الذام للدنيا، المغتر بغرورها» رواه عن معروف بن مكي عن أبيه، وعن جعفر بن محمد الصادق ﷺ^(١).

وقد أورد السيد الرضي هذا الكلام في باب الحكم والمواعظ برقم (١٣١). وروى الصدوق: ما المبتلى الذي قد اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء الذي لا يامن البلاء، عن الإمام الصادق ﷺ: حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن الحسن بن موسى الخشاب عن غياث بن كلوب عن إسحاق بن عمار عن الصادق جعفر ابن محمد عن أبيه عن آبائه^(٢). وأورد السيد الرضي ذلك في باب المواعظ رقم (٣٠٢) وهو مروي عن طريق إسحاق بن عمار الصيرفي. إسحاق بن عمار الصيرفي:

ذكره الطوسي في أصحاب الإمام الصادق ﷺ وسماه إسحاق بن عمار الكوفي الصيرفي^(٣).

وذكره الكشي متحدثاً عن نفسه: لما كثر مالي أجلسيت على بابي بواباً يردّ عني فقراء الشيعة، قال: فخرجت إلى مكة في تلك السنة فسلمت على أبي عبد الله ﷺ فردّ علي بوجه قاطب غير مسرور، فقلت جعلت فداك ما الذي غيرّ حالتي عندك؟.

قال: الذي غيرّك للمؤمنين، قلت: جعلت فداك والله إني لأعلم أنهم على دين الله، ولكن خشيت الشهرة على نفسي، قال: يا إسحاق أما علمت أن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا كان بين إبهاميهما مائة رحمة، تسعة وتسعون منها لأشدّهما حباً لصاحبه، فإذا اعتنقا غمرتاهما الرحمة، فإذا التثما لا يريدان بذلك إلا وجه الله قيل لهما غفر لكما، فإذا جلسا يتساءلان قالت الحفظة بعضها لبعض اعتزلوا بنا عنهما فإن لهما سرّاً وقد ستره الله عليهما، قلت: جعلت فداك وتسمع الحفظة قولهما ولا تكتبه! وقد قال

(١) تاريخ دمشق: ١٢/٢١٠.

(٢) أمالي الصدوق: ص ١٥٩.

(٣) رجال الطوسي: ص ١٤٩.

الله عز وجل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ قال: فنكس رأسه طويلاً ثم رفعه وقد فاضت دموعه على لحيته وهو يقول: يا إسحاق إن كانت الحفظة لا تسمعه ولا تكتبه فقد يسمعه ويعلمه الذي يعلم السر وأخفى، يا إسحاق فخف الله كأنك تراه فإن شككت في أنه يراك فقد كفرت، وإن أيقنت أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته في حد أهون الناظرين إليك^(١).

وقد خلط البعض بين إسحاق بن عمار الصيرفي وبين إسحاق بن عمار الساباطي الذي كان فطحياً والذي كان ثقة على ما كان عليه من انحراف فكري فكان لا بد من التنويه إلى ذلك.

ويرأي البعض ومنهم السيد بحر العلوم أنهما شخص واحد وهو ثقة إمامي لا فطحي، فحتى زمان البهائي كان المعروف أنهما شخص واحد فطحي ثم صار المعروف أنهما رجلان إمامي ثقة وفطحي ثقة واستمر هذا إلى زمن السيد بحر العلوم فجاء بالقول الفصل وبرهن على أنه شخص واحد إمامي لا فطحي وأبوه عمار بن حيان الكوفي الصيرفي التغلبي مولاهم لا عمار الساباطي الفطحي ولا علاقة له بالساباطي بوجه من الوجوه وإن منشأ التوهم أنه ابن عمار الساباطي، هو عبارة الشيخ في الفهرست وهي من سهو القلم وتبعه على ذلك كل من تأخر عنه إلى اليوم، فقال في رجاله: الوجه عندي إن إسحاق بن عمار رجل واحد وهو إسحاق بن عمار بن حيان الإمامي الثقة لخلو الأخبار عن إسحاق بن عمار الساباطي بالمرّة وعدم ذكره فيها مطلقاً أو مقروناً بما يدل على أنه أبو حيان ولو كان في رجال الحديث إسحاق بن عمار الساباطي لذكر بمقتضى العادة كما يذكر فيها عمار الساباطي وعدم ذكره فيها مطلقاً أو مقروناً بما يدل على أنه ابن حيان ولو كان في رجال الحديث إسحاق بن عمار الساباطي لذكر بمقتضى العادة كما يذكر فيها عمار الساباطي غالباً، ولأن الشيخ والنجاشي رحمهما الله قد وضعاً فهرسيهما لاستقصاء أصحاب الأصول والكتب كما صرحا به في خطبة الكتابين وكررا ذلك في أثناهما.

ولو كان إسحاق بن عمار مشتركاً بين اثنين كل منهما مصنف له أصل أو كتاب لذكرهما معاً ولم يهمل الشيخ إسحاق بن عمار بن حيان الثقة الإمامي الجليل صاحب الكتاب المعتمد عند الأصحاب ولا أهمل النجاشي إسحاق بن عمار الموثق صاحب الأصل المشهور المروي عن مثل ابن أبي عمير، ولو كان فطحياً فاسد المذهب فإن كتابه مشحون بذكر الفطحية والواقفية وغيرهم من أصحاب الأصول والكتب^(١).

ومما يؤيد هذا الكلام ما ذكره الكشي عن إسحاق بن عمار وأخيه إسماعيل بن عمار والمقصود به إسماعيل بن عمار الصيرفي، وأما إسماعيل بن عمار الساباطي فلم يذكره ولم يشر إليه بوجه من الوجوه.

وروى المحدثون أحاديث كثيرة عن إسحاق بن عمار، وروى الصدوق في مشيخة الفقيه أن ما كان فيه عن إسحاق بن عمار فقد رواه عن أبيه عن الحميري عن علي بن إسماعيل عن صفوان بن يحيى عن إسحاق بن عمار ولم يذكر شخصاً آخر باسم إسحاق بن عمار الساباطي^(٢).

١٧- روى الطوسي عن جعفر الصادق عن أبيه، قال: ذكرت الحرورية عند علي عليه السلام، فقال: «إن خرجوا على إمام عادل أو جماعة فقاتلوهم، وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم فإن لهم في ذلك عقلاً»^(٣).

وأورد السيد الرضي جزء من الكلام في باب الخطب برقم (٦١).

١٨- روى الكليني بسنده عن أبي عبد الله قال: قرأت في كتاب علي عليه السلام: «ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعلموا»^(٤).

أورد ذلك السيد الرضي في باب الحكم والمواعظ برقم (٤٧٨).

١٩- روى الديلمي الخطبة التي ورد فيها «ألا وأن الأرض التي تقلكم، والسماء

(١) رجال بحر العلوم ٨٥/٤ وما بعد.

(٢) الصدوق: الفقيه: ١٠٥/٢.

(٣) التهذيب: ٤٨/٢.

(٤) أصول الكافي: ٤١/١.

التي تظلكم» مسنداً إليها إلى الإمام الصادق (عليه السلام) (١).

وقد أوردها السيد الرضي في باب الخطب برقم (١٤٣).

وذكر آغا بزرك الطهراني في الذريعة عنوان كتاب خطب أمير المؤمنين المروية عن الصادق برواية أبي روح فرج بن فروة عن مسعدة بن صدقة.

٢٠- روي عن طريق يعقوب السراج عن أبي عبد الله خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) التي تبدأ: «ألا لا يرعبن مرعب».

٢١- وروي عن طريق يعقوب السراج عن أبي عبد الله خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام): التي تبدأ ب: «الحمد لله الذي علا فاستعلى إلى آخره».

ويعقوب السراج:

عنه الشيخ المفيد في الإرشاد في باب النص على الكاظم (عليه السلام): من شيوخ أصحاب أبي عبد الله (عليه السلام) وخاصته ويطائنه وثقاته من الفقهاء الصالحين.

ويقول النجاشي: أخبرنا الحسين بن الحسن بن حمزة عن ابن بطة، عن البرقي، عن الحسن بن محبوب، عن يعقوب ويقول - يعقوب السراج: كوفي، ثقة له كتاب (٢).

٢٢- وروي أبو علي القالي في ذيل الأمالي بسند مرسل عن محمد بن سوقة قال: أتى رجل علياً (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين ما الإيمان؟ فقال: «الإيمان على أربع دعائم» فقام الرجل فقبل رأسه فقال (عليه السلام): «أحب حبيبك هوناً...» إلى آخره (٣).

٢٣- وروي الثقيفي: حدثنا محمد، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا إبراهيم، قال: أخبرنا أبو غسان الفهري مالك بن إسماعيل قال: حدثنا عبد السلام بن حرب الهندي، عن محمد بن سوقة عن العلاء بن عبد الرحمن، قال: قام إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) فسأله عن الإيمان فقال (عليه السلام): «الإيمان على أربع دعائم، على الصبر واليقين والعدل والجهاد، فالصبر منها على أربع شعب...» إلى آخر الكلام (٤).

(١) أعلام النبوة: ص ١٨٥.

(٢) رجال النجاشي: ص ٣٣.

(٣) ذيل الأمالي: ص ٣٦٨.

(٤) الغارات: ص ٨١.

والعلاء بن عبد الرحمن:

هو مولى الحرقمة المدني، ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال^(١)، روى عن محمد بن سوقه، وهو تابعي عنه الشيخ من رجال أصحاب الإمام الصادق، وفي تقريب التهذيب: ثقة مرضي عابد^(٢) وفي طبقات ابن سعد: كان تاجراً يبيع الخز ورعاً^(٣).

ما روي عن طريق الإمام الرضا :

روى الطوسي عن جماعة عن أبي الفضل عن عبيد الله بن الحسين العلوي عن محمد بن علي بن حمزة العلوي عن أبيه عن الرضا عن آبائه قال أمير المؤمنين: «الهيئة خيبة»^(٤). أورد الكلام السيد الرضي في باب الحكم برقم (٢١) مع تغير في العبارة.

ما روي عن طريق الإمام الجواد :

١- روى الطوسي في الأمالي عن عبد العظيم الحسيني الرازي عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عن أبيه . . روى عن علي : «المرء مخبوء تحت لسانه»^(٥). أورد ذلك السيد الرضي في باب الحكم والمواعظ برقم (١٤٨).

٢- روى المفيد عن علي بن أحمد بن موسى عن محمد بن هارون الصوفي عن عبيد الله موسى الروياني عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الرضا : يا ابن رسول الله حدثني بحديث عن آبائك (عليهم السلام) فقال: حدثني أبي عن جدي . . ثم نقل جمعاً من الحكم والمواعظ^(٦).

٣- روى الصدوق عن جماعة عن أبي الفضل عن عبيد الله بن الحسن بن إبراهيم العلوي عن أبيه عن عبد العظيم الحسيني عن أبي جعفر الثاني عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين قال: أربع أنزل الله تعالى تصديقي بها في كتابه: «المرء مخبوء تحت

(١) ميزان الاعتدال: ١٠٢/٣.

(٢) تقريب التهذيب: ١٦٨/٢.

(٣) طبقات ابن سعد: ٢٣٧/٦.

(٤) أمالي الطوسي: ٢٣٧/٢.

(٥) أمالي الطوسي: ٢٣٨/٢.

(٦) المفيد: المجالس ص ٢٦٧.

لسانه . . » إلى آخره^(١) .

وهذه الكلمات مروية عن طريق عبد العظيم الحسني ، الذي سنأتي إلى حياته إنشاء الله تعالى .

٤ - وروى السيد ابن طاووس وصية أمير المؤمنين إلى الحسن عليه السلام عن طريق الإمام الجواد عليه السلام ، قال حدثنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا سليمان بن الربيع الهندي قال : حدثنا كادح بن رحمة الزاهدي ، قال : حدثنا صباح بن يحيى المزني ، وحدثنا علي بن عبد العزيز الكوفي الكاتب ، قال حدثنا جعفر بن هارون بن زياد قال : حدثنا محمد بن علي بن موسى^(٢) .

ما روي عن الإمام الهادي عليه السلام :

١ - روى الطوسي عن أحمد بن محمد الجعابي عن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن ياسين ، قال : سمعت العبد الصالح علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يسرّ من رأى يذكر آبائه عليهم السلام ، قال أمير المؤمنين : « العلم وراثته كريمة والآداب حلل مجددة . . » إلى آخره^(٣) . ذكرها السيد الرضي في باب المواعظ والحكم برقم (٥) .

ما روي عن الإمام العسكري عليه السلام :

أورد القطب الراوندي «بنا اهتديتم في الظلماء» هذه الخطبة برواية جماعة عن جعفر الدورستي عن أبيه عن محمد بن العباس عن محمد بن علي بن موسى عن محمد بن علي الاسترابادي عن علي بن محمد بن سيار عن أبيه عن الحسن العسكري عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٤) . أوردها السيد الرضي في باب الخطب برقم (٤) .

(١) أمالي الصدوق: ٢/ ١٨٠ .

(٢) كشف المحجة لثمره المهجة: ص ٣٦ .

(٣) أمالي الطوسي: ١/ ١١٢ - ١١٤ .

(٤) منهاج البراعة: ٤/ ٢٥٠ .

الذين جمعوا خطب أمير المؤمنين

هناك جمعٌ من الرواة ورجال الحديث قاموا بجمع خطب أمير المؤمنين ، وكتبوا كتاباً في هذا الباب فيهم من أصحاب أمير المؤمنين وأصحاب الأئمة وهم:

(١) أبو سليمان بن زيد وهب الجعفي الكوفي (ت ٨٠ أو ٩٦) :
وهو من أصحاب أمير المؤمنين له كتاب خطب أمير المؤمنين ، وقد أتينا على ذكره في رواة نهج البلاغة من أصحاب أمير المؤمنين .
(٢) إبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري

وهو من أصحاب الإمام الصادق . ذكره النجاشي قائلاً: إبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري أبو إسحاق ابن صاحب التفسير عن السدي له كتب منها: كتاب الملاحم ، وكتاب الخطب ، ذكر الشيخ في الفهرست اسم الكتاب خطب أمير المؤمنين^(١) .

وذكر النجاشي سلسلة رواة الكتاب: أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا يحيى بن زكريا بن شيان ، عن إبراهيم بكتبه^(٢) .
ذكره ابن حجر في لسان الميزان^(٣) .

(١) الفهرست: رقم ٤ .

(٢) كتاب النجاشي: ٨٨/١ .

(٣) لسان الميزان: ٤٩/١ ، رقم ١١٣ .

(٢) صالح بن أبي حماد الرازي :

ذكره الشيخ في أصحاب الجواد والهادي والعسكري .

وقال عنه الكشي : قال علي بن محمد القتيبي : سمعت الفضل بن شاذان يقول في أبي الخير وهو صالح بن سلمة أبي حماد الرازي ، أبو الخير كما كُنّي ، وقال علي : كان أبو الفضل يرتضيه ويمدحه ^(١) .

وروى النجاشي عنه : لقي أبا الحسن العسكري عليه السلام ، وكان أمره ملبساً يعرف وينكر ، له كتب منها ؛ كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكتاب نوادر ، وذكر سلسلة رواته : عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن يحيى قال : حدثنا سعد بن عبد الله ، عن صالح بن أبي حماد ^(٢) .

(٤) إسماعيل بن مهران بن محمد بن عمر السكوني :

ذكره النجاشي وقال عنه مولى كوفي ، يكتنى (أبا يعقوب) ثقة ، معتمد عليه ، روى عن جماعة من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام ، ذكره أبو عمرو في أصحاب الرضا عليه السلام صنف كتباً ، منها : الملاحم .

أخبرنا به محمد بن محمد ، قال : حدثنا أبو غالب أحمد بن محمد قال : حدثني عم أبي علي بن سليمان ، عن جد أبي محمد بن سليمان عن أبي جعفر أحمد بن الحسن ، عن إسماعيل (به) وكتاب ثواب القرآن .

(أخبرنا) : الحسين بن عبيد الله عن أحمد بن جعفر بن سفيان ، قال : حدثنا أحمد ابن إدريس ، عن سلمة بن الخطاب ، عنه وله كتاب الإهليلجة .

(أخبرنا به) : الحسين بن عبيد الله قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : حدثنا حمزة قال : حدثنا محمد بن أبي القاسم ، عن أبي سمينة ، عن إسماعيل كتاب صفة المؤمن والفاجر ، كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام كتاب نوادر ، كتاب النوادر .

(أخبرنا) : بجميعها : أحمد بن عبد الواحد قال : حدثنا علي بن الحسن بن فضال عنه بها ^(٣) .

(١) رجال الكشي : رقم ٤٥٣ .

(٢) رجال النجاشي : ٤٤١/١ .

(٣) رجال النجاشي : ١١٢/٢ .

ذكره الخوئي وقال عنه: لا ينبغي الريب في وثاقة الرجل بشهادة جعفر بن محمد بن قولويه^(١).

٥) عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي الأزدي البصري :

كنيته أبو أحمد توفي سنة ٣٣٢هـ له أكثر من مائتي كتاب في مختلف العلوم، أكثرها حول أمير المؤمنين^(٢) وما روى عنه من الأحاديث ومنها كتاب خطب أمير المؤمنين وكتاب شعر أمير المؤمنين^(٣). ذكر ذلك النجاشي في رجاله^(٤).

وقال عنه النجاشي: شيخ البصرة وأخبارها، وكان عيسى الجلودي من أصحاب أبي جعفر^(٥) (الجواد) وهو منسوب إلى جلود قرية في البحر، وقال قوم: إن جلود بطن من الأزدي، ولا يعرف النسابون ذلك^(٦) وذكر أيضاً.

قال لنا: أبو عبيد الله الحسين بن عبيد الله: أجازنا بكتبه جميعها: أبو الحسن علي بن حماد بن عبيد الله بن حماد العدوي، وقد رأيت أبا الحسن بن حماد الشاعر رحمه الله.

وأخبرنا أبو عبد الله بن هديه قال: أخبرنا جعفر بن محمد قال: أجازنا عبد العزيز، كتبه كلها^(٧).

٦) إبراهيم بن سليمان بن عبيد الله بن خالد النهمي :

بطن من همدان، الخزاز، كوفي ويكنى أبو إسحاق كان ثقة في الحديث، سكن في الكوفة في بني نهيم، وسكن في بني تميم، فقيل تميمي، وسكن في بني هلال، ونسبه نهم، له كتب منها: كتاب النوادر، كتاب الخطب (الظاهر أنه خطب أمير المؤمنين).

كتاب الدعاء، كتاب المناسك، كتاب أخبار ذي القرنين، كتاب إرم ذات العماد، كتاب قبض روح المؤمن، كتاب الدفائن، كتاب خلق السموات، كتاب مقتل أمير

(١) معجم رجال الحديث: ١٩٤/٣.

(٢) رجال النجاشي: ٥٤/٢.

(٣) رجال النجاشي: ٥٤/٢.

(٤) المصدر نفسه: ٥٩/٢.

المؤمنين ﷺ؛ كتاب جرهم، كتاب حديث ابن الحرّ.

سلسلة رواته هم أحمد بن عبد الواحد (المعروف بابن عبدون) قال: حدثنا علي بن حبشي، قال: حدثنا حميد بن زياد، قال: حدثنا إبراهيم^(١).

(٧) إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي (ت ٢٨٣هـ):

صاحب كتاب (الغارات)؛ أصله كوفي، وسعد بن مسعود هو أخو أبو عبيد بن مسعود عم المختار، ولاء أمير المؤمنين ﷺ المدائن.

أقام إبراهيم الثقفي في أصفهان، وكان زيدياً أولاً ثم انتقل إلى المذهب الإمامي ويقال إن جماعة من القميين كأحمد بن محمد بن خالد، وفدوا إليه وسألوه الانتقال إلى قم فأبى، وكان سبب خروجه من الكوفة أنه عمل كتاب المعرفة، وفيه المناقب المشهورة والمثالب، فاستعظمه الكوفيون وأشاروا إليه أن يتركه، ولا يخرج به، فقال: أي البلاد أبعد من الشيعة فقالوا: أصفهان، فحلف: أن لا أروي هذا الكتاب إلا بها، فانتقل إليها ورواه بها.

له مصنفات كثيرة منها: كتاب المبتدأ، كتاب السيرة، كتاب المعرفة، فضل الأفضل، كتاب أخبار المختار، كتاب المغازي، كتاب بيعة علي ﷺ، كتاب الجمل، كتاب صفين، كتاب الحكمين، كتاب النهر، كتاب الغارات، كتاب مقتل أمير المؤمنين ﷺ، كتاب رسائله وأخباره كتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين ﷺ، كتاب فضائل الكوفة من نزلها من الصحابة، كتاب الإمامة الكبير^(٢).

يروى خطب أمير المؤمنين ﷺ عن طريق صحابته وهم زر بن حبيش وعبد الرحمن بن أبي ليلى وابن الودّك وقيس بن السكن وغيرهم.

وقد تضمن كتاب الغارات العشرات من الخطب والأقوال التي أوردها عن أمير المؤمنين ﷺ، وثقه ابن طاووس في كتاب (الإقبال)^(٣).

(١) رجال النجاشي: ص ١٤ مكتبة الداوري.

(٢) النجاشي: ٩٠ / ١ - ٩١.

(٣) معجم رجال الحديث: ٢٨٢ / ١.

(٨) عبد العظيم بن عبد الله الحسني (أبو القاسم)

هو السيد عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، مات في الري وقبره هناك وله مزار معروف . ذكره الطوسي في رجاله في أصحاب الإمامين الهادي والعسكري^(١) . بينما ذكر ابن بابويه في كتاب الأعمال رواية تدل على أن عبد العظيم هذا كان ميتاً في زمان الإمام الهادي (ع) فضلاً عن زمان الإمام العسكري (ع)^(٢) .

وهذا الرأي يؤيد الروايات التي ذكرناها والتي رواها عبد العظيم عن الإمام الجواد (ع)، وهو يؤكد أنه كان أحد أصحابه بالرغم من عدم ذكر اسمه في أصحاب الإمام الجواد ويذكر أن له كتاباً، وفي الذريعة أن له كتاباً تضمن خطب أمير المؤمنين (ع) رواها عن الرضا والجواد والهادي^(٣) .

وذكره النجاشي بتفصيل برقم (٦٥١)، عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (أبو القاسم) له كتاب خطب أمير المؤمنين . وذكر: كان عبد العظيم ورد الري هارباً من السلطان، وسكن سرياً في دار رجل من الشيعة، في سكة المولى، فكان يعبد الله في ذلك السرب، ويصوم نهاره ويقوم ليله، فكان يخرج مستتراً فيزور القبر المقابل لقبره، وبينهما الطريق، ويقول هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر (ع)، فلم يزل يأوي إلى ذلك السرب ويقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة آل محمد (ع) حتى عرفه أكثرهم، فرأى رجل من الشيعة في المنام رسول الله (ص)، قال له: إن رجلاً من ولدي يحمل من سكة المولى ويدفن عند شجرة التفاح، في باغ (بستان) عبد الجبار بن عبد الوهاب وأشار إلى المكان الذي دفن فيه، فيذهب الرجل ليشتري الشجرة ومكانها من صاحبها، فقال له، لأي شيء تطلب الشجرة ومكانها، فأخبره بالرؤيا فذكر صاحب الشجرة: أنه كان قد رأى يدفنون فيه، فمرض عبد العظيم، ومات رحمه الله، فلما جرد ليغسل، وجد في جيبه رقعة

(١) رجال الطوسي: ص ٤١٧ و ٤٢٢ .

(٢) ابن بابويه: ثواب الأعمال ص ٩٩ . ثواب زيارة قبر عبد العظيم .

(٣) الذريعة: ١٨٧/٧ .

فيها ذكر نسبه ، فإذا فيها «أنا أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؑ»^(١).

٩) مسعدة بن صدقة العبدي الراوي :

ويكنى أبو محمد أو أبو بشر ، له كتاب خطب أمير المؤمنين ؑ ، ذكرناه في أصحاب الإمام الصادق ؑ.

١٠) محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي :

(أبو عبد الله) مولى أبي موسى الأشعري ينسب إلى برقرود ، قرية من سواد قم على واد هناك ، وله أخوة : يعرفون بـ (أبي علي الحسن بن خالد) و (أبي القاسم الفضل بن خالد) ولابن الفضل بن خالد ، ابن يعرف بـ (علي بن العلاء بن الفضل بن خالد) فقيه .

وكان محمد ضعيفاً في الحديث ، وكان أديباً حسن المعرفة بالأخبار وعلوم العرب وله كتب ، منها : كتاب التنزيل والتعبير ، كتاب يوم وليلة ، كتاب التفسير ، كتاب مكة والمدينة ، كتاب حروب الأوس والخزرج ، كتاب العلل ، كتاب في علم الباري ، كتاب الخطب .

وذكر النجاشي سلسلة الرواة : (أخبرنا) : أحمد بن علي بن نوح ، قال : حدثنا الحسن بن حمزة الطبري ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله محمد بن خالد البرقي .

قال : حدثنا أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه بجميع كتبه^(٢).

ويذكر أن له كتاب خطب أمير المؤمنين ؑ ، وربما ما ذكره النجاشي بعنوان كتاب الخطب هو (كتاب خطب أمير المؤمنين ؑ) .

١١) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليم الجعفي الصابوني :

كنيته (أبو الفضل الجعفي الكوفي) . سكن مصر ، كان زدياً ، ثم عاد إلينا ،

(١) رجال النجاشي: ٦٦/٢ - ٦٧ .

(٢) رجال النجاشي: ٢٢١/٢ .

وكانت له منزلة بمصر^(١) ذكره الطوسي من أصحاب الهادي^(٢).
 من كتبه: كتاب الضحايا، كتاب الأدعية، كتاب تفسير الرؤيا، كتاب القضاء
 والشهادات، كتاب الخطب، ويشمل على خطب أمير المؤمنين^(٣).
 وذكر النجاشي سلسلة رواة أحمد بن إبراهيم (أخبرنا): أحمد بن علي بن نوح،
 عن جعفر بن محمد، (قال): حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم. ببعض الكتب^(٤).

(١٢) محمد بن عيسى بن عبد الله بن سعد بن مالك الأشعري :

كنيته (أبو علي) شيخ القميين، ووجه الأشاعرة، متقدم عند السلطان، ودخل
 على الرضا^(٥) وسمع منه وروى عن أبي جعفر الثاني^(٦): له كتاب الخطب، سلسلة
 رواته: أحمد بن محمد بن عبيد الله: حدثنا: محمد بن أحمد بن مصقلة، قال: حدثنا
 سعد بن عبد الله، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى^(٧).
 وكتاب الخطب الذي ذكره النجاشي متضمن لخطب أمير المؤمنين^(٨).

(١٣) هشام بن محمد السائب (٢٠٤هـ) :

كنيته (أبو المنذر) الناسب العالم بالأيام، المشهور بالفضل والعلم وكان يختص
 بعلم الأنساب وله الحديث المشهور، قال: اعتللت علّة عظيمة، نسيت علمي فجلست
 إلى جعفر بن محمد^(٩)، فسقاني العلم في كأس، فعاد إليّ علمي، وكان أبو عبد
 الله^(١٠) يقربه ويدنيه ويبسطه.

وله كتب كثيرة منها: كتاب الجمل، وكتاب صفين، كتاب النهروان، كتاب
 الغارات، كتاب مقتل أمير المؤمنين^(١١)، كتاب مقتل حجر بن عدي، كتاب مقتل رشيد
 وميثم وجويريه بن مسهر، كتاب عين الوردية، كتاب الحكمين، كتاب مقتل
 الحسين^(١٢)، كتاب قيام الحسن^(١٣)، كتاب أخبار محمد بن الحنفية، كتاب الخطب،
 كتاب الجيران، واشتمل كتاب الخطب على خطب أمير المؤمنين^(١٤).

(١) رجال النجاشي: ٢/٢٨٧.

(٢) رجال الطوسي: ص ٤٢٢ رقم ٨.

(٣) رجال النجاشي: ٢/٢٨٨.

(٤) رجال النجاشي: ٢/٢٢٨.

(١٤) نصر بن مزاحم (٢١٢هـ) :

صاحب كتاب صفين، ومن مشاهير الإخباريين في المائة الثانية، له كتاب في خطب علي عليه السلام^(١). وفي مصنفه صفين أورد الكثير من خطب أمير المؤمنين ورسائله إلى ولاته.

ذكره ابن أبي الحديد قائلاً عنه وعن كتابه: نصر بن مزاحم في كتاب صفين في هذا المعنى، فهو ثقة ثبت، صحيح النقل غير منسوب إلى هوى ولا إدغال، وهو من رجال أصحاب الحديث^(٢).

(١٥) علي بن محمد المدائني (١٣٥ - ٢١٥هـ) :

هو أبو الحسن المعروف بالمدائني صنف كتاب خطب علي عليه السلام^(٣). كما وأنه روى الكثير من خطبه وكلماته ورسائله.

(١٦) عمرو بن بحر (٢٢٥هـ) الجاحظ :

هو أبو عثمان الجاحظ جمع مائة كلمة لأمر المؤمنين عليه السلام، كما وأنه أورد الكثير من خطبه وكلماته وحكمه في كتبه الأخرى كالبيان والتبيين والحيوان وغيرهما.

مركز تحقيقات كميته علوم اسلامی

(١) مستدركات وسائل الشيعة ص ٨٠٥ طبع حجري وايضاً فهرست ابن النديم ص ١٠٨ مطبعة الجامعة في طهران.

(٢) ابن أبي الحديد: ٢/٢٠٦.

(٣) ابن النديم: الفهرست ص ١١٤ وص ١١٥.

مصادر السيد الرضي

لم يعتن السيد الرضي بالمصادر والسبب أنه كان يُقدّم كتاباً أدبياً يحتوي على نصوص تكاد تكون معروفة للجميع حتى أنها كانت محفوظة في ذاكرة العلماء والأدباء، فلم ير السيد الرضي حاجة في نقل رواة الخطب والكلمات فهو الذي رتب كلمات الإمام بصورة أدبية كما يرتب الشاعر أبياته الشعرية .

ومن جانب آخر نجد أن عمل السيد الرضي في ترتيب الخطب والكلمات يجعل من غير الممكن وضع المصادر عليها، إذ نجده يقسم الخطبة إلى أقسام عديدة، ويدمج بين خطبة وأخرى، ويستخرج عبارات جميلة من خطبة ليضعها في مقدمة خطبة أخرى، وكأنك ترى نفسك أمام صائغ يأخذ من كل حجر ثمين جزءاً لينقش بها القلادة التي يريد صنعها لتأتي جميلة بديعة .

ولما كان المهم عند السيد الرضي هو إبراز الناحية الجمالية في خطب وكلمات الإمام فقد تصرف بالخطب تصرفاً لم يسبق إليه مثيل في تقطيعها وإعادة تركيبها لتصبح لوحة أدبية باهرة الجمال رائعة المنظر .

وربما وجد السيد الرضي بعض الخطب بهذا الشكل ، أي أن الترتيب هو من فعل من سبقوه في هذا المجال .

على أي حال فإن هذه العملية تجعل من المستحيل وضع المصادر على الخطبة لأنها ليست واحدة كما وأنه شيء مرهق وضع مائة وعشرين مصدراً على مائة وعشرين كلمة قصيرة لأنها مقتطعة من خطبة واحدة .

لكنه بالرغم من ذلك جاء على ذكر مصادر بعض الخطب التي وجد ضرورة في

ذكر مصدرها لوجود شبهة في قائلها، أو للفت النظر إلى ورود الخطبة في مصادر أهل السنة، وفيما يلي الخطب التي ذكر مصادرها.

(١) «أيها الناس إنا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن كنود...» إلى آخره.

قال السيد الرضي عن مصدرها:

وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية، وهي من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي لا يشك فيه، وأين الذهب من الرغام والعذب من الأجاج؟ وقد دلّ على ذلك الدليل الخريت، ونقد الناقد البصير، عمرو بن بحر الجاحظ، فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين^(١) وذكر من نسبها إلى معاوية، ثم قال: هي بكلام علي (عليه السلام) أشبه، وبمذهبه في تصنيف الناس، وبالأخبار عما هم عليه من القهر والإذلال ومن التقية والخوف أليق.

قال: ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ومذاهب العباد.

(٢) خطبة: «فصدع بما أمر، وبلغ رسالات ربه، فلم الله به الصدع ورتق به الفتق».

مركز تحقيق كتب علوم سيد

قال السيد: ذكرها الواقدي في كتاب الجمل^(٢).

(٣) رسالة أمير المؤمنين إلى معاوية: «أما بعد فقد علمت إغذاري فيكم، وإعراضي عنكم...» إلى آخره.

وذكر المصدر كتاب الجمل للواقدي، والواقدي هو أبو عبد الله محمد بن عمر واقد الأسلمي المدني، توفي في ذي الحجة سنة ٢٠٧ هـ وقال عنه ابن النديم: إن من مؤلفاته كتاب الجمل وهذا الكتاب كان موجوداً عند السيد الرضي وأستاذه الشيخ المفيد الذي ينقل عنه الكثير في كتابه الجمل.

(٤) كتاب أمير المؤمنين إلى طلحة والزبير: «أما بعد: فقد علمتما وإن كتمتما».

(١) البيان والتبيين: ١/١٧٢.

(٢) القهرست: ص ١٤٤.

قال السيد الرضي عن هذا الكتاب: ذكره أبو جعفر الإسكافي في كتاب المقامات في مناقب أمير المؤمنين، وكان الإسكافي من رؤساء المعتزلة، كان يقطن محلة الإسكاف ببغداد عدّه ابن أبي الحديد في الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة وكان معاصراً للجاحظ وردّ عليه في كتابه العثمانية، وكان يفضل أمير المؤمنين على الخلفاء توفي سنة ٢٤٠ للهجرة.

(٥) الحلف الذي أبرمه أمير المؤمنين ﷺ بين ربيعة واليمن: «هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وبأديها، وربيعه حاضرها وبأديها...».

قال السيد الرضي إنه نقل من خط هشام بن الكلبي، والكلبي هو هشام بن محمد بن السائب المتوفى في ٢٠٤ هـ وهو أحد الجامعين لخطب أمير المؤمنين كما ذكرنا سلفاً، ولعله أورد هذا الحلف في كتابه ذلك الذي شاهده السيد الرضي بخطه. وربما وجده السيد الرضي في كتاب الكلبي المسمى بـ(الحلف) الذي وصلت نسخة منه إلى السيد مكتوب بيد المؤلف^(١).

(٦) كتاب أمير المؤمنين إلى أبي موسى الأشعري: «فإن الناس قد تغيّر كثير منهم عن كثير من حفظهم».

أخذه السيد الرضي من كتاب المغازي لسعيد بن يحيى الأموي: وسعيد بن يحيى هو أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص بن الأصبحة القرشي الأموي البغدادي توفي سنة ٢٤٩ هـ، ذكر الكتاب حاجي خليفة في (كشف الظنون)^(٢).

(٧) ومن غريب كلامه ﷺ: «إذا بلغ النساء نصّ الحقائق». وقال السيد عنه: هذا معنى ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام وقد أخذه من كتاب غريب الحديث، وأبو عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي المتوفى سنة ٢٢٤ هـ فقيه ولغوي وأديب، كان ملماً بالحديث والشعر.

(١) امتياز علي خان: استناد نهج البلاغة ص ٦٧.

(٢) ذكره برقم ١٧٤٧.

(٨) أورد السيد: «إنه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه . . .» إلى آخره . ذكر مصدره وهو كتاب تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري^(١) .

(٩) أورد السيد الرضي: «ومن الناس من يروي هذا للرسول ﷺ، وبما يؤكد أنه من كلام أمير المؤمنين ﷺ ما رواه ثعلب عن ابن الأعرابي أن المأمون قال: لو لا أن علياً قال: «أخبر ثقله» لقلت: «أقله تُخبر» وثعلب هو عالم بالنحو واللغة مشهور توفي سنة ٢٩١هـ^(٢) .

(١٠) أورد قوله ﷺ: «العين وكاء الستة» فشائع بين الناس أنه حديث منطوق للنبي ﷺ إلا أن بعض الرواة نسبوه إلى علي المرتضى ﷺ، وذكر ذلك المبرد في كتاب (المقتضب)^(٣) . والمبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي النحوي ت ٢٨٥هـ، ذكر ابن النديم كتابه^(٤) كذلك حاجي خليفة^(٥) .



مركز تحقيقات علوم اسلامی

(١) الطبري: ٢١/٨ .

(٢) لم نعثر عليه في كتب ثعلب .

(٣) المقتضب: ٢٤/١ عالم الكتب، تحقيق محمد عبد الخالق .

(٤) الفهرست: ص ٩٨ .

(٥) كشف الظنون: ٢/ ١٧٩٣ .

المشكون في نهج البلاغة

المطلب الأول

المشكون القدماء

أولاً : ابن خلكان (ت ٦٨٦هـ)

هو القاضي أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان ، أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي ، ولد ياربل سنة ثمان وستمائة ، وسمع بها صحيح البخاري من أبي محمد بن هبة الدين مكرم الصوفي ، وأجاز له المؤيد الطوسي وعبد المعز الهروي وزينب الشعرية ، روى عنه المزي والبرزالي والطبقة ، وكان فاضلاً بارعاً متقناً .

أورد المؤرخون في حياته بعض السقطات منها :

يقال إنه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق عنه فاستغفاه فأنح عليه فقال :

يقولون إنك تكذب في نسبك وتأكل الحشيشة وتحب الغلمان .

فقال : أما النسب والكذب فيه فإذا كان ولا بد فكنيت أنتسب إلى العباس أو إلى

علي بن أبي طالب أو إلى أحد الصحابة ، وأما النسب إلى قوم لم يبق لهم بقية وأصلهم

فرس مجوس فما فيه فائدة . وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم وإذا كان ولا بد فكنيت

أشرب الخمر لأنه الذ ، وأما محبة الغلمان فإلى غد أجيبك عن هذه المسألة .

ويقال أنه عمل تاريخاً للملك الظاهر ووصل نسبه بجنكيز خان ، فلما وقف عليه

قال : هذا يصلح أن يكون وزيراً ، اطلبوه فطلب وبلغ الخبر صاحب بهاء الدين ابن حنا

فسعى في القضية إلى أن أبطل ذلك .

واتفق أن ثلاثة من قضاة دمشق كانوا يلقبون بشمس الدين منهم ابن خلكان فقال فيهم الشاعر :

أهل دمشق استرابوا من كثرة الحكم
إذ هم جميعاً شמוש وحالهم في الظلام

وقال آخر :

بدمشق آية قد ظهرت للناس تماماً
كلما زادوا شموساً زادت الدنيا ظلاماً^(١)

وابن خلكان هو أول من شكك وأثار الشبهات حول نهج البلاغة ، وقد أورد شكه في ترجمته للسيد المرتضى يقول عن ذلك :

وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضي ؟ وقد قيل : إنه ليس من كلام علي ، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه ، والله أعلم^(٢) .
ويلاحظ من هذا الكلام عدة مغالطات :

١- قوله : اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة . ونحن نعرف أنه لم يوجد أي شكوك ولم يقل أحد بهذا الكلام قبل ابن خلكان ، وأن قوله اختلف الناس قول بلا دليل .

بدليل أن القرن الذي نشأ فيه ابن خلكان شهد اهتماماً بالغاً بنهج البلاغة فقد كتب القطب الراوندي ، وهو من علماء القرن السادس الهجري شرحاً لنهج البلاغة ، كذلك كتب ابن أبي الحديد المولود سنة ٥٨٦ للهجرة شرحاً مفصلاً لنهج البلاغة ، ولربما رأى ابن خلكان كتاب ابن أبي الحديد لأنه كتبه في حياته ، فقوله اختلف الناس هو كمن يرمي حجارة في مكان مظلم حتى لا يعرف من هو الرامي .

(١) من مقدمة إحسان عباس على كتاب وفيات الأعيان، فراجع المقدمة.

(٢) وفيات الأعيان: ٣/٣١٣.

٢- في ظنه انه استخدم الذكاء عندما أثار الشبهة بصورة غير مباشرة عندما قال: هل هو من جمعه (المرتضى) أو من جمع أخيه الرضي؟ حيث كان المشهور والمعروف أن الرضي هو الذي جمع نهج البلاغة ولم يقل أحد بأن الجامع هو المرتضى.

٣- ثم ألحق شبهة الجمع بين المرتضى والرضي بقوله: وقد قيل إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، فقد تدرج في تشكيكه حتى لا يتصور القارئ بأنه مغرض، بل يعتقد انه موضوعي بحيث يأتي بالآراء المختلفة مع أن تلك الآراء لا وجود لها أساساً، فليس هناك من يقول: إنه من جمع المرتضى وليس هناك من يقول انه من جمعه هو الذي وضعه، فإتيان الشبهة على لسان الآخرين بدون ذكر أسمائهم هو أسلوب غير موضوعي، وقد ظن ابن خلكان أنه بهذا الأسلوب يستطيع أن يبذر بذرة الشك في نفوس الناس.

٤- وقوله في النهاية (والله أعلم) هو منتهى تحريفه للواقع فبعد أن بذر بذرة الشك قال (والله أعلم) ففعله كمثّل القائل.

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

ثانياً: الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨)

هو الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. كان مولده سنة ٦٧٣ هـ بكفر بطنا من غوطة دمشق، وطلب الحديث وله ثمان عشرة سنة، فسمع بدمشق من عمر بن القواس، وأحمد بن هبة الله ابن عساكر، ويوسف بن أحمد القموني وغيرهم، وبيعلبك من عبد الخالق بن علوان، وزينب بنت عمر بن كندي وغيرهما. وبمصر من الأبرقوهي، وعيسى بن عبد المنعم بن شهاب، وشيخ الإسلام ابن دقيق العبد.

وسمع بالإسكندرية من أبي الحسن الغرافي وأبي الحسن الصواف، وبمكة من التوزري وغيره، وبحلب من سُقُرُ الزيني وغيره، وبنابلس من العماد ابن بدران^(١) وقد تلقف الذهبي شبهة أن المرتضى هو مؤلف نهج البلاغة التي أثارها ابن خلكان فقال في

ترجمة المرتضى . .

علي بن الحسين العلوي الحسيني الشريف المرتضى المتكلم الرافضي المعتزلي، صاحب التصانيف، حدث عن سهل الدياجي، والمرزباني، وغيرهما، وولي نقابة العلوية، ومات سنة ست وثلاثين وأربعمائة، عن إحدى وثمانين سنة، وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة، وله مشاركة قوية في العلوم، ومن طالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب الصراح والخط على السيدين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل^(١).

ويلاحظ في هذا التشكيك أنه أكثر تطوراً، وكأن هناك توزيعاً للأدوار بين ابن خلكان والذهبي وغيره فالأول أثار الشبهة وذهب دون أن يفصح بالمزيد، ثم جاء الذهبي فزاد في دائرة الشبهة مثبتاً أن نهج البلاغة للسيد المرتضى بلا ريب ولا شبهة، ومؤكداً على رأيه بأدلة ذكرها في النص الذي نقلناه والذي سنأتي على تفصيله عند الرد على تلك الشبهات.

مركز تحقيق كتب التراث

ثالثاً: الصفدي (ت ٧٦٤هـ)

هو صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ذكر عن نفسه أن أباه لم يمكنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة فطلب بنفسه ثم قال الشعر الحسن ثم أكثر جداً من النظم والنثر والترسل والتواقيع وأخذ عن الشهاب محمود وابن سيد الناس وابن نباته وأبي حيان ونحوهم وسمع بمصر من يونس الدبوسي ومن معه ویدمشق من المزي وجماعة وطاف مع الطلبة وكتب الطباقي ثم أخذ في التأليف فجمع تاريخه الكبير الذي سماه (الوافي بالوفيات) في نحو ثلاثين مجلداً على حروف المعجم، وقال عنه ابن سعد: كان من بقايا الرؤساء الأخيار، وقد وجد بخطه، كتبت بيدي ما يقارب خمسمائة مجلدة.

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال: ١٢٤/٢ در الفكر برقم (٥٨٢٧).

قال : ولعل الذي كتبه في ديوان الإنشاء ضعفاً ذلك .

وقال ابن رافع : قرأ بنفسه شيئاً من الحديث ، وكتب بعض الطباق وقرأ الأدب على شيخنا الشهاب محمود ولازمه مدة ومن تصانيفه (فصل الختام عن التورية والاستخدام) و(خلوة المذاكرة) و(الروض القاسم) و(شرح لأمية العجم) وغير ذلك وكتب عنه الذهبي من شعره ، وذكره في معجمه ، مات بدمشق في ليلة العاشر من شوال سنة ٧٦٤هـ ، وقد كرر الصفدي ما ذكره الذهبي ، ومن قبله ابن خلكان فقد ذكر قائلاً : وقد اختلف في كتاب نهج البلاغة هل هو وضعه أو وضع أخيه الرضي ^(١) .

رابعاً : عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ)

هو الإمام أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سلمان عفيف الدين اليافعي اليمني المكي ، له كتاب في الرجال اسمه مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، وقد رتبته على السنوات الهجرية ، وهو أحد المشككين في نهج البلاغة ، فقال في ترجمته للسيد المرتضى : وقد اختلف الناس في كتاب «نهج البلاغة» المجموع من كلام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه هل هو جمعه أو جمع أخيه الرضي ، وقد قيل إنه ليس من كلام علي وإنما أحدهما هو الذي وضعه ونسبه إليه والله تعالى أعلم ^(٢) .

خامساً : ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)

هو الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢هـ) ، من تصانيفه في الحديث فتح الباري في شرح صحيح البخاري وتعجيل المنفعة برجال الأربعة ، وتهذيب التهذيب ، وتقريب التهذيب ، والإصابة في تمييز الصحابة وتبصير المنتبه وتجريد أسماء الضعفاء ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ويلاحظ في كتابه أنه تأثر كثيراً بالذهبي ، بل نجده في أكثر المواضع ينقل رأي الذهبي بالكامل ويضيف عليه ما يؤيد كلامه في الرجل الذي يترجم له . له موقف صريح من الشيعة ورجالهم ذكره في مقدمة كتابه (لسان الميزان) فقد اعتبر التشيع (الرفض

(١) مرآة الجنان ٥٥/٢ مؤسسة الأعلمي على طبعة بمباي.

(٢) الوافي بالوفيات: ٧/٢١ مطابع دار صادر.

الكامل) بدعة كبرى فقال في تقسيمه للبدعة إلى صغرى وكبرى :

وقال : البدعة الكبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والخط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والدعاء إلى ذلك فهؤلاء لا يقبل حديثهم ولا كرامة وأيضاً فلا استحضار الآن في هذا الضرب رجلاً صادقاً ولا مأموناً بل الكذب شعارهم والتقية والنفاق دثارهم فكيف يقبل من هذا حاله حاشا وكلا ، فالشيعة الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزيير وطلحة وطائفة ممن حارب علياً رضي الله عنه وتعرض لسبهم ، والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي كفر هؤلاء السادة وتبرأ من الشيخين أيضاً فهذا ضال مغتر^(١) .

وهو عنده كل شيعة هو رافضي إذا كان داعية للتشيع يقول في ذلك : وترد رواية الرافضي الداعية ولو كان صدوقاً ونقل قول أشهب عندما سأل مالك عن الرافضة فقال : لا تكلمهم ولا ترد عنهم فإنهم يكذبون^(٢) .

أما تعليقه على نهج البلاغة فقد أورد ما ذكره سلفه عند الحديث عن السيد المرتضى ، مدعياً أنه هو الذي ألف نهج البلاغة ، فذكر في ترجمة علي بن الحسين الشريف المرتضى بالمتكلم الرافضي المعتزلي صاحب التصانيف ، وهو المتهم بوضع كتاب «نهج البلاغة» وله مشاركة قوية في العلوم ، ونقل نص ما ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال^(٣) .

سادساً : ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) :

هو أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي ، وقد كرر وأكد ما ذكره أسلافه وقال حول نهج البلاغة : وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضي وقد قيل أنه ليس من كلام علي وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه والله أعلم^(٤) .

(١) انظر إلى مقدمة كتاب لسان الميزان ١٠/١ مؤسسة الأعلمي.

(٢) انظر إلى المقدمة.

(٣) لسان الميزان: ٢٢٣/٤ .

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٢٥٧/٣ .

المطلب الثاني

التشكيك عند المعاصرين

دور المستشرقين في إثارة الشكوك :

كان لكل من هوآر، والمسيو ديمو ميين (Demombynes) ومستشرقين آخرين دور خطير في إثارة الشكوك ضد نهج البلاغة تبعاً لنهجهم في إثارة الخلافات وترويج ما يعكس صفو الوحدة الإسلامية، وما يقلل من شأن أمير المؤمنين (ع) في أعين الغربيين والشرقيين، فأنحياز المستشرقين لمعاوية بن أبي سفيان أمر واضح يتجلى ذلك في كتاباتهم، وقد جعلهم حبهم لمعاوية وافتنانهم بولده يزيد الذي قتل الإمام الحسين (ع) أن يشهروا سلاح العداء لأمير المؤمنين (ع) وأولاده البررة.

يقول زكي مبارك عن موقف المسيو ديموميين من نهج البلاغة: وقد أراد المسيو ديمو ميين أن يفض من قيمة ما نسب إلى علي بن أبي طالب من خطب ورسائل، استناداً إلى ما شاع منذ أزمان من أن الشريف الرضي هو واضع كتاب (نهج البلاغة)، أما نحن فنتحفظ في هذه المسألة كل التحفظ، لأن الجاحظ يحدثنا أن خطب علي وعمر وعثمان كانت محفوظة في مجموعات، ومعنى هذا أن خطب علي كانت معروفة قبل الشريف الرضي^(١).

ومع الأسف أخذ بعض الكتاب من المسلمين هذه الفكرة من هؤلاء المستشرقين وأصبحوا يرددون عباراتهم دون تمحيص وتدقيق منهم أحمد أمين حيث ذكر قائلاً: وقد شك في مجموعها النقاد قديماً وحديثاً كالصفدي وهوآر^(٢).

ولم يتبين الأستاذ أحمد أمين أسباب هذا الشك عند المستشرقين وغيرهم، وأنه شك نابع من خلفية الحق على أمير المؤمنين (ع) لأنه نصر الإسلام وكان الرجل القوي

(١) النشر الفني في القرن الرابع: ٦٩/١.

(٢) فجر الإسلام: ص ١٤٨.

لإقامة الشريعة الإسلامية، فهو حقد على الإسلام لا غير، ولو كانت هذه الخطب لأحد أمراء بني أمية لزمروا لها وطبلوا، وفعلوا نسبوا بعض خطب الإمام (عليه السلام) إلى شيوخ بني أمية.

من المشككين المعاصرين نذكر:

أولاً: شوقي ضيف

وهو مصنف في الأدب كثير الكتب، له تاريخ الأدب العربي الجاهلي والعباسي، نقد الأدب، وعشرات الكتب الأخرى التي تدرس في الجامعات العربية، وقد أورد شكه في نهج البلاغة في كتابه الفن ومذاهبه في النثر العربي، يقول فيه: وقد أثرت عنه (الإمام علي عليه السلام) خطب كثيرة، ولا تقصد الخطب التي يحتويها بين دفتيه كتاب نهج البلاغة، فأكثره مصنوع ومحمول عليه، وقد أشار إلى ذلك كثير من العلماء، واختلفوا هل هو من عمل الشريف المرتضى المتوفى سنة (٤٣٦هـ)، أو هو من عمل أخيه الشريف الرضي المتوفى سنة (٤٠٦هـ).

ثم أخذ يذكر الأدلة من كتب الشيعة: ويذهب النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ للهجرة في كتاب الرجال إلى أن مؤلف الكتاب هو الشريف الرضي، وهذا هو الصحيح بشهادة الرضي نفسه وشهادة شراح كتابه، فقد ذكر في الجزء الخامس المطبوع من تفسيره أنه هو الذي ألفه وسمه باسمه نهج البلاغة (حقائق التنزيل ١٦٧/٥).

كما ذكر ذلك في كتابه (مجازات الآثار النبوية) ونجد أن ابن أبي الحديد المتوفى سنة ٦٥٥هـ في شرحه للكتاب يعترف بأن خطبته من عمل الشريف الرضي، ويذهب ابن ميثم البحراني في شرحه عليه إلى أنه من تأليف الشريف.

وإذن فالكتاب من عمل الشريف الرضي وصنعه، ويظهر أنه لم يؤلفه جميعاً، فقد أضاف قبله كثير من أرباب الهوى وفصحاء الشيعة خطباً وأقوالاً إلى علي بن أبي طالب يدل على ذلك ما جاء في مروج الذهب للمسعودي إذ يقول: الذي حفظ الناس عن علي من خطبه في سائر مقاماته أربعمئة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة، تداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً، وكان الشريف الرضي وجد مادة صاغ

منها كتابه، وهي مادة بنيت على السجع، وفي ذلك نفسه ما يدل على كذب نسبتها إلى علي، إذ ليس من الطبيعي أن يسجع علي في خطابه بينما ينهي الرسول الكريم عن السجع ويتحاماه أبو بكر وعمر وعثمان في خطاباتهم.

ومعنى هذا كله أنه لا يصح الاعتماد على هذا الكتاب في تصور خطابة علي وأنه ينبغي الرجوع إلى المصادر الأولى مثل البيان والتبيين للجاحظ، وقد روى طرفاً من خطبه وكلامه ومواظله^(١).

ثانياً: أحمد أمين (ت ١٩٥٤)

عضو المجمع اللغوي بالقاهرة، والمجمع العلمي بدمشق، والمجمع العلمي ببغداد، ولد وتوفي بالقاهرة، تولى القضاء في مصر، ودرّس بكلية الآداب بجامعة القاهرة ثم انتخب عميداً لها، رأس لجنة التأليف والترجمة.

قال في كتابه فجر الإسلام ونسبوا إليه في نهج البلاغة، وهو يشتمل على الكثير من الخطب والأدعية والكتب والمواظ والحكم، وقد شك في مجموعها النقاد قديماً وحديثاً كالصفدي وهوار واستوجب هذا الشك أمور: ما في بعضه من سجع منمق، وصناعة لفظية لا تعرف لذلك العصر كقوله: «أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير». وما فيه من تعبيرات إنما حدثت بعد أن نقلت الفلسفة اليونانية إلى العربية، ويعد أن دونت العلوم كقوله: «الاستغفار على ست معان، والإيمان على أربع دعائم» وكالذي فيه وصف الدار وتحديداتها بحدود هي أشبه بتحديد الموثقين، كقوله: «وتجمع هذه الدار حدود أربعة، الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات...» الخ هذا إلى ما فيه من معان دقيقة منمقة على أسلوب لم يعرف إلا في العصر العباسي، كما ترى في وصف الطاووس، كما نسبوا إليه كتاباً في الجفر، تذكر فيه الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم، وحكايته مع أبي الأسود الدؤلي في وضع النحو معروفة مشهورة، كل هذا ما يجعل من العسير على المؤرخ الناقد وصف شخصيته العلمية وصفاً يطمئن إليه، أي ما في نهج البلاغة لعلي؟ وأيها ليس له؟ وأي

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٦٠ - ٦٢.

ما روى عنه من الحكم والأمثال له؟ وأيها ليس له؟ وأي الأحاديث وما صدر عنه من الأحكام وما استشاره فيه الخلفاء من الشؤون يصح عنه؟ وأيها لا يصح كل هذه الأشياء لا تزال مجالاً للبحث^(١).

ثالثاً : محمد كرد علي

صاحب مجلة المقتبس ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، له كتب عديدة منها رسائل البلغاء، غرائب الغرب، خطط الشام في ستة مجلدات كبيرة، شكك في نسبة ولاية عهده لملك الأشتر إليه : ولم يعهد تطويل مثل تطويله (الرسائل) في أهل القرن الأول : اللهم إلا ما كان من رسالة علي بن أبي طالب إلى الأشتر النخعي، وهي في مطالب إدارية عظيمة هذا إذا صحت نسبتها إلى أمير المؤمنين^(٢).

أما تعليقه على قول ابن المقفع في الدرة اليتيمة في وصفه للرجل الكامل : قال : إني مخبرك عن صاحب كان أعظم الناس في عيني، وقد أورد السيد الرضي في نهج البلاغة هذا الوصف ونسبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بتحريف، وزيادة، ثم يقول ونرجح عزو هذا الكلام إلى علي بن أبي طالب أو إلى الحسن بن علي هو من فعل من أضافوا على كلام أمير المؤمنين ما ليس منه سامحهم الله، فإن نص عبارة ابن المقفع معلنة عن نفسها بأنه عرف رجلاً هذه صفاته الحسنة، فوصفه ولا يعقل أن يأخذ كلاماً لغيره ويستحل نسبته إليه خصوصاً إذا كان من الكلام المأثور المعروف صاحبه، ثم أن يتيمته اشتهرت قبل أن يؤلف نهج البلاغة بنحو قرنين ونصف، ويؤيد قولنا هذا ظهور التصنيع ماثلاً للعيان. ومن التصنع إدماج سجعات في هذه الجملة الجميلة حاشاً لأمير المؤمنين أن يسف في كلامه إلى مثلها، وهو من أكبر الفصحاء بعد صاحب الرسالة ﷺ.

ثم يقول : لا جرم أن نهج البلاغة زبدت فيه زيادات كثيرة بعد عهد الرضي أيضاً، وهو الذي قال : إنه جمعه من كلام علي والحال أن أكثره من كلام فصحاء الشيعة

(١) فجر الإسلام ص ٢٤٨.

(٢) أمراء البيان : ص ٢٢.

وغيرهم بدليل الاختلاف العظيم في نسخه . . إذا عرفنا هذا ساغ لنا أن نقول: أن صفة الرجل الكامل الذي عرفه ابن المقفع قد استحسناها بعض المتأخرين، فادمجوها في الكتاب الذي كسروه على كلام الخليفة الرابع، وقد وقعت لصاحب النهج بعض حكم جواز ضمها إلى كلام أمير المؤمنين، وهي أشبه بأن تكون لغيره، ومن ذلك ما نسب لعللي وهو لابن المقفع: «للمؤمن ثلاث ساعات، فساعة يناجي فيها ربه (كما ورد في الأدب الصغير لابن المقفع)»^(١).

رابعاً: أحمد زكي صفوت

خريج مدرسة دار العلوم، ومدرس اللغة العربية بمدرسة الأمير فاروق الثانوية سنة ١٣٤٥^(٢) له كتب كثيرة في الأدب منها: جمهرة خطباء العرب، جمهرة رسائل العرب. أورد شكوكه في ترجمته لعللي بن أبي طالب ، يقول في نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ما أثر عن الإمام من خطب ورسائل وحكم ومواعظ وضمنها كتاباً واحداً سماه نهج البلاغة انتهى من تأليفه في رجب سنة ٤٠٠ هـ وقد ترك أوراقاً بيضاء في آخر كل باب رجاء أن يقف على شيء بعد الجمع فيدرجه في المحل اللائق به. ثم يعرض في كتابه الشكوك التي أثبتت حول نهج البلاغة يقول في ذلك: يشك فريق من النقاد والمؤرخين في صحة نسبته إلى الإمام وليس ذلك بحديث بل هو قديم . . ثم يذكر أسماء بعض المشككين ثم يستعرض بعد ذلك آرائهم في ست نقاط هي:

١- خلو الكتب الأدبية والتاريخية التي ظهرت قبل الشريف الرضي من كثير مما ورد في نهج البلاغة.

٢- ما ورد فيه من الأفكار السامية والحكم الدقيقة مما لا يصح نسبته إلى عصر الإمام.

٣- إطالة الكلام وإشباع القول كما في عهد الأشر النخعي المسهب المطنب المشتل على كثير من الحيلة والحذر والتوكيدات والمواثيق فضلاً عن أن فيه من النظريات

(١) أمراء البيان: ص ٥٢٥.

(٢) سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢/ ٢٨٧.

السياسية والقواعد العمرانية ما لم يكن معروفاً في عصر الإمام .

٤- ما ورد في بعض خطبه من التعريض ببعض الصحابة وذمهم كما في الخطبة الشقشقية مما لا ينتظر أن يقع من مثل علي في عقله ودينه وعلمه .

٥- ظهور الروح الصوفي الفلسفي في كثير من خطبه مما لم يفش في المسلمين ، إلا في القرن الرابع الهجري (أي في عصر الرضي) .

٦- الوصف الدقيق والسجع وتنميق الكلام مما لم يعهد في صدر الإسلام ، ثم يشرع في مناقشة هذه الشكوك فيرد بعضها ويؤكد بعضها الآخر ، فيرد على الشك الأول : أما ما ورد في الكتب الأدبية والتاريخية المؤلفة قبل ظهور نهج البلاغة من كلام الإمام فلعله لم يرد إلا على سبيل التمثيل والاستشهاد لا على سبيل الاستقراء والاستقصاء إذ لم تؤلف من أجل ذلك الغرض خاصة ، ولعل تلك المثل كانت هي المتداول المشهور من كلامه ، فلا ينافي أن يكون له غيرها .

ثم يؤكد قائلاً : لزوم من هذا البحث أن تقول أن الأدباء والمؤرخين الذين تقدموا الشريف الرضي كانوا يوقنون أن خطب الإمام بضع مئات وقد استطاع بعضهم لبصره بالأدب واضطلاعه بصناعة الكلام أن يسبر غور ما عزي من كلامه إلى غيره ويرده إلى حظيرة قائله .

ولا تخالف أننا بذلك نصدق تصديقاً جازماً بما انفرد نهج البلاغة بروايته بل أننا نعتقد أن فيه دخيلاً كما سنوضحه لك في نقدنا التالي مستنديين إلى غير هذا الدليل على أننا نستأنس بهذا الدليل نفسه في تفنيدينا لعهد الأشر النخعي .
رأيه في عهد الإمام لمالك الأشر :

يشكك أحمد صفوت في عهد الإمام إلى مالك الأشر . ويذكر دواعي هذا الشك : ورد في نهج البلاغة خاصة دون غيره من كتب الأدب والتاريخ في حين أن كتاباً كتاريخ الطبري يروي تاريخ علي مفصلاً مسهباً ويورد في ثناياه كثيراً من كلامه وخطبه وكتبه لا يشير إلى هذا العهد بحرف ولا إيماء ويدعم هذا الشك لدينا أن الطبري يورد رسالة علي التي بعث بها مع الأشر إلى أهل مصر ولا يورد عهده للأشر ، ثم من يورد عهد طاهر بن الحسين لابنه عبد الله حين ولاه المأمون الرقة ومصر

وما بينهما مثلاً ولا يذكر عهد علي للأشتر وكلاهما خطير الشأن في سياسة الأمم . . .
 ثم يرد على الشبهة الثانية التي ذكرناها: أما الشبهة الثانية فباطلة داحضة وأنا قبل
 أن نتعرض لإدحاضها نتساءل هل في فكر الإمام وحكمه نظريات فلسفية يعتاص على
 الباحث فهمها ويفتقر في درسها إلى كد ذهن وكدح خاطر، وبعد هجومه على
 المشككين من ناحية (الحكم والأمثال) يقول: أمستكثر الحكمة السامية على علي؟
 - وهو من علمت - سليل قريش الذين كانوا أفصح العرب لساناً وأعذبها بياناً وأرقها
 لفظاً وأصفها مزاجاً والطفها ذوقاً وقد قدمنا لك أنه تربى في بيت النبي ﷺ منذ حدثه
 فنشأ وشب في بيت النبوة ومهد الحكمة وينبوعها ولازم الرسول حتى مماته - ثم يقول
 - وأخالك تذكر ما قدمناه لك أنفاً من أنه كان معروفاً بين الصحابة بأصالة الرأي وسداد
 الفكر، فكان بعض الخلفاء يفرع إلى مشورته إذا حزه أمر، فيجيد الحز ويطبق المفصل
 ولم يكن رضي الله عنه بالرجل الحامل الغمر، بل كان من سادة القوم وعليتهم فكان
 كل ما يجري من الشؤون السياسية في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الثلاثة السابقين
 له بمرأى منه ومسمع بل كان له في بعضها صانع قوي وشأن خطير، هذا المران السياسي
 الطويل العهد وهو خمس وثلاثون سنة من بدء الهجرة - عدا ما تقدمه - أفاده شحذاً
 في الذهن وثقوباً في الفكر فليس بمستنكر على مثل علي أن يكون حكيماً.

ثم ينتقل إلى الشبهة الثالثة وهي إطالة الكلام وإشباع القول فيعطى ملاحظاته
 وشكوكه على عهد الإمام إلى مالك الأشتر فيقول: أما الشبهة الثالثة فإنما يخالج نفوسنا
 الشك في عهد الأشتر لا من حيث ما ورد فيه من النظريات السياسية والقواعد العمرانية
 لأننا لا نستبعد صدور مثلها من الإمام. وقد أسهبنا القول في بيان خبرته وحنكته
 السياسية أنفاً.

وأنت إذا تأملت نصيحته للأشتر في هذا العهد فيما يختص بالجنود والعمال
 والقضاة والكتاب والخراج والتجار وذوي الصناعات . . الخ، لم تلف منه معنى ملتأناً
 ولا قاعدة يشق تفهمها بل هي نصائح حكيمة بعيدة عن الالتواء الفلسفي والتعقد
 النظري.

وإنما يخالجننا الشك فيه من حيث طوله وإسهابه لاعتبارات نوردها لك:

١- إن الخلفاء قبله عهدوا إلى ولايتهم فلم يؤثر عنهم ذلك الإسهاب في عهودهم .
 ٢- إن الإمام نفسه ولي محمد بن أبي بكر الصديق على مصر قبل الأشتر النخعي وولي قيس بن سعد بن عبادة عليها قبل ابن أبي بكر، وولي غير هؤلاء على الأمصار فلم يعهد إليهم بمثل هذا العهد، بل إن عهده لابن أبي بكر عشرة أسطر فحسب كما رواه الطبري .

٣- إن مالك بن الحارث الأشتر الذي كتب له ذلك العهد كان عند الإمام وساعد في صفين، وقد قدمنا أنه كان قائد الميمنة وقد أبلى في الحرب بلاءً حسناً وكان يستحث من همة الجيش كلما أنس منهم مللاً وسامة .

وقد قال له حين استقدمه ليوليه مصر: «ليس لها غيرك أخرج رحمك الله فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أهلك فأخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق أبلغ، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة»^(١).

وفحوى ذلك أنه كان موضع ثقة تامة من الإمام، ومن كان كذلك فليس بحاجة إلى ذلك القدر من الإسهاب في الخطة والحذر وتأكيد الموثيق وكيف يسهب هذا الإسهاب فيكتب له عهداً في مائتين وخمسة وسبعين سطرأ وهو يقول له: «إن لم أوصك اكتفيت برأيك» .

ثم يذكر رأيه في العهد: وأكبر ظننا أن ذلك العهد كتب حاوياً لما فيه من جوهر المسائل الرئيسية مجملة أو مفصلة تفصيلاً يسيراً على قدر الحاجة، ثم زيد فيها وحشيت حتى بلغت هذا الحد من الإطناب .
 رآه في الخطب الطويلة:

ثم يستعرض أحمد زكي صفوت الخطب الطويلة في نهج البلاغة التي تثير شكوكه من نسبتها لأمر المؤمنين ﷺ فيقول ويستوقفنا أيضاً من طوال خطبه خطبتان هما أطول ما أثر عنه بعد عهد الأشتر، الأولى خطبته المسماة بالقاصعة وعدتها مائتان وسبعة عشر سطرأ والثانية خطبته المعروفة بخطبة الأشباح وهي مائة وسبعون سطرأ .

ونحن لا نقول أن هذا القدر من الطول في الخطب غير مقبول عقلاً، ولكننا نقول أن المعروف في ذلك العهد والمتداول بين أيدينا في خطب النبي ﷺ وخطب أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية لا يبلغ هذا الحد بل ولا نصفه، وهذه خطبة النبي في حجة الوداع وهي تحوي ضروباً كثيرة من التشريع لا تزيد على اثنين وثلاثين سطرًا، وإن اعتقادنا أن علياً انفرد بأنه أخطب الخطباء بعد الرسول لا يحملنا على التسليم بأنه انفرد بطول الخطب دونهم.

على أنا نحس ريبة في هاتين الخطبتين ونرجح أن فيهما دخيلاً من وضع الشيعة والصوفية حداهم إلى دس مغالاتهم في حب الإمام وحرصهم على أن يرفعوه مكاناً علياً يقرب من درجة الرسول، ولا يتسع هذا الكتيب للفحص عنهما في دقة، ولكننا نجتزئ بأن ننبهك إلى ما ورد في الخطبة الأولى من قوله فيها: «أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته أنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير وأنتك لعلي خير».

ثم ينتقل إلى الخطبة الثانية - خطبة الأشباح - ثم تدبر الخطبة الثانية تلف منها فقرات مصطبغة بالصبغة العلمية، مشتملة على مصطلحات علم التوحيد مشابهة لأسلوبه كقوله: وإنك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفاً ولا في روايات خواطرها فتكون محدوداً مصرفاً، والكيف ونحوه لم يعرف إلا بعد نشأة العلوم وتكونها وذلك بعد عصر علي، على أن بعض جملها لا تتجلى فيه روح الإمام وجزالة أسلوبه بل هو بأسلوب متفلسفة القرن الرابع أشبه.

وثمة خطبة ثالثة طويلة وهي المسماة بالفراء في الوعظ والتذكير وتقع في ثمانية وتسعين سطرًا فهي بالقياس إلى الخطبتين السالفتين أقصر، وذلك ما يجعل الشك فيها من هذه الوجهة أضعف منه فيهما، غير أننا تختلج في نفوسنا الارتباب فيها من وجهة أخرى سنيها.

ثم ينتقل إلى الشك الرابع حول ما ورد من تعريض ببعض الصحابة، والشك يدور حول الخطبة الشقشقية، ومع أن الكاتب لا يتردد في أن هذه الخطبة من كلام أمير

المؤمنين لكنه يضع بعض الملاحظات التي تجعله يشك في بعض ما ورد فيها فيقول : من ذلك يتبين لك أن الشقشقية كانت معروفة قبل مولد الرضي من أكثر من طريق فلا تبعة إذاً عليه ، ولا سبيل إلى اتهامه بانتحالها ، ولكننا مع ما نرى فيها من جزالة اللفظ وروعة الأسلوب التي تغرينا أن ننظمها مع كلام علي في سلك نتراجع حين يبدو لنا شبح الشك ماثلاً فيها ، أجل يستوقفنا منها :

(أ) قوله وقد عرض لعمر عليه السلام : «فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتكون واعتراض» فيجيب على ذلك : فمتى كان عمر البتة خابطاً ولا مثلوناً ولا جانحاً عن الطريق السوي ، وما عرف عنه من ذلك قليل ولا كثير .

ثم يقول في رده على ما ذكر في النص : وإنا نُجلّ الإمام عن أن يعد عودة عمر إلى الحق بعد تبينه له خبطاً واعتراضاً بل هو طريق الحزم الذي لا عوج فيه ، ولطالما أشار عمر على النبي صلى الله عليه وآله بأمور نزل الوحي بتأييد رأيه فيها كمسألة أسرى بدر ومسألة الحجاب وعلي يعلم ذلك ويعيه .

ذلك إلى أنه ورد في نهج البلاغة نفسه كلام لعلي يشي فيه على عمر إذ يقول : لله بلاد فلان (يعني عمر) فقد قوم الأود وداوى العمد وأقام السنة ، فهل يسوغ مع هذا الثناء أن يرميه بتلك التهمة النكراء .

(ب) ويستوقفنا أيضاً في هذه الخطبة قوله في عثمان «إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين ثيله ومعتلفه» يريد أن همه الأكل والرجيع وهذا من خصص الذم ، وأشد من قول الخطيئة الذي قيل انه أهجى بيت للعرب :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
ونرى أن أدب الإمام وكمال خلقه يجعل عن هذا الإسفاف .

(ج) ويستوقفنا منها قوله : «لشد ما تشطرا ضرعيها» يعني أن أبا بكر وعمر اقتسما فائدة الخلافة ونفعها ، ولنا نصدق ذاك البتة في الخليفتين الأجلين رضي الله عنهما ، بل الثابت أن أبا بكر أنفق كثيراً من ماله في تأييد الإسلام كما أسلفنا لك وأنه بعد خلافته ستة أشهر ترك تجارته التي كان ينفق منها على عياله ، وعلي يعلم هذا كله فلا نصدق أن يقول فيهما ذلك وإن أحسننا الظن في فهم هذا القول نقول : إنه ينبغي بالتشطر

تناوبهما الخلافة واحداً بعد واحد لا أنه ينبغي اجتناءهما المنفعة من ورائها.

ثم يأتي إلى ما كتبه الإمام إلى معاوية وعمرو بن العاص ووصفه ﴿إياهما بأشدّ الأوصاف: «عجباً لابن النابغة، وقد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية والفاجر ابن الكافر عمرو المتحابين في عمل المعصية...»﴾، نقول أما هذا الكلام وأشباهه فإننا نلتبس لعلّي فيه العذر، وإن هو إلا نفثة مصدور من دهاء عمرو وما نصب له من حبائل الكيد وما ناله من معاوية مما تنفطر منه القلوب، على أنه ليس بغريب ولا مستنكر على عليّ وقد جرّد على عمرو ومعاوية وأشياعهما سيفه وخاض معهم معمعان القتال أن يصب عليهم من لسانه وإبلاً من اللعنات، تلك سجية بشرية لا يقوى على مغالبتها الصلاح مهما كان كاملاً، وهل يبقى للعدو حرمة من بعد إزهاق الأرواح وإراقة الدماء.

ثم ينتقل إلى الشك الخامس فيقول: فإننا مع اعتقادنا الكامل بأن الإمام كان خير قدوة في الزهد والورع وأعلى مثال في التقوى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها نرى أن ما عزی إليه في هذا الباب لا يخلو من دجيل متحل، ثم يعرض نماذج من خطبه في الزهد والورع.

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده...» إلى آخره.

فيعلق عليها قائلاً: تر أن هذا الأسلوب قصي عن نهج الإمام ومسلكه فإن الفقرة الأولى مفرغة في قالب مقدمات منطقية تفضي إلى نتيجة هي نفي الصفات عن الله تعالى، والفقرة التالية لها مقدمات أخرى تنتج أن من يثبت له الصفات فقد عده من الحوادث، وهذا الأسلوب المنطقي لم يعهد في كلام العرب، ولم يستعمله العلماء إلا بعد ترجمة المنطق والعلوم الدخيلة، وذلك العصر لم يدركه الإمام.

ثم يستعرض نماذج من الخطبة في وصف الملائكة، ثم يأتي إلى خطبة له في التوحيد أولها: «ما وحده من كيفه، ولا حقيقته أصاب من مثله» إلى آخره، ثم يستنتج قائلاً:

اقرأ هذه النبذة وتفهمها جيداً تحكم غير مراقب أنها من وضع عالم من علماء

الكلام لا من كلام الإمام.

ثم يستشكل على ورود كلمتي معلوم والأزل اللتين وردتا في كلمات علماء الكلام وخطبها علماء اللغة، فيقول بعد ذلك: من ذلك تعرف أن ما أوردنا لك إنما هو من كلام علماء الكلام معنى ومبنى ولسنا نذهب في نقدنا هذا إلى أن تلك الخطب التي ذكرناها لك منحولة برمتها فإننا نلمس فيها أيضاً قولاً رائعاً جزلاً بليغاً وإنما اعتقدنا أن ذلك الدخيل قد دس فيها دساً حجباً في تكثير المأثور عن الإمام من الثروة الكلامية أما حول الشك السادس المتعلق بالوصف الدقيق فيحاول أحمد زكي صفوت أن يرد على القائلين بهذه الشبهة فيرد نماذج من وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للخفاش والطاووس والنملة ثم يستنتج بعد ذلك قائلاً:

وأخالك بعد إحالة النظر في هذا الوصف تحكم أنه لا أثر للدقة فيه وإنما هو في الواقع مقال وعظمي تذكيري وليس من الوصف العلمي في شيء وكأنني بهم يعنون بالدقة ما ورد فيه من قوله: «وما في الجوف من شراسيف بطنها»، ونحن نقول: أنه يرمي بذلك أنك إذا قستها بغيرها من الحيوان الذي تبين أجزاء أجهزته المكونة لجسمه في وضوح وتميز عجبت كيف احتواها جسمها الضئيل الدقيق وهو يروم أن يخلص من ذلك إلى أعظام خالقها اللطيف القدير.

ثم ينتقل إلى مأخذ السجع فيقول: أما ما ورد في كلامه من السجع فليس ببدء أن يسجع علي وقد جاء فيه سجع مقبول متسق لا يستوحش فيه وأنت إذا تأملت خطب الجاهلية ألفيت كثيراً منها مسجوعاً، ولو أننا جارينا ذلك حجة على أن الكتاب كانوا - قبل عصر الشريف الرضي - ينزعون إلى التسجيع، والقرآن الكريم، وإن كان نشره خارجاً عن أن يوصف بسجع أو إرسال لا يخلو في الواقع من هذه الحلية وقد تبنى آيات وفيرة العدد بل سورة طويلة كاملة على قافية واحدة.

ملاحظته على (الخطبة الغراء):

على أننا مع هذا كله لا نطمئن إلى جميع ما ورد في النهج من كلام مسجع ولا نرتاح إلى الثقة به ثقة مطلقة، ويتسع أمامنا الشك حين نقرأ الخطبة الغراء، أجل... إننا يسترعي نظرنا في هذه الخطبة - على طولها - أشياء.

(أ) أن جلّها يتألف من فقر قصار.

(ب) إنه يغلب عليها السجع.

(ج) أنه قد فشا فيها الجناس وتلك الظواهر هي قوام الكتابة في العصر الرابع، ثم يأتي بنماذج من كلام أمير المؤمنين عليه السلام يرى أنها ليست له لأنه وجد منها سجعاً متكلفاً، وإيراداً للجمل الكثيرة المترادفة المتواردة على المعنى الواحد ذات الطراز الواحد.

ثم يأتي إلى بعض الخطب التي نسبت إلى غير أمير المؤمنين ككلامه عليه السلام:

«كان لي فيما مضى أخ في» والتي ذكرها ابن المقفع في الأدب الكبير^(١).

ونسبه ابن قتيبة إلى الحسن بن علي^(٢) وخطبته التي أولها: «أما بعد فإني أحذركم

الدنيا» والتي نسبها الجاحظ إلى قطري بن الفجاءة أحد خطباء الخوارج^(٣).

والخطبة التي أولها: أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار والتي نسبها

ابن نباتة إلى سحبان وائل^(٤).

وبعد إيراده هذه الخطب التي نسبت لغير الإمام أخذ يقول: إننا نسوّغ لأنفسنا أن

نقول: من الجائز أن يكون بعض غلاة الشيعة قبل الشريف الرضي قد دسوا إلى الإمام

بعض الخطب أو زادوا فيها ما ليس منها وقد كان العراق عشاً للشيعة ومباءة لهم، وثمة

فرقة تغلو في حبّ علي حباً شديداً محموتاً وهي الرافضة التي تقول غلط جبرئيل في

الوحي إلى محمد بترك علي بن أبي طالب، ومن المحتمل أيضاً أن يكون للرواة يد في

هذا الانتحال لهوى في نفوسهم وإنك ترى كثيراً من آثارنا الأدبية تختلف رواياتها

اختلافاً بيناً بالتقديم والتأخير والزيادة والنقص والتبديل والتحوير، لذلك قد يكون

للساخ في ذلك أثر وأنت تعلم أنه لا يأمن عثراتهم ولا يسلم من تبديلهم.

ثم يستنتج في النهاية قائلاً: وصفوة الرأي أنا نعتقد أن الشريف مثل كل ما نعى إليه

(١) الأدب الكبير: ص ٢٢٩.

(٢) عيون الأخبار: ٢/٣٥٥.

(٣) البيان والتبيين: ٢/٦٣.

(٤) سرح العيون: ص ٩٥.

من كلام الإمام معتمداً في ذلك رواية الرواة، دون أن يتوخى التمهيد الدقيق لا عن قصر نظر أو قلة اضطلاع بصناعة الأدب وإنما صرفه عن ذلك باعث الحب الشديد لجده والافتتان ببلاغته أي افتتان فوق فيما جمعه الصحيح والمشوب، أما انه انتحل بعضه فذلك ما لا ترى السبيل إلى اتهامه به سهلاً^(١).

خامساً : محمد طاهر درويش

أستاذ في كلية العلوم في جامعة القاهرة له كتاب الخطابة في صدر الإسلام، وله دراسات مستفيضة عن خطب أمير المؤمنين في كتابه المذكور، وقد قسم خطب الإمام في نهج البلاغة إلى قسمين خطب مشكوك فيها لم يعتن بها وخطب يطمئن إليها ذكرها مع التحليل والنقد، أما القسم الآخر المشكك فيه فأخذ عليه تلك المأخذ التي شكك فيها المشككون من قبله وهي :

١- فقد تخلوه مقامات خلت من بعض الحروف مما يستبعد كل الاستبعاد وجوده مثل عصر الصنعة اللفظية، أيام العباسيين،
٢- وتخلوه عبارات مخترعة، عجيبة التركيب، تستبعد عليه لفظاً ومعنى وعقيدة كما تأباها عليه سليقته الأدبية، وذوقه الفني الرفيع، ورسوخ قدمه في مجال البلاغة والبيان.

٣- كما أضافوا إليه أقوالاً، يقصد بها إظهار العلم بقريب اللغة.

٤- ونسبوا إليه ما يرفضه العقل رفضاً من نبوءات عن الحجاج وفتنة الزنج، وغارات التار وغيرها.

٥- ونسبوا إليه أقوالاً وخطباً تتناول الخلفاء قبله بما لا يليق به.

٦- كما ونسبوا إليه أقوالاً وحكماً ونصائح، عرفت نسبتها إلى بعض السالفين.

٧- وستجد بعد هذا كله في كتاب نهج البلاغة كثيراً من آيات التوحيد وأصول العقائد والحكمة الإلهية، وللباحث أن يتشكك في نسبة كثير منها للإمام علي لغلبة الصبغة الفلسفية عليها، وامتزاجها بالمصطلحات والآراء التي لم تفتش إلا بعد ذلك بزمن

(١) ترجمة علي بن أبي طالب ص ١٢٠ وما بعدها مطبعة العلوم سنة ١٩٣٢.

طويل ، حين ترجمت الكتب الإغريقية والأجنبية إلى العربية في القرن الثالث الهجري ، ولا سيما الكلام على الطبائع والأضداد والحدوث والعدم ، والصفات والموصفات .

٨- وفي نهج البلاغة وصف للطاووس والخفاش والزعر والسحاب ، وغيرها من خلق الله ، والناظر فيها مضطر أن يقف حياله موقف الحائر المتشكك وقد يكون إلى نفيه عنه أقرب من إثباته له ، فهذا الكلام المنمق في هذه المعاني الدقيقة قد جاء في أسلوب أشبه بأساليب العصر العباسي منه بأسلوب عصر علي رضي الله عنه ، غير أن ما عرف عن الإمام من إدانة النظر في القرآن ، واستيحاء نصوصه ، والتلمذة عليه ، ربما قرب إلى العقول أن ترى في هذه الأوصاف درساً دعاه أمير المؤمنين عن القرآن حين وصف النحل والنمل والطير والأجنة في الأرحام ، وأمر بالنظر في المخلوقات والتأمل في ملكوت السماوات والأرض^(١) .

سادساً : محي الدين عبد الحميد

كتب مقدمة لشرح محمد عبده على نهج البلاغة أورد فيها هذه الشبهات :

١- إن في الكتاب من التعريض بصحابة رسول الله ﷺ لا يسلم أن يصح صدوره عن مثل الإمام علي عليه السلام .

٢- إن في عبارات الكتاب ما يشم منه ريح ادعاء صاحبه علم الغيب ، وهذا أمر يجل عن مثله مقام علي ، ومن كان على شاكلة علي ممن حضر عهد الرسالة ورأى نور النبوة .

٣- إن فيه من دقة الوصف واستفراغ صفات الموصوف وإحكام الفكرة وبلوغ النهاية في التدقيق كما تراه في وصف الخفاش والطاووس والنحلة والجرادة . وكل ذلك لم يلتفت إليه علماء الصدر الأول ولا أدباؤه وإنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدبية والحكومية .

(١) الخطابة في صدر الإسلام: ١/٢٢٠ - ٢٢٢ .

سابعاً : محمد سيد كيلاني

أورد شكوكه على نهج البلاغة في كتابه (أثر التشيع في الأدب العربي) يقول : ولم يقف أثر التشيع في النثر العربي عندما قدمناه بل تعداه إلى شيء آخر ، وهو وضع أدباء الشيعة لأقوال وخطب ورسائل وإسنادها إلى أئمتهم وبخاصة علي بن أبي طالب ، فقد أخذ ما ينسب إليه من خطب وأمثال وحكم يزداد يوماً بعد يوم ، حتى أتى الشريف الرضي فجمع كل ما ينسب إليه في كتاب ضخيم سماه نهج البلاغة ، ونحلوه كلاماً يخلو من أشيع الحروف في الكلمات وهو حرف الألف ، ولا يعقل أن يظهر مثل هذا التكلف قبل عصر العباسيين ، ونحلوه من مصطلحات علم الكلام أقوالاً لم تعرف ولا يعقل أن تعرف قبل ترجمة المفردات الإغريقية بما لها من غرائب النحت والاشتقاق ومثال ذلك : «وإنك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفاً ، ولا في رؤيات خواطرها فتكون مصرفاً» .

ثم ذكر قائلاً : في كتاب نهج البلاغة أمور كثيرة تجعلنا نشك في نسبة أكثر ما فيه إلى الإمام علي ، وهذا رأي سبقنا إليه القدماء .

ثم يبين أسباب شكه في نهج البلاغة في هذه النقاط :

أولاً : سبق أن ذكرنا أن نهج البلاغة قد ضم بين دفتيه ٢٤٢ خطبة وكلاماً و٧٨ كتاباً ورسالة ، ٤٩٨ حكمة وهذا العدد الهائل لم يُدَوَّن إلا في العصر العباسي ، وليس من شك في أن حفظ هذا المقدار الضخم من الأمور المتعذرة ومن هذه الخطب ما هو طويل جداً وليس من السهل وعيه وتذكر ألفاظه بعد أجيال : ويضرب مثلاً على ذلك بعهد الإمام إلى مالك الأشتر .

ثانياً : إذا ألقيت نظرة على الخطب المنسوبة لعلي لم تتمالك نفسك من الضحك وذلك لما جاء في كثير منها من أمور وقعت بعد عصر علي كقيام الدول الأموية ، وسقوطها والقضاء على الأمويين قضاء مبرماً بغير رحمة ولا شفقة وقيام دولة بني العباس ، وظهور الفتن والقتال وانتشار الحروب والثورات ، وترك الناس للدين وانغماسهم في الترف والتعليم .

ثالثاً : وأمر ثالث يجعلك تزداد شكاً وارتياباً وهو أن كثيراً من الخطب مشتملة على

علوم لم تعرف في المجتمع الإسلامي إلا بعد عصر علي بزمان طويل ، كدقائق علم التوحيد ، وأبحاث الرؤية والعدل ، والتوسع في كيفية كلام الخالق وابتعاده عن صفات الجسم وكيفياته ، وتنزهه عن مجانسة مخلوقاته كما تناولت موضوعات وصفية لم يطرقها المسلمون إلا في عصور متأخرة كوصف النملة والخفاش والطاووس .

رابعاً: وأمر رابع يجعلك تمنع في الشك وتسرف في الارتياب وهو أنك تجد في خطب كثيرة روحاً غريباً عن الإسلام ، فيها تناقض مع أحكام الدين الحنيف وأصوله ، وفيها روح ضارة جداً بالمجتمع الإسلامي ، والحضارة الإسلامية ، ترى فيها دعوة إلى الرهينة وترك ما أحل الله من الطيبات في هذه الحياة الدنيا .

خامساً: وأمر خامس يجعلك تجزم بأن جل ما في النهج ليس لعلي وهو الاختلاف العظيم في أساليب الخطب ، ترى كلاماً مرسلأ على سجيته بغير تكلف ولا تصنع على حين أنك ترى له نوعاً آخر من الخطب يظهر فيه آثار الصنعة والتكلف المزدول والحرص الشديد على السجع وغير ذلك مما لم تعرفه العرب في عصر علي .

سادساً: وأمر سادس يدفعك إلى رفض الكثير مما ينسب لعلي وهو أنك ترى خطباً كثيرة فيها وصف للحياة الاجتماعية على نحو لم يعرف إلا في عصور متأخرة ، ترى في هذه الخطب طعناً على الوزراء والأمراء والحكام والولاة والعلماء والقضاة ، طعناً شديداً في السلوك والأخلاق وفي الذمم والضمائر ، ووصفاً للقضاة بالجهل وعدم المعرفة بأحكام الشريعة .

سابعاً: ترى فيه خطباً كثيرة تروي أموراً لا يقلبها العقل من شأنها لو صحت أن تؤيد حق علي في الخلافة مثل : ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي .

ثامناً: إنك تجد خطباً طال في صدرها حمد الله ، وهذه عادة لم تعرف إلا في العصر العباسي في خطب الجمع والأعياد التي تلقى في المساجد ولم تظهر قط في أيام علي .

تاسعاً: إنك تجد خطباً منها ذكر الوصي والوصاية ، مع أن علياً لم يقل هذا قط ولم تظهر خرافة الوصي إلا بعد مقتله .

عاشراً: أنك تجد خطباً فيها معنى واحد عبر عنه بما يزيد على عشر جمل، ويخلص قائلها: هناك خطب قليلة تامة فيها روح علي، ولكنها لم تسلم من التحريف والتصحيف والتقديم والتأخير والزيادة والنقصان، ذلك أمر طبيعي في كل ما تأخر تدوينه من الخطب والرسائل، وإنك لتجد هذه الخطب القليلة رويت بروايات فيها اختلاف كبير، أما الأمثال والحكم فمعظمها هندي وفارسي عرفه العرب بعد عصر الترجمة، ولا أدري كيف نسبوها إلى علي^(١).



(١) أثر الشيعة في الأدب العربي: ص ٥١ - ٦٧.

الرد على الشكوك

لو استقصينا جميع ما أورده المشككون من شبهات لوجدناها تدور حول الأمور

التالية:

أولاً: شبهة الرضي والمرتضى

وتعود هذه الشبهة إلى انتساب الشريف الرضي إلى السيد إبراهيم المرتضى، فهو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام^(١) فوقع اللبس بين اسمه واسم السيد المرتضى أخيه مع إن المشهور لدى جميع المؤرخين القدامى أن نهج البلاغة هو من جمع السيد الرضي وليس السيد المرتضى وقد أشار السيد بنفسه إلى ذلك في أكثر من مكان:

١- أشار إلى ذلك في كتابه (حقائق التأويل): عندما تطرق السيد إلى بلاغة كلام أمير المؤمنين عليه السلام ثم يقول تأكيداً على ذلك: ومن أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه فلينعم النظر في كتابنا الذي ألفناه ووسمناه بـ«نهج البلاغة» ويشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع الأنحاء والأغراض، والأجناس والأنواع من خطب وكتب ومواظ وحكم^(٢).

(١) يقول السيد هبة الدين الشهرستاني في كتابه «ما هو نهج البلاغة» أن الشريف الرضي كان يلقب بالمرتضى أحياناً.. كما أن أخاه كان يلقب بذلك، ثم بقي على هذا اللقب ولقب الأول

بالرضي يوم رضوا به نقيباً: راجع كتاب ص ٢٨.

(٢) حقائق التأويل: ١٦٧/٥. مطبعة الغري.

٢- ما أكدته في كتابه المجازات النبوية: فقد جاء على ذكر نهج البلاغة في عدة مواضع من هذا الكتاب منها تعليقه على الحديث «أسرعكن لحاقاً بي، أطولكن يداً» قال: ومثل ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام «من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة» وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بـ «نهج البلاغة»^(١).

وفي مكان آخر وحول كلام رسول الله ﷺ ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، أورد عبارة أخرى قائلاً وقد أوردناه في كتابنا الموسوم بـ «نهج البلاغة» وهو المشتمل على مختلف كلامه ﷺ في جميع المعاني والأغراض^(٢).

وقد حاول البعض من مرضى القلوب أن يستغل عبارة «الذي ألفناه» التي ذكرها السيد الرضي ليدعي بأن نهج البلاغة من تأليف السيد الرضي، وقد غاب عن هؤلاء أن كلمة ألف تعني الجمع، يقول ابن منظور: وألفت بينهم تأليفاً إذا جمعت بينهم بعد تفرق، وألفت الشيء تأليفاً إذا وصلت بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتاب^(٣).

وذكر السيد الرضي في أماكن أخرى قصده من عبارة ألفناه منها في المجازات النبوية عندما قال: وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بـ «نهج البلاغة» الذي أوردناه فيه مختار جميع كلامه^(٤).

فقد أكد في هذا النص أن نهج البلاغة هو مختار ما أورده من كلام أمير المؤمنين عليه السلام. فلماذا لم يأخذ أصحاب الشك والريبة بهذه العبارة وتمسكوا بعبارة ألفناه مع وضوحها.

ثانياً: شبهة التطويق في الخطب

وقد أجاب السيد هبة الدين الشهرستاني على هذه الشبهة قائلاً: والجواب عنها

(١) المجازات النبوية: ص ١٠.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٥٢.

(٣) لسان العرب: ١٠/٩ (الف).

(٤) المجازات النبوية: ص ٤٠.

أنها ليست بأعجب من رواية المعلقات السبع والقصائد الأخرى من الأوائل ومن الخطب والمأثورات التي رويت عن النبي المصطفى ﷺ وعن غيره ممن تقدم عليه زمانه أو تأخر، في حين أن العناية بالحفظ والكتابة كانت في زمن الراشدين أهم وأعظم مما قبله، ونعتوا ابن عباس بأنه كان يحفظ القصائد الطوال لأول مرة من سماعها، وكان مثله في عامة العرب الكثير، ولا يزال حتى اليوم والاعتناء بحفظ خطب الإمام كان أكثر حتى قال مدرس دار العلوم المصرية في كتاب علي ص ١٢٥: إن الأدباء والمؤرخين الذين تقدموا الشريف الرضي كانوا يعتقدون أن خطب الإمام ﷺ كانت بضع مئات وحكى عن المسعودي أربعمائة ونيفاً وثمانين خطبة^(١).

وبالإضافة إلى ما ذكره السيد هبة الدين الشهرستاني، فإن النيل من نهج البلاغة بدعوى أن العرب لم يعرفوا الخطب الطويلة فهذا قول باهت لا يستند إلى دليل لا عقلي ولا نقلي، فالدليل العقلي يؤكد لنا بأن الخطيب يتكلم بما يملئ عليه الجمهور والظرف وربما قصر في الخطبة إذا زالت الحاجة إلى التطويل، وربما طول الخطيب في حديثه عندما يجد هناك حاجة إلى التطويل وبالأخص عندما يجد مطالب كثيرة يجب عليه طرحها بالكامل واستعراضها أمام الجمهور.  يقول أبو هلال العسكري: ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز وفي المعاني إطالة^(٢).

ويحكي ابن قتيبة عن الكاتب المجد: ولكنه أطال تارة للتوكيد، وحذف تارة للإيجاز، وكرر تارة للإفهام^(٣).

ويمكننا أن نلاحظ ذلك في عهد الأزمات حيث تنتشر الشائعات وتلاطم التيارات وترتفع حمأة الصراع السياسي وتصبح الحالة السياسية في أزمة كبيرة عندها يجد القائد من الضروري عليه أن يعلن عن موقفه ويرد على التيارات المخالفة ويحصن الناس من الأفكار والشائعات المسمومة لذلك قد تطول الخطبة لتشمل أموراً ليست ذات بال في

(١) ما هو نهج البلاغة: ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) أبو هلال العسكري: الصناعتين ص ١٧٤.

(٣) أدب الكاتب ص ١٥ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة سنة ١٩٦٢م.

الأيام العادية .

ويمكننا رصد ظاهرة التطويل في الخطبة في عهد الأزمات ، نجد ذلك في خطب الخوارج وخطب زياد بن أبيه ، ولما كان عهد أمير المؤمنين (ع) عهد أزمات وحروب وقلاقل لذا كان يتوجب على الإمام أن يطيل في أمد الخطبة ليجيب على استفسارات الناس ويرد على شبهات أصحاب التيارات السياسية والأفكار المناوئة ، كان ينبغي على الإمام (ع) أن يحصن الأمة من مظاهر الانحراف والتراجع .

أما الدليل النقلي فهناك خطب كثيرة وصفت بأنها كانت طويلة ، بل حتى أطول من خطب أمير المؤمنين (ع) ، ذكر بعضها لابن عبد ربه في العقد الفريد وبعضها ذكره ابن أبي الحديد في شرحه على النهج .

من الخطب الطويلة التي أتى ابن عبد ربه الأندلسي على ذكرها خطبة زياد البتراء وسميت البتراء لأنه لم يحمد الله فيها^(١) وهي من الخطب الطويلة .

وأورد أيضاً خطبة لأبي حمزة بالمدينة ، وهو من الخوارج وخطبته أيضاً من الخطب الطويلة ، قال عنها مالك بن أنس : خطبنا أبو حمزة خطبة شكك فيها المستبصر وردت المرتاب^(٢) .

ثالثاً: شبهة احتواء نهج البلاغة على خطب تتضمن أنباء عن الغيب

وقد أجاب السيد هبة الدين الشهرستاني على هذه الشبهة قائلاً :

والجواب عنها أن الغيب يختص علمه بالله سبحانه ومن ارتضاهم من أنبيائه وأوليائه ، وكم حوت السنة النبوية أنباء غيبية وأخباراً عن الملاحم والفتن ، وما ذلك عن النبي الكريم إلا بوحي من ربه العليم الخبير ، كذلك لا ينطق ابن عمه وريب حجرة وصاحب سره في الملاحم والخفايا إلا بخبر عن رسول الله (ص) ولقد قيل له (ع) : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب ؟ فأجاب (ع) : ليس هو بعلم غيب وإنما تعلم من ذي علم^(٣) .

(١) راجع العقد الفريد ١١٠/٤ دار الكتاب العربي ١٩٩٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١٤٤/٤ .

(٣) ما هو نهج البلاغة ص ٥٤ - ٥٥ .

وإذا نظرنا إلى خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) لوجدنا فيها الكثير من أخبار ما سيحدث، ذكرها أمير المؤمنين لضرورة عسكرية عندما كان في ساحة معركة، أو لضرورة حياتية تتعلق بمصير الأجيال القادمة، أو لدفع الناس إلى تصحيح مسارهم الديني والسياسي عندما يبلغهم بمصير الفئات والتيارات وكانت تلك الأخبار تقع فعلاً.

فمثلاً: حدد أمير المؤمنين (عليه السلام) لأصحابه في النهروان مصير الخوارج قائلاً: «لا يفلت منهم عشرة ولا يقتل منا عشرة»^(١). فكان الأمر كذلك.

وأخبرهم بواقعة كربلاء ليحذر الناس من الاشتراك في المعركة، وأخبرهم بدخول هولاكو مدينة بغداد، وكان بعض العلماء على علم بهذا الحدث لذا وجدناهم يطلبون الأمان من هولاكو قبل أن يصل إلى بغداد وتمدد يده لخراب المدينة.

وهكذا إخباره عن بني أمية وبني العباس، ذكر أمير المؤمنين ذلك بقصد التحذير ومطالبة الناس بعدم الركون إلى الظالمين. وكل ما ذكره الإمام من أخبار المستقبل وقع فعلاً، وهذا دليل آخر على عظمة شخصية الإمام، ودليل على أهمية وقيمة تلك الخطب التي خطبها، فهي ليست مثاراً للشبهة بل الدليل على أن صاحب هذه الخطب ليس بشخص عادي، بل هو إنسان عظيم.

يقول ابن أبي الحديد عن أخبار الغيب عند الإمام: وأعلم أن هذا الغيب الذي أخبر به (عليه السلام) قد رأيناه نحن عياناً، ووقع في زماننا، وكان الناس ينتظرونه من أول الإسلام حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا، وهم التار الذين خرجوا من أقاصي المشرق... الخ^(٢).

رابعاً: شبهة احتواء نهج البلاغة على علوم لم تكن موجودة في زمانه

شبهة احتواء نهج البلاغة على علوم لم تكن في زمان الإمام بل استحدثت فيما بعد كعلم الكلام والتوحيد وما شابه ذلك، فقد أجاب أحمد زكي صفوت على هذه الشبهة فيما سبق.

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/٤٢٥.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/٣٦٢.

وهي شبهة نابعة من شخص لا يعرف الإمام أمير المؤمنين حق المعرفة ولا يستطيع أن يتصور الإمام وهو يتكلم بعلوم لم تكن موجودة في زمانه، وقد نسوا أو تناسوا قول رسول الله فيه: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» فمشكلة هؤلاء أنهم يظنون أن أمير المؤمنين ﷺ هو شخص عادي كبقية الأشخاص وهم لا يعرفون أن علياً ﷺ هو منبع العلوم وأن نهج البلاغة هو مصدر لعلوم لم يكتشفها الإنسان حتى يومنا هذا، فهذه الخطبة التي يقول فيها الإمام ﷺ: «ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشق الأرجاء وسكالك الهواء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره متراكماً زخاره، حملة على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة، فأمرها برده، وسلطها على أشده وقرنها إلى حده، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحاً أعتقهم مهبها وأدام مربتها، واعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار وأثاره موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء تردُّ أوله إلى آخره، وساجيه إلى مائره، حتى عبَّ عبابه ورمى بالزبد ركابه، فرفعه في هواء منفتق وجو منفتح، فسوى فيه سبع سموات...» وإلى آخر الخطبة.

هذه الخطبة تشير إلى نظرة الإمام إلى خلق السموات والأرض وهي تشير إلى نظرية الانفجار الكبير الذي حدث في «سور نوفا» وهي آخر نظرية في نشوء الكون أطلقها العلماء ومنهم فرانك كلوز العالم البريطاني في كتابه:

End Cosmis cata stropke And the fate of the universe

وهو آخر ما كُتب في هذا الباب.

فهل من الإنصاف أن يأتي البعض ليرفض ما ورد في نهج البلاغة من الخطب والرسائل المتضمنة لهذا العلم بحجة أن أمير المؤمنين ﷺ قالها قبل فرانك كلوز وغيره. نؤكد مرة أخرى أن مشكلة القائلين بهذه الشبهة أنهم لا يعرفون الإمام حق معرفته لذا وجدناهم يطلقون هذه الصيحات الباهتة.

خامساً: شبهة احتواء نهج البلاغة على الزهد وذم الدنيا

وذلك بدعوى أن الزهد المفرط لم يكن له سابقة في الإسلام بل نشأ مع ظهور تيار التصوف في القرن الرابع الهجري.

وأصحاب هذه الشبهة نظروا إلى نهج البلاغة بعين واحدة، صحيح أن في نهج البلاغة دعوة للزهد عن الدنيا لكن ليس بمعنى تركها والانصراف إلى الرهينة.

وربما لو درس أصحاب هذه الشبهة تاريخ عهد الإمام (عليه السلام) وعهد عثمان بن عفان لعرفوا بأنفسهم لماذا أكد الإمام في خطبه على الزهد والانصراف عن الدنيا كهدف للحياة. فقد انتشرت ظاهرة الترف والولوغ في حب الدنيا وحب مقتنياتها، ونقل لنا المسعودي في مروج الذهب أرقاماً خيالية عن ممتلكات بعض الصحابة في عهد عثمان، وهي تبين لنا نزوع المسلمين بالأخص بعض الصحابة إلى الدنيا نتيجة للثروة الهائلة التي أعقبت الفتوحات الكبيرة في بلاد فارس وبلاد الروم، فظهرت الطبقة في المجتمع الإسلامي لأول مرة، فكان من مسؤولية الإمام أمير المؤمنين أن يوجه الناس إلى الجادة ويحذرهم من مغبة الانجراف في ملذات الدنيا، والعمل من أجل الآخرة، وهذا ما نجده في أكثر خطب أمير المؤمنين (عليه السلام)، لكن هذا لا يعني مطلقاً أن يترك الإنسان الدنيا ويتخذ صومعة يعبد فيها الله ولا شيء غير ذلك، ففي خطب الزهد نجد المعنى الحقيقي للزهد الذي عنى به أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو لا يمت بالتصوف والصوفية بأية صلة لا من قريب ولا من بعيد.

مركز تحقيق كتب أمير المؤمنين (عليه السلام)

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لمحمد بن أبي بكر: «إن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وأجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، فحفظوا من الدنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذ الجبابرة المتكبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ، والمتجر الرابع، أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم»^(١).

فكيف نستطيع أن نجمع بين هذا القول وبين دعوة الصوفيين بترك الدنيا والانصراف إلى الرهينة.

فالزهد عند الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كما يقول: «بين كلمتين من القرآن (لِكَيْلَا

(١) من عهده إلى محمد بن أبي بكر عندما قلد بمصر.

تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»^(١).

فالزهد لا يعني أن تمتلك الدنيا، ولا تستفيد منها بل معناه أن لا تمتلك الدنيا أو تستفيد منك، وهذا يختلف عن نزعة الصوفية التي انتشرت في القرن الرابع الهجري. وثمة حقيقة أخرى، فالزهد الذي دعا إليه أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه دعا إليه القرآن ورسول الله من قبل، فالقرآن يصدع ويأمر المسلمين بأن لا يجعلوا الدنيا همهم الأول والأخير فيقول: ﴿أَلَمْ آتِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبًا وَلَهُمْ زِينَةٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾^(٢).

وأيضاً: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾^(٣). وقد تكلم أمير المؤمنين عن الزهد وعن الدنيا بلغة القرآن وسلك طريق رسول الله في تربية المسلمين على التقوى والتمسك بأهداب الخلق الرفيع، فبعث برسالة إلى شريح قاضيه عندما سمع انه اشترى في الكوفة داراً واسعة فأنبه الإمام على ذلك. وكتب إلى واليه في البصرة عثمان بن حنيف عندما سمع انه دعي إلى مائدة أحد أغنياء البصرة من لا يجد الفقراء طريقاً إلى بيته.

في الوقت نفسه الذي كان فيه أمير المؤمنين عليه السلام يحارب الترف والتبذير والولع في أمور الدنيا كان يحارب الرهينة والتصوف، وقصته مع عاصم بن زياد دليل واضح للمنهج القويم الذي سلكه أمير المؤمنين عليه السلام، فعندما سمع عنه أمير المؤمنين انه ترك أهله وعياله وأولاده ولزم المسجد واشتغل بالعبادة ذهب إليه وقال له: يا عديّ نفسه لقد استهام بك الحبيث، أما رحمت أهلك وولدتك أترى الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها، ولما أنكر على الإمام خشونته في ملبسه ومأكله قال له الإمام: ويحك إني لست كأنت أن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعة الناس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره.

(١) الحديد: ٢٣.

(٢) الحديد: ٢٠.

(٣) آل عمران: ١٤.

سادساً: شبهة السجع

وهو أكثر الشبهات التي ركّز عليها المشككون، الذين افترضوا بأن السجع ظاهرة أدبية متأخرة عن العهد الإسلامي الأول، ويقولون أن رسول الله نهى عن إتيان السجع، وأن الخلفاء لم يأتوا به.

ولا ريب أن السجع على نوعين، الأول: السجع الذي فيه تكلف والذي يغلب اللفظ على المعنى، ومثاله سجع الكهان الذين يأتون بكلمات منمقة ذات فواصل مشتركة قاصدين فيها إيهام السامع وجعله يتيه بين الكلمات فيصدق أن الكاهن قادر على تحقيق ما يصبو إليه.

هذا النوع من السجع هو المرفوض والذي جاء النهي عن استخدامه، أما هناك نوع آخر من السجع الذي يقوله صاحبه بلا تكلف بل تنساب الكلمات من على لسانه انسياً جميلاً فتغمر السامع بالبهجة ولا تثقل عليه ما يسمع، هذا النوع من السجع هو المحمود عند الأدباء، وقد أخذ به القرآن الكريم في الكثير من سورته المكية كسورة الذاريات والواقعة والقمر، ولو أردنا أن نحصى كمية العبارات المسجعة في القرآن الكريم لفاقت مقدارها ما ورد في نهج البلاغة برمته.

والرسول ﷺ أخذ بأسلوب السجع وأخذ هذا المنحى في الكثير من أقواله التي كانت مسجعة بالعبارات المناسبة من قبيل: أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام^(١).

أو قوله ﷺ: إن الأعمار تفتنى والأجسام تبلى، والأيام تطوى والليل والنهار يتطاردان تطارد البريد، يقربان كل بعيد، ويخلقان كل جديد، وفي ذلك - عباد الله - ما يلهمي عن الشهوات، ويرغب في الباقيات الصالحات.

ومن أقواله أيضاً: من ابتلى فصبر، وأعطى فشكر وظلم فغفر، وظلم فاستغفر أولئك لهم الأمن وهم مهتدون^(٢).

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/١٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ١/١٢٠.

ولما قدمت وفود العرب على النبي ﷺ قام طهفة بن أبي زهير النهدي فقال: يا رسول الله أتيناك من غورى تهامة باكوار الميس، ترمي بنا العيس، نستجلب الصبير ونستجلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستحيل الجهام، من أرض غائلة النطاء غليظة الوطاء إلى آخره.

فرد عليه رسول الله: اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها، وابعث راعيها في الدثريانع الثمر، وأفجر له المد وبارك له في المال والولد، من أقام الصلاة كان مسلماً ومن أتى الزكاة كان محسناً، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصاً، يا بني نهدي ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة، ولا تلحد في الحياة، ولا تشاقل عن الصلاة^(١) ومن قيل: من تعلم العلم لياهي به العلماء، ويماري به السفهاء^(٢).

وقد شاع في زمن رسول الله وفي صدر الإسلام استخدام السجع، فهذا عبادة بن الصامت يخطب في أهل حمص: أما بعد، ألا إن الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر والفاجر، ألا وإن الآخرة الآخرة وعد صادق يحكم فيه ملك قادر^(٣).

وقد وصف أبو زيد الطائي الأسد لعثمان بن عفان قائلاً: وإذا هامة كالمجن وخد كالسن وعينان سجراوان كأنهما سراجان يتقدان، وقصره ريلة ولهزمه رهله، ولبد مغبط وزور مفرط وساعد مجدول، وعضد مفتول . . . إلى آخره^(٤) ولابن أبي الحديد رد علمي على الطاعنين في نهج البلاغة من زاوية السجع.

فقد قسم ابن أبي الحديد السجع إلى قسمين: السجع المتكلف فإنه المذموم وهو التكلف الذي تظهر سماجته وثقله للسامعين، وهناك التكلف المستحسن وهو النوع الثاني الذي يقول عنه ابن أبي الحديد أي عيب فيه، ويستدل بتكلف الشعر ألا ترى أن الشعر نفسه لا بد فيه من تكلف إقامة الوزن؛ وليس لطاعن أن يطعن فيه بذلك^(٥).

(١) جمهرة خطب العرب: ١/١٦٥ - ١٦٦.

(٢) حسني مطر: الترغيب والترهيب ص ١٥.

(٣) جمهرة الخطيب: ١/٢٦١.

(٤) المصدر نفسه: ١/٢٨٣.

(٥) ابن أبي الحديد: ١/١٢٩.

وأصحاب الموقف من السجع أخذوا بكلام رسول الله ﷺ الذي استنكر نوعاً من السجع وهو سجع الكهان: واحتج عائبوا السجع بقوله ﷺ لبعضهم منكراً عليه (أسجعاً كسجع الكهان) ولولا أن السجع منكر لما أنكر ﷺ سجع الكهان وأمثاله. فيجيب أولئك الذين أنكروا السجع لقول رسول الله ﷺ: فيقال لهم (المنكرون): إنما أنكر ﷺ السجع الذي يسجع الكهان أمثاله لا السجع على الإطلاق، لأن الكهان كانوا يحكمون في الجاهلية بألفاظ مستجوعة كقولهم: حبة بر، في إحليل مهر.

وقولهم: عبد المسيح على جمل مشيح لرؤيا المؤيدان، واتجاس الإيوان، ونحو ذلك من كلامهم، وكان ﷺ قد أبطل الكهانة والتنجيم والسحر، ونهى عنها، فلما سمع كلام ذلك القائل أعاد الإنكار، ومراده به تأكيد تحريم العمل على أقوال الكهنة، ولو كان ﷺ قد أنكر السجع لما قاله، وبرهن ابن الأثير في المثل السائر بأن السجع ليس بمنهي عنه، وإنما المنهي عنه هو الحكم المتبوع في قول الكاهن فقال رسول الله ﷺ: أسجعاً كسجع الكهان^(١).

ثم بعد ذلك يرد على القائلين بأن كلام رسول الله غير مسجع، ويأتون بخطبة حجة الوداع شاهداً على ذلك فيقول ابن أبي الحديد: فأما خطبة رسول الله ﷺ هذه فإنها وإن لم تكن ذا سجع، فإن أكثر خطبه مسجوع، كقوله: إن مع العز ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة وإن لكل شيء حساباً، ولكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، وإن على كل شيء رقيباً، وإنه لا بد لك من قرين يدفن معك هو حي وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لثيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك، ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً فإن أصلح أنست به، وإن فسد لم تستوحش إلا منه، وهو عملك. فأكثر هذا الكلام مسجوع كما تراه وكذلك خطبه الطوال كلها، وأما كلامه القصير فإنه غير مسجوع لأنه لا يحتمل السجع وكذلك القصير من كلام أمير المؤمنين ﷺ.

(١) ابن الأثير: المثل السائر ص ١٩٧.

ثم بعد ذلك يأتي إلى ذكر الآيات الكريمة التي تتضمن السجع فيقول: وأعلم أن السجع لو كان عيباً لكان كلام الله سبحانه معيباً لأنه مسجوع كله ذو فواصل وقرائن^(١).

ويقول محمد طاهر درويش في معرض رده على من أنكر وجود السجع في عصر الإمام علي عليه السلام: واستناد بعض المشككين في «نهج البلاغة» إلى شيوع السجع فيه لا يصلح دليلاً على إطلاقه، لأن الرسول والخلفاء قبل علي، وغيرهم من الفصحاء كانوا يسجعون^(٢).

سابعاً: شبهة المشتركات

هناك بعض الخطب التي نسبت إلى غير أمير المؤمنين عليه السلام، وقد احتج البعض بهذه الخطب كخطبة القطري الخارجي وخطبة ابن المقفع وخطبة معاوية وشهدوا ذلك دليلاً وحجة على أن أكثر نهج البلاغة ليس للإمام علي عليه السلام وللرد على هذه الشبهة يجب أن نقول:

أولاً: إن الشريف الرضي ومن بعده شراح نهج البلاغة وقفوا طويلاً عند هذه الخطب التي تعتبر من المشتركات، ووزنوا كلام أمير المؤمنين من كلام غيره ممن نسبوا هذه الخطب إليهم، ولم يعلنوا عن تعلقها ونسبتها لأمر المؤمنين إلا بعد تمحيص واستقصاء وبحث في جوانب مختلفة من الخطبة من رواية السند إلى دراسة المتن، وليس أدل على هذا التمحيص من كلام الجاحظ في الخطبة التي نسبها البعض إلى معاوية وهي: «أيها الناس إنا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن شديد، يعد فيه المحسن مسيئاً، ويزداد فيه الظالم عتواً، ولا ننتفع بما علمناه، ولا نسأل عما جهلناه» فعلق بعد إيراد الخطبة:

وفي هذه الخطبة أبقاك الله ضروب من العجب: منها لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية، ومنها أن هذا المذهب في تصنيف الناس، وفي الإخبار عما هم

(١) ابن أبي الحديد: ١/ ١٢٨ - ١٣٠.

(٢) الخطابة في صدر الإسلام: ١/ ٣٣٣.

عليه من القهر والإذلال، ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي رضي الله عنه ومعانيه وحاله من بحال معاوية، ومنها إننا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ولا يذهب مذاهب العباد، وإنما نكتب لكم بما سمعناه والله أعلم بأصحاب الأخبار^(١).

وإذا كان الجاحظ على هذا القدر من الدقة في تمحيص الخطب والكلمات البليغة ويستطيع أن يشخص القائل الحقيقي من القائل المزيف، كما يستطيع الصائغ أن يعرف مصدر الذهب ونوعه ويميزه عن غير الذهب، فإن الشريف الرضي ذلك الشاعر والأديب الفذ الذي بلغ صيته الآفاق حري به وهو المعني بخطب جده أمير المؤمنين عليه السلام أن يتفحص تلك الخطب ويفرل كلام أمير المؤمنين عليه السلام عن كلام الآخرين.

ومن الخطب التي نسبت لغير أمير المؤمنين عليه السلام خطبة القطري بن الفجاءة وهو أحد الخوارج، والخطبة هي: «أما بعد فإني أحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، حفت بالشهوات وراقت بالقليل» وهي من خطب أمير المؤمنين بلا شك ولا ريب وقد علق عليها ابن أبي الحديد قائلاً: وهذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين ورواها القطري بن الفجاءة عليه السلام يروونها لأمر المؤمنين عليه السلام، وقد رأيتها في كتاب المونق لأبي عبد الله المرزباني مروية لأمر المؤمنين، وهي بكلام أمير المؤمنين أشبه، وليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره، وقد لقي القطري أكثرهم^(٢).

أما الكلام الآخر الذي استخدمه البعض للطعن في نهج البلاغة فهو قوله عليه السلام في صفة الرجل الكامل، وقد نسبته ابن قتيبة إلى الإمام الحسن عليه السلام، وأورده ابن المقفع في الدرة اليتيمة بتغيير طفيف. وقام محمد كرد علي بالتشهير به واستخدامه كسلاح للطعن في نهج البلاغة كما أوردنا كلامه فيما سبق.

وقد غاب عن محمد كرد علي وغيره أن المقفع أقر في مطلع كتابه أنه اقتبس

(١) الجاحظ: ٧١/٢ دار الفكر للجمع سنة ١٩٦٨.

(٢) ابن أبي الحديد: ٢٤٢/٢.

الكلمات التي وردت في كتابه من أقوال العلماء والأدباء ولم يذكر اسم أمير المؤمنين ﷺ للظروف التي كانت تحيط به يومذاك .

يقول ابن المقفع في ذلك : وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عون على عمارة القلوب وصقالها وتجلية أبصارها وإحياء للتفكير وإقامة للتدبير ودليل على محامد الأمور ومكارم الأخلاق إن شاء الله ^(١) . والسؤال هو من المقصود بـ (الناس) هل هم ناس عاديون أم عباقرة نقل من كلامهم . وبقليل من التمعن والمراجعة لكتبه نجد أن المقصود بالناس هم علي وأولاده الذين وجد حرجاً في التصريح بأسمائهم للظرف الذي كان يعيشه ^(٢) .

وقد جئنا على ذكر المشتركات ، فيما سبق من فصول هذا الكتاب ، وذكرنا علة ذلك ، وهي : أن البعض كان متأثراً بكلام أمير المؤمنين ﷺ إلى درجة أنه كان يظهر على لسانه جملاً من أقواله ، ذلك لأن الناس كانوا يحفظون كلام أمير المؤمنين كما ذكر المسعودي في مروج الذهب .

وبعض كلمات أمير المؤمنين ﷺ كانت قد سارت بين الناس مثلاً من الأمثال فلا غرابة أن يأتي أحد الخطباء ببعض عباراته بصورة غير مقصودة . وهناك قسم من خطب الإمام وكلماته نسبت إلى أبنائه وحفدته من الأئمة الذين كانوا يتوارثون نقل كلامه كما يتوارثون علمه ، وكان عند الأئمة ﷺ كتاب فيه كل ما ذكر ونقل عن أمير المؤمنين من خطب ورسائل وكلمات .

ثامناً: شبهة ذم الصحابة

لا شك أن في الصحابة من كان من العدول والثقة والأخيار والعلماء الذين بُني الإسلام على أيديهم من أمثال سلمان والمقداد وأبي ذر والذين قال فيهم أمير المؤمنين ﷺ : لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى أحداً منكم يشبههم . . . ، وإلى جانب هؤلاء الأخيار هناك صحابة ساروا على طريق غير طريق رسول الله ﷺ كان فيهم

(١) الأدب الصغير والأدب الكبير: ص ٣٧.

(٢) راجع مستدركات أعيان الشيعة ترجمة ابن المقفع في المجلد السابع.

المنافق والمراوغ والكذاب والفحاش ، وقد ذمهم القرآن الكريم في العديد من آياته الكريمة فمنهم من ﴿يَبْغُوا كُمْ الْفِتْنَةَ﴾ ^(١) ومنهم ﴿مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ ^(٢) ومنهم من ﴿الَّذِينَ اتَّخَلَّوْا مَسْجِدًا هَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٣) ، ومنهم ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِعَرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ^(٤) .

هكذا كان حالهم يوم تبوك ، وجاء القرآن في وصف الذين ردوا في معركة أحد: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَركَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ ^(٥) .

وكان بعض الصحابة ينال من الآخر حتى انه نقل عن عمر بن الخطاب انه كان يقول: ما أحد بعد رسول الله ﷺ إلا وأنا أقدر أن أعيبه ^(٦) .

وقد شهد سلمة بن الخطل معاوية وهو يخطب بدمشق فقال: يا معاوية، لقد أنصفت وما كنت منصفاً، قال: ما أنت وذاك، كآني أنظر إلى حفش بيتك بمهيقه بطنب منه تيس ويطنب منه بهمة بفنائيه أعز عدد من قليل ^(٧) .

وليس بدعاً أن يتعرض أمير المؤمنين ﷺ إلى بعض الأصحاب من ذوي المواقف المضادة له جرياً على ما ورد في القرآن الكريم من تعريض بالصحابة المتبردين العصاة . وأكثر المشككون لغطهم على الخطبة الشقشقية لورود ذكر الخلفاء الثلاثة، فأنكروا هذه الخطبة ولم يتقبلوا من أمير المؤمنين هذا الأسلوب في القدح والتعريض كما مر سلفاً، ولم يكتفوا بهذا القدر بل حاولوا النيل من نهج البلاغة برمته بسبب هذه الخطبة .

(١) التوبة: ٤٧.

(٢) التوبة: ٤٩.

(٣) التوبة: ١٠٧.

(٤) التوبة: ٩٥-٩٦.

(٥) النساء: ٨٨.

(٦) ابن الأثير: أسد الغابة ٣٧٤/٢ في ترجمة السائب بن أبي حبيفة.

(٧) ابن الأثير: أسد الغابة ٤٩٨/٢ في ترجمة سلمة بن الخطل.

ولم يغال السيد هبة الدين الشهرستاني عندما أعلن قائلاً: ما بال بعض أخواننا المتتمين إلى أهل السنة يقدحون في هذا الكتاب (نهج البلاغة) كله لمجرد تأثرهم بما في الخطبة الشقشقية وحدها^(١). مع أنها أشهر الخطب التي خطبها أمير المؤمنين ﷺ وقد ذكرها القاسمي والداني.

وقد ناقش ابن أبي الحديد كون الخطبة منحولة راوياً عن لسان مصدق: وكان ابن الخشاب صاحب دعاية وهزل. قال: فقلت له: أتقول إنها منحولة: فقال: لا والله، وإنني لأعلم أنها كلامه، كما أعلم أنك مصدق.

قال: فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون إنها من كلام الرضي رحمه الله تعالى، فقال: أنى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الأسلوب! قد وقفنا على رسائل الرضي، وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المشور، وما يقع مع هذا الكلام في خلّ ولا خمر، ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنف قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدت مسطورة بخطوط أعرفها، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي.

قلت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلمي الإمامية وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب (الإنصاف) وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي (رحمه الله تعالى)، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً^(٢).

وقد جاء السيد عبد الزهراء الحسيني على ذكر ثمانية مصادر قبل تدوين نهج البلاغة ورد فيها خطبة الشقشقية من مصادر الشيعة والسنة. وقد حاولت بعض الأيدي العبث بهذه الحقيقة إذ ذكر الخطبة ابن عبد ربه المالكي المتوفى سنة ٣٢٨ في العقد الفريد بنقل العلامة المجلسي من مخطوطة الكتاب قائلاً في رواها: رواها ابن الجوزي في

(١) ما هو نهج البلاغة: ص ٢٢.

(٢) ابن أبي الحديد: ١٠٥/١ - ١٠٦.

مناقبه وابن عبد ربه في الجزء الرابع من (العقد الفريد) وأبو علي الجبائي في كتابه^(١). ويقول السيد هبة الدين الشهرستاني عن ابن عبد ربه الناقل للخطبة: وهو عثمانى لأن له أرجوزة في تواريخ الخلفاء عدّ معاوية فيها رابع الخلفاء الراشدين ولم يذكر علياً من شدة نصبه، فهل بعد روايته للشقشقية عن علي عليه السلام يشك فيها منصف^(٢). لكن استطاعت الأيدي التي اعتادت على طمس الحقائق أن تحذف هذه الخطبة وإن طبع الكتاب بدون الشقشقية.

والمشكلة أن البعض نظروا إلى خطبة الشقشقية نظرة ضيقة فاعتبروها خطبة عادية تنفس عن الهم الشيعي المكبوت في صدور علماء الشيعة، وكان الأجدر بهم أن يلحظوا هذه الخطبة على أنها قطعة أدبية لا يرقى إليها أي نص أدبي، ومن هو القادر على أن يأتي بهذا الأدب الرفيع غير أمير المؤمنين عليه السلام؟ كان الأفضل بهؤلاء أن يلحظوا هذه الخطبة ويتعاملوا معها تعاملًا آخر، فالخطبة في واقعها بيان سياسي يسرد لنا الأحداث التي وقعت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بدقة متناهية تخرج بين ذكر الحديث والتحليل التاريخي والاجتماعي والنفسي في آن واحد. فمن يستطيع أن يأتي بتلك الكلمات غير أمير المؤمنين عليه السلام.

تاسعاً: استغناء أصحاب أمير المؤمنين عن بعض الخطب والمرسائل

وقد أثرت هذه الشبهة بحق ولاية أمير المؤمنين عليه السلام لما لك الأشر فذكروا أن مالك الأشر كان مقرباً إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأنه قال له يوم ولّاه مصر: فإني إن لم أوصيك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أمرك، ويقول المشكك: وأكبر ظننا أن ذلك العهد كتب حاوياً لما فيه من جوهر المسائل الرئيسية مجملة أو مفصلة تفصيلاً يسيراً على قدر الحاجة، ثم زيد فيها وحشيت حتى بلغت هذا الحد من الإطناب.

وهذا الكلام ليس بقاعدة مقبولة فلعل هناك أموراً يريد الكاتب أو الخطيب لفت انتباه المخاطب إليها، أو ربما كان المقصود من الخطاب هو عامة الناس وليس الشخص

(١) المجلسي: ١٦٠/٨ طبع كمباني.

(٢) ما هو نهج البلاغة: ص ٣٥.

المخاطب حصراً، وعندنا الكثير من الوصايا والخطب التي قالها أشخاص لكي تصل إلى مسامع غير المخاطبين ومنها وصية رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، بل هي في الواقع ثلاث وصايا: الوصية الأولى وتتكون من ٦٢ سطراً والوصية الثانية وتتكون من ٤٨ سطراً والوصية الثالثة وتتكون من ٢٤ سطراً^(١).

فإذا كان ما ذكره أحمد زكي صفوت صحيحاً كان علينا أن نجري هذه القاعدة أيضاً على وصايا رسول الله إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فنقول طالما لم يكن أمير المؤمنين بحاجة إلى تلك الوصايا فنشك في كل ما ورد عن النبي في هذا المجال، لكن لم يكن المقصود من هذه الوصية هو أمير المؤمنين (عليه السلام) وحسب بل كل من يصله كلام رسول الله ﷺ، وهكذا كان هدف أمير المؤمنين من كتابة عهده إلى مالك الأشتر، وهو رسم سياسة عامة لجميع الولاة، فهو بمثابة دستور وخطة عمل يجب أن يلتزم به كل وال، وصحيح أنه كتبه إلى مالك الأشتر، لكنه يصلح للتطبيق في أي بلد والمعني به كل ولي. فالعهد يتجاوز في مدلولاته الرسالة الخاصة التي يبعثها الحاكم إلى أحد ولاته، وهو يتجاوز حتى الزمان والمكان، فهو دستور لأي بلد إسلامي في أي عصر من العصور.

عاشراً: مصطلح الوحي والوصاية

ورد هذا المصطلح في الأدب النبوي كثيراً، كذلك في الرسائل والمكاتبات، منها ما ورد في الأثر (من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية) ومن لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً في مروته وعقله^(٢).

وقد أورد المرحوم السيد عبد الزهراء الحسيني (٨٠) دليلاً على ورود هذا اللفظ في الأدب النبوي، وكشف النقاب عن وجود (١٧) كتاباً يحمل عنوان الوصية صنف في صدر الإسلام وفي القرن الأول. بحيث تندفع حجة من قال بأن الرضي انفرد بنقل هذه العبارة وأنها لم تكن موجودة في صدر الإسلام الأول ولمن يريد المزيد فليراجع كتابه القيم مصادر نهج البلاغة^(٣).

(١) راجع تلك الوصايا في كتاب تحف العقول ص ٦ وص ١٠ وص ٢٣ مكتبة الصدوق طهران.

(٢) مشكاة الأنوار ص ٣٠٠.

(٣) مصادر نهج البلاغة ص ١٢١ حتى ص ١٥١.

الحادي عشر: وجود التقسيمات العددية، وبعض العلوم المتأخرة،

وادّعى المشككون أن عهد الإمام لم يعرف هذه الطريقة في عرض الكلام، فكان من عادة العرب أن يأتوا بالخطبة دون تقسيم وتحليل إلى واحد واثنين. وهذا الكلام مردود من زاويتين: الزاوية الأولى إطلاق عدم وجود التقسيمات أمر مرفوض فهناك الكثير من النصوص التي تتضمن التقسيم العددي كما في قول الرسول ﷺ: (ثلاث كفارات، وثلاث درجات، وثلاث منجيات، وثلاث مهلكات)^(١) أو قوله ﷺ: (معشر المسلمين إياكم والزنا فإن فيه ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة)^(٢).

وقال ﷺ: أخلاء ابن آدم ثلاثة: واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى محشره^(٣) وأيضاً قوله ﷺ: ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف^(٤).

ولو أردنا أن نأتي بما ورد في التقسيم في الأدب النبوي وفي أقوال الحكماء والعلماء في صدر الإسلام لاحتجنا إلى كتاب كامل فلمن يريد التأكد من ذلك فليراجع برامج الكمبيوتر التي تسهل الحصول على تلك الأحاديث.

ومن ناحية أخرى فإن استخدام التقسيمات العددية أمر يتعلق بالخطيب، فإذا وجد الخطيب من اللازم عليه أن يحدد ما يريد أن يقوله بنقاط حتى يترسخ كلامه في ذاكرة المستمع فمن حقه استخدام هذا الأسلوب، طالما هو أسلوب لا مانع من استخدامه، بل هناك ضرورة في هذا الاستخدام إذا كان هو السبيل الأفضل إلى ترسيخ العبارة والمطلب في ذهن المخاطب، فاستخدام التقسيمات هو جزء من أساليب البيان المتروكة عادة للخطيب وتشخيصه في استخدام الأمثل وهو لا يتقيد بزمان معين، فلربما لم ينتبه الكثير من الخطباء إلى الأسلوب فلم يستخدموه واستخدمه الإمام ﷺ لما فيه من فوائد

(١) حلية الأولياء: ٢٦١/٦.

(٢) الخصال: ١٤١/١.

(٣) المنذري: الترغيب والترهيب ١٧١/٤.

(٤) حسين مطر: الترغيب والترهيب ص ١٢١.

فهو سيلخص مطالب الخطبة ويجعلها ثابتة راسخة لا يسقط جزء منها لأنها مرتبة ترتيباً منتظماً.

أما ما أنكروا على نهج البلاغة احتوائه على تعابير عن علم الكلام فيرد محمد طاهر درويش عليهم قائلاً: ولكن مما لا شك فيه أن الإمام علي كان أباً لعلم الكلام في الإسلام، لأن المتكلمين جميعاً أقاموا مذهبهم على أساسه فلا بد أن شيئاً مما ينسب إليه في هذا الموضوع صحيحاً^(١).

الثاني عشر: شبهة وصفه للحياة الاجتماعية

يقول أصحاب هذه الشبهة أن وصف الحياة الاجتماعية لم يكن معهوداً في عصر الإسلام الأول بل أنه عرف في العصور المتأخرة، بينما نجد في خطب أمير المؤمنين عليه السلام طعناً على الوزراء والأمراء والحكام والولاة والعلماء والقضاة، طعناً شديداً في السلوك والأخلاق وفي الذمم والضمائر، ووصفاً للقضاة بالجهل وعدم المعرفة بأحكام الشريعة.

ومورد هذا الشك هو كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى واليه في البصرة عندما دُعي إلى مأدبة، وقد وصف الإمام في رسالته موائل الأغنياء وصفاً دقيقاً كيف ينقل الطعام على أنواعه المختلفة وتنقل الجفان وهي مملوءة بأنواع الملذات وكيف أن غنيهم مدعو وفقيرهم مجفو.

وعندما سمع الإمام بأن شريحاً قد اشترى داراً كتب إليه كتاباً يؤنبه على هذا التبذير ويطلب منه أن يقلل من اهتمامه بالدنيا.

لا شك أن عصر الإمام عليه السلام يختلف عن عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وحتى عصر الخليفة الأول والثاني، فقد انتشر الترف في الحياة الاجتماعية وأخذ الأمراء والرؤساء يتسابقون في بناء القصور وإعداد الموائد وأسباب اللهو والترف، ولا عجب في ذلك فقد بذل الخليفة الثالث عثمان بن عفان أموالاً طائلة على أقرائه وولاة الحكم الذين أخذوا يجتهدون في تأنيق حياتهم الشخصية بشكل لم يسبق له مثيل من قبل وكانت تلك

(١) الخطب في العصر العباسي: ٣٢٢/١.

الحياة المترفة التي كان يعيشها الحكام أحد أهم أسباب الثورة على عثمان وانتخاب أمير المؤمنين عليه السلام خليفة عليهم ، فماذا كان سيفعله أمير المؤمنين عليه السلام إزاء حياة الأمراء المترفة؟ هل كان يدعهم ليتماذوا في غيهم أم يقف بوجههم ويحذر الآخرين من الانسياق وراء هذه الحياة؟

أجل وجد البعض نفسه أمام قضية اجتماعية جديدة طبعت ببصماتها خطب وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام وهم لم يجدوا هذه الظاهرة في خطب الخلفاء الآخرين، وعلة ذلك هو وجود هذه الظاهرة وبروزها في عهد أمير المؤمنين عليه السلام ولم تكن من قبل. لقد وجد أمير المؤمنين عليه السلام أن من مسؤوليته كخليفة للمسلمين أن يقف بوجه هذه الظاهرة ويمنع من استشرائها وذلك بتحذير المسلمين أن يسلكوا مسلك هذه الحياة التي ليس وراءها سوى الويال والخسران، أفهل نعتبر وجود هذه الظاهرة الاجتماعية في خطب أمير المؤمنين عليه السلام سبباً لإثارة الشبهة على هذه الخطب والادعاء بأنها ليست لأمر المؤمنين عليه السلام؟ أن هذا لأضعف دليل نسمعه حقاً من بعض الكتاب.

الثالث عشر: الدقة في الوصف

يرى أصحاب هذا الرأي أن الوصف الدقيق بدأ منذ أن انتقلت الفلسفة اليونانية إلى المسلمين في عصر الترجمة، وهو عصر المأمون الذي به انتقل الأدب اليوناني إلى الأدب الإسلامي والغريب أن يربط أحمد أمين العلاقة بين انتقال الفلسفة اليونانية ووصف الإمام للطاووس، فأية علاقة يا ترى بين الأمرين؟.. طبعاً يحتاج العبقرى إلى باع في التفكير الطويل حتى يجد العلاقة بين الاثنين.

وقد رد أحمد زكي صفوت على أصحاب هذا الرأي عندما نوه بأن غاية الإمام لم تكن الوصف بل الوعظ والإرشاد، وبعد أن يقدم نماذج من وصف الإمام للخفاش والطاووس والنمل يقول: وأخالك بعد إجمالة النظر في هذا الوصف تحكم أنه لا أثر للدقة فيه وإنما هو في الواقع مقال وعظي تذكيري وليس من الوصف العلمي في شيء^(١).

(١) أثر التشيع في الأدب العربي: ص ١٢٠.

ونحن نقول حتى لو تضمن وصف الإمام لهذه الحيوانات على الدقة المتناهية ،
وتفاصيل لأجزاء هذه الكائنات الحية فما يُضر ذلك ، فلم يكن وصف الإمام لهذه
الحيوانات بدون فائدة وبدون أية غاية .

وقد وصف الجرادة وصفاً دقيقاً ، وحتى وصفاً علمياً تشريحياً ليستفيد من وصفه
الفلاحون الذين يعانون من هذه الحشرة باعتبارها تمثل كارثة اقتصادية ، وأول خطوة
على طريق مكافحة الجرادة هو معرفتنا بها معرفة تفصيلية وتشريحية .

ووصف أمير المؤمنين (عليه السلام) النملة ، كيف تخزن غذاء صيفها لشتائها وكيف تسبت
أيام البرد القارص وكيف تحمل أضعاف وزنها وذلك ليعطي للإنسان درساً في العمل
الدؤوب وإن لا يكل عن العمل الشاق . كما ويعلمه مبدأ الادخار الذي لم يكن معروفاً
في اقتصاديات الصحراء يومذاك .

ووصفه للطاووس هو بقصد تعظيم خلق الله والتمعن في حسن الطبيعة التي هي
من خلق الله ونعمه على الإنسان ليزداد إيماناً وتصديقاً .
فما هو الضير في وصف هذه الكائنات حتى لو كان وصفاً دقيقاً إذا كان هذا
الوصف يحقق للواصف هدفاً يتفقه من وراء وصفه .

الرابع عشر: شبهة فريق من النقاد والمؤرخين

وكثيراً ما يشيرون هذه الشبهة بوجه نهج البلاغة وكأن جميع النقاد والمؤرخين قد
أعلنوا عن شكهم في نهج البلاغة .

وقد ردّ هادي كاشف الغطاء على هذه الشبهة قائلاً: إنّ (هذا الشك) غير ضائر
بعد أن تيقن جمهور العلماء قديماً وحديثاً وأهل التاريخ والأدب والسير والمغازي من
جميع فرق المسلمين وبعد أن رواه الثقة الثبت المعتمد الذي لا مغمز فيه وقد تلقاه
بالقبول أكثر طوائف المسلمين بلا تشكيك ولا تردد وفيهم من هو أغزر من الصفدي
وهو أرحم وأوسع إحاطة وأطول باعاً في الخبرة والإطلاع وما يعمل تشكيك هذين
مع جزم الحجم الغفير من فطاحل العلم وخريتي الصناعة ولو كان تشكيك الشاذ وتردد
النادر ذا قيمة وأهمية لما اتسع لكاتب ولا للمؤرخ ما اتسع له من إثبات الوقائع ونسبتها

لأحد ولما تسنى لصاحب الفجر (أحمد أمين) نفسه أن يكتب هذا الكتاب الضخم فإن كثيراً من منسوباته لا يسلم من مشكك في النسبة أو قاذح فيها بل أو متيقن للخلاف^(١).

الخامس عشر: شبهة الإضافات

ومرجع هذه الشبهة إشارة السيد الرضي بتركه أوراقاً أيضاً في آخر كل باب من أبوابه الثلاثة لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد^(٢).

وقد منح هذا الكلام مجالاً لذوي الغايات أن يدعوا بأن نهج البلاغة احتوى على إضافات زيدت بعد عهد الشريف الرضي وهو ادعاء مردود جملةً وتفصيلاً بدليل أن النسخة التي اعتمدها ابن أبي الحديد في شرحه للنهج عليها خط السيد الرضي، فقد ذكر ابن أبي الحديد أنه وجد تحت قوله: «لله بلاد فلان»: وجدت النسخة التي بخط الرضي أبي الحسن جامع نهج البلاغة وتحت فلان عمر^(٣).

ويبدو أن ابن ميثم البحراني كانت لديه نسخة من نهج البلاغة بخط الشريف حيث أشار في عدة أماكن إلى نسخة الرضي في شرحه الذي كتبه منتصف القرن السابع الهجري.

فهذا يؤكد لنا أن ما ورد في شرح ابن أبي الحديد وشرح ابن ميثم مطابق لما ورد في نسخة السيد الرضي، من هنا فلا مجال للتصديق بوجود إضافات على نسخة السيد الرضي.

وهذه في الواقع هي أهم الشبهات التي وجهت لنهج البلاغة والرد عليها، وإذا ما أعدنا تفحصها بدقة نجد أنها نابعة من إحدى هذه العوامل.

١- نظرة هؤلاء المشككين إلى أمير المؤمنين (عليه السلام): فنظرتهم مع الأسف لا تتطابق وشخصية الإمام ودوره ومنزلته عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبعاد خصاله وصفاته العقلية والروحية والأدبية.

فأولئك المشككون أو بعضهم نظر إلى الإمام كما ينظر إلى إنسان عادي لذا قالوا

(١) مستدرک نهج البلاغة: ص ٢١٠.

(٢) نهج البلاغة: ٢/٢٦٧ لابن أبي الحديد.

(٣) شرح ابن أبي الحديد: ٢/٩٢.

بعدم إمكان صدور أخبار عن المستقبل ، فكما لا يتوقعون صدور ذلك من الإنسان العادي فهم لا يتوقعون صدوره عن الإمام أيضاً ، كما وأنهم أنكروا ما صدر عن الإمام ﷺ من علوم سبق زمانه فيها كعلم الكلام والعرفان ، مثلهم مثل من يرفض من تكلم في غزو الفضاء قبل خمسمائة عام .

وهذا كلام مرفوض أيضاً لأنه هناك دائماً نوابغ يجود بهم الزمان يسبقون زمنهم في أفكارهم وطروحاتهم ، بل أن أكثر المخترعات والمكتشفات جاءت مخترعاتهم ومكتشفاتهم على أعتاب الشرر الفكري الذي برق من قلم روائي أو قافية شاعر ، فهناك دائماً رجال يسبقون الزمن في أفكارهم .

وهكذا عندما ننظر إلى علي بن أبي طالب كما وصفه رسول الله ﷺ : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، وكما وصفه أصحابه وكما تحدثنا عنه سيرته ، إذا نظرنا إليه بذلك المنظار الواقعي لوجدنا أن ما جاء على ذكره من أخبار الغيب وما ذكر من علوم ومصطلحات وأمور ظهرت فيما بعد هو أمر طبيعي من هذا الرجل الذي وصفه جبران خليل جبران بأنه جاء لأرض غير أرضه ، وزمان غير زمانه ، وأهل غير أهله .

«فلا نستكثر على علي ﷺ ذكره للمغيبات وهو الذي تعزى إليه كل فضيلة ، وتنتهي إليه كل فرقة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها ، وأبو عذرها ، وسابق مضمارها ، ومجلي حلبتها كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ ، وله اقتضى ، وعلى مثاله احتذى»^(١) .

فإذا عرفنا علماً حق معرفته ووضعناه في منزلته المناسبة فحيثئذٍ تستبعد كل الشبهات وتتطير جميع الشكوك .

٢- التشكيك في شخصية السيد الرضي : ويقدر من التآني في شخصيته تتساقط الشكوك ، أولاً عن أمانته ، فقد وثق به الناس فولي نقابة الطالبين خمس دفعات ، ومات وهو مقلدها بعد أن حالته الأمراض وذهب بصره وكان الأمراء والوزراء يحترمونه لعلو شأنه ومنزلته ، فقد أورد ابن أبي الحديد حكاية الاسفراييني في مجلس أبي غالب

وزير بهاء الدولة البويهى، فدخل مجلسه الرضى فاحترمه احتراماً بليغاً وأكرمه أشد الإكرام، فلما أنصرف الناس عنه سأل الأميرايينى عن سبب احترامه المبالغ للرضى بينما لم يحترم غيره فقال له: هذا كتاب الرضى اتصل بي أنه قد ولد له ولد، فأنفذت إليه ألف دينار، وقلت له: هذه للقبالة، فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء إلى أخلائهم وذوي مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال، فردها وكتب إلي هذا الكتاب فأقرأه قال: فقرأته، وهو اعتذار عن الرد، ومن جملة: إننا أهل بيت لا نطلع على نسائنا قابلة غريبة، وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نسائنا، ولسن ممن يأخذن أجره، ولا يقبلن صلة.

وقال عنه أبو الحسن العمري: وكان له هبة وجلالة وفيه ورع وعفة وتقشف، وكان عالي الهمة شريف النفس لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة، حتى أنه رد صلوات أبيه وناهيك بذلك شرف نفس وشدة ظلف، وأما الملوك من بني بويه فإنهم اجتهدوا على قبول صلاتهم فلم يقبل.

وعن ابن الجوزي في إبراهيم بن أحمد الطبري الفقيه المالكي: إن الشريف الرضى كان يحفظ عليه القرآن وهو شاب فقال للشريف يوماً: أين مقامك فقال: في دار أبي بباب محولة فقال له شيخه: مثلك لا يقيم بدار أبيه، قد نحللتك داري بالكرخ المعروف بدار البركة فأمتنع الرضى من قبولها وقال: لم أقبل من أبي قط شيئاً، فقال: إن حقي عليك أعظم من حق أبيك عليك لأنني حفظتك كلام الله، فقبلها^(١).

وقد رفض الطعن في نسب الفاطميين بالرغم من ضغوط الدولة العباسية عليه، وقد قال الخليفة القادر إلى أبيه النقيب أبي أحمد بعد أن سمع من شعره في مدح الفاطميين.

قل لولد محمد: أي هوان قد أقام عليه عندنا! وأي ضيم لقي من جهتنا! وأي ذل أصابه في مملكتنا وما الذي يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه؟ أكان يصنع إليه أكثر من صنيعنا؟ ألم نولّه النقابة! ألم نولّه المظالم، ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز

وجعلناه أمير الحجيج أفهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا . وطلب منه أن يكتب محضراً يتضمن القدح في أنساب ولاية مصر ويكتب محمد خطه فيه ، فكتب المحضر لكن السيد الرضي رفض أن يكتب منه شيئاً وكان نتيجة رفضه عزله عن النقابة وولاهما محمد بن عمر النهرسابسي^(١) .

هكذا كان السيد الرضي عنيداً في أمانته العلمية لا يتجاوز الحقيقة قيد أنملة ، فكيف يا ترى يبيع لنفسه أن يأتي بأقوال من هنا وهناك ثم ينسبها إلى جده أمير المؤمنين عليه السلام . وإذا جمعنا إلى أمانته معرفته بالبلاغة والنثر والشعر جعلته قادراً على تشخيص كلمات أمير المؤمنين عليه السلام عن غيره فهو يستطيع أن يزن الكلام ويميز الأقوال ويتخبط كلام جده من بين عشرات الأقوال والكلمات ، كما يستطيع أن يميز الطائر الحب النافع له .

ذكره ابن حجر وقال عنه : لم يكن للطالبيين أشعر منه ونقل قول الخطيب عن بعض أهل العلم بالأدب أن جماعة منهم كانوا يقولون إن الرضي أشعر قریش قال : فسمع ذلك محفوظ الرث فقرّر ذلك^(٢)

وقال عنه ابن أبي الحديد : وحفظ الرضي رحمه الله القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة في مدة يسيرة ، وعرف من الفقه والفرائض طرفاً قوياً . وكان رحمه الله عالماً أديباً ، وشاعراً مفلحاً ، فصيح النظم ، ضخم الألفاظ ، قادراً على القريض ، متصرفاً في فنونه ، إن قصد الرقة في النسيب أتى بالعجب العجائب وإن أراد الفخامة في جزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يشق فيه غباره وإن قصد في المراثي جاء سابقاً الشعراء فيقطع أنفاسها على أثره ، وكان مع هذا مترسلاً ذا كتابة قوية ، وكان عفيفاً شريف النفس عالي الهمة ملتزماً بالدين وقوانينه^(٣) .

ومن كانت هذه صفاته كان أقدر على تمييز كلام أمير المؤمنين عليه السلام سيما وأنه كلام جده ، وأن الكثير منه كان محفوظاً في الصدور كما يقول المسعودي في مروج الذهب حيث كان الناس يحفظون خطب أمير المؤمنين عليه السلام فكيف بأبنائه ولا سيما لو كانوا

(١) ابن أبي الحديد : ٢٨/١ - ٢٩ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : ١٤١/٥ .

(٣) ابن أبي الحديد : ٣٣/١ .

شعراء أدباء كالسيد الرضي .

من هنا فإن شبهة نحل نهج البلاغة وأن الشريف الرضي لم يدقق كثيراً مسحوباً بحبه وولائه لجده في جمع كل ما وصل إلى يده، هذا الكلام مرفوض وغير دقيق، وهو عار عن الصحة ذلك لما عرف السيد الرضي بالأمانة والأدب وإحاطته بخطب أمير المؤمنين (عليه السلام) وربما حفظه لقسم كبير من تلك الخطب والكلمات .

رأي ابن أبي الحديد في شبهات والشكوك:

لم يترك ابن أبي الحديد شاردة ولا واردة إلا وذكرها، ومنها رده على تخرصات المشككين وذلك لأن وجود هذه الشكوك سينال من عمله الكبير الذي قام به بشرح خطب ورسائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال ابن أبي الحديد في رده على المشككين:

إن كثيراً من أرباب الهوى يقولون أن كثيراً من (نهج البلاغة) كلام صنعه قوم من فصحاء الشيعة، وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره، وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم، فضلوا عن النهج الواضح، وركبوا بينات الطريق ضلالاً وقلّة معرفة بأساليب الكلام.

وأنا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فأقول: إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً، أو بعضه، والأول باطل بالضرورة لأننا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد نقل المحدثون كلهم، أو جلهم والمؤرخون كثيراً منه وليسوا من الشيعة ليتسبوا إلى غرض في ذلك، والثاني يدل على ما قلناه لأن من أنس الكلام والخطابة وشد أطرافاً من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب لا بد أن يفرّق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح وبين الأصيل والمولد، وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء أو لاثنتين منهم فقط فلا بد أن يفرق بين الكلامين ويميز بين الطريقتين، ألا ترى إنا مع معرفتنا بالشعر ونقده لو تصفحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونفسه وطريقته ومذهبه في القريض، ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه في الشعر وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس شيئاً كثيراً لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه، ولا من شعره،

وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة، وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماءً واحداً ونفساً واحداً، وأسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه، وأوسطه كآخره، وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والصور، ولو كان بعض (نهج البلاغة) منحولاً، وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك. فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

وأعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبل له به، لأننا متى فتحنا هذا الباب، وسلطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحول لم نشق بصحة كلام، فنقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبدأ، وساع الطاعن أن يطعن ويقول: هذا الخبر منحول، وهذا الكلام مصنوع، وكذلك ما نقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك وكل أمر جعله هذا الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الراشدين، والصحابة والتابعين، والشعراء والمرسلين والخطباء، فلناصري أمير المؤمنين عليه السلام أن يستعدوا إلى مثله فيما يروونه عنه من (نهج البلاغة) وغيره وهذا واضح^(١).

رأي السيد هبة الدين الشهرستاني:

يقول السيد هبة الدين الشهرستاني حول وجود الدخيل في نهج البلاغة: ونحن النمرقة الوسطى من أهل العلم نقول: إن إخواننا الشيعة يعتقدون أن الخطب والكتب والحكم المرويات في نهج البلاغة حالها كحال الخطب المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله التي بعضها متواتر قطعي الصدور، وبعضها غير متواتر فهو ظني السند لا نحكم عليه بالانتحال والافتعال إلا بعد قيام الدليل العلمي على كذبه، كما أننا لا نحكم بصحته جزماً إلى بعد قيام الدليل، ومن أسند غير هذا إلينا فقد افترى علينا، وكيف يسند منصف إلى الشيعة اعتقاداً بثبوت جميع ما بين الدفتين من هذا الكتاب وفيها ما يخالفهم

أكثر مما يوافقهم كتابين علي لعمر؟ ولو كان لنوي الأغراض من الشيعة أن يلعبوا في نهج البلاغة محو أو إثباتاً لحذفوا هذا التأين.

وعليه فالاعتدال والحق الذي أحق أن يتبع يقضيان علينا بأن نجعل لهذا الكتاب من القيمة الدينية ما نجعله لغيره من الجوامع الصحاح والكتب الدينية المعتبرة ونعترف بقيمته الأدبية وتفوقها من هذه الجهة على كل كتاب بعد كتاب الله سبحانه.

تناقضات المشككين

يقول أحمد زكي صفوت، وهو أحد المشككين حول السيد الرضي: وصفوة القول أنا نعتقد أن الشريف مثل كل ما نرى إليه من كلام الإمام معتمداً في ذلك رواية الرواة، دون أن يتوخى التمحيص الدقيق لا عن قصر نظر أو قلة اضطلاع بصناعة الأدب، وإنما صرفه عن ذلك باعث الحب الشديد بجده والافتتان ببلاغته أيما افتتان فوق فيما جمعه الصحيح والمشوب أما انه انتحل بعضه فذلك ما لا نرى السبيل إلى اتهامه به سهلاً^(١).

فمن جانب نجد أنه ينفي الانتحال عن السيد الرضي، فنلاحظه يطعن في بعض خطب نهج البلاغة بحجة أنها منحولة يقول في ذلك: فإننا مع اعتقادنا الكامل بأن الإمام كان خير قدوة في الزهد والورع وأعلى مثال في التقوى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها نرى أن ما عزي إليه في هذا الباب لا يخلو من دخيل منتحل^(٢).

بعد أن يعطي أحمد زكي صفوت ملاحظات مهمة حول الخطبة الشقشقية يخلص قائلاً: من ذلك يتبين لك أن الشقشقية كانت معروفة قبل مولد الرضي من أكثر من طريق فلا تبعة إذن عليه، ولا سبيل إلى اتهامه بانتحالها.

لكنه يتردد مع تثبيت هذه الحقيقة فيقول: ولكننا مع ما نرى فيها من جزالة اللفظ وروعة الأسلوب التي تغرينا أن ننظمها مع كلام علي في سلك، نتراجع حين يبدو لنا شبيح الشك ماثلاً فيها. . أجل يستوقفنا منها: ثم يذكر بعض ما ورد في الخطبة

(١) أثر التشيع في الأدب العربي ص ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٢٠.

الشكشقية من نقد للخلفاء ، فكيف تستقيم هذه الفكرة مع تأكيد القاطع بأن الشكشقية هي للإمام ﷺ .

فلماذا كلما سمعنا من كلام لا يعجبنا قائله قلنا عنه أنه منحول أو مشكوك . فهل هذه الطريقة صحيحة يا ترى ومطابقة للمسلك العلمي في استقراء الحقائق؟ وهو المسلك الذي سلكه البعض مع نهج البلاغة لأنه فقط فقط كلام أمير المؤمنين ولو كان لغيره لطبلوا له وزمروا .



مركز تحقيقات كليات علوم إيسوي

الفصل الثالث



شان إيراد الخطب والرسائل
والكلمات القصار



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

شأن إيراد الخطب

تمهيد

لم يعتن شراح النهج بشأن إيراد الخطب والرسائل إلا ابن أبي الحديد في شرحه القيم الذي وجدناه حريصاً كل الحرص في رصد وقائع كل خطبة وكلمة قالها أمير المؤمنين (عليه السلام) اعتقاداً منه بأن ذكر شأن إيراد الخطبة له مدخلة في فهم الخطبة واستيعاب مضامينها وأبعادها ، لأنه يجعلنا في الجو العام الذي ألقى فيه الإمام خطابه .

لذا كان أبرز مصادرنا في إيراد هذه الوقائع هو شرح ابن أبي الحديد ، وبالرغم من حرصه الشديد على ذكر كل الوقائع المرتبطة بالخطب والكلمات لكن ثمة خطباً ورسائل كثيرة لم يأت على ذكر شأن إيرادها ، من هنا اقتضى الأمر البحث في كتب التاريخ والحديث عن وقائع بقية الخطب التي لم يذكرها أو التي ذكرها باختلاف طفيف ، وعلى رغم مراجعتنا للعديد من المصادر في هذا النطاق إلا أن قسماً من هذه الخطب ظلت مبتورة ناقصة لم نعثر على شأن إيرادها .

(١) الخطبة التي تبدأ بـ : «الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون» .

لم نعثر على سبب خاص لورودها وإيرادها ، إذ اكتفى جميع الشراح على إيراد ما ذكره السيد الشريف الرضي قائلاً : يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض ، وخلق آدم (عليه السلام) وذكر الحجج وتحتوي على حمد الله ، وخلق العالم ، وخلق الملائكة واختيار الأنبياء ومبعث محمد (عليه السلام) والقرآن ، والأحكام الشرعية ، وقد أورد الطبرسي الخطبة

في باب احتجاجه فيما يتعلق بتوحيد الله سبحانه وتعالى^(١).

(٢) الخطبة التي تبدأ بـ «أحمده استتماماً لنعمته».

خطبها بعد انصرافه من صفين، أولها: الحمد لله الملهم عباده حمده، وفاطرهم على ربوبيته...

يتحدث فيها الإمام حول وضع الناس قبل البعثة، وفضل النبي وأهل البيت وخطورة البدع والابتعاد عن الفتن.

(٣) الخطبة الشقشقية وأولها: «أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة».

يذكر المؤرخون والمحدثون عن ابن عباس: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين، وذكر من تقدم عليه، فتنفس الصعداء ثم قال: أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة.. وقد روي ذلك بروايتين، رواية الصدوق وهي عن الطالقاني عن الجلودي عن أحمد بن عمار بن خالد بن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن عيسى بن راشد عن علي بن حذيفة عن عكرمة عن ابن عباس^(٢).

وفي رواية الطوسي: عن الحفار عن أبي القاسم الدعبل عن أبيه عن أخيه عن محمد بن سلامة الشامي عن زرارة عن أبي جعفر الباقر عن أبيه وجده عن ابن عباس^(٣).

(٤) الخطبة التي أولها: «بنا اهتديتم في الظلماء وتسمنتم ذروة العلياء».

خطبها بعد مقتل طلحة والزبير مخاطباً إياهما ولغيرهما من أمثالهما، أول الخطبة: الحمد لله الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل آخر^(٤).

(٥) الخطبة التي أولها: «أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة».

لما قبض رسول الله ﷺ خاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعاه بالخلافة^(٥).

(١) الطبرسي: الاحتجاج ١/١٩٨.

(٢) الصدوق: علل الشرايع ص ٨٥، أيضاً معاني الأخبار ص ١٠٥.

(٣) الطوسي: الأمالي ص ٢٣٦.

(٤) حدائق الحقائق عن ابن مسكويه: ١/١٧٣.

(٥) كما ورد في مقدمة الخطبة.

أما ما ذكره سبط ابن الجوزي بسنده عن مجاهد عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما دفن رسول الله ﷺ جاء العباس وأبو سفيان بن حرب وجماعة من بني هاشم إلى علي فقالوا: مَدِّ يَدَكَ نَبَايَعَكَ . . وحرّضوه، فامتنع وقال له العباس: أنت والله بعد اليوم عبد العصا، فخطب علي وقال: شقوا أمواج . . إلى آخره^(١).

(٦) ومن كلام له ﷺ: «والله لا أكون كالضبع».

ذكر السيد الرضي السبب لما أشير عليه بالأيتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال، وفيه يُبين عن صفته بأنه ﷺ لا يُخدع.

ويذكر المؤرخون أنه جزء من كلام له قاله لولده الحسن أوله: الحمد لله الذي يتلي من شاء بما شاء . . وذلك لما قال له: إن القوم حصروا عثمان يطلبون ما يطلبونه إما ظالمين أو مظلومين، ثم أشار عليه بأن يعزل الناس ويلحق بمكة، حتى تؤوب العرب وتعود إليها أحلامها وتأتيك وفودها، وأن لا تتبع طلحة والزبير وتدعهما، فإن اجتمعت الأمة عليك فذاك وإن اختلفت رضيت بما قضى الله: وأذكرك أن لا تُقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال ﷺ: أجلس - يا بني - ولا تخن عليّ خنين الجارية^(٢)، وهو مستبعد لما عُرف من خلق أمير المؤمنين ﷺ.

(٧) الخطبة التي أولها: «اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً».

جزء من خطبة أولها: الحمد لله والصلاة على نبيه ﷺ: أما بعدُ فإن ذمتي بما أقول رهينة . . خطبها لما بويج في المدينة، وفيها يصف حالة الناس في الزمان الذي تمت فيه بيعته، وحالة الناس والحكام قبل البيعة، وفيها وصف لمن يتصدى للحكم بين الأمة ويذم فيها أتباع الشيطان.

(٨) من كلام له ﷺ أوله: «يزعم أنه قد بايع بيده ولم يُبايع بقلبه».

يقصد الزبير بن العوام الذي كان يقول ويروج بين الناس بأنه بايع توريةً أو أنه أكره

على البيعة.

(١) سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواطر ص ١٥.

(٢) تمام نهج البلاغة: ص ٤٩٣.

(٩) ومن كلام له ﷺ أوله: «وقد أَرعدوا وأبرقوا».

ويقصد بهما طلحة والزبير حين بلغه خلع بيعتهما وأنهما قدما البصرة مع عائشة، وأول الخطبة: الحمد لله على كل أمر وحال..

(١٠) الخطبة التي أولها: «ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه».

قالها في (ذي قار) عندما كان يتجه بجيشه نحو الشام؛ أما المقصود من كلامه فيذكر عنه ابن أبي الحديد: يمكن أن يعني بالشيطان؛ الشيطان الحقيقي، ويمكن أن يعني به معاوية، فإن عنى معاوية فقوله: قد جمع حزبه، واستجلب خيله ورجله.. كلام جار على حقائقه، وإن عنى به الشيطان كان ذلك من باب الاستعارة، وماخوذاً من قوله تعالى: «وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَفْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ» (الإسراء: ٦٤)^(١).

(١١) ومن كلام له ﷺ أوله: «تزول الجبال ولا تزُل».

قاله لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل^(٢)، وهو يبحث فيه على الجهاد والقتال وإظهار البسالة في المعركة.

(١٢) ومن كلام له ﷺ أوله: «أهوى أخيك معنا».

قاله لأحد أصحابه الذي قال: وددت أن أخي شاهد ليرى ما نصرك الله به (يوم الجمل) لما أظفره الله بأصحابه يوم الجمل.

(١٣) ومن كلام له: «كنتم جُند المرأة وأتباع البهيمة».

ذكر ابن ميثم البحراني في شرحه على النهج: لما فرغ أمير المؤمنين من أمر الحرب لأهل الجمل أمر منادياً ينادي في أهل البصرة: إن الصلاة جامعة لثلاثة أيام من غد إن شاء الله، ولا عذر لمن تخلف إلا من حجة أو علة، ففي اليوم التالي صلى صلاة الغداة في المسجد الجامع، فلما قضى صلاته قام وأسند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلى فخطب وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر الخطبة^(٣).

(١) ابن أبي الحديد: ٢٣٩/١.

(٢) كما ذكره السيد الرضي.

(٣) ابن ميثم البحراني: منهاج البراعة ٢٨٩/١.

- وذكر المفيد أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب هذه الخطبة لما خرج من البصرة وهو متجه إلى الكوفة، وكان راكباً بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله ^(١).
- (١٤) ومن كلام له عليه السلام أوله: «أرضكم قرية من الماء بعيدة من السماء». قال المفيد: لما ظهر أمير المؤمنين على أهل البصرة وقسم ما حواه العسكر قام فيهم خطيباً وقال: (الخطبة) ^(٢)، ولا يخفى أن خطبة (١٤) ملحقة بخطبة (١٣).
- (١٥) ومن كلام له عليه السلام أوله: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء». وهو جزء من خطبة خطبها في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة ورد فيها: ألا إن كل قطعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاء من مال الله فهو مردود...، وذكر ابن ميثم أنه قالها في اليوم الثامن من بيعته وليس اليوم الأول ^(٣).
- (١٦) ومن كلام له: «ذمتي بما أقول رهينة». وهي أول خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة بعدما بُويع بالخلافة، أولها: ألا لا يرعين مَرعٍ إلا على نفسه...، ذكرها الكليني في الروضة عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن علي بن ثابت ويعقوب السراج عن أبي عبد الله عليه السلام: إن أمير المؤمنين لما بُويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر فقال: الحمد لله الذي علا فاستعلى... ^(٤).
- (١٧) ومن كلام له: «إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان». خطبها بالمدينة لما بُويع بالخلافة، وهي جزء من الخطبة رقم (١٦). وتتمتها في الخطبة رقم (٧) فراجعهما.
- (١٨) ومن كلام له: «ترد على أحدهم القضية». خطبها بالمدينة لما بُويع بالخلافة وهي جزء من خطبة رقم (١٦).
- (١٩) ومن كلام له: «ما يدريك ما عليّ مما لي». ذكر السيد الرضي أنه قالها للأشعث وهو على منبر الكوفة، فمضى في بعض

(١) المفيد: الجمل ص ٢١٧.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢١٧.

(٣) ابن ميثم: ٢٩٥/١.

(٤) الروضة: ص ٤٧.

كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه، فقال: يا أمير المؤمنين ﷺ هذه عليك لا لك، فخفض ﷺ بصره ثم قال: (الخطبة).

وهنا يورد المؤرخون روايتين في شأن هذه الخطبة؛ الأولى أن أمير المؤمنين ﷺ كان يخطب على المنبر ويذكر أمر الحكمين فقام رجل من أصحابه فقال له: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندري أي الأمرين أرشد، فصفق ﷺ بإحدى يديه على الأخرى، وقال: هذا جزاء من ترك العقدة...، وكان مراده ﷺ: هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي والحزم، وأصررت على إجابة القوم إلى التحكيم، فظن الأشعث أنه أراد هذا جزائي حيث تركت الرأي والحزم وحكمت، لأن هذه اللفظة محتملة: ألا ترى أن الرئيس إذا شغب عليه جنده وطلبوا منه اعتماد أمر ليس بصواب فوافقهم تسكيناً لشغبهم لا استصلاحاً لرأيهم ثم ندموا بعد ذلك، قد يقول: هذا جزاء من ترك الرأي، وخالف وجه الحزم؛ ويعني بذلك أصحابه؛ وهو يقول يعني به نفسه حيث وافقهم وأمير المؤمنين ﷺ إنما عني ما ذكرناه دون ما خطر للأشعث^(١).

والرواية الثانية تشير إلى أن أمير المؤمنين ﷺ أخرج صحيفة عن رسول الله ﷺ فيها: المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يدٌ على من سواهم، فقال الأشعث: هذا والله عليك لا لك..

(٢٠) ومن كلام له: «فإنكم لو قد عايتم».

وهي من خطب الجمعة التي خطب بها بعد بيعته في المدينة المنورة وأول الخطبة: الحمد لله الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده..

(٢١) الخطبة التي أولها: «فإن الغاية أمامكم».

خطب بها في أول جمعة بعد بيعته بالمدينة.

(٢٢) الخطبة التي أولها: «ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه».

يقول ابن أبي الحديد عن هذه الخطبة أنها ليست من خطب صفين كما ذكره القطب الرواندي، بل من خطب الجمل، وقد ذكر كثيراً منها أبو مخنف (رحمه الله تعالى)،

قال: حدثنا مسافر بن عفيف بن أبي الأخنس قال: لما رجعت رسل علي عليه السلام من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنون به بالحرب، قام فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله ﷺ ثم قال^(١)، ورأي ابن أبي الحديد مرجح لتضلعه بالتاريخ ولاستاده إلى سند تاريخي معتبر هو أبو مخنف.

(٢٣) الخطبة التي ورد فيها: «فإن الأمر ينزل من السماء».

وهي من خطب الجمعة، وهي الجمعة التي دخل بها الكوفة، وأول الخطبة هو: الحمد لله أحمد، واستعينه واستهديه...، وعليه فهي من الخطب التي خطبها بالكوفة.

(٢٤) خطبة فيها: «ولعمري ما علي من قتال من خالف الحق».

المقصود بذلك الرد على قول من قال: إن متابعتهم لمحاربيهم ومصانعتهم كان أولى من محاربتهم، فنهى ﷺ على فساد هذا القول وبطلان هذا الزعم.

(٢٥) خطبة ورد فيها: «ما هي إلا الكوفة أقبضها وأبسطها».

يذكر السيد الرضي: وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عامله على اليمن، وهما عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن أبي أرطاة، فقام ﷺ على المنبر ضجراً لثاقل أصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم له في الرأي فقال: (الخطبة).

وهذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين بعد فراغه من صفين، وانقضاء أمر الحكمين والخوارج وهي من أواخر خطبه ﷺ^(٢).

(٢٦) خطبة ورد فيها: «إن الله بعث محمداً ﷺ نذيراً للعالمين».

طلب جماعة من أصحابه أن يبين رأيه فيمن تقدم عليه (أبو بكر وعمر وعثمان) وذلك بعد فتح عمرو بن العاص لمصر وقتل محمد بن أبي بكر، فقال لهم ﷺ: هل فرغتم لهذا؟ وهذه مصر قد أفتحت وشيعتي قد قُتلت...، ثم قال: وإني مخرج إليكم كتاباً، أخبركم عما سألتكم، وأسألكم أن تحفظوا من حقي ما ضيعتم...، وكتب كتاباً

(١) المصدر نفسه: ٢٠٥/١-٢٠٦.

(٢) ابن أبي الحديد: ٢٤٨/١.

أوله : إن الله بعث محمداً . . إلى آخره .

(٢٧) الخطبة التي أولها : «أما بعد فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة» .

قال السيد الرضي : وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا ، وكان ذلك في منطقة النخيلة .

(٢٨) خطبة ورد فيها : «أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع» .

ألقى هذه الخطبة في عيد الفطر أولها : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور . . ، وهي تنمة للخطبة رقم (٤٥) .

(٢٩) الخطبة التي أولها : «أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم» .

خطبها في الكوفة بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحجيج بعد قصة الحكمين وهي من خطب يوم الجمعة .

(٣٠) ومن كلام له : «لو أمرتُ به لكنتُ قاتلاً» .

قالها في المدينة في مقتل عثمان بن عفان .

(٣١) ومن كلام له : «لا تلقين طلحة فإنك أن تلقه تجده كالثور» .

ذكر السيد الرضي شأن إيراد هذا الكلام : لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير يحثه إلى طاعته قبل حرب الجمل .

(٣٢) خطبة ورد فيها : «أيها الناس إنا قد أصبحنا في دهر عنود» .

خطبها لما بويع بالخلافة في المدينة المنورة ، أول الخطبة : أما بعد فذمتي بما أقول رهينة . .

(٣٣) خطبة أولها : «إن الله بعث محمداً ﷺ وليس أحدٌ من العرب» .

أورد السيد الرضي : قال عبد الله بن العباس ﷺ دخلت على أمير المؤمنين ﷺ بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي : ما قيمة هذا النعل ؟ فقلت : لا قيمة لها ! فقال ﷺ : والله لهي أحب إليّ من إمرتكم ، إلا أن أقيم حقاً ، أو أدفع باطلاً ، ثم خرج فخطب الناس فقال : (الخطبة) .

(٣٤) خطبة جاء فيها : «أف لكم لقد سئمتُ عتابكم» .

قال نصر بن مزاحم: فخطب الناس بالكوفة، وهي أول خطبة خطبها بعد قدومه من حرب الخوارج، فقال: أيها الناس؛ استعدوا لقتال عدو في جهادهم... إلى آخره. قال: فلم ينفروا ولم ينشروا، فتركهم أياماً، ثم خطبهم، فقال: أف لكم! لقد سئمت عتابكم...^(١).

(٣٥) خطبة جاء فيها: «الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح».

خطبها بعد التحكيم في سنة ٣٧ للهجرة وذلك بعد خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري وقبل وقعة النهروان.

(٣٦) خطبة جاء فيها: «فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر».

في تخويفه لأهل النهروان، وقد خطبها يوم النهر وهي خطبة طويلة أولها: نحن أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة ومختلف الملائكة...

(٣٧) ومن كلام له: «فقمتم في الأمر حين فشلوا».

لما تفرس في وجوه قوم من عسكره وجد أنهم يتهمونهم فيما يخبرهم به عن النبي ﷺ من أخبار الملاحم، وقد قال هذا الكلام بعد وقعة النهروان ذاكراً فيها حاله منذ وفاة رسول الله ﷺ.

(٣٨) ومن كلام له: «وإنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق».

وهو جزء من خطبة أولها: الحمد لله على كل أمر وحال في الغدو والآصال...، وقد خطبها حين بلغه خلع طلحة والزبير بيعتهما وأنهما قلعا البصرة مع عائشة.

(٣٩) خطبة ورد فيها: «منيت بما لا يطيع إذا أمرت».

قال السيد الرضي: خطبها ﷺ عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر، وفيها يُبدي عُذره ويستنهض الناس لنصرته وذلك في سنة ٣٩ للهجرة.

(٤٠) ومن كلام له: «كلمة حق يُراد بها باطل».

قالها لما سمع الخوارج يقولون: (لا حكم إلا لله).

هناك صورتان للواقعة؛ الصورة الأولى ذكرها ابن واضح قال: بلغنا أن علياً بينما

هو يخطب إذ سمع تحكيماً من ناحية المسجد (لا حكم إلا لله عز وجل) فقال علي عليه السلام: كلمة حق أريد بها باطل^(١).

الصورة الثانية: ذكر أبو مخنف عن الأجلح بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن كثير بن بهز قال: قام علي في الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجل من جانب المسجد: لا حكم إلا لله، فقام آخر فقال مثل ذلك ثم توالى عدة رجال يحكمون، فقال علي: الله أكبر...^(٢).

(٤١) خطبة جاء فيها: «أيها الناس إنّ الوفاء توأم الصدق».

جزء من خطبة أولها: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح...، خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بعد التحكيم.

(٤٢) ومن كلام له: «أيها الناس، إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان».

ذكر نصر بن مزاحم: لما قدم علي بن أبي طالب من البصرة إلى الكوفة يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين، وقد أعز الله نصره وأظهره على عدوه، ومعه أشرف الناس وأهل البصرة، استقبله أهل الكوفة وفيهم قرأؤهم وأشرفهم، فدعوا له بالبركة وقالوا: يا أمير المؤمنين أين تنزل؟ أتزل القصر؟ فقال: لا ولكنني أنزل الرحبة... فنزلها وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى فيه ركعتين ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال: أما بعد يا أهل الكوفة...^(٣).

(٤٣) خطبة ورد فيها: «إنّ استعدادي لحرب أهل الشام وجريء عندهم».

قالها عندما أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية ولم ينزل معاوية على بيعته.

(٤٤) ومن كلام له: «قبح الله مصقلة».

قالها لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد ابتاع سبي بني ناجية

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٣٦/٢.

(٢) الطبري: ٥٣/٤.

(٣) نصر بن مزاحم: صفين ٤٠٣.

من عامل أمير المؤمنين عليه السلام واعتقهم فلما طالبه بالمال خلس به وهرب إلى الشام .

(٤٥) خطبة جاء فيها : «الحمد لله غير مقنوط من رحمته» .

جزء من خطبة خطبها في عيد الفطر أولها : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . .^(١) ، تتمتها في الخطبة (٢٨) .

(٤٦) من دعاء له : «اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر» .

دعاء قاله أمير المؤمنين عليه السلام عندما وضع رجله في الركاب أثناء توجهه من النخيلة إلى الشام لحرب معاوية .

ذكر نصر : لما وضع علي عليه السلام رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى صفين قال : بسم الله ، فلما جلس على ظهرها قال : «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» اللهم إني أعوذ بك . .^(٢)

(٤٧) ومن كلام له : «كأنني بك يا كوفة تمدين مد الأديم» .

وهي جزء من خطبة طويلة خطبها أمير المؤمنين بعد دخوله الكوفة آتياً من البصرة أولها : الحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوه . .^(٣) ، تتمتها في الخطبة (٤٢) .

(٤٨) خطبة ورد فيها : «الحمد لله كلما وقب ليل وغسق» .

هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة ومتوجهاً إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين^(٤) في يوم الأربعاء .

(٤٩) ومن كلام له : «الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور» .

وهذه بداية خطبة مطولة في التوحيد وهي تجمع أصول العلم ما لا تجمعها خطبة .

(٥٠) ومن كلام له : «إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع» .

جاء في تاريخ اليعقوبي : وانصرف الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة - أي بعد التحكيم -

(١) تمام نهج البلاغة : ص ٢٩٥ .

(٢) صفين : ص ١٣٢ .

(٣) تمام نهج البلاغة : ص ٣٥٨ .

(٤) صفين : ص ١٣١-١٣٢ .

فلما قدمها قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أيها الناس . . .^(١)

(٥١) خطبة جاء فيها : «قد استطعموكم القتال . . فأقروا على مَذَّة» .

قال نصر : حدثنا عمرو بن شمر عن جابر : خطب علي عليه السلام يوم الماء ، فقال : أما بعد ، فإن القوم قد بدؤوكم بالظلم ، وفاتحوكم بالبغي ، واستقبلوكم بالعدوان واستطعموكم القتال حين منعوكم الماء فأقروا على مَذَّة . . إلى آخره^(٢) .

(٥٢) خطبة ورد فيها : «ألا وإن الدنيا قد تصرمت وأذنت بانقضاء» .

وهي جزء من خطبة أمير المؤمنين في عيد الأضحى أولها : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر والله الحمد . . .^(٣)

(٥٣) خطبة جاء فيها : «ومن تمام الأضحية» .

وهي تنمة الخطبة (٥٢) التي سبقتها وقد خطبها أمير المؤمنين في عيد الأضحى .

(٥٤) خطبة ورد فيها : «فتدأكوا علي تذاك الإبل الهيم يوم وردها» .

يقول الرضي : وفيها يصف أصحابه بصفين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام .

(٥٥) ومن كلام له عليه السلام : «أما قولكم : أكل ذلك كراهية الموت» .

يقول ابن أبي الحديد : لما ملك أمير المؤمنين عليه السلام الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة رجاء أن يعطفوا إليه ، واستمالة لقلوبهم ، وإظهاراً للمعدلة وحسن السيرة فيهم ، مكث أياماً لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه من عند معاوية أحد ، واستبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال ، وقالوا : يا أمير المؤمنين خلفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة وجئنا إلى أطراف الشام لنتخذها وطناً ؟! إ إذن لنا في القتال فإن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهية للموت ، وإن من الناس من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام .

فقال عليه السلام : ومتى كنت كارهاً للحرب قط ؟! إن من العجب حبِّي لها غلاماً ويافعاً

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٣٦/٢ .

(٢) صفين: ص ١١٢ .

(٣) الصدوق: الفقيه ٢٢٩/١ .

وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاذ العمر، وقرب الوقت، وأما شكّي في القوم فلو شككتُ فيهم لشككتُ في أهل البصرة، والله لو ضربت هذا الأمر ظهراً وبطناً فما وجدتُ يسعني إلا القتال أو أن أعصي الله ورسوله، ولكني أستاذني بالقوم عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة، فإن رسول الله ﷺ قال لي يوم خيبر: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس^(١).

(٥٦) ومن كلام له ﷺ: «ولقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آبائنا وأبناءنا».

هذا الكلام قاله أمير المؤمنين ﷺ في قصة ابن الحضرمي لما قدم البصرة من قبل معاوية ومعه كتابٌ منه إليهم - وذلك بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبي بكر - ويدعوهم إلى نبد طاعة علي ﷺ ونكث بيعته، ويسألهم معاونته على الطلب بدم عثمان، فلما قرأ عليهم الكتاب قال معظمهم: سمعنا وأطعنا، واستولى على البصرة وجبى خراجها. وكان أمير البصرة يومئذ زياد بن أبيه قد استخلفه عبد الله بن العباس وقدم على علي ﷺ إلى الكوفة يُعزيه بمحمد بن أبي بكر (رحمه الله) فرحل زياد من قصر الإمارة واستجار بالأزد ومعه بيت المال، وكتب إلى ابن عباس بالأمر، فرفع ابن عباس كتابه إلى أمير المؤمنين ﷺ، فخطب أمير المؤمنين ﷺ الناس بخطبة منها ما اختاره الرضي هنا، ثم أرسل جارية بن قدامة السعدي إلى البصرة في جماعة، فلما وصلها انضم إليه شيعة أمير المؤمنين ﷺ هناك، فناهض جمع ابن الحضرمي واضطره إلى دار من دور البصرة في عدد من أصحابه، فحرق جارية الدار عليهم، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً من أصحابه، وثاب الناس إلى طاعة أمير المؤمنين ﷺ وسمي جارية محرقة من يومئذ في قصة مشهورة نقلها ابن أبي الحديد^(٢).

وأورد نصر في صفين بسنده عن الشعبي: أن علياً قال يوم صفين وقد أقر الناس بالصلح: إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحق... إلى أن قال ﷺ: ولقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آبائنا... إلى آخره^(٣).

(١) ابن أبي الحديد: ٣٤٧/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٤٨-٣٥٥.

(٣) صفين: ص ٥٢٠.

(٥٧) ومن كلام له ﷺ: «أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجلٌ رَحْبُ البلعوم». يقول ابن أبي الحديد: وكثيرٌ من الناس يذهب إلى أنه ﷺ عنى زياداً، وكثيرٌ منهم يقول: إنه عنى الحجاج، وقال قوم: إنه عنى المغيرة بن شعبة، والأشبه عندي أنه عنى معاوية، لأنه كان موصوفاً بالنهم وكثرة الأكل، وكان بطيناً، يقعد بطنه إذا جلس على فخذه^(١).

(٥٨) ومن كلام له ﷺ: «أصابكم حاصبٌ، ولا بقي منكم أثر». قالها للخوارج لما زعموا أنه أخطأ في قبول التحكيم، فشرطوا في العودة إلى طاعته أن يعترف بأنه كفر ثم آمن^(٢).
(٥٩) ومن كلام له ﷺ: «مصارعهم دون النطفة».

بعث أمير المؤمنين رسولاً إلى الخوارج طلب منهم، أن ابعثوا إليّ بقتلة إخواني فأقتلهم ثم أترككم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب، ولعلّ الله يقلّب قلوبكم، فبعثوا إليه: كلنا قتلة أصحابك، كلنا مستحلّ لدمائهم، مشتركون في قتلهم، وأخبره الرسول - وكان من يهود السواد - أن القوم قد عبروا نهر طبرستان، وهذا النهر عليه قنطرة، تُعرف بقنطرة طبرستان، بين جلوان وبغداد من بلاد خراسان، فقال عليّ ﷺ: والله ما عبروه ولا يقطعونه، حتى نقتلهم بالرميلة دونه...، ثم تواترت عليه الأخبار بقطعهم لهذا النهر، وعبورهم هذا الجسر، وهو يأبى ذلك، ويحلف أنهم لم يعبروه وأن مصارعهم دونه^(٣).

(٦٠) ومن كلام له ﷺ: «كلا والله؛ إنهم نطفٌ في أصلاب الرجال». يقول السيد الرضي: لما قُتل الخوارج قيل له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم، فقال: كلا والله؛ إنهم نطفٌ في أصلاب الرجال...
(٦١) ومن كلام له ﷺ: «لا تقاتلوا (تقتلوا) الخوارج بعدي».

عن جعفر الصادق ﷺ عن آبائه ﷺ قال: لما فرغ أمير المؤمنين ﷺ من أهل النهروان

(١) ابن أبي الحديد: ٥٤/٤.

(٢) الطبري: ٤٨/٢ سنة ٢٨.

(٣) المسعودي: ٤١٦/٢.

قال: لا يقاتلهم بعدي إلا من هو أولى بالحق منهم . .

(٦٢) ومن كلام له ﷺ: «وإن عليّ من الله جنة».

والسبب في هذا الكلام أنه ﷺ خُوف من غيلة ابن ملجم (لعنه الله) مراراً، فقد ظهرت منه إمارات تدلّ على أنه ينوي ذلك .

ويروى أنه ﷺ كان يخطب مرةً ويذكر أصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول: لأريحنهم منك . فلما أنصرف ﷺ أتوا به ملبياً فأشرف ﷺ عليهم وقال: ما تريدون؟ فأخبروه بما سمعوا منه فقال ﷺ: خلوا عنه وإن عليّ من الله جنة . . إلى آخره .

(٦٣) ومن خطبة له ﷺ: «ألا إن الدنيا دار لا يسلم منها إلا فيها (بالزهد)» .

وهي جزء من خطبة طويلة أولها: الحمد لله الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده . . ثم ذكر في الخطبة فضيلة الرسول ﷺ وفيها إخبار بجملة ما سيصيب المسلمين في القرون المقبلة .

(٦٤) ومن خطبة له ﷺ: «فاتقوا الله عباد الله» .

جزء من خطبته الغراء التي تبدأ بالحمد لله الذي لا يحويه مكان، ولا يحده مكان . . وقد خطبها لما شيع جنازة فلما وضعت في لحدها عجّ أهلها وبكوا .

(٦٥) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله الذي لم تسبق له حالٌ حالاً» .

خطب أمير المؤمنين ﷺ هذه الخطبة حين استنهض الناس لحرب معاوية في المرة الثانية^(١) أي بعد صفين .

(٦٦) ومن كلام له ﷺ: «معاشر المسلمين استشعروا الخشية» .

خطب بها في اليوم الذي كانت عشيته ليلة الهرير في كثير من الروايات . وفي رواية نصر بن مزاحم خطبها في أول أيام اللقاء والحرب بصفين، وذلك في صفر من سنة ٣٧ للهجرة^(٢) .

وروى الطبري عن أبي مخنف: حدثني فضيل بن خديج عن مولى للأشتر أنه لما

(١) الصدوق: التوحيد ص ٢٩ باختلاف عن النص الذي أورده الرضي .

(٢) نصر بن مزاحم: صفين ص ٥١٤ .

اجتمع إليه عظم من كان انهزم عن الميمنة فحرضهم ثم قال: معاشر المسلمين استشعروا الخشية.. وهي من التعاليم المهمة ومن آداب الحرب.

وفي رواية المسعودي عن ابن عباس يقول: رأيت في هذا اليوم (اليوم الثامن من صفر) علياً وعليه عمامة بيضاء وكان عينيه سراج سليط وهو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم حتى انتهى إليّ وأنا في كثيف من الناس فقال: يا معشر المسلمين، عموا الأصوات وأكملوا اللأمة واستشعروا الخشية، وأقلقوا السيوف في الأجفان قبل السلة.. (٣٧)

(٦٧) ومن كلام له عليه السلام: «فهلّا احتججتم عليهم».

يقول الرضي: لما انتهت إلى أمير المؤمنين أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت منا أمير ومنكم أمير، وقال عليه السلام: فهلّا أحتججتم.. إلى آخره.

(٦٨) ومن كلام له عليه السلام: «وقد أردت تولية مضر هشام بن عتبة».

روى الثقيفي: وأخبرني ابن أبي سيف: أن عبد الله بن عباس قدم على علي عليه السلام من البصرة فعزاه على وفاة محمد بن أبي بكر (رحمه الله)، وعن مالك بن الجون الحضرمي أن علياً عليه السلام قال: رحم الله محمداً، كان غلاماً حدثاً، أما والله لقد كنت أردت أن أولي المرقال هشام بن عتبة بن أبي وقاص مصر، والله لو أنه وليها لما خلى لعمر بن العاص وأعوانه العرصة (٣٨).

(٦٩) ومن كلام له عليه السلام: «كم أداريكم؟..».

ذكر ابن واضح في تاريخه: وأغار الضحّاك بن قيس على القطقطانة (٣٩) فبلغ علياً إقباله، وأنه قد قتل ابن عميش، فقام علي خطيباً فقال: يا أهل الكوفة أخرجوا إلى جيش لكم قد أصيب منه طرف.. إلى آخر الخطبة (٤٠).

(٣٧) المسعودي: مروج الذهب ٢/٣٨٩.

(٣٨) الثقيفي: الغارات ص ١٩٨.

(٣٩) قريبة من عين التمر.

(٤٠) تاريخ اليعقوبي: ٢/١٩٦ دار صادر وذكر أنها غارة النعمان بن بشير على عين التمر.

وذكر الخطبة باختلاف مع ما أورده الرضي .

(٧٠) ومن كلام له عليه السلام : «ملكنتني عيني وأنا جالس» .

روى محمد بن حبيب البغدادي في كتاب (المغتالين) رواه بسند عن أبي عبد الرحمن والنساء يكيين ، فدنوت منه ، فقال لي : بت الليلة أوقف أهلي فملكنتني عيني وأنا جالس ، فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد فقال : أدع عليهم ، فقلت : اللهم أبدلني من هو خير لي منهم وأبدلهم من هو شر لهم مني ^(١) .

وقيل إنه قالها بعد ضربه بسيف ابن ملجم بلحظات .

(٧١) ومن خطبة له عليه السلام : «أما بعد يا أهل العراق» .

جزء من خطبة طويلة خطبها قبل أيام من شهادته عليه السلام ذكر فيها حق الوالي والرعية ، وفضل الجهاد موبخاً أهل الكوفة لتوانهم عنه ، تبدأ الخطبة بـ : أما بعد أيها الناس فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقاً بولايته أمركم . . إلى آخره .

(٧٢) ومن خطبة له عليه السلام منها : «اللهم داحي المدحوات» .

روى الثقفى عن ابن سلام الكندي قال : كان علي عليه السلام يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ، يقول قولوا : اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات وجابل القلوب على فطرتها . . وأبو سلام الكندي هو الأسود بن هلال المحازي من أصحاب أمير المؤمنين توفي سنة ٨٤ هـ .

(٧٣) ومن كلام له عليه السلام : «أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟» .

ذكر الرضي : قالها مروان بن الحكم بالبصرة عندما أخذ أسيراً يوم الجمل ، فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : أولم يبايعني بعد قتل عثمان . . إلى آخره .

(٧٤) ومن خطبة له عليه السلام : «لقد علمتم أنني أحق الناس بها من غيري» .

قالها الإمام عليه السلام في حوار مفصل مع عبد الرحمن بن عوف أورده ابن أبي الحديد

في شرحه للنهج .

ورد في بداية الحوار حديث لأمير المؤمنين عن نفسه : أنشدكم الله أفیکم أحدٌ آخی رسول الله ﷺ بينه وبين نفسه ؛ حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض غیری ؟ فقالوا : لا ، فقال : أفیکم أحدٌ قال له رسول الله ﷺ : من كنت مولاه فهذا مولاه غیری ؟ فقالوا : لا ، فقال : أفیکم أحدٌ قال له رسول الله ﷺ : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، غیری ؟ قالوا : لا ، قال : أفیکم من أؤتمن على سورة براءة ، وقال له رسول الله ﷺ : إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجلٌ مني غیری ؟ قالوا : لا ، قال : ألا تعلمون أن أصحاب رسول الله ﷺ فرّوا عنه في مآقط الحرب في غير موطن ، وما فررتُ قط ؟ قالوا : بلى ، قال : ألا تعلمون أني أول الناس إسلاماً ؟ قالوا : بلى .

قال : فأینا أقرب إلى رسول الله ﷺ نسباً ؟ قالوا : أنت ، فقطع عليه عبد الرحمن بن عوف كلامه ، وقال : يا عليّ قد أبى الناس إلا على عثمان ، فلا تجعلنّ على نفسك سبيلاً ، ثم قال : يا أبا طلحة ما الذي أمرك به عمر ؟ قال : أن أقتل من شق عصا الجماعة ، فقال عبد الرحمن لعلي : بايع إذن ؛ وإلا كنت متبعاً غير سبيل المؤمنين ؛ وأنفذنا فيك ما أمرنا به فقال : لقد علمتم أني أحقّ بها من غیری ، والله لأسلّمن . . .^(١)

(٧٥) ومن كلام له ﷺ : « أولم ينه بني أمية علمها بي عن قرفي » .

قالها في رده على من إتهمه بالمشاركة في دم عثمان .

(٧٦) ومن خطبة له ﷺ : « رحم الله أمراً (عبداً) سمع حكماً » .

جزء من خطبة في التزهيد في الدنيا أولها : الحمد لله الخافض الرافع . . إلى

آخره .

(٧٧) ومن كلام له ﷺ : « إن بني أمية ليفوقوني تراث محمد » .

رواه أبو الفرج الأصفهاني بإسناده إلى الحارث بن حبيش قال : بعثني سعيد بن العاص بهدايا إلى المدينة ، وبعثني إلى علي ﷺ وكتب إليه : إني لم أبعث إلى أحدٍ بأكثر مما بعثت به إليك إلا شيئاً في خزائن أمير المؤمنين ، قال : فأتيتُ علياً فأخبرته ، فقال :

لشد ما تحظر بنو أمية تراث محمد ﷺ أما والله لأن وليتها لأنفضنها نفص القصاب والتراث الوزمة^(١).

(٧٨) ومن دعاء له ﷺ: «اللهم أغفر لي ما أنت أعلم به مني». كان يدعو به في الاستغفار والتوبة.

(٧٩) ومن كلام له ﷺ: «أتزعم أنك تهدي إلى الساعة».

ويذكر في سبب هذا الكلام أن علياً عزم على الخروج من الكوفة إلى الحرورية، وكان في أصحابه منجم فقال: يا أمير المؤمنين لا تسرف في هذه الساعة، وسر على ثلاث ساعات مضين من النهار، فإنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذى وضر شديد، وإن سرت الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت، وأصبت ما طلبت، فقال له علي ﷺ: أتدري ما في بطن فرسي أذكر هو أم أنثى؟ قال: إن حسبت علمت، فقال علي ﷺ: من صدقك بهذا فقد كذب بالقرآن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾^(٢).

ثم قال ﷺ: إن محمداً ﷺ ما كان يدعي علم ما أدعيت علمه، أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي يُصيب النفع من سار فيها، وتصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها؟ فمن صدقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جل ذكره في صرف المكروه عنه، وينبغي للمؤمن بأمرك أن يوليكم الحمد دون الله جل جلاله، لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التي يُصيب النفع من سار فيها، وصرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها، فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نداً، اللهم لا طير إلا طيرك، ولا ضر إلا ضررك ولا إله غيرك.

ثم قال: نخالف ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها، ثم أقبل على الناس فقال ﷺ: أيها الناس إياكم والتعلم للنجوم إلا ما يهتدى به من ظلمات البر والبحر، إنما المنجم كالكاهن والكاهن كالكاfer، والكاfer في النار، أما والله لئن بلغني أنك تعمل بالنجوم لأخلدتك في السجن أبداً ما بقيت، ولأحرمتك العطاء ما كان لي من سلطان.

(١) أبو الفرج الاصفهاني: ٢٩/١١.

(٢) لقمان: ٢٤.

ثم سار في الساعة التي نهاء عنها المنجم فظفر وظهر، ثم قال ﷺ: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس: سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر وظهر، أما أنه ما كان لمحمد ﷺ منجم، ولا لنا من بعده، حتى فتح الله لنا بلاد كسرى وقيصر، أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي ممن سواه^(١) . . .
ويذكر أن اسم المنجم عفيف بن قيس أخو الأشعث^(٢) .

(٨٠) ومن خطبة له ﷺ: «معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان».

هناك روايتان في شأن إيراد هذه الخطبة؛ الأولى: أنها جزء من كتاب كتبه أمير المؤمنين عندما طلب جماعة من أصحابه أن يبين رأيه فيمن تقدم عليه (أبو بكر وعمر وعثمان) وذلك بعد فتح عمرو بن العاص لمصر ومقتل محمد بن أبي بكر، فقال لهم ﷺ: هل فرغتم لهذا؟ هذه مصر قد افتتحت وشيعتي وقد قتلت، ثم قال: وإني مخرج إليكم كتاباً أوله: إن الله بعث محمداً . . . وهي جزء من الخطبة (١٦).

وأما الرواية الثانية ما ذكرها السبط ابن الجوزي: ذكر علماء السير أن علياً ﷺ لما فرغ من الجمل صعد منبر البصرة فخطب الناس وقال: إن النساء نواقص الإيمان نواقص الحظوظ . . .

مركز تحقيق كتب علوم راسدي

والرواية الثانية: ربما تكون هي المرجحة، لأن الذين ذكروها ومنهم السيد الرضي ذكروها على أنها خطبة وليست برسالة، كما وأن الظرف التاريخي في إعلان هذا الخطاب وبعد الانتهاء من حرب الجمل يدل على محتويات ما ورد في الخطاب من تحليل لحالة الضعف التي تصاب بها المرأة التي كانت وراء تلك الحرب الدامية .
(٨١) ومن كلام له ﷺ: «أيها الناس الزهادة قصر الأمل» .

جزء من خطبة أولها: الحمد لله أهل الحمد . . . وقد خطبها يوم الجمعة، وهي والخطبة (١١٣) قطعة واحدة، ذكر ذلك الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن محمد بن النعمان أو غيره عن أبي عبد الله ﷺ^(٣) .

(١) الروضة: ص ١٢٢.

(٢) الكيخري: شرح نهج البلاغة ١/ ٣٧٢.

(٣) الروضة: ص ١٢٢.

(٨٢) ومن كلام له ﷺ: «ما أصفُ من دارٍ أولها عناء».

سبب هذا الكلام أن رجلاً قطع عليه خطبته، وقال له: صف لنا الدنيا فقال: أولها عناء...^(١)، ثم إنه عاد إلى مكانه من خطبته ووصل كلامه وهذا أعلى درجات حضور الخاطر.

(٨٣) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله الذي علا بحوله، ودنا بطوله».

ذكر أبو النعيم: أن السبب في إلقائه ﷺ لها أنه شيع جنازة فلما وضعت في لحدها عجز أهلها وبكوا، فقال ﷺ: أم والله لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلهم ذلك من البكاء عليه، أم والله إن له لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحداً...، ثم قام فيهم فقال: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال...، ثم ذكر فقرات من الخطبة^(٢).

(٨٤) ومن خطبة له ﷺ: «عجباً لابن النابغة».

وهي جزء من خطبة أولها: أما بعد أيها الناس فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقاً...، خطبها قبل أيام من استشهادها^(٣)، وقد قالها أمير المؤمنين ردّاً على ما قاله عمرو بن العاص: إن فيه هزلاً لا حكمة معه. ومن خطبة له ﷺ: «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

وهي جزء من خطبة (الدياج) وفيها وصايا شتى أولها: الحمد لله فاطر الخلق وخالق الإصباح.

(٨٦) خطبة ورد فيها: «قد علّم السرائر، وخبر الضمائر».

جزء من خطبته الغراء التي خطبها ﷺ لما شيع جنازة^(٤).

(٨٧) ومن خطبة له ﷺ: «عباد الله، إن من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه».

(١) الكراچكي: كنز الفوائد ص ١٦٠.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ٧٧/١.

(٣) تمام نهج البلاغة: ص ٢٨٩.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٧٤.

يقول ابن أبي الحديد: وهذه الخطبة طويلة، وقد حذف الرضي (رحمه الله تعالى) منها كثيراً^(١)، وهي جزء من خطبته الغراء التي تبدأ ب: الحمد لله الذي لا يحويه مكان ولا يحده زمان...، وهي من الخطب العجيبة، خطبها أمير المؤمنين (عليه السلام) لما شيع جنازة فلما وضعت في لحدها عجز أهلها وبكوا^(٢)، وهي تنمة للخطبة السابقة (٨٦).

(٨٨) ومن خطبة له (عليه السلام): «أما بعد فإن الله لم يقصم جباري دهر قط».

جزء من خطبة طويلة يتحدث فيها عن فضائل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أولها ذكرها الكليني بصورة كاملة، بسنده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: خطب أمير المؤمنين بالمدينة: فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله ثم قال: أما بعد فإن الله تبارك وتعالى لم يقصم جباري دهر قط...^(٣).

(٨٩) ومن خطبة له (عليه السلام): «أرسله على حين فترة».

جزء من خطبة طويلة ذكرها في فضيلة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيها أخبار بجملة ما سيصيب المسلمين في القرون المقبلة.

(٩٠) ومن خطبة له (عليه السلام): «الحمد لله المعروف من غير رؤية».

وهي جزء من خطبة طويلة خطبها في قدرة الله تعالى وفي فضل القرآن.

(٩١) ومن خطبة له (عليه السلام): «الحمد لله الذي لا يفره المنع والجمود».

أورد السيد الرضي: روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) أنه قال: خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذه الخطبة على منبر الكوفة، وذلك أن رجلاً أتاه فقال له: يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا مثلما نراه عياناً لنزداد له حباً وبه معرفة، فغضب ونادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله، فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)... وتعرف بخطبة الأشباح وهي من جلائل خطبه، ومقصود الإمام من الأشباح (الملائكة).

(٩٢) ومن كلام له (عليه السلام): «دعوني والتمسوا غيري».

(١) ابن أبي الحديد: ٢٨٢/٦.

(٢) تمام نهج البلاغة: ص ١٧٤.

(٣) الروضة: ص ٦٢.

قيل: طلبوا منه البيعة وأن يُقسم عليهم بيوت الأموال قسمة أبي بكر وعمر فاستعفاهم وقال: دعوني والتمسوا غيري، فمن يسير بهم تلك السيرة ويوافقهم على ما أرادوا؟ وحمل بعضهم قول أمير المؤمنين (عليه السلام): دعوني والتمسوا غيري... على طريق الضجر منهم، والتبرم بهم، والتسخط لأفعالهم، لأنهم كانوا عدلوا عنه من قبل واختاروا عليه، فلما طلبوه فيما بعد أجابهم جواب المتسخط العاتب^(١).

(٩٣) ومن خطبة له (عليه السلام) بعد حمد الله، والثناء عليه: «أيها الناس فإني فقات عين الفتنة».

يقول ابن أبي الحديد: وهذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة وهي متداولة منقولة مستفيضة، خطب بها علي (عليه السلام) بعد انقضاء أمر النهروان، وفيها ألفاظ لم يوردها الرضي (رحمه الله)^(٢).

وروى الثقيفي عن إبراهيم: أخبرني أحمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثني أبي قال: حدثني ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمر، وعن زر بن حبيش، قال: خطب علي (عليه السلام) بالنهروان ثم اتفقا أن لا يزيد أحدهما حرفاً وينقص حرفاً والمعنى واحد. قال: خطب فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، أما بعد؛ أنا فقات عين الفتنة... إلى آخره^(٣).

(٩٤) ومن خطبة له (عليه السلام): «فتبارك الله الذي لا يبلغه بُعد الهمم».

روى الصدوق: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) خطب بهذه الخطبة لما استنهض الناس لحرب معاوية في المرة الثانية^(٤).

وهي جزء من خطبة طويلة أولها: الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان...

(٩٥) ومن خطبة له (عليه السلام): «بعثه والناس ضلال في حيرة».

(١) ابن أبي الحديد: ٣٤/٧-٣٥.

(٢) المصدر نفسه: ٥٧/١.

(٣) الفارات: ص ٧.

(٤) الصدوق: التوحيد ص ٢٠.

جزء من خطبة ذكرنا أجزاء منها أولها: الحمد لله الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده...، وهي في فضيلة الرسول ﷺ وفيها أخبار بجملة ما سيصيب المسلمين في القرون المقبلة.

(٩٦) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده».

وهي خطبة طويلة، قسمها السيد الرضي إلى عدة خطب، وهي في فضيلة الرسول ﷺ وفيها أخبار بجملة ما سيصيب المسلمين في القرون المقبلة.

(٩٧) ومن خطبة له ﷺ: «ولئن أمهل الظالم فلا يفوت أخذُهُ».

وهي أول خطبة خطبها بعد قدومه من حرب الخوارج، فقال: أيها الناس استعدوا لقتال عدو في جهادهم، قال: فلم ينفروا ولم ينشروا فتركهم أياماً ثم خطبهم، فقال: أف لكم لقد سئمت عتابكم^(١).

(٩٨) ومن كلام له ﷺ: «والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله مُحَرِّماً إلا استحلُّوه».

وهي جزء من خطبة أولها: أما بعد أيها الناس فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقاً بولايتي أمركم...، وقد قيل إن هذه الخطبة خطبها أمير المؤمنين ﷺ عند إغارة الضحاك بن قيس وطلب منه مهاجمة أطراف الكوفة، فأقبل الضحاك فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب ثم لقي عمرو بن عيسى بن مسعود الهذلي فقتله، ونهب الحاج وقتل منهم، وهم على طريقهم عند الطقطقانة فساء ذلك أمير المؤمنين وأخذ يستهضئ الناس إلى الدفاع عن ديارهم وهم يتخاذلون فوبخهم بما تراه في هذه الخطبة^(٢).

(٩٩) ومن خطبة له ﷺ: «نحمدهُ على ما كان ونستعينه من أمرنا على ما يكون».

وهي خطبة مطولة خطبها يوم الجمعة أولها: الحمد لله الولي الحميد، الحكيم المجيد، الفعال لما يريد، علام الغيوب...

(١٠٠) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله الناشر في الخلق فضله».

وهي من خطب الجمعة؛ يقول ابن أبي الحديد: وأعلم أن هذه الخطبة خطب بها

(١) ابن أبي الحديد: ١٩٤/٢.

(٢) تمام نهج البلاغة: ص ٢٨٩.

أمير المؤمنين (عليه السلام) في الجمعة الثالثة من خلافته، وكفى فيها عن حال نفسه، وأعلمهم فيها أنهم سيفارقونه، ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه وطاعتهم له؛ وهكذا وقع الأمر، فإنه نقل أن أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعاً عليه من الشهر الذي قتل فيه (عليه السلام) (١).

(١٠١) ومن خطبة له (عليه السلام): «الحمد لله الأول قبل كل أول، والآخر بعد كل آخر».

خطبها أمير المؤمنين (عليه السلام) في البصرة بعد فراغه من حرب الجمل، وفيه يبين ما سيحدث في المستقبل من أحداث، وذكر للضليل.

والضليل هو كناية عن عبد الملك بن مروان - كما يقول ابن أبي الحديد - لأن هذه الصفات والإمارات فيه أتم منها في غيره.

وقد قيل: إنه كنى عن معاوية وما حدث في أيامه من الفتن، وما حدث بعده من فتنة يزيد وعبيد الله بن زياد، وواقعة الحسين (عليه السلام).

والأول أرجح، لأن معاوية في أيام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان قد نعق بالشام، ودعاهم إلى نفسه، والكلام يدل على إنسان ينعق فيما بعد (٢).

(١٠٢) ومن خطبة له (عليه السلام): «وذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين».

قالوا: إنه (عليه السلام) يشير في هذه الخطبة إلى فتنة صاحب الزنج وأقول: لعله (عليه السلام) يشير إلى فتن أخرى لم تقع بعد خصوصاً إذا تأملت قوله (عليه السلام): (لا رهج لها ولا حس) فإن جيش صاحب الزنج كان ذا حس ورهج، وما نقله الرضي في هذا الموضوع هو مختار خطبة يأتي القول فيها برقم (١٢٨) إن شاء الله تعالى (٣).

(١٠٣) ومن خطبة له (عليه السلام): «أيها الناس انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين».

أورده السيد ابن طاووس قال: حدثنا ابن المبارك، وحدثنا عن عوف عن رجل من أهل الكوفة أحسبه قال: اسمه مسافر عن علي (عليه السلام) قال: ينجو في ذلك الزمان كل مؤمن نومة... ، وفي حديث وسئل عن النومة قال: الساكت في الفتنة فلا يبدو منه

(١) ابن أبي الحديد: ٩٣/٧.

(٢) ابن أبي الحديد: ١٠٠/٧.

(٣) مصادر نهج البلاغة: ٢٠٢/٢.

شيء^(١).

(١٠٤) ومن خطبة له ﷺ: «أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً».

ذكرت هذه الخطبة بصورة مختلفة في الخطبة (٣٣)، وذكر السيد الرضوي: وقد تقدم مختار هذه الخطبة إلا أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان فأوجبت الحال إثباتها ثانية^(٢).

(١٠٥) ومن خطبة له ﷺ: «حتى بعث الله».

روى علي بن إبراهيم هذه الخطبة بسنده عن أبي عبد الله ﷺ قائلاً: خطب أمير المؤمنين ﷺ بعدما بويع بخمسة أيام خطبة فقال فيها: وأعلموا أن لكل حق طالباً..^(٣)
(١٠٦) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله الذي شرع الإسلام».

خطب هذه الخطبة بعد أن سأل رجل أن يعرفه صفة الإسلام والإيمان والكفر والتفاق فقال ﷺ: إذا كان غد فأتني حتى أخبرك على أسمع الناس، ولما كان الغد خطب هذه الخطبة.

قسم من الخطبة هو خطاب لأصحابه: وهو الذي يتدأب (وقد بلغت من كرامة الله)، وهو خطاب لأصحابه الذين أسلموا منهم ونواحيهم إلى جيوش معاوية التي كان يُغير بها على أطراف أعمال علي ﷺ كالأنبار وغيرها^(٤).
(١٠٧) ومن كلام له ﷺ: «وقد رأيت جولاتكم».

ذكر الطبري: قال أبو مخنف حدثني مالك بن أعين الجهني عن زيد بن وهب أن علياً لما رأى ميمته قد عادت إلى مواقفها ومصافها وكشفت من يازائها من عدوها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم أقبل حتى انتهى إليهم فقال: إني قد رأيت جولاتكم وانحيازكم.. إلى آخر الخطبة^(٥).

(١٠٨) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه».

(١) السيد ابن طاووس: الملاحم ص ٢٧.

(٢) قول السيد الرضوي.

(٣) تفسير القمي: ٢٨٤/١.

(٤) ابن أبي الحديد: ١٧٦/٧.

(٥) الطبري: ١٧/٤.

- خطب بهذه الخطبة لما بلغه أن أصحاب معاوية قد أغاروا على الأنبار^(١).
- (١٠٩) ومن خطبة له ﷺ: «كلُّ شيء خاشعٌ له».
- جزء من خطبة طويلة ذكرها ابن عبد ربه، أولها: الحمد لله الذي هو أول كل شيء ووليه...، وقد عنون هذه الخطبة بعنوان خطبة الزهراء^(٢).
- (١١٠) ومن خطبة له ﷺ: «إن أفضل ما توسَّل به المتوسِّلون إلى الله سبحانه».
- جزء من خطاب أوله: الحمد لله فاطر الخلق وخالق الاصباح ومنشر الموتى ويأبث من في القبور...، وهي الخطبة التي عرفت بـ(الديباج) وفيها وصايا شتى^(٣).
- (١١١) ومن خطبة له ﷺ: «أما بعد فإني أحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة».
- وهي جزء من خطب الجمعة التي أولها: الحمد لله أهل الحمد ووليه ومنتهى الحمد ومحله^(٤).
- (١١٢) ومن خطبة له ﷺ: «هل تحسُّ به إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفَّى أحداً».
- جزء من خطبة أولها: الحمد لله الذي لا يضره...، سميت بخطبة الأشباح، وقد سأله سائل أن يصف الله حتى كأنه يراه عياناً، فغضب ﷺ لكلامه فصعد المنبر فقال: الحمد لله الذي لا يضره المنع...^(٥).
- (١١٣) ومن خطبة له ﷺ: «وأحذركم الدنيا فإنها منزل قلعة».
- روى الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن محمد بن النعمان أو غيره عن أبي عبد الله ﷺ أنه ذكر هذه الخطبة لأمير المؤمنين ﷺ يوم الجمعة وأولها: الحمد لله أهل الحمد...^(٦).
- (١١٤) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر».
- خطبة طويلة اقتطع منها السيد الرضي الحكمة رقم (١١٦).

(١) تمام نهج البلاغة: ص ٢٨٤.

(٢) العقد الفريد: ١٦٦/٤ دار الكتب العلمية.

(٣) تحف العقول: ص ٩٩.

(٤) تمام نهج البلاغة: ص ٢٨٥.

(٥) تمام نهج البلاغة: ص ٤٧.

(٦) الكليني: الروضة ص ١٢٤.

(١١٥) من خطبة له ﷺ: «اللهم قد انصاحت جبالنا واغبرت أرضنا». وهي خطبة طويلة خطبها طلباً للاستسقاء أولها: الحمد لله سابغ النعم ومفرج الهمم..

(١١٦) ومن خطبة له ﷺ: «أرسله داعياً إلى الحق وشاهداً على الخلق». وهي جزء من خطبة خطبها الإمام يوم الجمعة، أما القسم الآخر من الخطبة: لا تعلمون ما أعلم ومما طوي عنكم غيبه..، هي جزء من خطبة خطب بها قبل أيام من استشهاده، وقد أشار فيها إلى وقائع ستقع في المستقبل.

(١١٧) ومن خطبة له ﷺ: «فلا أموال بذلتموها للذي رزقها».

وهي جزء من كلام قاله للمتخاذلين من أصحابه في وقعة صفين بعد إقرار الصلح أوله: إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحق..

(١١٨) ومن كلام له ﷺ: «أنتم الأنصار على الحق».

ذكر ابن أبي الحديد: وأعلم أن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين ﷺ للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل، وقد ذكره المدائني والواقدي في كتابيهما^(١).

(١١٩) ومن كلام له ﷺ: «ما بالكم أمخرسون أنتم؟».

ذكر ابن أبي الحديد: وهذا كلام قاله أمير المؤمنين ﷺ في بعض غارات أهل الشام على أطراف أعماله بالعراق بعد انقضاء أمر صفين والنهروان^(٢).

(١٢٠) من كلام له ﷺ: «تالله لقد علّمتُ تبليغ الرسالات».

جزء من خطبة خطبها بعد انصرافه من صفين، حول التوحيد.

(١٢١) ومن خطبة له ﷺ: «أما والله لو أني حين أمرتكم به».

كلام قاله لرجل من أصحابه قام إليه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندري أي الأمرين أرشد؟ فصفق ﷺ إحدى يديه على الأخرى ثم قال: هذا جزاء من ترك العقدة، ومقصوده من العقدة؛ ما حصل عليه التعاقد من حرب الخارجين عن البيعة حتى يكون الظفر أو الهزيمة، وأمير المؤمنين يريد: هذا جزاؤكم فيما تركتم الحزم

(١) ابن أبي الحديد: ٢٨٤/٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨٧/٧.

وشغبتم عليّ وألجأتوني لقبول الحكومة^(١).

(١٢٢) ومن كلام له ﷺ: «أكلكم شهد معنا صفين؟».

وهو كلام قاله للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة، قاله في محاججته مع أهل النهروان، ذكره الطبرسي في الاحتجاج^(٢). وهو يشتمل على ثلاثة مقاطع كما يقول ابن أبي الحديد: هذا الكلام يتلو بعضه بعضاً؛ ولكنه ثلاثة فصول لا يلتصق أحدها بالآخر؛ وهذه عادة الرضي تراه ينتخب من جملة الخطبة الطويلة كلمات فصيحة يوردها على سبيل التالي، وليست متتالية حين تكلم بها صاحبها^(٣).

وهذه المقاطع الثلاثة هي من الخطبة نفسها، لكن حذف السيد بعض أجزائها واقتطع أجزاء أخرى أعطاها عنواناً مستقلاً هو رقم (٣٦) ورقم (١٢٧) وكلمة (١٧٧).

(١٢٣) ومن كلام له ﷺ: «أي أمرى منكم أحسن من نفسه رياطة جاش». جزء من خطبة خطبها أيام صفين أولها: أيها الناس إن الموت طالبٌ حيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب..

(١٢٤) ومن كلام له ﷺ: «فقدموا الدارع، وأخروا الحاسر، وعضوا على الأضراس» روى الطبري: قال أبو مخنف، حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه ومولى له: أن علياً حرّض الناس يوم صفين فقال: إن الله عز وجل قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم^(٤).

(١٢٥) ومن كلام له ﷺ: «إنما لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن». روى الطبري سبب هذا الكلام عن أبي مخنف في حديثه عن أبي خباب عن عمارة بن ربيعة، وقد بعث عليّ زياد بن النضر إليهم، فقال: أنظر بأي رؤوسهم هم

(١) تمام نهج البلاغة: ص ٥١٨.

(٢) ابن أبي الحديد: ٢٧٤/١.

(٣) ابن أبي الحديد: ٢٩٨/٧.

(٤) الطبري: ١١/٤ ويذكر نصر بن مزاحم ص ٢٠٤: أن الإمام تكلم بهذا الكلام في ثلاثة مواضع.

أشد إطاعة فنظر فأخبره أنه لم يرههم عند رجلٍ أكثر منهم عند يزيد بن قيس، فخرج عليٌّ في الناس حتى دخل إليهم فأتى فسطاط يزيد بن قيس فدخله فتوضأ فيه وصلى ركعتين، وأمره على أصفهان والري ثم خرج حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس فقال: انته عن كلامهم ألم أنهك رحمك الله، ثم تكلم فحمد الله عز وجل وأثنى عليه قال: اللهم إن هذا مقام من أفلح فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة.

قالوا له: فخيرنا أترأه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء فقال: إنا لسنا حكمنا الرجال إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور^(١).

(١٢٦) ومن كلام له ﷺ: «أأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وكبت عليه».

كلام له طويل قاله ﷺ لأصحابه والمنقطعين إليه، وتفضيل بعضهم على بعض في العطاء، قالوا لأمير المؤمنين ﷺ: إن عامة الناس أصحاب دنيا، لها يسعون، وفيها يكدحون، فلو أعطيت من هذا المال، وفضلت الأشراف من العرب، وقرشاً على الموالي، ومن تخاف من خلافه وفراقه حتى إذا استتب لك ما تريد عدت إلى أحسن ما كنت عليه من العدل في الرعية، والقسم بالسوية، فقال ﷺ: أأمروني أن أطلب النصر بالجور^(٢).

مركز تحقيق كتب التراث

(١٢٧) ومن كلام له ﷺ: «فإن أبيتم إلا أن تزعموا أنني أخطأت».

روى الطبري عن أبي مخنف؛ حدثني أبو سلمة الزهري، وكانت أمه بنت أنس بن مالك أن علياً قال لأهل النهروان: يا هؤلاء إن أنفسكم قد سولت لكم فراق هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره وأنبأتكم أن القوم سألوكموها مكيدة ودهناً فأبيتم علياً إباء المخالفين وعدلتم عدول النكراء العاصين حين صرفت رأيي إلى رأيكم... إلى آخره^(٣). وفيها تفاوت عما ذكره السيد الرضي.

(١٢٨) ومن كلام له ﷺ: «يا أحنف كأنني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لخب».

(١) الطبري: ٤٨/٤.

(٢) مصادر نهج البلاغة: ٢٨٢/٢.

(٣) الطبري: ٦٣/٤ حوادث سنة ٢٧.

يقول ابن ميثم البحراني: وهذا الفصل من خطبة له بالبصرة بعد وقعة الجمل، ذكرنا منها فصولاً فيما سبق، والخطاب مع الأحنف بن قيس لأنه كان رئيساً ذا عقل وسابقة في قومه^(١).

(١٢٩) ومن خطبة له ﷺ: «عباد الله، إنكم وما تأملون من هذه الدنيا». وهو يجري مجرى الكلام لا الخطبة، فإذا ما تأملنا الداعي إلى التفوّه به لعرفنا هل هو من الكلام أو الخطبة.

تكلم الإمام بهذا الكلام لما سمع رجلاً يذم الدنيا مُطنباً، فقال الإمام ﷺ: ما بال أقوام يذمون الدنيا وقد انتحلوا الزهد فيها، ثم بدأ بالكلام بأن الدنيا دار صدق لمن صدقها^(٢).

(١٣٠) ومن كلام له ﷺ: «يا أبا ذر إنك غضبت لله، فأرج من غضبت له». أورد ابن أبي الحديد حكاية هذا الكلام نقلاً عن كتاب السقيفة عن عبد الرزاق عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال:

لما أخرج أبو ذر إلى الرينة أمر عثمان فتودي في الناس ألا يكلم أحد أبا ذر ولا يشيعه، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به، فخرج به وتحمّاه الناس إلا علي بن أبي طالب ﷺ وعقيلاً أخاه، وحسناً وحسيناً ﷺ، وعباراً فإنهم خرجوا معه يُشيعونه، فجعل الحسن ﷺ يكلم أبا ذر فقال له مروان: إيها يا حسن! ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل؟، فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك، فحمل علي ﷺ على مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته، وقال: تنح لحاك الله إلى النار!، فرجع مروان مغضباً إلى عثمان؛ فأخبره الخبر فتلظى على علي ﷺ ووقف أبو ذر فودّعه القوم، ومعه ذكوان مولى أم هانئ بنت أبي طالب، قال ذكوان: فحفظت كلام القوم - وكان حافظاً - فقال علي ﷺ: يا أبا ذر إنك غضبت لله؛ إن القوم خافوك على دنياهم^(٣).

وهذا يختلف عما ذكره سبط ابن الجوزي حيث روى عن الشعبي عن أبي أراكة:

(١) ابن ميثم البحراني: ١٥/٣.

(٢) تمام نهج البلاغة: ص ٤٤٢.

(٣) ابن أبي الحديد: ٢٥٣/٨.

لما نفى أبو ذر إلى الريزة كتب إليه علي عليه السلام: أما بعد . . إلى آخره^(١).

فقد اعتبر النص كتاباً وليس كلاماً كما هو رأي الأكثرية.

(١٣١) ومن كلام له عليه السلام: «أيتها النفوس المختلفة».

وهو جزء من خطبة تسمى بـ (المنبرية) ذكرها سبط ابن الجوزي: خطبة تُعرف بالمنبرية قرأت على أبي حفص عمر بن معمر الدارقزي قال: حدثنا أحمد بن محمد المداري حدثنا الحسن بن أحمد البناء حدثنا علي بن محمد بن بشران حدثنا الحسين بن صفوان حدثنا أبو بكر القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن صالح العجلي قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام يوماً فقال: الحمد لله الذي أحمدته وأؤمن به واستعين به وأستهديه واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم قال: أيتها النفوس المختلفة والقلوب المشتتة . . إلى آخر الخطبة^(٢).

(١٣٢) ومن خطبة له عليه السلام: «نحمده على ما أخذ وأعطى».

وهي جزء من خطبة خطبها عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة أولها: الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا من شيء كان، ولا من شيء خلق ما كان . .^(٣) ومن خطبة له عليه السلام: «وانقادت له الدنيا والآخرة بازمتها».

وهي من خطبة طويلة أولها: الحمد لله الأول فلا شيء قبله، والآخر فلا شيء بعده . . ، وهي في فضائل الرسول الأكرم عليه السلام، وفيها أيضاً أخبار بجملة ما سيصيب المسلمين في القرون المقبلة.

(١٣٤) ومن كلام له عليه السلام: «وقد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة وستر للعورة».

قال ابن ميثم البحراني: حين خرج قيصر الروم في جماهير أهلها إلى المسلمين وأنزوى خالد بن الوليد ولازم بيته - أي بعد عزله - وصعب الأمر على أبي عبيدة

(١) تذكرة الخواص: ص ٩٠١ طبع حجري.

(٢) تذكرة الخواص: ص ٧٠ طبع حجري.

(٣) تمام نهج البلاغة: ص ٣٢١.

الجراح وشرحبيل بن حسنة وغيرهما من أمراء سرايا الإسلام^(١)، لذا وجدناه يشاور عمر في الخروج إلى غزو الروم.

(١٣٥) ومن كلام له ﷺ: «يا بن اللعين الأبتري».

أورد ابن أبي الحديد: واعلم أن هذا الكلام لم يكن بحضرة عثمان؛ ولكن عوانة روى عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، أن عثمان لما كثرت شكايته من علي ﷺ، أقبل لا يدخل إليه من أصحاب رسول الله ﷺ أحد إلا شكى إليه علياً، فقال له زيد بن ثابت الأنصاري، وكان من شيعته وخاصته: أفلا أمشي إليه فأخبره بموجدتك فيما يأتي إليك!، قال: بلى، فأتاه زيد ومعه المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي، وعداده في بني زهرة، وأمه عمة عثمان بن عفان - في جماعة - فدخلوا عليه، فحمد زيد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن الله قدّم لك سلفاً صالحاً في الإسلام، وجعلك من الرسول بالمكان الذي أنت به، فأنت للخير أهل، وأمير المؤمنين عثمان ابن عمك، ووالي هذه الأمة، فله عليك حقان: حق الولاية وحق القرابة؛ وقد شكّا إلينا أن علياً يعرض لي ويرد أمري علي، وقد مشينا إليك نصيحة لك، وكراهية أن يقع بينك وبين ابن عمك أمر نكرهه لكما.

قال: فحمد علي ﷺ الله وأثنى عليه وصلى على رسوله، ثم قال: أما بعد؛ فوالله ما أحبّ الاعتراض، ولا الردّ عليه، إلا أن يأبى حقاً لله لا يسعني أن أقول فيه إلا بالحق، ووالله لأكفنّ عنه ما وسعني الكفّ.

فقال المغيرة بن الأخنس، وكان رجلاً وقاحاً، وكان من شيعة عثمان وخلصائه: إنك والله لتكفنّ عنه أو لتكفنّ، فإنه أقدر عليك منك عليه! وإنما أرسل هؤلاء القوم من المسلمين إغزازاً لتكون له الحجة عندهم عليك، فقال له علي ﷺ: يا بن اللعين الأبتري... إلى آخر الخطبة^(٢).

(١) ابن ميثم البحراني: ١٦٢/٢.

(٢) ابن أبي الحديد: ٣٠٢/٧-٣٠٣.

(١٣٦) ومن كلام له ﷺ: «لم يكن بيعتكم إياي فلتة».

هذا الكلام قاله سلام الله عليه لما تخلف عن بيعته عبد الله بن عمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وحسان بن ثابت، وأسامة بن زيد - على ما رواه الشعبي - قال: لما اعتزل سعد ومن سميوا أمير المؤمنين، وتوقفوا عن بيعته حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس؛ إنكم بايعتموني على ما بُويع عليه من كان قبلي، وإنما الخيار للناس قبل أن يُبايعوا، فإذا بايعوا فلا خيار لهم، وإنّ على الإمام الاستقامة، وعلى الرعية التسليم، وهذه بيعة عامة، من رغب عنها رغب عن دين الإسلام، واتبع غير سبيل أهله، ولم تكن بيعتكم إياي فلتة..^(١)

(١٣٧) ومن كلام له ﷺ: «والله ما أنكروا عليّ منكرًا».

أورد ابن عبد البر سبب هذا الكلام: ومن حديث صالح بن كيسان وعبد الله بن نوفل بن مساحق والشعبي وابن أبي ليلى بمعنى واحد: أنّ علياً ﷺ قال في خطبته حين نهوضه إلى الجمل: إن الله عز وجل فرض الجهاد، وما صلحت دنيا ولا دين إلا به، وإنني مُنيت بأربعة أدهى الناس وأسخاهم طلحة، وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة، وأسرع الناس إلى فتنة يعلى بن منبه، والله ما أنكروا عليّ شيئاً منكراً.. الخ^(٢)

(١٣٨) ومن خطبة له ﷺ: «يعطف الهوى على الهدى».

وهي جزء من خطبة طويلة يذكر فيها أخباراً بما سيحدث في العصور المقبلة خطبها بعد النهروان وفيها قال: سلوني قبل أن تفقدوني لا يقولها بعدي إلا مدّع.. وفي الخطبة المتقدمة إشارة إلى ظهور المهدي المنتظر، وإشارة إلى ظهور عبد الملك بن مروان لأنه نطق بالشام وفحصت راياته بكوفان في قتاله لمصعب بن الزبير وفرش الأرض بجماجم القتلى في هذه الحرب.

(١) المفيد: الإرشاد ص ١٤٢.

(٢) الاستيعاب: ٢/٢١١ ترجمة بن عبيد الله.

- (١٣٩) ومن كلام له ﷺ: «لم يُسرَّع أحدٌ قبلي إلى دعوة الحق».
- ذكر ابن أبي الحديد: هذا في جملة كلام قاله ﷺ لأهل الشورى بعد وفاة عمر^(١).
- (١٤٠) ومن كلام له ﷺ: «وإنما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم».
- يتضمن هذا الكلام على فقرتين الأولى: في النهي عن إظهار عيب الآخرين،
والفقرة الثانية جزء من خطبة معروفة بخطبة الديباج وفيها وصايا شتى.
- (١٤١) ومن كلام له ﷺ: «أيها الناس من عرف في أخيه وثيقة دين وسداد طريق».
- روى الصدوق بسنده عن ميسر بن عبد العزيز قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول:
سُئل أمير المؤمنين ﷺ: كم بين الحق والباطل؟ فقال: أربع أصابع، ووضع أمير
المؤمنين ﷺ يده على أذنه وعينه وقال: ما رأت عينك فهو الحق وما سمعته أذنك فأكثره
باطل^(٢).
- (١٤٢) ومن كلام له ﷺ: «وليس لواضع المعروف في غير حقه».
- هذا الكلام تابع لكلامه ﷺ لما عوتب على التسوية في العطاء، وقد مرَّ
برقم (١٢٦).
- (١٤٣) ومن خطبه له ﷺ: «ألا وإن الأرض التي تقلكم والسماء التي تظلكم».
- مرَّ ذكر هذه الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين ﷺ في الاستسقاء برقم (١١٥).
- أولها: الحمد لله سابغ النعم ومفرج الهم وباريء النسم.
- (١٤٤) ومن خطبه له ﷺ: «له رُسُلُه بما خصهم به من وحيه».
- جزء من الخطبة الأولى التي ذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم،
وإرسال الرُّسل حتى مبعث نبينا ﷺ.
- (١٤٥) ومن خطبة له ﷺ: «أبها الناس إنما أنتم في هذه الدنيا غرضٌ تتصلُّ».
- وقد مرَّ الحديث حول هذه الخطبة برقم (١١٣) وهي من خطب يوم الجمعة أولها:
«الحمد لله أهل الحمد».

(١) ابن أبي الحديد: ٤٩/٩.

(٢) الصدوق: الخصال ١١٠/١ باب الأربعة.

(١٤٦) ومن كلام له عليه السلام: «إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقله». ذكر الطبري سبب هذا الكلام في حوادث سنة ٢٧ للهجرة: أن عمر لما أراد أن يغزو العجم وجيوش كسرى وهي مجتمعة بنهاوند، استشار الصحابة، وقال: أوجزوا في القول: ولا تطيلوا فتفشل بكم الأمور، وأعلموا أن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا، فقال طلحة بن عبيد الله وكان من خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فتشهد ثم ذكر اقتراحه وجلس، فعاد عمر فقال: إن هذا يوم له ما بعده فتكلموا، فقام عثمان فتشهد وذكر مقترحه ثم جلس، فعاد عمر فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، فتكلموا فقام علي بن أبي طالب فقال: «أما بعد يا أمير المؤمنين فإنك إن أشخضت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإن أشخضت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن أشخضت من هذه الأرض انتفضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم، وأكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق، فلتقم فرقة لهم في حرمهم وذراريهم ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتفضوا عليهم ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا هذا أصل العرب...» إلى آخره (١).

(١٤٧) ومن خطبة له عليه السلام: «فبعث الله محمداً».

جزء من خطبة أولها: الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين... يخبر فيها بما يحدث في آخر الزمان خطبها بذي قار.

(١٤٨) ومن خطبة له عليه السلام: «كُلُّ واحدٍ منهما يرجو الأمر له ويعطفه عليه». ويقصد بهما طلحة والزبير وقد خطب بهذه الخطبة حين بلغه خلع طلحة والزبير بيعتهما وأنهما قدما البصرة مع عائشة.

(١٤٩) ومن كلام له عليه السلام: «أيها الناس كُلُّ أمرىءٍ لاق ما يقرُّ منه في فراره». يقول ابن أبي الحديد: وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يدل على أنه بعد ضرب ابن ملجم له

لا يقطع على أنه يموت من ضربته ، ألا تراه يقول : إن تثبت الوطأة في هذه المزلّة فذاك ، وإن تدحض القدم فإنّا كنّا في أفياء أغصان ، ومهبّ رياح ، أي إن سلمت فذاك الذي تطلبونه ، يخاطب أهله وأولاده^(١) .

(١٥٠) ومن خطبة له ﷺ : «وأخذوا يميناً وشمالاً ظعنأ (طعنأ) في مسالك الغي» .
جزء من خطبة طويلة ذكرها قبل أيام من استشهاده ﷺ ، يذكر فيها قومأ من فرق الضلال أخذوا يميناً وشمالاً ، أي ظلّوا عن الطريق الوسطى^(٢) .
(١٥١) ومن خطبة له ﷺ : «وأحمدُ الله وأستعينهُ على مداحر الشيطان» .
جزء من خطبة خطبها بعد النهروان يبين فيها فضله وعلمه وتتضمن أخباراً بما سيحدث في العصور المقبلة .

(١٥٢) ومن خطبة له ﷺ : «الحمد لله الدال على وجوده بخلقه» .
القسم الأول من الخطبة جزء من خطبة ألقاها بعد انصرافه من صفين .
أما القسم الثاني الذي يبدأ «قد طلع طالع ، ولمع لامع» فقد خطب بها بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه^(٣) .
(١٥٣) ومن خطبة له ﷺ : «وهو في مهلة من الله» .

ذكر ابن أبي الحديد : إن هذه الخطبة خطب بها وهو سائر إلى البصرة^(٤) .
(١٥٤) ومن خطبة له ﷺ : «وناظر قلب اللبيب به يُبصر أمدّه» .
ذكر ابن أبي الحديد : هذا كلامٌ متصل بكلام لم يحكه الرضي رحمه الله ، وهو ذكر قوم من أهل الضلال قد كان اخذ في ذمهم ، ونعى عليهم عيوبهم^(٥) .
وهي جزء من خطبة طويلة ألقاها في أول جمعة بعد بيعته وفيها يحذر من المنافقين .

(١) ابن أبي الحديد : ١١٧ / ٩ .

(٢) المصدر نفسه : ١٢٦ / ٩ .

(٣) ابن أبي الحديد : ١٥٣ / ٩ .

(٤) المصدر نفسه : ١٦٢ / ٩ .

(٥) المصدر نفسه : ١٦٥ / ٩ .

(١٥٥) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله الذي انحسرت».

وهي جزء من خطبة يذكر فيها عظمة الله تعالى، ويذكر فيها بديع الخفاش والذرة والجرادة.

(١٥٦) ومن كلام له ﷺ: «فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه على الإيمان».

جزء من خطبة خطبها أمير المؤمنين ﷺ في البصرة بعد أن وضعت الحرب أوزارها يوم الجمل، وفيها جوابات من سألته عن أهل الجماعة وأهل الفرقة وأهل السنة وأهل البدعة ولماذا حُلَّ له قتال أهل الجمل وقسمة ما في عسكرهم دون نساءهم وأموالهم وذرائعهم، وعن معنى الإيمان والكفر ودعائهما، وعن ميت الأحياء، وعن المعروف والمنكر، وأحاديث البدع وعن الفتنة^(١).

(١٥٧) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره».

جزء من خطبة في الحث على الاستعداد للموت.

(١٥٨) ومن خطبة له ﷺ: «أرسله على حين فترة من الرُّسل».

مرت الخطبة بقليل من التغيير في رقم (٨٩) وهي جزء من خطبة طويلة ذكرها في فضائل الرسول ﷺ وفيها أخبار بجملة ما سيصيب المسلمين في القرون المقبلة.

(١٥٩) ومن خطبة له ﷺ: «ولقد أحسنت جواركم».

جزء من خطبته الغراء وهي من الخطب العجيبة ألقاها لما شيع جنازة، فلما وضعت في لحدها عجب أهلها وبكوا^(٢).

(١٦٠) ومن خطبة له ﷺ: «أمره قضاءً وحكمةً ورضاه أمانٌ ورحمةٌ».

جزء من خطبة طويلة أولها: «الحمد لله رب العالمين، أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو...».

وهي في بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة وأمر البعث.

(١٦١) ومن خطبة له ﷺ: «ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي».

جزء من خطبة المتقين التي وصف فيها أمير المؤمنين المتقين لأحد أصحابه وهو همام

(١) مصادر نهج البلاغة: ٢٥٨/٢.

(٢) تمام نهج البلاغة: ص ١٧٤.

وهي تبدأ بـ «الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد».

(١٦٢) ومن كلام له ﷺ: «يا أخا بني أسد، إنك لقلق الوضين».

قال السيد الرضي: قاله لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به فقال: يا أخا بني أسد... إلى آخر الكلام.

ويذكر أن السائل هو ابن دودان والسؤال الذي سأله هو (وأنتم الأعلون نسباً والأشدون نوطاً برسول الله ﷺ وفهماً للكتاب كيف دفعكم قومكم...) إلى آخره^(١).

(١٦٣) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله خالق العباد وساطع المهاد».

جزء من خطبة طويلة يذكر فيها توحيد الله تعالى ويذكر فيها عجيب خلق

الطاووس.

(١٦٤) ومن كلام له ﷺ: «إن الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم».

ذكر الطبري الحادثة ونقلها ابن أبي الحديد في شرحه للنص: إن نقرأ من أصحاب رسول الله ﷺ تكاتبوا فكتب بعضهم إلى بعض: أن أقدموا فإن الجهاد بالمدينة لا بالروم واستطال الناس على عثمان، ونالوا منه وذلك سنة أربع وثلاثين، ولم يكن أحد من الصحابة يذب عنه ولا ينهي إلا نفر منهم زيد بن ثابت وأبو أسيد الساعدي وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، فأجتمع الناس فكلّموا علي بن أبي طالب ﷺ وسألوه أن يكلم عثمان فدخل عليه وقال له: إن الناس... إلى آخره.

وروى الكلام إلى آخره بألفاظه، فقال عثمان: وقد علمت أنك لتقولن ما قلت! أما والله لو كنت مكاني ما عنفتك، ولا عبت عليك، ولم آت منكراً، إنما وصلت رحماً، وسددت خلّة، وآويت ضائعاً، ووليت شبيهاً بمن كان عمر يوليه، أنشدك الله يا علي، ألا تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك! قال: بلى، قال: أفلا تعلم أن عمر ولّاه! قال: بلى، قال: فلم تلومني أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته! فقال علي بن أبي طالب ﷺ: إن عمر كان يظأ على صماخ من يوليه ثم يبلغ منه أن أنكر منه أمراً أقصى العقوبة، وأنت فلا تفعل، ضعفت ورققت على أقربائك.

قال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً ، فقال علي : لعمرى إن رحمهم مني لقريبة ، ولكن الفضل في غيرهم .

فقال عثمان : أفلا تعلم أن عمر ولي معاوية ، فقد وليته ، قال علي : أنشدك الله ألا تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من يرفاً غلامه له ؟ قال : بلى ، قال : فإن معاوية يقطع الأمور دونك ، ويقول للناس : هذا بأمر عثمان ، فأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه . . !

ثم قام علي فخرج عثمان على أثره ، فجلس على المنبر فخطب الناس وقال : أما بعد ، فإن لكل شيء آفة ، ولكل أمر عاهة ، وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ، ويسرون عنكم ما تكرهون ، يقولون لكم وتقولون ، أمثال النعام يتبع أول ناعق ، أحب مواردها إليها البعيد لا يشربون إلا نغصاً ولا يردن إلا عكراً ، أما والله لقد عبت علي ما أقررتم لابن الخطاب بمثله ، ولكنه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم ، ولنت لكم ، وأوطأتكم كتفي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم علي ، أما والله لأنا أقرب ناصراً واعز نفراً وأكثر عدداً ، وأحرى إن قلت : هلم علي يجاب صوتي ، ولقد أعددت لكم أقراناً وكشّرت لكم عن نابي ، وأخرجتم مني خلقاً لم اكن أحسنه ، ومنطقاً لم اكن أنطق به ، فكفوا عني ألسنتكم وطعنكم وعيكم على ولاتكم ، فما الذي تفقدون من حقكم ! والله ما قصرت عن بلوغ من كان قبلي (يبلغ) ، وما وجدتكم تختلفون عليه ، فما بالكم ! .

فقام مروان بن الحكم ، فقال : وإن شئتم حكمنا بيننا وبينكم السيف ، فقال عثمان : أسكت لا سكت ادعني وأصحابي ما منطقك في هذا ، ألم أتقدم إليك ألا تنطق .

فسكت مروان ونزل عثمان^(١) .

وذكر الشيخ المفيد الحادثة : روى المدائني عن علي بن صالح قال : ذكر ابن داب

(١) ابن أبي الحديد : ٢٦٤/٩ - ٢٦٥ .

- قال: لما عاب الناس على عثمان ما عابوا كلموا علياً فدخل عليه.. ذكر الكلام^(١).
- (١٦٥) ومن خطبة له ﷺ: «ابتدعهم خلقاً عجيباً من حيوان وموات».
- وهي تنمة لخطبة رقم (١٦٣) في توحيد الله تعالى، يذكر فيها عجيب خلق الطاووس.
- (١٦٦) من خطبة له ﷺ: «ليتأس صغيركم بكبيركم».
- القسم الأول من الخطبة جزء من وصيته ﷺ للحسن والحسين وباقي أولاده لما ضربه ابن ملجم لعنه الله.
- أما القسم الثاني من - افترقوا بعد ألفتهم وتشتوا عن أصلهم - فهو جزء من الخطبة المسماة (بالطالوتية) وفيها إخبار بسلطان بني أمية وزواله.
- (١٦٧) ومن خطبة له ﷺ: «إن الله سبحانه أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر».
- خطبها في أول جمعة بعد بيعته بالمدينة ذكره الطبري في حوادث سنة ٣٥^(٢).
- (١٦٨) ومن كلام له: «يا إخوتاه! إنني لست أجهل ما تعلمون».
- قالها بعد ما بويع بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان؟ ذكره الطبري في حوادث سنة ٣٥^(٣).
- ويذكر ابن أبي الحديد: إنه قاله أول مسير طلحة والزبير إلى البصرة^(٤).
- (١٦٩) ومن خطبة له ﷺ: «إن الله بعث رسولاً هادياً بكتاب ناطق».
- وهو جزء من خطبة خطبها أمير المؤمنين ﷺ عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة، أولها: الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد.
- (١٧٠) ومن كلام له ﷺ: «أرأيت لو أن الذين وراءك».
- روى المفيد بسنده عن عامر بن كليب عن أبيه قال: لما قتل عثمان ما لبثنا إلا قليلاً حتى قدم طلحة والزبير البصرة، ثم ما لبثنا بعد ذلك إلا يسيراً حتى أقبل علي بن أبي

(١) المفيد: الجمل ص ١٠٠.

(٢) الطبري: ١٥٧/٥.

(٣) الطبري: ١٥٨/٥.

(٤) ابن أبي الحديد: ٢٩٤/٩.

طالب بذي قار، فقال شيخان من الحي: اذهب معنا إلى هذا الرجل فلننظر ما يدعو إليه، فلما أتينا ذا قار قدمنا على أذكى العرب، فوالله لدخل على نسب قومي فجعلت أقول هو أعلم به مني، وأطوع فيهم، فقال: فلان سيد بني راسب؟ فقلت: فلان، فقال: فمن سيد بني قدامة؟ قلت: فلان لرجل آخر، فقال: أنت مبلغهما كتابين مني؟ قلت: نعم، قال: أفلا تبايعني فبايعه الشيخان اللذان كانا معي وتوقفت عن بيعته، فجعل رجال عنده قد أكل السجود وجوههم، يقولون بايع بايع.

فقال: دعوا الرجل، فقلت: إنما بعثني قومي رائداً وسأنهاي إليهم ما رأيت، فإن بايعوا بايعت، وإن اعتزلوا اعتزلت، فقال: رأيت لو أن قومك بعثوك رائداً.. إلى آخره^(١).

(١٧١) ومن كلام له ﷺ: «اللهم رب السقف المرفوع والجو المكفوف».

روى الطبري عن أبي مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب الجهني أن علياً خرج إليهم (أهل صفين) غداة الأربعاء فاستقبلهم فقال: اللهم رب السقف المرفوع المحفوظ المكفوف.. قال: وأزدلف الناس يوم الأربعاء فاقتتلوا كأشد القتال يومهم حتى الليل^(٢).

مركز تحقيق كتب التراث

(١٧٢) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله الذي لا توارى».

القسم الأول من الخطبة جزء من خطبة طويلة خطبها أمير المؤمنين ﷺ بعد أن غلب بسر بن أرطاة على اليمن.

والقسم الثاني وهي عبارة (وقد قال قائل... حتى الأخير) جزء من كتاب أمر الإمام أن يقرأ على الناس كل يوم جمعة لما سئل عن أبي بكر وعمر وعثمان فغضب وقال: قد تفرغتم للسؤال عما لا يعنيكم وهذه مصر قد انفتحت وقتل معاوية ابن حديج محمد بن أبي بكر، فيا لها من مصيبة، ما أعظم مصيبتني بمحمد.

وذكر ابن أبي الحديد: أن فقرة (وقد قال قائل... تتركه) من خطبة يذكر فيها ﷺ ما جرى يوم الشورى بعد مقتل عمر، والذي قال له: «إنك على هذا الأمر لحريص» هو

(١) المفيد: الجمل ص ١٥٦.

(٢) الطبري: ١٠/٤ حوادث سنة ٣٧.

سعد بن أبي وقاص^(١).

(١٧٣) ومن خطبة له ﷺ: «أمين وحيه، وخاتم رسله، وبشير رحمته».

القسم الأول جزء من خطبة الديباج التي أولها: «الحمد لله فاطر الخلق وفالق الإصباح...».

أما القسم الثاني «أيها الناس» جزء من خطبة له عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة، أولها: الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد.

أما القسم الثالث: «ألا وإن هذه الدنيا» فهي جزء من خطبة خطبها لما أنكروا عليه مساواته في القسم.

(١٧٤) ومن كلام له ﷺ: «قد كنت وما أهدد بالحرب».

روى الطوسي بسنده المتصل بإسماعيل بن الرجا الزبيدي، قال: لما رجعت رسل أمير المؤمنين ﷺ من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنون بالحرب قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله ثم قال: يا أيها الناس إني قد راقبت هؤلاء القوم كيما يرجعوا أو يرجعوا وقد ويختهم بنكثهم، وعرفتكم بغيهم، فليسوا يستجيبون ألا وقد بعثوا إليّ أن أبرز إلى الطعان وأصبر للجلاد فإنما متّك نفسك من أبناء الأباطيل، هبلتهم الهبول قد كنت وما أهدد بالحرب^(٢).

(١٧٥) ومن خطبة له ﷺ: «أيها الناس غير المغفول عنهم».

قال ابن أبي الحديد: وفي هذه الخطبة قال وهو يشير إلى السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة: كأني بالحجر الأسود منصوباً ها هنا، ويحهم إن فضيلته ليست في نفسه، بل موضعه وأسّ، يمكث ها هنا برهة ثم ها هنا برهة - وأشار إلى البحرين - ثم يعود إلى مأواه، وأم مثواه، ووقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به ﷺ^(٣).

(١٧٦) ومن خطبة له ﷺ: «انتفعوا ببيان الله، واتعظوا بمواعظ الله».

يقول ابن أبي الحديد: وهذه الخطبة من أوائل الخطب التي خطب بها أيام بويج بعد

(١) ابن أبي الحديد: ٣٠٥/٩، وروى الطبري إلا ما في المسترشد أن الكلام يوم الشورى والقتال

هو عبد الرحمن بن عوف.

(٢) الطوسي: الأمالي ١/١٧٢.

(٣) ابن أبي الحديد: ١٤/١٠.

قتل عثمان وفي هذا إشارة إلى أن رسول الله ﷺ قد أخبره أن الأمر سيفضى إليه منتهى عمره، وعند انقضاء أجله، ثم أخبرهم أنه سيتكلم بوعد الله تعالى ومحجته على عباده^(١) هذا هو وضع القسم الأول في الخطبة.

أما القسم الثاني الذي يبدأ: «ألا وإن الظلم.. راحة» هي جزء من خطبة فيمن يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك أهل، وفيها يصف زمان الجور. (١٧٧) ومن كلام له ﷺ: «فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجُلين».

روى الطبري عن أبي مخنف قال: حدثني أبو سلمة الزهري، وكانت أمه بنت انس بن مالك، أن علياً قال لأهل النهر: يا هؤلاء إن أنفسكم قد سولت لكم فراق هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره، وأنباتكم أن سألكموها مكيدة ودهناً فأبيتم علياً إباء المخالفين، وعدلتم عني عدول النكراء العاصين، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم، وأنتم والله معاشر اخفاء الهام سفهاء الأحلام، فلم آت إلا أبا لكم حراماً، والله ما خبلتكم عن أموركم، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم ولا أوطأتكم عشوة، ولا دنيت لكم الظراء وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً فأجمع رأي ملئكم^(٢).

(١٧٨) ومن خطبة له ﷺ: «لا يشغله شأن ولا يغيره زمان».

وهذه خطبة خطبها ﷺ بعد قتل عثمان في أول خلافته^(٣).

(١٧٩) ومن كلام له ﷺ: «لا تدركه العيون بمشاهدة العيان».

وهذا جواب لسؤال سألته ذعلب اليماني وهو من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ ذو لسان فصيح بليغ في الخطب، شجاع القلب، سأل أمير المؤمنين ﷺ: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟

فقال ﷺ: أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال: لا تراه العيون بمشاهدة العيان.

(١) المصدر نفسه: ٢٦/١٠.

(٢) الطبري: ٦٣/٤.

(٣) ابن أبي الحديد: ٦٢/١٠.

ويذكر أن الإمام لما قال: سلوني قبل أن تفقدوني، قام إليه ذعلب وكان رجلاً ذرب اللسان بليغاً في الخطب شجاع القلب، فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأخجلته اليوم في مسألتني إياه، فقال له: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين، وكان هذا السؤال منه من باب التعت وتقرير بقصد التعجيز عن الجواب لا الاستفهام الحقيقي كما دل عليه أول كلامه الذي حكيناه.

(١٨٠) ومن خطبة له ﷺ: «أحمد الله على ما قضى من أمر».

روى الثقيفي: عن جندب بن عبد الله قال: والله إني لعند علي جالس إذ جاءه عبد الله بن قعين جد كعب يستصرخ من قبل محمد بن أبي بكر وهو يومئذ أمير علي مصر، فقام علي ﷺ فنادى في الناس: الصلاة جامعة، فأجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: أما بعد فهذا صريخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر، وقد سار إليهم ابن النابغة عدو الله وعدوكم فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعاً على باطلهم وضلالتهم منكم على حقكم، فكانكم بهم قد بدؤوكم، وإخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر..

مركز تحقيق كتب التراث

فلما كان الغد خرج يمشي فنزلها فأقام بها حتى انتصف النهار، ذلك فلم يوافه منهم مائة رجل فرجع، فلما كان العشي بعث إلى الأشراف، فجمعهم فدخلوا عليه القصر وهو كئيب حزين فقال: «الحمد لله على ما قضى من أمر، وقدر من فعل»^(١).
(١٨١) ومن كلام له ﷺ: «بُعداً لهم كما بعدت ثمود».

روى محمد بن عبد الله بن قعين الأزدي، قال: كان الخريت بن راشد قد شهد مع علي ﷺ صفين فجاء إلى علي ﷺ في ثلاثين من أصحابه يمشي بينهم حتى قام بين يدي علي ﷺ فقال له: والله لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك، وإني غداً لمفارق لك. قال: وذاك بعد وقعة صفين وبعد تحكيم الحكامين، فقال له علي ﷺ: ثكلتك أمك، إذا تنقض عهدك، وتعصي ربك، ولا تضر إلا نفسك، اخبرني لم تفعل ذلك؟ قال: لأنك

حكمت في الكتاب وضعفت عن الحق إذ جد الجدد، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم، فأنا عليك رادٌّ، وعليهم ناقمٌ، ولكلٌ جميعاً مبينٌ، فقال ﷺ: ويحكم هلم أدارسك وأناظرك في السنن، وأفاتحك أموراً من الحق أنا أعلم بها منك فلعلك تعرف ما أنت الآن له منكر، وتبصر ما أنت عنه عم وبه جاهل، فقال الخريت: فإني غاد عليك غداً، فقال ﷺ: أغدو ولا يستهوينك الشيطان، ولا يقتحمن بك رأيي السوء، ولا يستخفنك الجهلاء الذين لا يعلمون، فوالله إن استرشدتني واستفحصتني، وقبلت مني لأهدينك سبيل الرشاد، فخرج الخريت من عنده منصرفاً إلى أهله، فأجتمع إليه من قومه، فقال لهم: إني رأيت أن أفارق هذا الرجل، وقد فارقتك على أن أرجع إليه من غد ولا أرى إلا المفارقة، فقال له أكثر أصحابه لا تفعل حتى تأتبه، فإن أذاك بأمر تعرفه قبلت منه، وإن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه، فقال لهم: نعم ما رأيتم، وكان هناك رجلٌ من الأزديين أصحاب أمير المؤمنين يقال له عبد الله بن قعين، قد سمع ما دار بينهم فدخل عليهم ونصحهم وحذرهم الخلاف فسمعه مدرك بن الريان الناجي، وكان من كبرائهم فجزأه خيراً، فاطمأن إلى قوله ولم يخبر أمير المؤمنين إلا في اليوم الثاني، فأمره بالرجوع إليهم ليعلم ما فعلوا فذهب إلى منازلهم ودار عليهم فإذا ليس فيها داع ولا مجيب فعاد إلى أمير المؤمنين فلما رآه قال: أأمنوا فقطنوا؟ أم جنبوا فقطنوا... إلى قوله ﷺ ومخل عنهم^(١).

(١٨٢) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر».

يقول السيد الرضي: روي عن نوف البكالي، قال: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين علي ﷺ بالكوفة، وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليفٌ، وفي رجليه نعلان من ليف، وكان جبينه ثفنة بعير، فقال ﷺ: الحمد لله... إلى آخره.

ونوف البكالي كان حاجباً لأمر المؤمنين، ويكيل اسم حي من همدان، ويذكر ابن أبي الحديد: ويقال إن هذه الخطبة آخر خطبة خطبها أمير المؤمنين ﷺ قائماً^(٢).

(١) الثقفى: الفارات ص ٢١٩-٢٢٠.

(٢) ابن أبي الحديد: ١١٢/١٠.

- (١٨٣) ومن خطبة له: «الحمد لله المعروف من غير رؤية».
- أكثر أجزاء الخطبة هي جزء من خطبة مطولة أولها: أما بعد: «ذمتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم...».
- وهي فيمن يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك أهل وفيها يصف زمان الجور.
- (١٨٤) ومن كلام له: «أسكت قبحك الله يا أئرم».
- وهو خطاب موجه إلى أحد رؤوس الخوارج وهو البرج بن مسهر الطائي، وهو شاعر مشهور من شعراء الخوارج وقد تكلم أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الكلام عندما سمع البرج الطائي وهو يقول: لا حكم إلا لله، بحيث يسمعه أمير المؤمنين عليه السلام.
- (١٨٥) ومن خطبة له: «الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد».
- وهي بداية الخطبة التي يصف فيها المتقين فقد روي أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام، كان رجلاً عابداً فقال له: يا أمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم فتناقل عن الجواب ثم قال: يا همام اتق الله وأحسن، فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه فقال: الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد.
- (١٨٦) ومن خطبة له: «ما وحده من كنهه».
- وهي جزء من خطبة طويلة أولها: الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور وهي في التوحيد وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمععه خطبة.
- (١٨٧) ومن خطبة له: «ألا بأبي وأمي هم من عدة أسماؤهم في السماء معروفة».
- روى نصر بن مزاحم عن أبي الحسن المدائني: خطب علي عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان، فذكر طرفاً من الملاحم، قال: إذا كثرت فيكم الأخلاط واستولت الأنباط، ودنا خراب العراق^(١).
- (١٨٨) ومن خطبة له: «أوصيكم أيها الناس بتقوى الله وكثرة حمده».
- من خطبة مطولة أولها: الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره وسبباً للمزيد من فضله، في الحث على الاستعداد للموت.

(١) لا وجود له في كتاب صفين طبعة القاهرة: تحقيق عبد السلام محمد هارون، خلافاً لما ذكره ابن أبي الحديد.

(١٨٩) ومن كلام له ﷺ: «فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب». وهو جواب لمن سأل عن الإيمان والنفاق، أول الكلام، الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

(١٩٠) ومن خطبة له ﷺ: «أحمدته شكراً لإنعامه».

قال ابن أبي الحديد: وأعلم أن هذه الخطبة من أعيان خطبه ﷺ.

(١٩١) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله الفاشي في الخلق حمده».

بداية خطبة طويلة فيها تعليم لأصحابه آداب الحرب وتحديد قواعد القتال.

(١٩٢) ومن خطبة له ﷺ: «الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء».

وهي خطبة القاصعة وهي أطول خطب أمير المؤمنين ﷺ كما ذكر ذلك الشارحون لها، وهي تتضمن ذم إبليس لعنه الله على استكباره وتركه السجود لآدم ﷺ وإنه أول من أظهر العصية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقته وقد خطبها أمير المؤمنين وهو راكب على ناقة تقصع بجرتها (أي غلاً فاهاً عما في جوفها ثم ترده إلى جوفها).
(١٩٣) ومن خطبة له ﷺ: «أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم».

ذكر الرضي: روي أن صاحباً لأمر المؤمنين ﷺ يقال له همام كان رجلاً عابداً فقال له: يا أمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم، فتأقّل ﷺ عن جوابه ثم قال: يا همام أتق الله وأحسن إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فلم يقنع همام بهذا القول^(١) حتى عزم عليه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال ﷺ: الخطبة.

وروي ابن طلحة الشافعي الخطبة عن نوف قال: عرضت حاجة إلى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ فاستبعت إليه جندب بن زهير والربيع بن خثيم وابن أخيه همام بن عباد بن خثيم، وكان من أصحاب البرانس المتعبدین، فأقبلنا إليه فآلقيناه حين خرج يوم المسجد، فأقضى ونحن معه إلى نفر متدننين قد أفاضوا في الاحداث تفكها،

(١) أي بهذا المقدار من الكلام.

وهم يلهمي بعضهم بعضاً، فأسرعوا إليه قياماً وسلموا عليه فردّ التحية ثم قال: من القوم؟ فقالوا: أناس من شيعتك يا أمير المؤمنين، فقال لهم خيراً ثم قال: يا هؤلاء مالي لا أرى فيكم سمة شيعتنا، وحلية أحببتنا؟ فأمسك القوم حياءً، فأقبل عليه جندب والربيع فقالا له ما سمة شيعتك يا أمير المؤمنين؟ فسكت فقال همام وكان عابداً مجتهداً أسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم لما أنبأنا بصفة شيعتك فقال: لا تقسم فسانبئكم جميعاً ثم ذكر الموعظة بتفاوت يسير مع رواية الرضي^(١).

(١٩٤) ومن خطبة له عليه السلام: «نحمده على وفق له من الطاعة».

وهي الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين في أول جمعة بعد بيعته وفيها يحذر المنافقين.

(١٩٥) ومن خطبة له عليه السلام: «الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه».

وهي خطبة طويلة يبين فيها مكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله وفضائل أهل بيت النبوة، كما وتضمنت هذه الخطبة خطبة رقم (١٩٧).

(١٩٦) ومن خطبة له عليه السلام: «بعثه حين لا حكم قائم ولا منار ساطع».

جزء من خطبة له أولها: الحمد لله الخافض الرافع، الضار النافع، وهي في التزهيد في الدنيا.

(١٩٧) ومن كلام له عليه السلام: «ولقد علم المستحفظون».

تتمة لخطبة (١٩٥) التي تبدأ بـ «الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه».

(١٩٨) ومن خطبة له عليه السلام: «يعلم عجيج الوحوش في الفلوات».

جزء من خطبة طويلة أولها: «الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه» خطبها لما بلغه أن أصحاب معاوية قد أغاروا على الأنبار والخطبة متضمنة أيضاً لخطبة رقم (١٠٨).

(١٩٩) ومن كلام له عليه السلام: «تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها».

جزء من خطبة طويلة أولها: الحمد لله الفاشي حمده والغالب جنده والمتعالي جدّه، في تعليم أصحابه آداب الحرب وتحديد قواعد القتال.

(١) راجع مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ص ٩٥ طبع حجري.

(٢٠٠) ومن كلام له ﷺ: «والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر». روى الكليني بسنده عن الأصمغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة^(١).

(٢٠١) ومن كلام له ﷺ: «أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الحق». روى النعماني بسنده عن ابن عقدة بسنده عن ابن نباته، قال: سمعت أمير المؤمنين ﷺ على منبر الكوفة يقول: أيها الناس، أنا أنف الهدى وعينه، أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقله من يسلكه^(٢).
(٢٠٢) ومن كلام له ﷺ: «السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك».

روى الطوسي بسنده عن علي بن محمد الهرمزداري عن علي بن الحسين ﷺ عن أبيه الحسين ﷺ قال: لما مرضت فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ وصت إلى علي ابن أبي طالب أن يكتفم أمرها ويخفي قبرها ولا يؤذن أحداً بمرضاها ففعل ذلك وكان يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رحمها الله على استمرار بذلك كما وصت به، فلما حضرتها الوفاة وصت أمير المؤمنين ﷺ أن يتولى أمرها ويدفنها ليلاً، ويعفي قبرها فتولى ذلك أمير المؤمنين ﷺ ودفنها وعفى موضع قبرها فلما نفص يده من تراب القبر هاج به الحزن، وأرسل دموعه على خديه، وحول وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك... إلى آخر الخطبة^(٣).

(٢٠٣) ومن كلام له ﷺ: «أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز». جزء من الخطبة المسماة بالطالوتية يذكر فيها رسول الله وأهل بيته ﷺ، وفيها إخبار بسلطان بني أمية وزواله، وقيام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف؟
(٢٠٤) ومن كلام له ﷺ: «تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل».

(١) الكليني: أصول الكافي: ٣٣٦/٢.

(٢) النعماني: الفيبة ص ٩.

(٣) الطوسي: الأمالي: ١٠٨/١.

كان كثيراً ما ينادي أصحابه بعد صلاة العشاء^(١).

(٢٠٥) ومن كلام له ﷺ: «لقد نعمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً».

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتها والاستعانة في الأمور بهما^(٢).

(٢٠٦) ومن كلام له ﷺ: «إني أكره لكم أن تكونوا سبابين».

سمع أمير المؤمنين ﷺ جبر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي يشتمان أهل الشام فدعاهما ونهاهما عن ذلك فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا محقين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا مبطلين؟ قال: بلى، قال: فلم منعنا من شتمهم؟ قال: إني أكره أن تكونوا سبابين^(٣).

(٢٠٧) ومن كلام له ﷺ: «أملكوا عني هذا الغلام لا يهدني»

في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن ابنه ﷺ يتسرع إلى الحرب، وقد ذكر الطبري ذلك بشكل آخر هو: إن هذين إن هلكا انقطع نسل محمد ﷺ من هذه الأمة، في غير الموطن الذي ذكره الرضي فيظهر من ذلك أنه ﷺ قاله غير مرة^(٤).

(٢٠٨) ومن كلام له ﷺ: «أيها الناس إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب».

قاله أمير المؤمنين لأصحابه لما رفع عمرو بن العاص المصاحف على وجه المكيدة حين أحس بالعطب وعلو كلمة أهل الحق، ألزموا أمير المؤمنين ﷺ بوضع أوزار الحرب وكف الأيدي عن القتال، وكانوا في ذلك على أقسام.

فمنهم من دخلت عليه الشبهة برفع المصاحف وغلب على ظنه أن أهل الشام لم يفعلوا ذلك خدعة وحيلة بل حقاً ودعاء إلى الدين وموجب الكتاب، فرأى أن الاستسلام للحجة أولى من الإصرار على الحرب.

ومنهم من كان يبغيض علياً ﷺ بباطنه ويطيعه بظاهره كما يطيع كثير من الناس

(١) تمام نهج البلاغة: ص ٤٣٦.

(٢) ما ذكره السيد الرضي.

(٣) نصر بن مزاحم: صفين ص ١٥٥.

(٤) الطبري: ٤٤/٤ حوادث سنة ٢٧.

السلطان في الظاهر ويبغضه بقلبه فلما وجدوا طريقاً إلى خذلانه وترك نصرته، أسرعوا نحوها، فأجتمع جمهور عسكره عليه وطالبوه بالكف وترك القتال فامتنع امتناع عالم بالأكيدة وقال لهم بأنها حيلة وخديعة، وإنني أعرف بالقوم منكم. . حتى رجع الأشر من القتال فوجد أمير المؤمنين (ع) تحت الخطر قد رده أصحابه بين أمرين: إما أن يسلموه إلى معاوية أو يقتلوه ولا ناصر له منهم إلا ولداه وابن عمه ونفر قليل لا يبلغون عشرة فلما رآهم الأشر سبهم وشتهم وقال: ويحكم أبعث الظفر والنصر صُبَّ عليكم الخذلان والفرقة يا ضعاف الأحلام، يا أشباه النساء، يا سفهاء العقول، فشتموه وسبوه وقهروه وقالوا: المصاحف المصاحف والرجوع إليها لا نرى غير ذلك، فأجاب أمير المؤمنين (ع) إلى التحكيم دفعاً للمحذور الأعظم بارتكاب المحذور الأضعف فلذلك قال: «كنت أميراً فأصبحت مأموراً، وكنت ناهياً فصرت منهيّاً» وقد سبق من شرح حال التحكيم وما جرى فيه ما يغني عن إعادته^(١).

(٢٠٩) ومن كلام له (ع): «ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا».

وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعود له فلما رأى سفه داره

قال الكلام.

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

ذكر ابن أبي الحديد سبب زيارة أمير المؤمنين (ع) العلاء (الربيع) بن زياد الحارثي، قائلاً: إن الربيع بن زياد الحارثي، أصابته نشابة في جبينه، فكانت تنتفض عليه في كل عام، فأتاه علي (ع) عائداً فقال: كيف تجدك أبا عبد الرحمن؟ قال: أجدني يا أمير المؤمنين لو كان لا يذهب ما بي إلا بذهاب بصري لتمنيت ذهابه، قال: وما قيمة بصرك عندك؟ قال: لو كانت لي الدنيا لفديته بها، قال: لا جرم ليعطينك الله على قدر ذلك، إن الله تعالى يعطي على قدر الألم والمصيبة، وعنده تضعيف كثير، قال الربيع: يا أمير المؤمنين ألا أشكو إليك عاصم بن زياد أخي؟ قال: ماله، قال: لبس العباءة وترك الملاء، وغمَّ أهله وحزن ولده.

فقال علي: ادعوا لي عاصماً، فلما أتاه عبس قي وجهه، وقال: ويحك يا عاصم، أترى الله أباح لك اللذات، وهو يكره ما أخذت منها، لأنك أهون على الله

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٣٠-٣١.

من ذلك، أو ما سمعته يقول ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ثم يقول ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ وقال ﴿وَمِنْ كُلِّ ثَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ أما والله إن ابتذال نعم الله بالفعال أحب إلى الله من ابتذالها بالمقال.

قال عاصم: فلم اقتصر يا أمير المؤمنين على لبس الخشن، وأكل الجشب؟ قال: إن الله تعالى افترض على أئمة العدل أن يقدرُوا لأنفسهم بالقوام كيلاً يتيغ بالفقير فقره، فما قال علي عليه السلام حتى نزع عاصم العباء، ولبس ملا^(١).

(٢١٠) ومن كلام له عليه السلام: «إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً».

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وما في أيدي الناس من اختلاف الخير^(٢).

(٢١١) ومن خطبة له عليه السلام: «وكان من اقتدار جبروته، وبديع لطائف صنعته».

وهي خطبة طويلة في توحيد الله وعجائب ما خلق أولها: الحمد لله خالق العباد وساطح المهاد، ومسيل الوهاد.

يقول عنها ابن أبي الحديد: واعلم أنه قد تكرر في كلام أمير المؤمنين ما يماثل هذا القول ويناسبه^(٣).

(٢١٢) ومن خطبة له عليه السلام: «اللهم أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة».

وهو دعاء دعا به في نهاية خطبها لما بلغه أن أصحاب معاوية قد أغاروا على الأنبار.

(٢١٣) ومن خطبة له عليه السلام: «الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين».

بداية خطبة طويلة خطب بها بذى قار يخبر فيها بما يحدث في آخر الزمان.

(٢١٤) ومن خطبة له عليه السلام: «وأشهد أنه عدلٌ عدلٌ، وحكمٌ فصلٌ».

وهي تنمة للخطبة (٢١٣).

(٢١٥) ومن خطبة له عليه السلام: «الحمد لله الذي لم يُصبح بي ميتاً ولا سقيماً».

وهو من دعاء له عليه السلام: كان يدعو به كثيراً ويلتجئ فيه إلى الله أن يغنيه.

(٢١٦) ومن خطبة له عليه السلام: «أما بعد، فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقاً بولايتكم».

(١) المصدر نفسه: ٣٦/٣٥/١١.

(٢) ما ذكره السيد الرضي.

(٣) ابن أبي الحديد: ١٢/١١.

روى الطبري عن أبي مخنف عمن ذكره عن زيد بن وهب أن علياً قال للناس وهو أول كلام قاله لهم بعد النهر: أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده حيارى في الحق جفاة عن الكتاب نكب عن الدين يعمهون في الطغيان ويعكسون في غمرة الضلال فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلاً وكفى بالله نصيراً، قال: فلا هم نفروا ولا تيسروا فتركهم أياماً حتى إذا آيس من أن يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي ينظرونهم فمنهم المعتل ومنهم المكره وأقلهم من نشط فقام فيهم خطيباً فقال: عباد الله ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا أثاقلتم إلى الأرض أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة، وبالأذل والهوان من العز. إلى آخر الخطبة^(١).

(٢١٧) ومن كلام له ﷺ: «اللهم إني استعديك على قريش ومن أعانهم».

طلب جماعة من أصحابه أن يبين رأيه فيمن تقدم عليه (أبو بكر وعمر وعثمان) وذلك بعد فتح عمرو بن العاص لمصر وقتل محمد بن أبي بكر، فقال لهم ﷺ: هل فرغتم لهذا؟ وهذه مصر قد أفتحت وشيعتي قد قتلت، ثم قال: وإني مخرج إليكم كتاباً أوله: إن الله بعث محمداً، والخطبة (٢١٦) جزء من هذا الكتاب.

(٢١٨) ومن كلام له ﷺ: «فقدموا على عمالي وخزان بيت المسلمين الذي في يدي».

وهو جزء من كتاب كتبه لما سأل بعض أصحابه عن أبي بكر وعمر وعثمان وهو يصف فيه مواقفه وحالته في الأحداث التي جرت في حياته، وقد طلب أن يقرأ هذا الكتاب على الناس كل يوم جمعة.

(٢١٩) ومن كلام له ﷺ: «لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريباً، أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب».

روى ابن عبد ربه الأندلسي: في حديث سفيان الثوري قال: لما انقضى يوم الجمل خرج علي بن أبي طالب في ليلة ذات اليوم ومعه مولاة وبيده شمعة يتصفح وجوه القتلى حتى وقف على طلحة بن عبيد الله في بطن واحد متعفراً، فجعل يمسح الغبار

عن وجهه ويقول: أعزز عليّ يا أبا محمد أن أراك متعفراً تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية، إنا لله وإنا إليه راجعون^(١).

(٢٢٠) ومن كلام له ﷺ: «قد أحيا عقله وأمات نفسه».

وهو جزء من خطبة يصف فيها المتقين والمؤمنين.

(٢٢١) ومن كلام له ﷺ: «يا له مراماً ما أبعدُهُ وزوراً ما أغفلُهُ، وخطراً ما أفضطُهُ».

وهو كلام استوحاه الإمام ﷺ من الآية الكريمة ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ حتى زُرْكُمْ

المقَابِر وهو يدخل ضمن خطبه العامة التي كان يعظ فيها الناس.

(٢٢٢) ومن كلام له ﷺ: «إن الله سبحانه جعل الذكر جلاءً للقلوب».

وهو كلام استوحاه الإمام ﷺ من الآية ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ

اللَّهِ﴾ وهو يدخل ضمن خطبه العامة التي كان يعظ فيها الناس.

(٢٢٣) ومن كلام له ﷺ: «ادحض مسؤول حُجَّةً، يا أيها الإنسان ما جرّأك على ذنبك،

وما غرّك برّبك».

وهو كلام استوحاه الإمام من الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ

الكَرِيمِ﴾.

(٢٢٤) ومن كلام له ﷺ: «والله لأن أبيت على حَسَكِ السعدان مسهداً».

وهو جزء من كلام طويل له قاله مخاطباً رهطاً من شيعة فيههم مالك الأشتر عندما

قالوا له: إنا قاتلنا أهل البصرة وأهل الكوفة ورأي الناس واحد، وقد اختلفوا بعد

وتعادوا وضعفت النية، وقلّ العدد، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيههم بالحق،

وتنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع،

فضجت طائفة ممن معك إذ عموا به، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه، وذكروا له

صنائع معاوية عند أهل الغناء والشرف، وعرضوا أن يبذل المال فيميل إليه أعتاف

الرجال، وتصفون نصيحتهم له، فقال ﷺ: أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل فإن

الله عز وجل يقول . . إلى آخر الكلام^(١).

(٢٢٥) ومن دعاء له ﷺ: «اللهم صُنْ وجهي باليسار».

وهو جزء من دعاء كان يدعو به كثيراً أوله: الحمد لله الذي لم يصبح بي ميتاً ولا سقيماً ولا مضروباً على عروقي.

(٢٢٦) ومن خطبة له ﷺ: «دارُ بالبلاء محفوفةٌ وبالغدر معروفة».

وهي تسمى بالخطبة البالغة وقد ذكرها سبط ابن الجوزي راوياً عن القرشي: حدثنا علي بن الحسين عن عبد الله بن صالح العجلي، قال: أخبرني رجلٌ من بني شيبان، قال: شهدت علياً وقد خطب خطبة بليغة حمد الله فيها ثم صلى على رسوله محمد ﷺ، ثم قال: أيها الناس إن الله أرسل إليكم رسولاً ليزيح به علتكم، ويوقظ به غفلتكم وأن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيضلكم عن الحق . . إلى آخر الخطبة^(٢).

(٢٢٧) ومن دعاء له ﷺ: «اللهم إنك أنسُ الأنسين لأوليائك».

وهو دعاء كان يلجأ فيه إلى الله سبحانه ليهديه إلى الرشاد.

(٢٢٨) ومن كلام له ﷺ: «لله بلاد فلان فقد قوم الأود».

ومع اختلاف شديد بين شراح نهج البلاغة حول المقصود بـ«فلان» وما المناسبة، فبينما ذهب أكثر الشيعة وعلى رأسهم القطب الراوندي إلى أنه ﷺ مدح به بعض أصحابه بحسن السيرة، ذهب جمع آخر من الشراح إلى القول بأن المقصود هو عمر بن الخطاب، ويستدلون على رأيهم بعدة أدلة.

منها أنهم وجدوا بخط الشريف الرضي وقد كتب تحت فلان اسم عمر بن الخطاب، وهذا ما ذكره ابن أبي الحديد حيث يقول: وجدت النسخة التي بخط الرضي أبي الحسن جامع (نهج البلاغة) وتحت (فلان عمر) حدثني بذلك فخار بن معد الموسوي الأودي الشاعر، ثم يقول: وسألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد

(١) تمام نهج البلاغة: ص ٥٢٤.

(٢) تذكرة الخواص: ص ١٢٢.

العلوي فقال لي: هو عمر، أما الدليل الآخر فهو سياق الكلام يدل على أن (فلان) المدوح الذي قصده أمير المؤمنين كان ذا رعية وسيرة فلا بد أن يكون والياً، أما حقيقة هذا الكلام فيمكن استخراجها من طيات ما ذكره الطبري في مناسبة هذا القول.

روى الطبري عن صالح بن كيسان عن المغيرة بن شعبة قال: لما دفن عمر أتيتُ علياً عليه السلام، وأنا أحب أن اسمع منه في عمر شيئاً فخرج ينفض رأسه ولحيته، وقد اغتسل، وهو ملتحف بثوب لا يشك أن الأمر يصير إليه، فقال: رحم الله ابن الخطاب، لقد صدقت ابنة أبي حثمة إذ قالت: ذهب بخيرها ونجما من شرها، أما والله ما قالت ولكن قُوت^(١).

فالنص التاريخي الذي جاء به الطبري ناقص على عادة كتب التاريخ حيث نجد في كثير من مواضع الطبري وغيره هناك وقائع وكلمات محذوفة، وهناك اقتصار على بعض الكلمات والحوادث التي لوربت لوحدها لحرفت المعنى ومنها هذه الواقعة وتلك الكلمات.



فعند تحليل هذا النص يظهر لنا:

- ١- إن المغيرة بن شعبة أحب أن يسمع من علي كلاماً في عمر.
 - ٢- يفترض أن يكون المغيرة هو المبادر بالكلام عن عمر، فهدفه من كلامه هو سماع رأي الإمام علي عليه السلام في عمر.
 - ٣- كان رد الإمام أمير المؤمنين على سؤال المغيرة هو كلام نقله عن غيره حتى لا يعرف موقفه بصورة واضحة، فعلى رواية الطبري نقل الإمام رأي ابنة أبي حثمة في عمر عندما سمعت بموته.
 - ٤- من جواب الإمام عليه السلام للمغيرة نكتشف أن الإمام كان مطمئناً أن ابنة أبي حثمة لم تقل ذلك الكلام بل أنه تقول عليها.
- السؤال الذي يثار هنا عندما نتبع الحادثة هو: ما الذي بدأ به المغيرة وفتح به موضوع عمر أمام الإمام علي عليه السلام؟، ومن كان المقصود عندما أشار الإمام بأن كلام ابنة

أبي حثمة تقول عليها، فمن يا ترى قول عليها هذا الكلام؟ هذه الأسئلة تثار ونحن نواجه هذه الحكاية الناقصة التي نقلها الطبري، وجوابنا على هذه الأسئلة: إذا عرفنا ماذا قاله المغيرة لعرفنا جواب الاستفهام الثاني لأن عدم نقل كلام المغيرة جعل كلام الإمام مبهماً.

لكن إذا افترضنا أن المغيرة عندما أراد أن يعرف موقف الإمام إزاء عمر بادره بما قالته ابنة أبي حثمة، والذي يؤكد لنا هذا الفرض ويجعله عين الحقيقة قول الإمام: لقد صدقت ابنة أبي حثمة، فكلام الإمام يدل أن حديثاً قد جرى حول ابنة أبي حثمة وقالته في عمر بحيث كان كلام الإمام ﷺ تعليقاً على ما تقدم من القول إذ ليست ابنة أبي حثمة بتلك الشخصية التي ينتشر قولها بهذه السرعة العجيبة بحيث يصبح على لسان الصادر والوارد حتى أن الإمام يستشهد بقولها.

فتسلسل الحوار يؤكد أن المغيرة ابتداء بكلام ابنة أبي حثمة، فعلق الإمام على القول ثم إنه أعلن شكه بأنها قالته مؤكداً أنه متقول عليها. فما الذي يؤكد الطبري من خلال هذا الحوار؟

- ١- إن الكلام ليس لأمر المؤمنين ﷺ بل أنه نقل كلام غيره - كما عرفت - .
 - ٢- إن الإمام كان في شك بشأن قائل هذا الكلام، هل هي حقيقة ابنة أبي حثمة أم أنه متقول عليها.
 - ٣- ويبدو من النص أن حوار الإمام مع المغيرة كان خدعة من قبل المغيرة المعروف بالكر من أجل الحصول على موقف من الإمام في عمر ليستخدمه في مراميه الخبيثة في شب الفتن والدسائس، فأصطنع قول ابنة أبي حثمة.
 - ٤- هناك نواقص في النص فالحوار غير مكتمل، فهناك أجزاء من الحوار بالأخص أقوال المغيرة غير مذكور في النص التاريخي الأمر الذي لا يمكن أن يستدل منه موقفاً واضحاً لأمر المؤمنين في عمر، كما أراده الطبري، وبقية الرواة والمؤرخين.
- (٢٢٩) ومن كلام له ﷺ: «ويستطع يدي فكففتها، ومددتها فقبضتها».
- وهي جزء من خطبة ذكرها في (٢٦) و(٦٢) و(٢١٧) فهو كلام طلب كتابته وقراءته على الناس كل يوم الجمعة لما سئل عن أبي بكر وعمر وعثمان.

(٢٣٠) ومن خطبة له ﷺ: «فإن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد».

القسم الأول من الخطبة: من فإن تقوى الله حتى لا يركد بلاءها جزء من خطبة في قدرة الله تعالى وفي فضل القرآن.

أما القسم الثاني: من كانوا قوماً حتى قلوب أحيائهم، جزء من خطبة خطبها قبل أيام من استشهاده موبخاً أهل الكوفة لتوانيتهم عنه.

(٢٣١) ومن خطبة له ﷺ: «فصدع بما أمر به».

ذكر ابن أبي الحديد عن أبي مخنف عن زيد بن صوحان قال: شهدت علياً ﷺ بذي قار وهو معتمٌ عمامة سوداء ملتفٌ بساج يخطب فقال في خطبته: الحمد لله على كل حال في الغدو والآصال وأشهد أن لا إله إلا الله، وإن محمداً عبده ورسوله، ابتعثه رحمة للعباد وحياءً للبلاد حين امتلأت الأرض فتنة واضطرب حبلها وعبد الشيطان في أكنافها، واشتمل عدو الله إبليس على عقائد أهلها، وكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أطفأ الله به نيرانها، وأحمد به شرارها فلقد صدع ﷺ بما أمره به. إلى آخره^(١).

(٢٣٢) ومن كلام له ﷺ: «إن هذا المال ليس لي ولا لك وإنما هو في».

اعتقد عبد الله بن زمة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي أن علياً سيفضله في العطاء على غيره أو أنه سيعطيه فوق حقه فقدم عليه وطلب منه مالاً فأجابه بما رواه الشريف الرضي.

(٢٣٣) ومن كلام له ﷺ: «ألا إن اللسان بضعة من الإنسان».

يقول ابن أبي الحديد: وأعلم أن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين ﷺ في واقعة اقتضت أن يقوله، وذلك أنه امر ابن أخته جعدة بن هبيرة المخزومي أن يخطب الناس يوماً، فصعد المنبر فحصر ولم يستطع الكلام فقام أمير المؤمنين ﷺ فتسنى ذروة المنبر، وخطب خطبة طويلة ذكر الرضي رحمه الله منها هذه الكلمات^(٢).

(٢٣٤) ومن كلام له ﷺ: «إنما فرق بينهم مباوئ طينهم».

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/١٠٢.

(٢) ابن أبي الحديد: ١٢/١٣.

روى ذعلب اليماني عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية قال: كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال: إنما فرق بينهم مباوئ طينهم.

(٢٣٥) ومن كلام له عليه السلام: «بأبي أنت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك».

روى ابن أبي الحديد عن محمد بن حبيب في (أماليه) قال: تولى غسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي عليه السلام والعباس عليه السلام.

وكان علي عليه السلام يقول بعد ذلك: ما شممت أطيب من ريحه، ولا رأيت أضوأ من وجهه حينئذ، ولم أره يعتاد فاه ما يعتاد أفواه الموتى.

قال محمد بن حبيب: فلما كشف الأوزاعي وجهه بعد غسله انحنى عليه فقبله مراراً، وبكى طويلاً وقال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وطبت ميتاً! أنقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد سواك من النبوة والأنباء وأخبار السماء! خصصت حتى صرت سلياً عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشؤون، ولكن أتى ما لا يدفع! أشكو إليك كمداً وإدباراً مخالفين وراء الفتنة^(١).

(٢٣٦) ومن كلام له عليه السلام: «فجعلت أتبع ما أخذ رسول الله».

وهي جزء من خطبة يبين فيها مكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي تنمة (١٩٧) والله لقد علم المستحفظون.

(٢٣٧) ومن خطبة له عليه السلام: «فأعلموا وأنتم في نفس البقاء».

جزء من خطبة الغراء وهي من الخطب العجيبة ألقاها لما شيع جنازة فلما وضعت في لحدها عج أهلها وبكوا.

(٢٣٨) ومن كلام له عليه السلام: «جفأة طغام، وعبيد أقزام».

وهو جزء من خطبة (٢٦) وسيبى أن عدداً من الأصحاب طلبوا منه أن يعطي رأيه

في أبي بكر وعمر وعثمان، فطلب من أصحابه أن يكتبوا هذا الكتاب وأن يقرأوه على الناس.

(٢٣٩) ومن خطبة له ﷺ: «هم عيش العلم، وموت الجهل».

جزء من خطبة خطبها بذي قار يخبر فيها ما يحدث في آخر الزمان.

(٢٤٠) ومن كلام له ﷺ: «يا ابن عباس ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب أقبل وأدير».

قاله لابن عباس وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله لينبع ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد أن كان سألته مثل ذلك من قبل فقال ﷺ (الخطبة).

(٢٤١) ومن كلام له ﷺ: «والله مستأديكم شكره ومورثكم أمره».

جزء من خطبة خطبها في بعض أيام صفين أولها: معاشر المسلمين فيما النخع الحنّع يا أهل العراق: مالكم تنظرون؟ بما تعجبون؟



مركز تحقيقات كليات علوم إيسوي



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

شأن إيراد الكتب والرسائل

- (١) من كتاب له عليه السلام: «أما بعد فإني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كغيانه» .
روى ابن أبي الحديد عن محمد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار القرشي ، قال : لما نزل علي عليه السلام الرزمة متوجهاً إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن أبي بكر الصديق ، وكتب إليهم هذا الكتاب وزاد في آخره : فحسبي بكم إخواناً وللدين أنصاراً (الفرُّوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (١) .
(٢) ومن كتاب له عليه السلام : «وجزاكم الله من أهل مصر» .
كتب الإمام عليه السلام هذا الكتاب بعد فتح البصرة وبعثه مع عمر بن مسلمة الأرحبي (٢) إلى أهل الكوفة وذكر في آخره : كتبه عبد الله بن أبي رافع في رجب سنة ست وثلاثين .

- (٣) ومن كتاب له عليه السلام : «يا شريح أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك» .
روى الصدوق بإسناده عن السيد عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن أبيه عن إبان مولى زيد بن علي عن عاصم بن بهدلة قال : قال لي شريح القاضي اشتريت داراً بثمانين ديناراً ، وكتبت كتاباً وأشهدت عدولاً فبلغ ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فبعث إليّ قنبراً مولاه فاتيته فلما أن دخلت عليه قال : يا شريح اشتريت داراً

(١) ابن أبي الحديد: ٨/١٤ .

(٢) المفيد: الجمل ص ٢١٥ .

وكتبت كتاباً واشهدت عدولاً ووزنت مالا؟^(١).

(٤) ومن كتاب له ﷺ: «فإن عادوا إلى ظل الطاعة فذاك الذي نُحبُّ».

عندما انتهى أصحاب الجمل إلى البصرة كتب أميرها عثمان بن حنيف إلى أمير المؤمنين بذلك، فكتب ﷺ إليه كتاباً فيه النص المذكور.

(٥) ومن كتاب له ﷺ: «إنّ عملك ليس لك بطعمة».

كتب هذا الكتاب إلى الأشعث بن قيس، وهو عامله على آذربيجان، وقد كان عمرو بن عثمان تزوج ابنة الأشعث قبل ذلك، وبقي على عهده، فلما ظهر أمير المؤمنين ﷺ على أصحاب الجمل كتب إليه بالكتاب المذكور، وقد كتب تحته عبيد الله بن أبي رافع في شعبان سنة ست وثلاثين وقد أرسله مع زياد بن مرحب الهمداني^(٢)، وكان ذلك بعد انقضاء الجمل.

(٦) ومن كتاب له ﷺ: «إنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان».

كتب علي بن أبي طالب إلى جرير بن عبد الله، وكان وجهه إلى معاوية في أخذ بيعته، فأقام عنده ثلاثة أشهر ومعاوية بما طله، فكتب إليه علي: «سلامٌ عليكم فإذا أتاك كتابي هذا فأحمل معاوية على الفصل، وخيره بين حرب مُجَلِّبة أو سلم مُخزية، فإن اختار الحرب فأبذ إليهم على سواء إن الله لا يُحبُّ الخائنين»^(٣).

(٧) ومن كتاب له ﷺ: «أما بعد فقد أتتني منك موعظةٌ موصلةٌ».

وهذا الكتاب كتبه ﷺ جواباً على كتاب معاوية في أثناء حرب صفين بل في أواخرها^(٤).

(٨) ومن كتاب له ﷺ: «أما بعد فإذا أتاك كتابي فأحمل معاوية على الفصل».

كان جرير قد أرسله علي ﷺ إلى معاوية، فأبطأ جرير عند معاوية حتى اتهمه الناس، فكتب إليه أمير المؤمنين ﷺ بهذا الكتاب وقد أورد ابن أعثم الكتاب بهذا

(١) الصدوق: الأمالي ص ١٨٧.

(٢) ابن ميثم: ٢٥٠/٤.

(٣) العقد الفريد: ٨٠/٥ دار الكتب العلمية.

(٤) نصر بن مزاحم: ص ٦٤.

الشكل : أما بعد يا جرير إذا أتاك كتابي هذا فلا تضعه في يدك حتى تعامل معاوية على الفصل^(١).

(٩) ومن كتاب له ﷺ : «فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح أصلنا».

قدم أبو مسلم الخولاني على معاوية في أناس من قرأ أهل الشام قبل مسير أمير المؤمنين ﷺ إلى صفين فاحتجوا عليه لعزمه على قتال علي وليس له مثل صحبتته، ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته، فادعى عليهم إنما يفعل ذلك لأن علياً قد أوى قتلة عثمان ولو دفعهم إليه ليقصص منهم وهو وليه لما قاتله فطلبوا منه أن يكتب إليه بذلك فكتب معاوية إلى علي ﷺ بذلك، وأرسل الكتاب مع أبي مسلم الخولاني، فقدم بالكتاب على أمير المؤمنين ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنك قد قمت بأمر وتوليته، والله ما أحب إنه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك، إن عثمان قتل مسلماً محرمًا مظلوماً فادفع إلينا قتله، وأنت أميرنا، فإن خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة، وألستنا لك شاهدة وكنت ذا عذر وحجة فقال له ﷺ : أغد علي غداً فخذ جواب كتابك ثم رجع من الغد ليأخذ جواب كتابه، فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه فملأوا المسجد وأخذوا ينادون كلنا قتل ابن عفان، وأذن لأبي مسلم فدخل على أمير المؤمنين فدفع إليه جواب كتاب معاوية فرجع أبو مسلم بالجواب من أمير المؤمنين وهو يقول : الآن طاب الضراب^(٢).

(١٠) ومن كتاب له ﷺ : «وكيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلايب ما أنت فيه».

روى ابن عساكر هذا الكتاب الذي كتبه الإمام أمير المؤمنين إلى معاوية بهذا الشكل : أما بعد فقد رأيت الدنيا وتصرفها بأهلها ومن يقس شأن الدنيا بالآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً، ثم أنك يا معاوية قد ادعيت أمراً لست من أهله، لا في قديم ولا في حديث، ولست تدعي أمراً بيناً، ولا لك عليه شاهد من كتاب الله عز وجل، ولا عهد من رسول الله ﷺ فكيف أنت صانع إلى آخره^(٣).

(١) ابن اعثم: الفتوح ٥١٦/١.

(٢) صفين: ص ٨٥.

(٣) تاريخ دمشق: ٢٢/٢٥، المختصر ترجمة (معاوية) وإيضاً صفين: ص ١٠٩.

(١١) ومن وصية له ﷺ: «فإذا نزلتم بعدوا أو نزل بكم».

جزء من كتاب الإمام إلى اثنين من قادته العسكريين في صفين هما زياد بن النضر وشريح بن هاني وكانا على مذبح والأشعريين حين سرحهما على مقدمته إلى الشام من النخيلة في اثني عشر ألفاً وأمرهما أن يأخذا في طريق واحد ولا يختلفا، لكنهما اختلفا في بداية الطريق فكتب كل واحد منهما إلى أمير المؤمنين ﷺ يشكو صاحبه فكتب ﷺ إليهما بكتاب جاء في بدايته: أما بعد: فإني قد وليت مقدمتي زياد بن النضر وأمرته عليهما، وشريح على طائفة منها أمير... إلى آخر الكتاب^(١).

(١٢) ومن وصية له ﷺ: «اتق الله الذي لا بد لك من لقائه».

وهي وصيته لمعقل بن قيس الرياح وكان من رجال الكوفة وأبطالها وله رئاسة وقدم، ولما وصل أمير المؤمنين إلى المدائن بعث بمعقل في ثلاثة آلاف رجل مقدمة له وأوصاه بتلك الوصية^(٢).

(١٣) ومن كتاب له ﷺ: «وقد أمرتُ عليكما وعلى من في حيزكما مالك بن الحارث».

والأميران اللذان بعثهما هما زياد بن النضر وشريح بن هاني وكان أمير المؤمنين ﷺ جعلهما قائدين في اثني عشر ألف.

فلما انتهوا إلى معاوية لقيهم أبو الأعور السلمي في جند أهل الشام فدعاهم إلى الدخول في طاعة أمير المؤمنين ﷺ فأبوا، فكتب إلى أمير المؤمنين ﷺ يخبرانه بالأمر فدعى ﷺ مالك بن الحارث الأشتر فسرحه إليهما، وكتب إليهما بهذا الكتاب، رواه الحارث بن جهمان الجعفي^(٣).

(١٤) ومن وصية له ﷺ: «لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم».

روى نصر بن مزاحم عن عمرو بن سعد عن رجل عن عبد الله بن جندب عن أبيه أن علياً ﷺ كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوه يقول: لا تقاتلوهم حتى

(١) صفين: ص ١٢٣. رواه عمر بن سعد عن يزيد بن خالد بن قطن.

(٢) صفين: ص ١٤٩. عن أبي مخنف عن نعيم بن وعلة عن أبي الوراق.

(٣) صفين: ص ١٥٤.

يبدؤوكم . . إلى آخره^(١) .

(١٥) ومن دعاء له ﷺ : «اللهم إليك أفضت القلوب» .

ذكره نصر بن مزاحم عن عمرو بن شمر عن عمران عن سلام بن سويد ، كان علي ﷺ إذا أراد أن يسير إلى الحرب قعد على دابته وقال : الحمد لله . . إلى آخر الدعاء^(٢) .

(١٦) وكان يقول ﷺ : «لا تشتدّن عليكم مرة بعدها كرة» .

روى نصر بن مزاحم بسنده عن يونس بن الأرقم عن عوف عن شيخ بن بكر بن وائل : كنا مع علي بصفين فرفع عمرو بن العاص شقه خميصة سوداء في رأس رمح فقال ناس : هذا اللواء عقده له رسول الله ﷺ فلم يزالوا حتى بلغ علياً ، فقال : هل تدرون ما أمر هذا اللواء؟ إنّ عدو الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله هذه الشقة فقال : من يأخذها بما فيها ، فقال عمرو : وما فيها يا رسول الله؟ قال : فيها إن لا تقاتل بها مسلماً ولا تفر بها من كافر فأخذها فقد والله فرّ بها من المشركين ، وقاتل بها اليوم المسلمين ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا^(٣) .

(١٧) ومن كتاب له ﷺ : «فأما طلبك إليّ الشام»

كتبه لمعاوية جواباً على كتاب بعثه إليه .

روى نصر بن مزاحم : فلما انتهى كتاب معاوية إلى علي قرأه ثم قال : العجب لمعاوية وكتابه ، ثم دعا علي عبيد الله بن رافع كاتبه فقال له : أكتب إلى معاوية : أما بعد . .^(٤)

(١٨) ومن كتاب له ﷺ : «واعلم أنّ البصرة مهبط إبليس» .

ذكر إن ابن عباس قد أضربني تميم حين ولي البصرة من قبل علي ﷺ للذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل ، لأنهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعائشة ، فحمل

(١) صفين : ص ٢٠٣ .

(٢) صفين : ص ٢٣١ .

(٣) صفين : ص ٢١٥ .

(٤) صفين : ص ٤٧٤ .

عليهم ابن عباس فأقصاهم وتنكر عليهم وغيرهم بالجمل حتى كان يسميهم : شيعة الجمل وأنصار عسكر وحزب الشيطان ، فأشتد ذلك على نفر من شيعة علي عليه السلام من بني تميم ، منهم جارية بن قدامة وغيره ، فكتب بذلك جارية إلى علي يشكو إليه ابن عباس ، فكتب عليه السلام إلى ابن عباس : أما بعد : فإن خير الناس عند الله غداً أعملهم بطاعته فيما عليه وله وأقولهم بالحق وإن كان مرأً ، ألا وإنه بالحق قامت السموات والأرض فيما بين العباد فلتكن سريرتك فعلاً ، وليكن حكمك واحداً وطريقك مستقيماً واعلم أن البصرة . . إلى آخره^(١) .

(١٩) ومن كتاب له عليه السلام : «أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا فيك غلظة» .

بعثه إلى عمر بن أبي سلمة الأرحبي ، وهو ابن أم سلمة زوج النبي وكان عامله على البحرين^(٢)

(٢٠) ومن كتاب له عليه السلام : «وإني أقسم بالله قسماً صادقاً» .

كتبه إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة ، وعبد الله عامل أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ عليها وعلى أكوار الأهواز وفارس وكرمان .

(٢١) ومن كتاب له عليه السلام : «فدع الإسراف مقتصداً ، واذكر في اليوم غداً» .

روى البلاذري أن أمير المؤمنين عليه السلام كان قد أخرج إليه سعداً مولاه يحثه على حمل مال البصرة إلى الكوفة ، وكان بين سعد وزياد ملاحات ومنازعة ، وعاد سعد وشكاه إلى علي عليه السلام وعابه فكتب علي عليه السلام إليه كتاباً^(٣) .

(٢٢) ومن كتاب له عليه السلام : «أما بعد فإن المرء قد يسرُّه دَرَكُ ما لم يكن ليفوته ، ويسوؤه فَوْتُ ما لم يكن ليُدركه» .

وهو من جملة ما كتبه أمير المؤمنين إلى ابن عباس . رواه نصر بن مزاحم في صفين عن عمر بن سعد^(٤) .

(١) ابن ميثم : ٣٩٥/٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢٠١/٢ .

(٣) أنساب الأشراف : ص ١٦٩ .

(٤) صفين : ص ١٠ .

ورواه ابن طلحة الشافعي ، وذكر قول ابن عباس : ما أنتفعت بكلام بعد رسول الله كانتفاعي بكتاب كتبه علي بن أبي طالب قبل صفين^(١) .

(٢٣) ومن كلام له ﷺ : «وصيتي لكم أن لا تُشركُوا بالله شيئاً» .

وهو جزء من وصية أوصاها قبيل شهادته لما ضربه ابن ملجم ، رواه الكليني مسنداً ، قال : لما ضرب أمير المؤمنين ﷺ حفاً به العواد ، وقيل له : يا أمير المؤمنين أوص ، فقال ﷺ : أثنوا لي وسادة ، ثم قال : الحمد لله حق قدره متبعين أمره ، أحمدته كما أحب ، ولا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد كما انتسب . . إلى آخر الوصية^(٢) .

(٢٤) ومن وصية له ﷺ : «هذا ما أمر به عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين في ماله» .

وصى بهذه الوصية بعد صفين في أمواله ومواليه ، في ماله بينبع ، ووادي القرى وديمة وبارينة والفقيرين ، وفي مواليه الذي طلب من أبنائه عتقهم منهم : أبي رباح وأبي نيزر .

(٢٥) ومن وصية له ﷺ : «انطلق على تقوى الله وَخَذَهُ لا شريك له» .

روى الكافي بسنده عن بريد بن معاوية ، قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : بعث أمير المؤمنين صلوات الله عليه مصداقاً من الكوفة إلى باديتها ، فقال له : يا عبد الله انطلق وعليك بتقوى الله إلى آخر الوصية^(٣) .

وروى الثقفي : حدثنا محمد ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا إبراهيم ، قال : وأخبرني يحيى بن صالح الحريري ، قال : أخبرنا أبو العباس الوليد بن عمرو وكان ثقة عن عبد الرحمن بن سليمان عن جعفر بن محمد بن علي ﷺ قال : بعث علي ﷺ مصداقاً من الكوفة إلى باديتها^(٤) .

(٢٦) ومن عهد له ﷺ : «أمره بتقوى الله في سرائر أمره وخفيات عمله» .

(١) مطالب السؤل : ص ٥٥ .

(٢) أصول الكافي : ٢٩٩/١ .

(٣) فروع الكافي : ٥٣٦/٣ .

(٤) الغارات : ص ٧٦ .

والعامل الذي بعث إليه هذا العهد هو مخنف بن سليم الأزدي وقد استعمله أمير المؤمنين على أصبهان وشهد معه صفين، وكان معه راية الأزدي، ومن ولد مخنف هذا أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي.

(٢٧) ومن عهد له ﷺ: «فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك».

هذا العهد كتبه أمير المؤمنين ﷺ لمحمد بن أبي بكر لما ولاه مصر، وكان محمد (رحمه الله) ينظر فيه ويتأدب بأدبه فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية، فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويعجب منه، فقال الوليد بن عقبة وهو عند معاوية، وقد رأى إعجابه به: مر بهذه الأحاديث أن تحرق، فقال معاوية: إنه لا رأي لك، فقال الوليد: أفمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها، فقال معاوية: ويحك أأأمرني أن أحرق علماً مثل هذا؟ والله ما سمعت علماً هو أجمع منه ولا أحكم، فقال الوليد: إن كنت تعجب من علمه وفضائله فعلام تقاتله؟ فقال: لولا أن أبا تراب قتل عثمان ثم افتاننا لأخذنا عنه.

روى الثقيفي عن الحارث بن كعب عن أبيه قال: كنت مع محمد بن أبي بكر حيث قدم مصر فلما أتاها قرأ عليهم عهده^(١) ومن كتاب له ﷺ: «أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه أصطفاء الله».

كان معاوية قد كتب لأمر المؤمنين ﷺ كتاباً مع أبي أمامة الباهلي اتهم فيه الإمام بالحسد للخلفاء الذين حكموا قبله، وأتهمه باللجاجة والعبث وطالبه بأن يدفع إليه قتلة عثمان وأن يجعل الحكم شورى بين المسلمين، فأجابه أمير المؤمنين ﷺ بهذا الكتاب.

(٢٩) ومن كتاب له ﷺ: «وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم».

روى الثقيفي عن كعب بن قعين أن علياً ﷺ كتب مع جارية بن قدامة كتاباً فقال: أقرأه على أصحابك قال: فمضينا معه فلما دخلنا البصرة بدأ بزياد فرحب به وأجلسه إلى جانبه، وناجاه ساعة وسأله، ثم خرج فكان أفضل ما أوصاه به أن قال: أحذر على نفسك واتق أن تلقي مالقي صاحبك القادم قبلك وخرج جارية من عنده فقام في

الأزد، فقال: جزاكم الله من حيٍّ خيراً، ما أعظم عناءكم وأحسن بلاءكم، وأطوعكم لأمركم، وقد عرفتم الحق إذ ضيعه من أنكره ودعوتكم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه، ثم قرأ عليهم وعلى من كان معه من شيعة علي عليه السلام وغيرهم كتاب علي فإذا فيه: الكتاب^(١).

(٣٠) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أوله: «أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر مشاغبتي وتستقبح مؤازرتي، وتزعمني متحيراً وعن الحق مقصراً، فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة وتستحسن العضية...» إلى آخره.

(٣١) ومن وصية له عليه السلام: «من الوالد الفان المقر للزمان، المذبر العُمر».

روى الكليني بإسناده إلى أبي جعفر عن عنبسة عن عباد بن زياد الأسدي عن عمر بن أبي المقدام عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما أقبل أمير المؤمنين عليه السلام من صفين كتب إلى ابنه الحسن^(٢)، وكان عمر أمير المؤمنين يومذاك ستين سنة، أي في عام ٣٧ للهجرة، أما المحل الذي كتب فيه هذه الوصية فهو في مدينة تسمى بـ«حاضرین» وهي قرية من منطقة صفين بالشام.

(٣٢) ومن كتاب له عليه السلام: «وأرديت جيلاً من الناس كثيراً، خدعتهم بغيك».

وهو كتاب كتبه لمعاوية رداً على كتاب كتبه للإمام، ورد في أول الكتاب: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد فإن الدنيا دار تجارة وريحها أو خسرها الآخرة^(٣).

(٣٣) ومن كتاب له عليه السلام: «أما بعد فإن عيني بالمغرب كتب إلي يعلمني أنه وجه علي الموسم أناسٌ من أهل الشام العمي القلوب».

كان معاوية قد بعث إلى مكة دعاة في السر يدعون إلى طاعته، ويشطون العرب عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام ويوقعون في أنفسهم أنه إما قاتل لعثمان أو خاذل له وعلى كلا التقديرين لا يصلح للإمامة، وينشرون عندهم محاسن معاوية - بزعمهم -

(١) المصدر نفسه: ص ٢٧٧.

(٢) مصادر نهج البلاغة: ٢/٣١٢.

(٣) ابن أبي الحديد: ١٣٣/١٥.

وأخلاقه وسيرته في العطاء فكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى قثم بن العباس عامله بمكة ينبهه على ذلك ليعتمد فيه على ما تقتضيه السياسة ولم يصرح في هذا الكتاب بماذا يأمره أن يفعل إذا ظفر بهم ^(١).

(٣٤) ومن كتاب له عليه السلام : «أما بعد : فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشر إلى عملك».

روى الثقيفي : أخبرني ابن أبي سيف عن أصحابه : أن محمد بن أبي بكر لما بلغه أن علياً عليه السلام قد وجّه الأشر إلى مصر شق عليه ، فكتب علي عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر : «سلامٌ عليك فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشر إلى عملك . . .» إلى آخره ^(٢).
(٣٥) ومن كتاب له عليه السلام : «أما بعد فإن مصر قد افتتحت ومحمد بن أبي بكر قد استشهد».

لما استشهد محمد بن أبي بكر حزن الإمام علي عليه حتى رأى ذلك في وجهه وتبين فيه وقام في الناس خطيباً ثم نزل وكتب إلى عبد الله بن عباس وهو بالبصرة : «سلامٌ عليكم فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد : فإن مصر قد افتتحت ومحمد بن أبي بكر قد استشهد فعند الله نحتسه وندخره . . .» إلى آخره ^(٣).
(٣٦) ومن كتاب له عليه السلام : «فسرّحتُ إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين».

لما قدم الحجاج من مكة إلى العراق حدثوا الناس بغارة الضحاك بن قيس الفهري على أطراف الكوفة ، وكان عقيل بن أبي طالب يومذاك في مكة معتمراً فكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بما سمع وعرض عليه نفسه وولده وبني أبيه ، فأجابه عليه السلام بهذا الكتاب الذي يبدأ : أما بعد كلأنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد ، فقد وصل إلي كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي . . . إلى آخره ^(٤).

(٣٧) ومن كتاب له عليه السلام : «فسبحان الله ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة والحيرة

(١) المصدر نفسه : ١٢٨/١٥ - ١٣٩.

(٢) الفارات : ص ١٧١ - ١٧٢.

(٣) الطبري : ٨٣/٤ ، حوادث ٣٧.

(٤) الفارات : ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

المتبعة».

وهي رسالة كتبها للرد على معاوية في رسالته إلى الإمام يقول ﷺ: «أما بعد فإن الدنيا حلوة خضرة ذات زينة وبهجة لم يصب إليها أحد إلا شغلته بزینتها عما هو أنفع له منها..»^(١).

(٣٨) ومن كتاب له ﷺ: «من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه وذُهب بحقه».

روى الطبري عن أبي مخنف قال: حدثني فضيل بن خديج عن مولى للأشتر قال: لما هلك الأشتر وجدنا في ثقله رسالة علي إلى أهل مصر: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض وضرب الجور سرادقه على البر والفاجر فلا معروف يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه إلى آخره^(٢).

(٣٩) ومن كتاب له ﷺ: «فإنك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئٍ ظاهر غيّه مهتوك ستره».

ذكره نصر بن مزاحم في صفين وكتب علي ﷺ إلى عمرو بن العاص: «من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى الأبرار ابن الأبرار عمرو بن العاص بن وائل، شائئ محمد وآل محمد في الجاهلية والإسلام..» إلى آخره^(٣).

(٤٠) ومن كتاب له ﷺ: «أما بعد فقد بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك وعصيت إمامك».

ذكر ابن عبد ربه رواية أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيد قال: مرّ ابن عباس على أبي الأسود الدؤلي فقال له: لو كنت من البهائم لكنت جملاً ولو كنت راعياً ما بلغت المرعى فكتب أبو الأسود الدؤلي إلى علي: أما بعد فإن الله جعلك والياً مؤتمناً، وراعياً مسؤولاً، قد بلوناك رحمك الله فوجدناك عظيم

(١) ابن أبي الحديد: ١٥٣/١٥.

(٢) الطبري: ٧٢/٤، ذكره في حوادث سنة ٢٨.

(٣) صفين: ص ١١٠.

الأمانة، ناصحاً للأمة، توفر لهم فيهم، وتكف نفسك عن دنياهم، فلا تأكل أموالهم، ولا ترتشي بشيء في أحكامهم، وابن عمك قد أكل ما تحت يديه من غير علمك، فلم يسعني كتمانك ذلك، فأنظر رحمك الله فيما هنالك وأكتب إليّ برأيك، فما أحببت اتبعه إن شاء الله والسلام.

فكتب إليه علي: «أما بعد فمثلك نصح الإمام والأمة و(أدى الأمانة) ووالى على الحق وفارق الجور وقد كتبت لصاحبك بما كتبت إليّ فيه (من أمره) ولم أعلمه بكتابك إليّ، فلا تدع إعلامي ما يكون بحضرتك، فما النظر فيه للأمة صلاح، فإنك بذلك جدير وهو حق واجب لله عليك والسلام...».

وكتب علي إلى ابن عباس: «أما بعد، فإنه بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخطت الله وأخزيت أمانتك، وعصيت إمامك وخنت المسلمين، بلغني أنك جردت الأرض وأكلت ما تحت يدك، فأرفع إليّ حسابك، وأعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس والسلام».

فكتب إليه ابن عباس: أما بعد فإن كل الذي بلغك باطل، وأنا لما تحت يدي ضابط، وعليه حافظ، فلا تصدق عليّ الظنين والسلام؟^(١)

فإذا صح ما أورده ابن عبد ربه فإن ما يدور حول عبد الله بن عباس ليس أكثر من شائعة أراد أبو الأسود الدؤلي أن يخلق فتنة بين الإمام ﷺ وواليه عبد الله بن عباس.

(٤١) ومن كتاب له ﷺ: «أما بعد فإنني كنت أشركك في أمانتي».

اختلف الشراح والمؤرخون حول العامل المقصود بهذا الكتاب.

فمنهم من قال أنه عبد الله بن عباس منهم الكشي في رجاله: روى علي بن يزيد الصايغ الجرجاني، عن عبد العزيز بن محمد بن عبد الأعلى الجزري، عن خلف المخرمي البغدادي عن سفيان بن سعيد عن الأزهرى قال: سمعت الحارث يقول: استعمل علي ﷺ على البصرة عبد الله بن العباس فحمل كل ما في بيت المال بالبصرة ولحق بمكة وترك علياً ﷺ وكان مبلغه ألفي درهم، فصعد علي ﷺ المنبر حين بلغه ذلك

فبكى فقال: «هذا ابن عم رسول الله ﷺ في علمه وقدره يفعل مثل هذا فكيف يؤمن من كان دونه، اللهم إني قد مللتهم فأرخني منهم وأقبضني إليك غير عاجز ولا ملوم...»^(١).

ووقف إلى صف الكشي بعض شراح نهج البلاغة منهم ابن ميثم البحراني الذي ذكر قائلاً: المشهور أن هذا الكتاب إلى عبد الله بن عباس وكان والياً على البصرة وألفاظ الكتاب تنبه على ذلك كقوله: قلبت لابن عمك ظهر المجن، وقوله: فلا ابن عمك آسيت... إلى آخره^(٢).

وهناك من قال بأن المعنون إليه الكتاب هو عبيد الله بن العباس، منهم القطب الراوندي في منهاج البراعة يقول في ذلك: فقد روي أنه إلى عبد الله بن العباس فإن علياً ﷺ كان ولاء على البصرة فأخذ مالا كثيراً وخرج إلى المدينة نحو بيته، وكسب إلى علي ﷺ: أن اجعلني في حل من كذا فإن عيالي كثير وتغرم من مالك. ويمكن أن يكون هذا العامل: عبيد الله بن العباس فنحو ذلك بهذا اليق^(٣).

وهناك طائفة توقفوا لا يستطيعون أن ينفروا أو يؤيدوا ذلك منهم ابن أبي الحديد حيث يقول: وقد أشكل عليّ أمر هذا الكتاب فإن أنا كذبت الثقل وقلت هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين ﷺ خالفت الرواة، فإنهم قد أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه، وقد ذكر في أكثر كتب السيرة وإن صرفته إلى عبد الله بن عباس صدني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين ﷺ في حياته وبعد وفاته وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين ﷺ والكلام يشعر بأن الرجل المخاطب من أهله وبني عمه، فأنا في هذا الموضع من المتوقفين^(٤).

وهناك جمع آخر لا يرى صحة نسبة هذا الكتاب إلى عبد الله بن العباس فهم يتمسكون بقاعدة ثابتة ويرون أن ابن العباس ظلّ على طاعة أمير المؤمنين ﷺ ولم يفارقه

(١) رجال الكشي: ص ٦٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٨٩/٥.

(٣) منهاج البراعة: ١٣٤/٢.

(٤) ابن أبي الحديد: ١٧٢/١٥.

رمشة عين، ومن هؤلاء العلامة الحلي حيث ذكر قائلاً: عبد الله بن العباس من أصحاب رسول الله ﷺ كان محباً لعلي ﷺ وتلميذه، حاله في الجلالة والإخلاص لأمر المؤمنين ﷺ أشهر من أن يخفى، وقد ذكر الكشي أحاديث تتضمن قدحاً فيه، وهو أجل من ذلك، وقد ذكرناها في كتابنا الكبير واجبنا عنها رضي الله تعالى عنه^(١).

ويناقش الشيخ محمد تقي الشوشتری المتوقفين من أمثال ابن أبي الحديد فيقول: قاعدة عقلية إذا تعارض العقل والنقل يقدم العقل، فإذا كان معلوماً ملازمته لطاعة أمير المؤمنين ﷺ في حياته وبعد وفاته ولا استمالة معاوية مع انتهازه الفرصة في مثل ذلك نقطع بأن النقل باطل، وكيف يحتمل صحة ذاك النقل مع أنه طعن في معاوية بخيانة عماله؟ فلو كان هو أيضاً خان لردّ عليه معاوية طعنه^(٢). ثم جاء على ذكر الروايات التي تظهر مواقف عبد الله بن العباس الثابتة من أمير المؤمنين ﷺ وأخذ يناقش الرأي القائل بأنه فارق البصرة وذهب إلى مكة بالأموال التي أخذها من بيت الله، فاستناداً لرواية الطبري فإن عبد الله بن العباس لم يخرج من البصرة حتى قتل أمير المؤمنين، قال الطبري: حدثني أبو زيد قال: زعم أبو عبيد ولم أسمع منه أنه ابن عباس لم يبرح من البصرة حتى قتل علي ﷺ فشحّص إلى الحسن ﷺ فشهد الصلح بينه وبين معاوية، ثم رجع إلى البصرة وثقله بها فحمله ومالاً من بيت المال قليلاً وقال: هي أرزاق^(٣).

أما الحقيقة - فلا دخان بغير نار - فحدث مثل تلك الواقعة أمرٌ غير مستبعد لكن ليس بالشكل الذي ضخمه المؤرخون، على أي حال لا بدّ أن تقر بأن شيئاً ما قد وقع بين ابن العباس وأمير المؤمنين ﷺ وهو بالضبط ما أورده اليعقوبي في تاريخه ونصه: وكتب أبو الأسود الدؤلي وكان خليفة عبد الله بن عباس بالبصرة إلى علي يعلمه أن عبد الله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم، فكتب إليه يأمره بردها فامتنع فكتب يقسم له بالله لتردّها، فلما ردّها عبد الله بن عباس أورد أكثرها كتب إليه علي: أما بعد فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليذكره، فما أتاك

(١) رجال العلامة الحلي: ص ١٠٢، دار الذخائر.

(٢) قاموس الرجال: ٤٢٦/٦.

(٣) الطبري: ١٤٣/٥.

من الدنيا فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً واجعل همك لما بعد الموت والسلام.

فكان ابن عباس يقول: ما اتعظت بكلام قطّ اتعاطي بكلام أمير المؤمنين^(١).
 بنظري أنّ الخطأ الذي ارتكبه عبد الله بن العباس كان بهذه الحدود لا أكثر مما ذهب إليه البعض إما عن جهل أو قصد، فربما كانت أيادي أموية أرادت أن تحرف الحقيقة فتجعل عبد الله بن العباس وكأنه على الضد من أمير المؤمنين، أو ربما أيادي شيعية أرادت تشويه سمعة العباسيين أيام الدولة العباسية فأثارت سلسلة اتهامات بحق عبد الله بن العباس نكاية بالدولة العباسية التي كانت الحاكمة المطلقة في زمانهم.
 (٤٢) ومن كتاب له ﷺ: «أما بعد فإني قد وليت النعمان بن عجلان الزُّنُقيّ على البحرين».

أراد الإمام من واليه على البحرين عمر بن أبي سلمة المخزومي وهو ابن أم سلمة زوج النبي أن يأتي إليه ليشهد معه صفين فأستبدل به النعمان بن العجلان، فأقبل عمر فشهد معه ثم انصرف وتبع علياً إلى الكوفة، فمكث معه سنة وبعض أخرى^(٢).
 (٤٣) ومن كتاب له ﷺ: «بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلتُ فقد أسخطت إلهك وأغضبت إمامك».

يقول اليعقوبي في تاريخه: وكتب إلى مصقلة بن هبيرة، وبلغه أنه يفرق ويهب أموال أردشير خرة وكان عليها: «أما بعد فقد بلغني عنك أمر أكبرت أن أصدقك أنك تقسم فيء المسلمين في قومك ومن اعتراك من السألة والأحزاب وأهل الكذب من الشعراء...» إلى آخره^(٣).

(٤٤) ومن كتاب له ﷺ: «وقد عرفتُ أن معاوية كتب إليك يستزلُّك».
 ولى أمير المؤمنين ﷺ زياد بن أبيه بلاد فارس أو بعض أعمال فارس فضبطها ضبطاً صالحاً وجبى خراجها فعرف ذلك معاوية فكتب إليه: أما بعد: فإنّ العش الذي ربيت

(١) اليعقوبي: ٢٠٥/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠١/٢.

(٣) المصدر نفسه: ٢٠١/٢.

فيه معلوم عندنا ، وقد عزتك قلاع تأوي إليها كما تأوي الطيور إلى أوكارها ولولا انتظاري بك ما الله أعلم به مني لكان ذلك مني ما قاله العبد الصالح ﴿فَلَنَأْتِيَهُمْ بَجُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(١).

وكتب في أسفل الكتاب :

لله در زياد إيمارجل	لو كان يعلم ما يأتي وما يذر
تنسى أباك وقد شالت نعمته	إذ تحطب الناس والوالي لهم عمر
فأفخر بوالدك الأدنى ووالدنا	إن ابن حرب له في قومه خطر
أن انتهازك قوم لا تناسبهم	عد الأنامل عار ليس يغتفر
فأنزل بعيداً فإن الله باعدهم	عن كل فضل به تعلو الورى مضر
فالرأي مطرف والعقل تجربة	فيها لصاحبها الإيراد والصدر

فلما ورد الكتاب على زياد قام في الناس فقال : العجب من ابن أكلة الأكباد ورأس النفاق يخوفني بقصده إياي وبينني وبينه ابن عم رسول الله ﷺ وزوج سيدة نساء العالمين ، أبو السبطين وصاحب الولاية والمنزلة والإخاء في مائة ألف من المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان أم والله لو تخطى هؤلاء جميعاً لوجدني أعرف بضرب السيف .

واتصل الخبر بعلي عليه السلام فكتب إليه : «أما بعد فإنني وليتك وأنا أراك لذلك أهلاً . . .» إلى آخره^(٢).

(٤٥) ومن كتاب له عليه السلام : «أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة» .

وكان عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها فكتب إليه هذا الكتاب : أما بعد يا ابن حنيف . . . إلى آخره .

(٤٦) ومن كتاب له عليه السلام : «أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين» .

(١) النمل : ٢٧ .

(٢) ابن ميثم : ٩٧/٥ .

ذكر الثقيفي: وخرج معاوية بن خديج السكسكي فدعى إلى الطلب بدم عثمان، فأجابه ناس كثير آخرون وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر فبلغ علياً توثبهم عليه فقال: ما لمصر إلا أحد الرجلين: صاحبنا الذي عزلناه عنها بالأمس - يعني قيس بن سعد - أو مالك بن الحارث الأشتر، وكان علي عليه السلام حين رجع عن صفين قد رد الأشتر إلى عمله بالجزيرة وقال لقيس بن سعد: أقم أنت معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ثم أخرج إلى أذربيجان فكان قيس مقيماً على شرطته، فلما انقضى أمر الحكومة كتب علي عليه السلام إلى مالك الأشتر وهو يومئذ بنصيبين^(١).

(٤٧) ومن وصية له عليه السلام: «أوصيكمما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما».

روى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي مخنف لوط بن يحيى قال: حدثني عطية بن الحارث عن عمر بن تميم وعمر بن أبي بكر: أن علياً لما ضرب جمع له أطباء الكوفة فلم يكن أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانيء السكوني، وكان متطبياً صاحب كرسي يعالج الجراحات، وكان من الأربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسابهم، وإن أثيراً لما نظر إلى جرح أمير المؤمنين عليه السلام دعا برئة شاة حارة واستخرج عرقاً منها، فأدخله في الجرح ثم استخرجه فإذا عليه بياض الدماغ فقال له: يا أمير المؤمنين أعهد عهدك فإن عدو الله قد وصلت ضربته أم رأسك فدعا علي عند ذلك بصحيفة ودواة وكتب وصيته... وذكر الوصية^(٢).

(٤٨) ومن كتاب له عليه السلام: «وإن البغي والزور يزيان بالمرء في دينه ودنياه».

لما بان الانتصار على جيش أمير المؤمنين وظهرت علائم الهزيمة في جيش أهل الشام، ورأى معاوية ذلك وضع رجله في الركاب وتهايا للهرب غير أن عمرو بن العاص أشار برفع المصاحف فرفعت فوق الاختلاف في عسكر أهل العراق، وكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

أما بعد: فإن هذا الأمر قد طال بيننا وبينك، وكل واحد منا يرى أنه على الحق فيما

(١) الفارات: ص ١٦٤.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص ٣٨.

يطلب من صاحبه ولم يعطي واحد منا الطاعة للآخر، وقد قتل فيما بيننا بشر كثير، وأنا أتخوف أن يكون ما بقي أشد مما مضى، وإنا سوف نُسأل عن هذه المواطن ولا يحاسب غيري وغيرك، وقد دعوتك إلى أمر لنا ولك فيه حياة وعذر وبراءة وصلاح للأمة، وحقق للدماء، وألفة للدين وذهاب للضغائن والفتن، أن نحكم بيني وبينك حكمين مرضيين أحدهما من أصحابي والآخر من أصحابك، فيحكمان بيننا بما أنزل الله فهو خير لي ولك وأقطع لهذه الفتن، فأتق الله فيما دعيت إليه، وأرض بحكم القرآن إن كنت من أهله والسلام.

فكتب أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان: «أما بعد فإن أفضل ما شغل به المرء نفسه اتباع ما حسن به فعله وأستوجب فضله وسلم من عييه فإن البغي والزور يزریان بالمرء في دينه ودنياه...» إلى آخره^(١).

(٤٩) ومن كتاب له ﷺ: «أما بعدُ فإن الدنيا مشغلةٌ عن غيرها».

ذكر نصر بن مزاحم: هذا أول كتاب كتبه علي ﷺ إلى عمرو بن العاص، فكتب إليه عمرو جوابه: أما بعد، فإن الذي فيه صلاحنا وألفة ذات بيننا أن تنيب إلى الحق وأن تجيب إلى ما ندعوكم إليه من الشورى، فصبر الرجل منا نفسه على الحق، وعذره الناس بالمحاجة والسلام^(٢).

(٥٠) ومن كتاب له ﷺ: «أما بعد فإن حقاً على الوالي أن لا يُغيّرهُ على رعيته فضلٌ ناله ولا طولٌ خُصَّ به».

والكتاب موجه إلى أصحاب المسالح وهم جماعة تستقر في الثغور لحماية بيضة المسلمين.

(٥١) ومن كتاب له ﷺ: «من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج، أما بعد فإن من لم يحذر ما هو صائرٌ إليه».

وأهل الخراج الذين يأخذون الضرائب من المزارعين، وكانوا يظلمون الناس أثناء

(١) مصادر نهج البلاغة: ص ٣٨٢.

(٢) صفين: ص ١١٠.

أخذهم الخراج ، ولا يعدلون بينهم ، فكتب إليهم أمير المؤمنين عليه السلام يطلب منهم العدل والإنصاف .

(٥٢) ومن كتاب له عليه السلام : «أما بعد فصلوا بالناس حتى تفيء الشمس من مريض العنز» .
يقول ابن أبي الحديد : وأعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما بدأ بصلاة الظهر ، لأنها أول فريضة افترضت على المكلفين من الصلاة على ما كان يذهب إليه عليه السلام ^(١) .

(٥٣) ومن كتاب له عليه السلام : «هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين ، مالك بن الحارث الأشر في عهده إليه حين ولّاه مصر جباية خراجها» .

وهذا العهد هو أهم وثيقة سياسية في التاريخ الإسلامي ويشتمل على بيان مفصل في كيفية إدارة الدولة والحكم وتضمن أهم القواعد التي على الحاكم اتباعها لتمشية أمور البلاد اقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً وإدارياً ، كتبه الإمام أمير المؤمنين إلى مالك الأشر لما ولّاه ولاية مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر ، فقد وردت فيه حلول لمشاكل تعيشها الدول التي تحدث فيها الاضطرابات ، ورسم الإمام في هذا العهد طريق إصلاح البلاد وأسلوب تغيير الأمة إلى الأحسن .

(٥٤) ومن كتاب له عليه السلام : «أما بعد فقد علمتما وإن كتمتما أنني لم أرد الناس حتى أرادوني» .

وهو كتاب بعث به إلى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي الرجل الصحابي الذي أسلم عام خيبر ، وكان إنساناً صالحاً بعثه الإمام إلى طلحة والزبير ليشيهما عن حربه ، ويبعث معه كتاباً يرد على اتهماتهما بأنه قاتل عثمان بن عفان .

(٥٥) ومن كتاب له عليه السلام : «أما بعد فإن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها» .

إلى معاوية ينصحه في ترك الدنيا وترك اتهاماته له بقتل عثمان بن عفان .

(٥٦) ومن وصية له عليه السلام : «اتق الله في كل صباح ومساء» .

وهي وصيته لأحد أصحابه الذي شهد معه المشاهد كلها وعاش حتى قتل بسجستان في زمن الحجاج ، وكان في مقدمة جيشه عندما بعثه إلى الشام ، وقد روى

نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد قال : حدثني يزيد ابن خالد بن قطن أن علياً حين أراد المسير إلى النخيلة دعا زياد بن النضر وشريح بن هانيء ووصاهما بهذه الوصية^(١).

(٥٧) ومن كتاب له ﷺ : «أما بعد فإني خرجتُ عن حبي هذا إما ظالماً وإما مظلوماً». بلغ أمير المؤمنين ﷺ وهو في طريقه إلى البصرة أن أبا موسى الأشعري ، وكان والي الكوفة يشبط الناس عن نصرته لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل ، فلما نزل الريزة أرسل إليه عبد الله بن عباس ومحمد بن أبي بكر يأمره بأن يعتزل العمل ، ويتوعدده إن امتنع ، فأبطأ ابن عباس وابن أبي بكر عنه ﷺ فلما نزل ذا قاربعت الحسن ﷺ وعمار بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد بن عبادة ومعهم الكتاب الذي ذكره الشريف الرضي رحمه الله في هذا الموضوع^(٢).

(٥٨) ومن كتاب له ﷺ : «وكان بدء أمرنا أنا إلتقيناهم والقوم من أهل الشام». كتب أمير المؤمنين هذا الكتاب لأهل الأمصار وهو يوضح فيه ما جرى بينه وبين معاوية حتى لا يتأثر أهل تلك البلاد بدعايات معاوية الذي كان يحاول إظهار نفسه وكأنه على الحق.

(٥٩) ومن كتاب له ﷺ : «أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل».

وهو كتاب له إلى الأسود بن قطبة وهو حارثي من بني الحارث بن كعب وهو صاحب جند حلوان.

(٦٠) ومن كتاب له ﷺ : «أما بعد فإني قد سيرتُ جنوداً هي مارةٌ بكم إن شاء الله». ذكره نصر بن مزاحم مع زيادة في حديث عمر بإسناده وذكر عنوان الكتاب إلى أمراء الجند^(٣).

(٦١) ومن كلام له ﷺ لكميل : «إن من العجز الحاضر أن يهمل الوالي ما وليه». ذكر ابن أبي الحديد : وكان كميل بن زياد عامل علي ﷺ على هيت وكان ضعيفاً

(١) صفين : ص ١٢١.

(٢) المفيد : الجمل ص ١٣١.

(٣) صفين : ص ١٢٥.

تمرُّ عليه سرايا معاوية تنهب أطراف العراق ولا يردّها ويحاول أن يجبر ما عنده من الضعف بأن يغير على أطراف أعمال معاوية مثل قرقيسيا وما يجري مجراها من القرى التي على الفرات فأنكر ﷺ ذلك من فعله، وقال: إن من العجز الحاضر أن يهمل الوالي ما وليه، ويتكلف ما ليس من تكليفه^(١).

(٦٢) سأل بعض أصحابه عن أبي بكر وعمر وعثمان، فغضب ﷺ وقال: «قد تفرغتم للسؤال عما لا يعنكم، وهذه مصر قد انفتحت وقتل معاوية بن حديج محمد بن أبي بكر فيا لها من مصيبة ما أعظم مصيبتني بمحمد فوالله ما كان إلا كبعض بني، سبحانه الله بينا نرجو أن تغلب القوم على ما في أيديهم إذ غلبونا على ما في أيدينا، وأنا كاتب لكم كتاباً فيه تصريح ما سألتهم»، وقد أمر أمير المؤمنين أن يقرأ على الناس كل يوم جمعة^(٢).

(٦٣) ومن كتاب له ﷺ: «أما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك».

ويبحث بالكتاب إلى أبي موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تشييطه الناس على الخروج إليه لما نديهم لحرب أصحاب الجمل.

(٦٤) ومن كتاب له ﷺ: «أما بعد فإننا كنّا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة».

وهو جواب للكتاب الذي بعثه معاوية إلى أمير المؤمنين، من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب: أما بعد فإننا بنوا عبد مناف لم نزل من قليب واحد، ونجري في حلبة واحدة، ليس لبعضنا على بعض فضل، ولا لقائمتنا على قاعدتنا فخر، كلمتنا مؤتلفة والفتنة جامعة، ودارنا واحدة يجمعنا كرم العرق، ويحونا شرف النجار، ويحن قوينا على ضعيفنا، فانظر لنفسك وللمسلمين وأرفع إليّ قتلة عثمان خاصتك وخلصاؤك والمحدثون بك، فإن أبيت إلا سلوك سبيل اللجاج والإصرار على الغي والضلال فاعلم أن هذه الآية إنما نزلت فيك وفي أهل العراق معك... فأجابه الإمام

(١) ابن أبي الحديد: ١٥٠/١٧.

(٢) تمام نهج البلاغة: ص ٦٧٥.

بذلك الكتاب الذي أورده السيد الرضي .

(٦٥) ومن كتاب له عليه السلام : «أما بعد فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور» .

قال ابن أبي الحديد : وهذا الكتاب جواب كتاب وصل من معاوية إليه عليه السلام بعد قتل علي عليه السلام الخوارج ، وفيه تلويح بما كان يقوله من قبل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وعدني بقتال طائفة أخرى غير أصحاب الجمل وصفين وإنه سماهم المارقين ، فلما واقعهم عليه السلام بالنهروان وقتلهم كلهم بيوم واحد وهم عشرة ألف أحب أن يذكر معاوية بما كان يقوله من قبل ، ويعد به أصحابه وخواصه فقال له : قد آن لك أن تنتفع بما عاينت وشاهدت معاينة ومشاهدة من صدق القول الذي كنت أقوله للناس ويبلغك فتستهزئ به ^(١) .

(٦٦) ومن كتاب له عليه السلام : «أما بعد فإن المرء ليفرحُ بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزنُ على الشيء الذي لم يكن ليُصيبه» .

ذكر اليعقوبي حكاية هذا الكتاب : وكتب أبو الأسود الدؤلي وكان خليفة عبد الله بن عباس بالبصرة ، إلى علي يعلمه أن عبد الله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم فكتب إليه يأمره بردها ، فأمتنع فكتب يقسم له بالله لتردنها ، فلما ردها عبد الله بن عباس أورد أكثرها ، كتب إليه علي عليه السلام : «أما بعد ، فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ، فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً ، واجعل همك لما بعد الموت والسلام» .

فكان ابن عباس يقول : ما اتعظتُ بكلام قط اتعاطي بكلام أمير المؤمنين عليه السلام ^(٢) .

(٦٧) ومن كتاب له عليه السلام : «أما بعد فاقم للناس الحج ، وذكّرهم بأيام الله» .

كتب هذا الكتاب إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة طالباً منه أن يكون أمير الحاج ، ذاكرأله ما يجب أن يقوم به من آداب الحج .

(٦٨) ومن كتاب له عليه السلام : «أما بعد فإنما مثل الدنيا مثل الحية لئن مسّها قاتلُ سُمّها» .

(١) ابن أبي الحديد : ٢٧/١٨ .

(٢) اليعقوبي : ٢٠٥/٢٠ .

وهو كتاب كتبه إلى سلمان الفارسي قبل أيام خلافته .

(٦٩) ومن كتاب له ﷺ : «وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصَحْهُ» .

وهو كتاب له كتبه إلى الحارث الهمداني وهو صاحب أمير المؤمنين ﷺ وأحد الفقهاء له قول في الفتيا وإليه ينسب الخطاب الذي خاطبه به أمير المؤمنين ﷺ :

يا حار همدان من يمّت يَرْنِي من مؤمن أو منافق قَبِلا

(٧٠) ومن كتاب له ﷺ : «أما بعد فقد بلغني أن رجلاً من قبلك يتسللون إلى معاوية» .

بعث بالكتاب إلى سهل بن حنيف الأنصاري ينبهه إلى خيانة بعض رجاله وهروبهم إلى معاوية، وكان سهل بن حنيف عاملاً على المدينة وهو أخو عثمان بن حنيف .

(٧١) ومن كتاب له ﷺ : «أما بعد فإن صلاح أهلك غرني فيك» .

كان المنذر بن الجارود والياً لأمير المؤمنين على اصطخر فبلغه ﷺ عنه الأمور التي ذكرها في هذا الكتاب، فلما أقبل المنذر عزله أمير المؤمنين ﷺ وأغرمه ثلاثين ألفاً ثم تركها لصعصعة بن صوحان العبدي، بعد أن أحلفه عليها فحلف وذلك أن علياً ﷺ دخل على صعصعة يعودوه فلما رآه علي ﷺ قال : إنك ما علمت حسن المعونة، خفيف المؤونة فقال صعصعة : وأنت والله يا أمير المؤمنين بكتاب الله عليم، وإن الله في صدرك عظيم، فقال له ﷺ : لا تجعلها أبهة على قومك إن عادك إمامك . قال : لا يا أمير المؤمنين ولكنه من من الله على أن عادني أمير المؤمنين وابن عم رسول رب العالمين، ثم قال له صعصعة : يا أمير المؤمنين هذه ابنة الجارود تعصر عينيها كل يوم لحبسك أخاها المنذر، فأخرجه وأنا ضامن ما عليه من أعطيات ربيعة، فقال له ﷺ : ولم تضمنها وزعم لنا أنه لم يأخذها؟ فليحلف ونخرجه، فقال له صعصعة : أراه والله سيحلف، قال : وأنا أظن ذلك^(١) .

(٧٢) ومن كتاب له ﷺ : «أما بعد فإنك لست بسابق أجلك» .

وقد كتبه ﷺ إلى عبد الله بن العباس رضي الله عنه ينصحه فيه .

(٧٣) ومن كتاب له ﷺ : «أما بعد فإنني على التردد في جوابك» .

كتبه إلى معاوية جواباً للكتاب الذي بعثه إليه .

(٧٤) ومن حلف له : «هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها، وربيعة حاضرها وباديها» .

وهذا حلف كتبه بين ربيعة واليمن لمعالجة النزاعات القبلية التي نشبت بين الطائفتين ، وكان لمعاوية دور في تخريب العلاقات بين الطرفين .

(٧٥) ومن كتاب له ﷺ : «أما بعد فقد علمت إعداري فيكم» .

وهو كتاب له ﷺ بعثه إلى معاوية من المدينة في أول ما يبيع له بالخلافة ، يقول ابن أبي الحديد : كتابه إلى معاوية ومخاطبته لبني أمية جميعاً بعث به في أول خلافته ، وهو يدعو إلى الإقبال إليه ومبايعته .

(٧٦) ومن وصية له ﷺ : «سَعِ الناس بوجهك ومجلسك وحكمك» .

وهي جزء من وصية أوصى بها عبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة ، أول الوصية هو : «أوصيك بتقوى الله عز وجل والعدل على من ولاك الله أمره ، سَعِ الناس وجهك . . .» إلى آخره .

(٧٧) ومن وصية له ﷺ : «لا تخصمهم بالقرآن ، فإن القرآن حمال ذو وجوه» .

وقد وصى به عبد الله بن العباس عندما طلب منه أن يأذن له للاحتجاج على الخوارج .

(٧٨) ومن كتاب له ﷺ : «فإن الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم» .

وقد كتبه إلى أبي موسى الأشعري جواباً على سؤال حول الحكمين ، ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي .

يقول ابن أبي الحديد : وأعلم أن هذا الكتاب كتاب من شك في أبي موسى واستوحش منه ، ومن قد نقل إليه عن أبي موسى كلاماً إما صدقاً وإما كذباً^(١) .

(٧٩) ومن كتاب له ﷺ : «أما بعد فإنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فأشتروه» .

وهو كتاب كتبه ﷺ لما استخلف إلى أمراء الأجناد .

شأن إيراد الحكم والمواعظ

- (١) كن في الفتنة: من وصيته للإمام الحسن ؑ.
- (٢) أزرى بنفسه: من وصيته لمالك الأشر.
- (٣) البخل عار: من وصيته لمالك الأشر.
- (٤) العجز آفة: من وصيته لمالك الأشر.
- (٥) العلم ورثة: من وصيته لمالك الأشر.
- (٦) صدر العاقل: من وصيته لمالك الأشر.
- (٧) الصدقة دواء: من وصيته لمالك الأشر.
- (٨) اعجبوا لهذا الإنسان: جزء من خطبة الوسيلة.
- (٩) إذا أقبلت الدنيا: ما سمعه ضرار من أمير المؤمنين ؑ وتحدث به إلى معاوية.
- (١٠) خالطوا الناس مخالطة: من وصيته للحسن والحسين ؑ.
- (١١) إذا قدرت على عدوك: من وصيته للحسن ؑ.
- (١٢) أعجز الناس من عجز: من وصيته للحسن ؑ.
- (١٣) إذا وصلت إليكم: من وصيته لأحد أصحابه.
- (١٤) من ضيعه الأقرب: من وصيته لمالك الأشر.
- (١٥) ما كل مفتون: قاله لما تناقل سعد بن أبي وقاص عن البيعة.
- (١٦) تذلل الأمور للمقادير: في حواره ؑ مع بنت كسرى.
- (١٧) وغيروا الشيب: قاله لمن سأله عن قول رسول الله: غيروا الشيب.

(١٨) غدلو الحق: قاله الإمام حين بلغه خلع طلحة والزبير بيعتهما وإنهما قدما البصرة.

(١٩) من جرى في عنان: جزء من خطبة له بعد التحكيم.

(٢٠) أقيلا ذوي العثرات: من وصية له لأصحابه.

(٢١) قرنت الهيبة: من خطبة الوسيلة.

(٢٢) لنا الحق: من خطبة له لما جيء به ليبياع أبا بكر.

(٢٣) من أبطأ عمله: من خطبة الوسيلة.

(٢٤) من كفارات الذنوب العظام: من خطبة الوسيلة.

(٢٥) يا ابن آدم: من كلام لرجل اشتكى إليه الحاجة.

(٢٦) ما أضمر أحد: من وصيته للحسن بحاضرين.

(٢٧) إمشي بدائك: من وصيته لولده الحسن عليه السلام بحاضرين.

(٢٨) أفضل الزهد: من خطبة الوسيلة.

(٢٩) إذا كنت في ادبار: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين.

(٣٠) الحذر الحذر: من خطبة خطبها في أول جمعة في الكوفة.

(٣١) الإيمان على أربع: قاله عندما سأله رجل أن يعرفه صفة الإسلام والإيمان والكفر والنفاق.

(٣٢) فاعل الخير: من خطبة الوسيلة.

(٣٣) كن سمحاً ولا تكن مبذراً: من وصيته للحسن بحاضرين.

(٣٤) أشرف الغنى: من خطبة الوسيلة.

(٣٥) من أسرى إلى الناس: من خطبة الوسيلة.

(٣٦) من أطال الأمل: من خطبة الوسيلة.

(٣٧) ما هذا الذي صنعتموه: قاله لدهاقين الأنبار عندما لقيهم عند مسيره إلى الشام عندما ترجلوا بين يديه.

(٣٨) يا بني أحفظ عني أربعة: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين.

(٣٩) لا قربة بالتواقل: من وصيته لأصحابه .

(٤٠) لسان العاقل وراء قلبه: من وصيته لولده الحسن عليه السلام بحاضرين .

(٤١) قلب الأحمق في فيه: من خطبة الوسيلة .

(٤٢) جعل الله ما كان: قاله لبعض أصحابه في علة إعتلها، روى الطبري في تاريخه

بسنده عن عبد الرحمن بن جندب قال: لما أقبل علي في صفين أقبلنا معه حتى

جزنا النخيلة ورأينا بيوت الكوفة، فإذا نحن بشيخ جالس في ظل بيت علي وجهه

أثر المرض، فأقبل علي ونحن معه حتى سلم عليه وسلمنا عليه، قال: فردّرداً

حسناً ظننا أنه قد عرفه، فقال له علي: ما لي أرى وجهك منكفئاً أمن للمرض؟

قال: نعم، قال: فلعلك كرهته، فقال: ما أحب أنه بغيري، قال: أليس احتساباً

للخير فيما أصابك منه؟ قال: بلى، قال: أبشر برحمة ربك وغفران ذنبك، من

أنت يا عبد الله! قال: أنا صالح بن سليم، قال: فمن أنت؟ قال: أما الأصل فمن

سلامان بن طيء، وأما الجوار والدعوة فمن بني سليم بن منصور، قال: سبحان

الله ما أحسن اسمك، واسم أبيك واسم أديائك واسم من اعتزيت إليه، هل

شهدت معنا غزاتنا هذه؟ قال: لا والله ما شهدتها ولقد أردتها، ويكى، ما ترى بي

من لهب الحمى خذلني عنها، قال علي: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا

عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، مَا عَلَى الْحَسَنِ مِنْ

سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أخبرني ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟

قال: منهم المسرور فيما كان بينك وبينهم وأولئك اغشاه الناس، ومنهم المكبوت

الأسف لما كان من ذلك وأولئك نصحاء الناس لك، فذهب لينصرف فقال:

صدقت جعل الله ما كان من شكواك خطأ بسيئاتك، فإن المرض لا أجرفيه^(١).

(٤٣) يرحم الله خباب: في ذكر خباب بن الارت عندما مرّ بقبره بظاهر الكوفة .

(٤٤) طوبى لمن ذكر المعاد: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين .

(٤٥) لو ضربت خيشوم المؤمن: من كلام له كلم به الخوارج عندما قالوا: أنا حكّما،

فلما حَكَمْنَا أئْمَنَّا، وَكُنَّا بِذَلِكَ كَافِرِينَ، وَقَدْ تَبْنَا فَإِنْ تَبْتَ كَمَا تَبْنَا فَتَحْنُ مِنْكَ وَمَعَكَ فَقَالَ لَهُمْ: أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ . . .

(٤٦) سِيئَةُ تَسْوِءِكَ: مِنْ وَصِيَّتِهِ لِلْحَسَنِ ﷺ بِحَاضِرِينَ.

(٤٧) قَدَّرُ الرَّجُلُ: مِنْ وَصِيَّتِهِ لِلْحَسَنِ ﷺ بِحَاضِرِينَ.

(٤٨) الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ: مِنْ وَصِيَّتِهِ لِأَصْحَابِهِ.

(٤٩) احْذَرُوا صَوْلَةَ: مِنْ خُطْبَةِ الْوَسِيلَةِ.

(٥٠) قُلُوبُ الرِّجَالِ: مِنْ وَصِيَّتِهِ لِأَصْحَابِهِ.

(٥١) عَيْبُكَ مُسْتَوْرٌ: مِنْ خُطْبَةِ الْوَسِيلَةِ.

(٥٢) أَوْلَى النَّاسِ: مِنْ وَصِيَّتِهِ لِلْحَسَنِ ﷺ بِحَاضِرِينَ.

(٥٣) السُّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً: جَوَابُهُ عَلَى سُؤَالِ سَأَلِهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: مَا السُّخَاءُ؟

(٥٤) لَا غَنَى كَالْعَقْلِ: مِنْ خُطْبَةِ الْوَسِيلَةِ.

(٥٥) الصَّبْرُ صَبْرَانِ: مِنْ وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَةِ.

(٥٦) الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ: مِنْ خُطْبَةِ الْوَسِيلَةِ.

(٥٧) الْقَنَاعَةُ مَا لَا يَنْفَدُ: مِنْ وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَةِ.

(٥٨) الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ: مِنْ خُطْبَةِ الْوَسِيلَةِ.

(٥٩) مَنْ حَذَرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ: مِنْ وَصِيَّتِهِ لِلْحَسَنِ ﷺ.

(٦٠) اللِّسَانُ سَبْعٌ: مِنْ وَصِيَّتِهِ لَوْلَدِهِ الْحَسَنِ ﷺ.

(٦١) الْمَرَأَةُ عَقْرَبٌ: مِنْ خُطْبَةِ الْوَسِيلَةِ.

(٦٢) إِذَا حَيَّيتُ بِتَحِيَّةٍ: مِنْ وَصِيَّتِهِ لِلْحَسَنِ ﷺ.

(٦٣) الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ: مِنْ خُطْبَةِ الْوَسِيلَةِ.

(٦٤) أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكِبٍ يُسَارُ بِهِمْ: مِنْ وَصِيَّتِهِ لَوْلَدِهِ الْحَسَنِ ﷺ.

(٦٥) فَقْدُ الْأَحَبَّةِ غُرْبَةٌ: مِنْ خُطْبَةِ الْوَسِيلَةِ.

(٦٦) فُوتَ الْحَاجَةُ أَهْوَنُ مِنْ طَلِبِهَا: مِنْ وَصِيَّتِهِ لَوْلَدِهِ الْحَسَنِ ﷺ.

(٦٧) لَا تَسْتَحْ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ: مِنْ وَصِيَّتِهِ لَوْلَدِهِ الْحَسَنِ ﷺ.

- (٦٨) العفاف زينة الفقر: من خطبة الوسيلة.
- (٦٩) إذا لم تكن: من وصيته لولده محمد بن الحنفية.
- (٧٠) لا ترى الجاهل إلا مفروطاً: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.
- (٧١) إذا تمّ العقل: من وصيته لولده الحسن عليه السلام.
- (٧٢) الدهر يُخلِقُ الأبدان: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.
- (٧٣) من نصّب نفسه: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.
- (٧٤) نفس المرء خطاه إلى أجله: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.
- (٧٥) كل معدود مُتَقَضٍّ: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.
- (٧٦) إنّ الأمور إذا أشبهت: من كلام له في يوم من أيام صفين.
- (٧٧) يا دُنْيَا يا دُنْيَا: ما سمعه ضرار بن حمزة الضبائي من أمير المؤمنين عليه السلام قاله أمام معاوية.
- (٧٨) ويحك! لعلك ظننت قضاءً: من كلام له عليه السلام للسائل الشامي لما سأله أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟
- (٧٩) خُذْ الحكمة أتي كانت: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.
- (٨٠) الحكمة ضالة المؤمن: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.
- (٨١) قيمة كل امرئ ما يُحسنه: من خطبة الوسيلة.
- (٨٢) أوصيكم بخمس: من خطبة الوسيلة.
- (٨٣) أنا دون ما تقول: لرجل أفرط في الثناء عليه وكان متهماً.
- (٨٤) بقية السيف: من كتاب له إلى الحصين بن المنذر لما كتب إليه أنّ الحرب أكثرت في ربيعة فوق (الحكمة).
- (٨٥) من ترك قول: من خطبة الوسيلة.
- (٨٦) رأيي الشيخ أحبُّ إليّ: من كتاب له لولده الحسن عليه السلام فوق (الحكمة).
- (٨٧) عجبْتُ لمن يقنط: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.
- (٨٨) كان في الأرض أمانان من عذاب الله: من خطبة الوسيلة.

- (٨٩) من أصلح ما بينه: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية .
- (٩٠) الفقيه كل الفقيه: من خطبة فيمن يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك أهل .
- (٩١) إن هذه القلوب: من وصيته لأصحابه .
- (٩٢) أَوْضَعُ الْعِلْمُ: من وصيته للحسن بحاضرين .
- (٩٣) لَا يَقُولُنَّ أَحَدُكُمْ: سمع رجلاً يقول: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة فقال ﷺ: الحكمة .
- (٩٤) لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ: وسئل عن الخير ما هو؟ فقال: (الحكمة) .
- (٩٥) لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى: تابع لـ (٩٤) وقد سئل عن الخير ما هو؟ فقال: (الحكمة) .
- (٩٦) إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ: من وصيته للحسن والحسين لما ضربه ابن ملجم (لع) .
- (٩٧) نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ: سمع ﷺ رجلاً من الحرورية يتعبد ويقرأ فقال ﷺ: ذلك حتى لا يتأثر أصحابه بسلوكه .
- (٩٨) أَعْقِلُوا الْخَيْرَ: جزء من خطبة بذى قار يخبر فيها ما يحدث في آخر الزمان .
- (٩٩) إِنْ قَوْلُنَا: سمع رجلاً يقول: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فقال ﷺ: إِنْ قَوْلُنَا^(١) .
- (١٠٠) اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ: مدحه قوم في وجهه فقال لهم (الحكمة)^(٢) .
- (١٠١) وَلَا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ: اجتمع عنده جماعة فتذاكروا المعروف فقال ﷺ: المعروف كنزٌ من أفضل الكنوز، وزرعٌ من أزكى الزروع^(٣) .
- (١٠٢) يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ: جزء من خطبة بذى قار وفيها خبر المغيبات .
- (١٠٣) يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ: ورؤي عليه إزار خلق مرقوع فقبل له في ذلك، فقال: الحكمة .
- (١٠٤) يَا نَوْفُ: عن نوف البكالي قال: رأيت أمير المؤمنين ﷺ ذات ليلة وقد خرج من

(١) الرجل هو الأشعث بن قيس .

(٢) يقول البلاذري في أنساب الأشراف: حدثني أبو عبيد القاسم بن سلام، قال: بلغنا أن رجلاً أثنى على علي في وجهه وكان علي أتهمه ص ١٨٨ .

(٣) تاريخ اليعقوبي: ١٥٢/٢ .

- فراشه فنظر في النجوم فقال لي: يا نوف، أراقد أنت أم راق؟ فقلت: بل راق قال: يا نوف... إلى آخره.
- (١٠٥) إن الله افترض: من خطبة قالها في أول جمعة بعد بيعته، وفيها يحذر من المنافقين.
- (١٠٦) لا يترك الناس شيئاً: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.
- (١٠٧) ربّ عالم قد قتله: من خطبة خطبها أمير المؤمنين ﷺ لما سار طلحة والزبير ومعهما عائشة يريدون البصرة.
- (١٠٨) لقد علّق بنياط: من خطبة الوسيلة.
- (١٠٩) نحن النمرقة الوسطى: كلام كلم به الخوارج وذكره الطبري من جملة حديث جرى بين أمير المؤمنين والحارث^(١).
- (١١٠) لا يقيم أمر الله: من وصيته لزياد بن النضر وشريح بن هانئ وصي به لما جعلهما على مقدمته إلى الشام.
- (١١٢) من أحبنا أهل البيت: من وصيته لأصحابه.
- (١١٣) لا مال أعود من العقل: جزء من خطبة خطبها الإمام بعد موت النبي ﷺ بتسعة أيام وذلك حين فرغ من جمع القرآن الكريم.
- (١١٤) وإذا استولى الصلاح: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.
- (١١٥) كيف يكون حال من يفنى ببقائه: قال عبد الله بن جعفر: دخلت على عمي علي بن أبي طالب ﷺ صباحاً وكان مريضاً فقلت: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين فقال: (الكلام)^(٢).
- (١١٦) كم من مستدرج: جزء من خطبة أولها: الحمد لله الواصل الحمد بالنعم، وهي جزء من خطبة (١١٤).
- (١١٧) هلك في رجُلان: كلم به الخوارج لما قالوا له: إنا حكمنا... فإن تبت كما تبنا...

(١) الطبري: بشارة المصطفى ص ٥.

(٢) الطوسي: الأمالي ٢/٢٥٤.

- (١١٨) إضاعة الفرصة غصّة: من خطبة الوسيلة .
- (١١٩) مثل الدنيا كمثل الحية: من كتاب له بعثه إلى سلمان الفارسي .
- (١٢٠) أما بنو مخزوم: قاله جواباً لأحد أصحابه عندما سئل عن قريش .
- (١٢١) شتان ما بين عمليين: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية .
- (١٢٢) كأن الموت فيها على غيرنا: تبع جنازة فسمع رجلاً يضحك، فقال: كأن الموت .
- (١٢٣) طوبى لمن ذلّ في نفسه: جزء من خطبة فيمن يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل .
- (١٢٤) غيرة المرأة كفر: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين .
- (١٢٥) لا نسب الإسلام: من خطبة الوسيلة .
- (١٢٦) عجب للبخيل: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية .
- (١٢٧) من قصر في العمل أثلي بهم: من خطبة الوسيلة .
- (١٢٨) توقوا البرد: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة وصية) .
- (١٢٩) عظم الخالق: من خطبة الوسيلة .
- (١٣٠) يا أهل الديار الموحشة: وقد رجع من صفين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة . . . ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروهم أن خير الزاد التقوى .
- (١٣١) أيها الدمام للدنيا: كان علي بن أبي طالب في مسجد الكوفة فسمع رجلاً يشتم الدنيا ويفحش في شتمها أليس هو الليل والنهار مطيعين^(١) .
- (١٣٢) إن لله ملكاً ينادي: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية .
- (١٣٣) الدنيا دار ممر: جزء من خطبة خطبها يوم الجمعة .
- (١٣٤) لا يكون الصديق صديقاً: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة وصية) .
- (١٣٥) من أعطى أربعاً: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية .

(١) تاريخ دمشق: ٢٨٥/٢١ ترجمة علي بن أبي طالب عليه السلام .

- (١٣٦) الصلاة قربان كل تقى: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).
- (١٣٧) استنزّلوا الرزق بالصدقة: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).
- (١٣٨) من أيقن بالخلف: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).
- (١٣٩) تنزل المعونة: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).
- (١٤٠) ما عال من اقتصد: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).
- (١٤١) قلة العيال أحد اليسارين: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).
- (١٤٢) التودد نصف العقل: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).
- (١٤٣) الهم نصف الهرم: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).
- (١٤٤) يزول الصبر: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).
- (١٤٥) كم من صائم: من كلامه لجميل بن زياد النخعي في الجبان.
- (١٤٦) مؤسوا إيمانكم: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).
- (١٤٧) إن هذه القلوب: قال جميل بن زياد: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأخرجني إلى الجبان فلما أصبح تنفس الصعداء ثم قال: الكلام.
- (١٤٨) المرء مخبوء تحت لسانه: من خطبة الوسيلة عليه السلام.
- (١٤٩) هلك امرؤ لم يعرف قدره: من خطبة له فيمن يتصدى للحكم وهو ليس بأهل.
- (١٥٠) لا تكن ممن يرجو الآخرة: صعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منبر الكوفة بعد الفتنة وفراغه من النهراون فحمد الله وخنقته العبرة حتى أخضلت لحيته بدموعه وجرت ثم نفض لحيته فوق رشاشها على أناس فكنا نقول: إن من أصابه من دموعه فقد حرّمه الله على النار، ثم قال: أيها الناس لا تكونوا ممن يرجو الآخرة..^(١)
- (١٥١) لكل امرئ عاقبة: من وصيته لولده الحسن بحاضرين.
- (١٥٢) لكل مقبل إدبار: من وصيته لولده الحسن عليه السلام بحاضرين.
- (١٥٣) لا يغتم الصبور: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.

- (١٥٤) الراضي بفعل قوم: من وصيته لولده الحسن عليه السلام بحاضرين .
- (١٥٥) اعتصموا بالذمم: يقول ابن أبي الحديد: هذه الكلمة قالها بعد انقضاء أمر الجمل وحضور قوم من الطلقاء بين يديه ليبياعوه منهم مروان بن الحكم فقال: وما اصنع بيعتك؟ ألم تبايعني بالأمس؟ يعني بعد قتل عثمان، ثم أمر بإخراجهم وتكلم بكلام ذكر فيه ذمام العريية، وذمام الإسلام، وذكر أن من لا دين له فلا ذمام له، ثم قال في أثناء الكلام: فاستعصموا بالذمم^(١).
- (١٥٦) عليكم بطاعة من لا تُعذرون: من خطبة خطبها فيمن يتصدى للحكم وهو ليس بأهل .
- (١٥٧) قد بُصرتم إن أبصرتم: من خطبة خطبها في أول جمعة من بيعته .
- (١٥٨) عاتب أخاك بالإحسان: من وصيته لولده الحسن بحاضرين .
- (١٥٩) من وضع نفسه: من خطبة الوسيلة .
- (١٦٠) من ملك أستاثر: من خطبة الوسيلة .
- (١٦١) من استبد برأيه هلك: من وصيته لولده الحسن بحاضرين .
- (١٦٢) من كنتم سره كانت الخيرة: من خطبة الوسيلة .
- (١٦٣) الفقر الموت الأكبر: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة) .
- (١٦٤) من قضى حق: من خطبة الوسيلة .
- (١٦٥) لا طاعة لمخلوق: من وصيته لولده الحسن بحاضرين .
- (١٦٦) لا يُعابُ المرء: يقول ابن أبي الحديد: لعل هذه الكلمة في جواب من سألَه لِمَ أخرت المطالبة بحقك في الإمامة^(٢) .
- (١٦٧) الإعجاب يمنع الأزدية: من خطبة الوسيلة .
- (١٦٨) الأمر قريب: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين .
- (١٦٩) قد أضاء الصُّبحُ: من كتاب له كتبه لما سألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان فأمر أن

(١) ابن أبي الحديد: ٢٧٢/٨ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٩٠/٨ .

يُقرأ كل جمعة .

- (١٧٠) ترك الذنب: من وصيته للحسن ؑ بحاضرين .
- (١٧١) كم من أكلة: من وصيته للحسن ؑ بحاضرين .
- (١٧٢) الناس أعداء ما جهلوا: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية .
- (١٧٣) من استقبل وجوه الآراء: من خطبة الوسيلة .
- (١٧٤) من أخذ سنان البغي: من وصيته للحسن ؑ بحاضرين .
- (١٧٥) إذا هبت أمراً: من وصيته للحسن ؑ بحاضرين .
- (١٧٦) آلة الرياضة سعة الصدر: جزء من خطبة الوسيلة .
- (١٧٧) ازجر المسيء بثواب المحسن: من وصيته للحسن ؑ بحاضرين .
- (١٧٨) احصد الشر من صدر: من وصيته للحسن ؑ بحاضرين .
- (١٧٩) اللجاجة تسأل الرأي: من وصيته للحسن ؑ بحاضرين .
- (١٨٠) الطمع رِق مؤبد: من وصيته للحسن ؑ بحاضرين .
- (١٨١) ثمرة التفريط الندامة: من وصيته للحسن ؑ بحاضرين .
- (١٨٢) لا خير في الصمت: من خطبة الوسيلة .
- (١٨٣) ما اختلفت دعوتان: من خطبة الوسيلة .
- (١٨٤) ما شككت في الحق: من خطبة له حين قتل طلحة وانفض أهل البصرة .
- (١٨٥) ما كذبت ولا كُذبت: قال هذه الكلمة قبل واقعة النهروان لما أخبر أن الخوارج قد عبروا جسر النهروان ، فأخبرهم أنهم لم يعبروا وأن مصارعهم دون النطفة ، فلما أخبر بعدم عبورهم ، قال : ما كُذبت ولا كُذبت ، وقالها بعد الواقعة أيضاً لما أمر أصحابه أن يطلبوا المخدج فطلبوه فلم يجدوه حتى قال رجل : لا والله يا أمير المؤمنين ما هو منهم ، فقال ؑ : والله ما كُذبت ولا كُذبت فجاء رجل فقال : قد أصبناه يا أمير المؤمنين فخر ؑ ساجداً .
- (١٨٦) للظالم الهادي غداً بكفه عضة: من وصيته للحسن ؑ بحاضرين .
- (١٨٧) الرحيل وشيك: من وصيته للحسن ؑ بحاضرين .

- (١٨٨) من أبدى صفحته للحق هلك: هذه الكلمة من خطبته ﷺ لما بويع بالمدينة .
- (١٨٩) من لم يُتَجِه الصبر: من وصيته للحسن ﷺ بحاضرين .
- (١٩٠) وا عجباه أكون الخلافة بالصحابة: يقول محمد عبده: يريد احتجاج أبي بكر على الأنصار بأن المهاجرين شجرة النبي ﷺ^(١) .
- (١٩١) إنما المرء في الدنيا غرض: من خطبة خطبها في يوم الجمعة .
- (١٩٢) يا بن آدم ما كسبت: في الخصال: شكى رجل إلى أمير المؤمنين الحاجة فقال له: الكلام^(٢) .
- (١٩٣) إن للقلوب شهوة وإقبالاً: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة) .
- (١٩٤) متى اشفي غيظي إذا غضبت: من كلام له ﷺ عن حال الغضب .
- (١٩٥) هذا ما يخل به الباخلون: وقد مرّ بقدر على مزلة .
- (١٩٦) لم يَلْهَبْ من مالك ما وعظك: كلام له ﷺ لمن أسف على ما لفقده .
- (١٩٧) إن هذه القلوب ثقل: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة) مرّ في (٩١) .
- (١٩٨) كلمة حق يُراد بها باطل: لما سمع قول الخوارج لا حكم إلا لله .
- (١٩٩) هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا: سأله رجل عن صفّة الغوغاء فقال: الكلام .
- (٢٠٠) لا مرحباً بوجوه لا تُرى: كلام له ﷺ وقد روى ومعه غوغاء الناس .
- (٢٠١) إن مع كل إنسان ملكين: جاء رجل من مراد إلى علي وهو يصلي في المسجد فقال: احترس فإنّ ناساً من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل (إنسان)^(٣) .
- (٢٠٢) لا ولكنكما شريكان: ذكروا أنّ الزبير وطلحة أتيا علياً بعد فراغ البيعة فقالا: هل

(١) الخصال: ٩/١ .

(٢) من كتاب له كتبه لما سأله البعض عن أبي بكر وعمر وعثمان فأمر أن يقرأ كل يوم جمعة .

(٣) الطبقات الكبرى: ٤٢/٣ ذكره الكليني بسنده عن سعيد بن قيس الهمداني قال: نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحركت فرسي، فإذا هو أمير المؤمنين ﷺ فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الوضع؟ قال: نعم يا سعيد... (أصول الكافي) .

تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين . قال علي : نعم على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان ؟ فقالا : لا ولكننا بايعناك على أنا شريكان في الأمر فقال الإمام (عليه السلام) : الكلام .

(٢٠٣) أيها الناس اتقوا الله : جزء من خطبة خطبها في قدرة الله سبحانه .

(٢٠٤) لا يُزهدُك في المعروف : من كلام له لما اجتمع عنده جماعة فتذكروا المعروف فقال : (الكلام) .

(٢٠٥) كُلَّ وعاء يضيئُ بما جُعِلَ فيه : من وصيته للحسن (عليه السلام) بحاضرين .

(٢٠٦) أولُ عَوْضِ الحليم من حِلْمِهِ : من خطبة له هي خطبة الوسيلة .

(٢٠٧) إن لم تكن حليماً : من وصية لولده الحسن (عليه السلام) بحاضرين .

(٢٠٨) من حاسَبَ نفسه ربح : ومن وصيته لولده الحسن (عليه السلام) بحاضرين .

(٢٠٩) لتعطفن الدنيا علينا : من خطبة له بعد النهروان يبين فيها فضله .

(٢١٠) اتقوا الله تقيه من شئ : جزء من خطبة الغراء .

(٢١١) الجود حارس الأعراض : جزء من خطبة الوسيلة .

(٢١٢) عَجِبُ المرء بنفسه أحدُ حَسَادِ عقله : جزء من خطبة الوسيلة .

(٢١٣) أغضِ على القذى والألم : ومن وصيته للحسن (عليه السلام) بحاضرين .

(٢١٤) من لَانَ عَوْدُهُ كَثُفَتْ أغصانه : من خطبة الوسيلة .

(٢١٥) الخلاف يهديمُ الرأي : من خطبة الوسيلة .

(٢١٦) من نال استطال : جزء من خطبة الوسيلة .

(٢١٧) في تقلب الأحوال : من خطبة الوسيلة .

(٢١٨) حَسَدُ الصديق : من خطبة الوسيلة .

(٢١٩) أكثر مصارع العقول : من وصيته لابنه محمد بن الحنفية .

(٢٢٠) ليس من العدل القضاء : من خطبة الوسيلة .

(٢٢١) بش الزاد إلى المعاد : من خطبة الوسيلة .

(٢٢٢) من أشرف أعمال الكرم : من خطبة الوسيلة .

- (٢٢٣) من كساه الحياء ثوبه: من خطبة الوسيلة.
- (٢٢٤) بكثرة الصمت تكون الهيبة: من خطبة الوسيلة.
- (٢٢٥) العجب لفغلة الحساد: من خطبة الوسيلة.
- (٢٢٦) الطامع في وثاق الدل: من خطبة الوسيلة.
- (٢٢٧) الإيمان معرفة بالقلب: كلام لما سئل عن الإيمان والنفاق.
- (٢٢٨) من أصبح على الدنيا: من خطبة الوسيلة.
- (٢٢٩) كفى بالقناعة مُلكاً: من خطبة الوسيلة.
- (٢٣٠) شاركوا الذين قد أقبل: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.
- (٢٣١) إن الله يأمر بالعدل: كلام له في الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾.
- (٢٣٢) من يعط باليد القصيرة: من خطبة الوسيلة.
- (٢٣٣) لا تدعون إلى مبارزة وإن دعيت: من وصية للحسن عليه السلام بحاضرين.
- (٢٣٤) خيار خصال النساء: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين.
- (٢٣٥) هو الذي يضع الشيء مواضعه: قاله لما قيل له: صف لنا العاقل.
- (٢٣٦) والله لندياكم أهون في عيني: كلام له بعد الحمل والنهروان قاله مخاطباً الأشر.
- (٢٣٧) إن قوماً عبدوا الله رغبة: لنوف البكالي، قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر في النجوم فقال لي: يا نوف أراقداً أنت أم راقم، فقلت: بل راقم، فقال عليه السلام: (الكلام).
- (٢٣٨) المرأة شرّ كلها، وشر ما فيها أنه لا بد منها: من خطبة الوسيلة.
- (٢٣٩) من أطاع التواني ضيع الحقوق: من خطبة الوسيلة.
- (٢٤٠) الحجر الغصيب: من خطبة الوسيلة.
- (٢٤١) يوم المظلوم على الظالم: من خطبة خطبها بعد النهروان.
- (٢٤٢) اتق الله بعض التقى: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين.
- (٢٤٣) إذا ازدحم الجواب: من خطبة الوسيلة.
- (٢٤٤) إن لله في كل نعمة حقاً: من خطبة خطبها في يوم الجمعة التي دخل فيها

الكوفة .

- (٢٤٥) إذا كثرت المقدرة: من خطبة الوسيلة .
- (٢٤٦) احذروا نفار النعم: من خطبة الوسيلة .
- (٢٤٧) الكرم اعطف: من خطبة الوسيلة .
- (٢٤٨) من ظنّ بك خيراً: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين .
- (٢٤٩) أفضل الأعمال: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية .
- (٢٥٠) عرفتُ الله سبحانه: روى الصدوق بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عن أبيه عن جده عليه السلام قال: إن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟ فقال: (الكلام) ^(١) .
- (٢٥١) مرارة الدنيا حلاوة الآخرة: جزء من خطبة الوسيلة .
- (٢٥٢) فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك: قاله لما تخلف عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وحسان بن ثابت عن البيعة .
- (٢٥٣) احلفوا الطّالم: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة) .
- (٢٥٤) يا بن آدم كن وصي نفسك: من خطبة الوسيلة .
- (٢٥٥) الحلة ضرب من الجنون: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين .
- (٢٥٦) صحة الجسد: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين .
- (٢٥٧) يا كميل مرّ أهلك أن يروحوأ: جزء من كلماته عندما أخرجه إلى الجبّان .
- (٢٥٨) إذا أفلقتهم: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين .
- (٢٥٩) الوفاء لأهل القدر: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين .
- (٢٦٠) كم من مستدرج بالإحسان: جزء من خطبة في التوحيد أولها: الحمد لله الواصل . .

(٢٦١) ما تكفوني أنفسكم: لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النخيلة فأدركه الناس وقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نكفيهم،

فقال: (الكلام).

(٢٦٢) يا حارث إنك نظرت تحتك: قيل إن الحارث بن حوط أتاه فقال: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا في ضلالة؟ قال ﷺ: إنك نظرت تحتك.

(٢٦٣) صاحب السلطان كراكب الأسد: من كلام له في خطورة صاحب السلطان.

(٢٦٤) أحسنوا في عقيب غيركم: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).

(٢٦٥) إن كلام الحكماء: من خطبة الوسيلة.

(٢٦٦) إذا كان الغد: سأله سائل فأجاب على سؤاله في الغد: السائل هو عمار بن ياسر

أو عبد الله بن الكواء وأن السؤال وقع في يوم، والجواب في آخر وإنه خطب

الناس بهذا الكلام في داره وأنه أمر أن يكتب هذا الكلام وأن يقرأ على الناس.

(٢٦٧) يا بن آدم: من كلام له لما شكى إليه رجل الحاجة.

(٢٦٨) أحب حبيبك: ذكر أبو علي القالي بسنده عن محمد بن سوقة قال: أتى رجل

علياً ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين ما الإيمان؟ فقال: الإيمان على أربع، قال: فقام

الرجل فقبل.

(٢٦٩) الناس في الدنيا: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.

(٢٧٠) إن هذا القرآن: لما ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة وكثرته، فقال

قوم: لو أخذته وجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم أجراً، وما تصنع الكعبة

بالحلي؟ فهم عمر بذلك وسأل عنه أمير المؤمنين فقال ﷺ: (الكلام).

(٢٧١) أما هذا فهو من مال الله: روى الكليني بسنده عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن

الوشاء عن عاصم بن حميد عن محمد بن قيس عن أبي جعفر قال: قضى أمير

المؤمنين في رجلين سرقا من مال الله، أحدهما عبد لمال الله، والآخر من عرض

الناس، فقال: أما هذا فمن مال الله ليس عليه شيء^(١).

(٢٧٢) لو قد استوت قدماي: من كلام له عن نيته في إزالة البدع المحدثه.

(٢٧٣) أعلموا علماً: من خطبة له في الجمعة التي دخل فيها الكوفة.

(٢٧٤) لا تجعلوا علمكم: من خطبة له في فضائل الرسول، وفيها إخبار بجملة مما سيصيب المسلمين في القرون المقبلة.

(٢٧٥) إن الطمع مورد غير مصدر: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين.

(٢٧٦) اللهم إني أعوذ بك: من دعاء له في الاستغفار والتوبة راجع رقم (٧٨).

(٢٧٧) لا والذي أمسينا: من كلام له وهو يحلف اليمين.

(٢٧٨) قليل تدوم: من خطبة الوسيلة، وذكر أيضاً ضمن وصيته عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية.

(٢٧٩) إذا أضرت النوافل: من وصيته لأصحابه (الأربعمائة).

(٢٨٠) من تذكر بعد السفر استعت: من خطبة الوسيلة.

(٢٨١) ليست الرؤية كالمعاينة: جزء من خطبة الديباج.

(٢٨٢) بينكم وبين الموعظة: وهي من خطبة الوسيلة.

(٢٨٣) جاهلكم مزداد وعالمكم مسوف: من خطبة له فيمن يتصدى للحكم بين الأمة وهو ليس لذلك أهل.

(٢٨٤) قطع العلم عنر المتعلمين: وهي من خطبة الوسيلة.

(٢٨٥) كل معاجل يسأل الإنظار: من خطبة الوسيلة.

(٢٨٦) ما قال الناس لشيء (طوبى له): من خطبة الوسيلة.

(٢٨٧) طريق مظلم فلا تسلكوه: من كلام له لما سئل عن القدر، وهو جزء من مجموعة أسئلة حول القدر والاستطاعة والحول والقوة ورد أيضاً في (١٠٨).

(٢٨٨) إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين.

(٢٨٩) كان لي فيما مضى: قيل إن المقصود هو أبو ذر الغفاري ورد على هذا القول بأن

الأوصاف غير موجودة في أبي ذر وقيل أنه المقداد بن عمرو وكان من شيعة

علي عليه السلام المخلصين، وكان شجاعاً مجاهداً حسن الطريقة وقد ورد في فضله حديث

صحيح مرفوع.

(٢٩٠) لو لم يتوعد الله سبحانه علي معصيته: من خطبة الوسيلة.

(٢٩١) يا أشعث إن تحزن على ابنك: وقد عزى أمير المؤمنين الأشعث بن قيس على ابن له قائلاً: يا أشعث إن تحزن على ابنك فقد استحققت ذلك منك الرحم.

(٢٩٢) إن الصبر جميل: روى القاضي القضاعي: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يغدو ويروح إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته ويبكي تفجعا ويقول: يا رسول الله ما أحسن الصبر إلا عنك^(١).

(٢٩٣) لا تصحب المائق: من وصيته للحسن بحاضرين.

(٢٩٤) مسيرة يوم للشمس: قال الجاحظ: قيل لعلي رضي الله عنه: كم بين السماء والأرض، قال: دعوة مستجابة، فقالوا: كم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم للشمس.

(٢٩٥) أصدقاؤك ثلاثة: من وصيته لولده الحسن عليه السلام كتبها له بحاضرين بعد صفين.

(٢٩٦) إنما أنت كالطاعن: روى الطبري: إن علياً سمع أقواماً يذمون عثمان بن عفان بما يضررون به أنفسهم فقال: إنكم وما تعيرون عثمان به كالطاعن نفسه ليقتل ردفه^(٢).

(٢٩٧) ما أكثر العبر: من خطبة الوصي عليه السلام في يوم ردى

(٢٩٨) من بالغ في الخصومة أثم: من وصيته لمالك الأستر.

(٢٩٩) ما أهنى ذنب: من كلام له في أهمية النواقل.

(٣٠٠) كما يرزقهم على كثرتهم: السائل هو سلمان الفارسي سأله كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟ فقال عليه السلام: كما يرزقهم ولا يرونه.

(٣٠١) رسولك ترجمان: من وصيته للحسن عليه السلام بحاضرين.

(٣٠٢) ما المبطل الذي قد اشتد: ومن وصيته لابنه محمد بن الحنفية، وذكر الصدوق بسنده عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام: إن علياً عليه السلام كان يقول: ما من أحد ابتلي... إلى آخره.

(١) الطبري: ٤٩/٥ حوادث سنة ٣٥ طبعة ليدن.

(٢) دستور معالم الحكم: ص ١٩٨ مسنداً.

(٣٠٣) الناس أبناء الدنيا: قال الثعالبي: قيل للإمام علي عليه السلام: لم حرص الناس على الدنيا، قال: هم أبناؤها.

(٣٠٤) إن المسكين: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.

(٣٠٥) ما زنى غير قط: من خطبة الوسيلة.

(٣٠٦) كفى بالأجل: ذكر الصدوق بسنده عن أبي حيان التميمي عن أبيه، وكان مع علي عليه السلام يوم صفين، قال: بينما علي بن أبي طالب عليه السلام يعبىء الكتائب يوم صفين ومعاوية مقابله على فرس له يتأكل تحته تأكلًا، وعلي عليه السلام على فرس رسول الله المرتجز، ويده حرية رسول الله صلى الله عليه وآله وهو متقلد سيفه ذا الفقار فقال رجل من أصحابه احترس يا أمير المؤمنين فإننا نخشى أن يقتالك هذا الملعون فقال عليه السلام: لأن قلت ذاك أنه غير مأمون على دينه وأنه لأشقى القاسطين.

(٣٠٧) ينام الرجل: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).

(٣٠٨) مودة الآباء: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).

(٣٠٩) اتقوا ظنون: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).

(٣١٠) لا يصدق إيمان: ذكر المسعودي: وقف علي بن علي سائل فقال للحسن: قل لأملك تدفع إليه درهماً فقال: عندنا ستة دراهم للدقيق فقال علي: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده، مع اختلاف مع الأصل^(١).

(٣١١) إن كنت كاذباً فضربك الله: قال ابن أبي الحديد: المشهور أن علياً ناشد الناس الله في الرحبة بالكوفة فقال: أنشدكم الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي وهو منصرف من حجة الوداع، من كنت مولاه...، فقام رجال فشهدوا بذلك، فقال عليه السلام: لأنس بن مالك: لقد حضرتها فما بالك؟ فقال: يا أمير المؤمنين كبرت سني، وصار ما أنساه أكثر مما أذكره، فقال له: إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لا توارىها العمامة، فما مات حتى أصابه البرص، وأما ما ذكره الرضي من أنه بعث أنساً إلى طلحة والزبير فغير معروف، ولو كان قد بعثه ليذكرهما بكلام

يختص بهما من رسول الله ﷺ لما أمكنه أن يرجع فيقول: إني أنسيته، فينكر بعد الإقرار^(١).

(٣١٢) إن للقلوب إقبالا: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).

(٣١٣) وفي القرآن نبأ: ذكر المسعودي دخل (الحارث الأعور) على علي فقال: يا أمير المؤمنين ألا ترى إلى الناس قد أقبلوا على هذه الأحاديث وتركوا كتاب الله؟ قال: وقد فعلوها، قال: نعم، قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستكون فتنة قلت: من المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم^(٢).

(٣١٤) ردوا الحجر من حيث جاء: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).

(٣١٥) ألق دوائك: من كلام له قاله لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع في آداب الكتابة.

(٣١٦) أنا يعسوب المؤمنين: روى ابن عبد البر عن أبي ليلى الغفاري أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فآلزموا علي بن أبي طالب فإنه أول من يراني، وأول من يضافحني يوم القيامة وهو الصديق الأكبر وهو فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل وهو يعسوب الدين^(٣).

(٣١٧) إنما اختلفنا عنه لا فيه: روى الشعبي وابن المسيب قالا: جاء خبر من أحبار اليهود إلى علي عليه السلام فناظره فقطعه فقال له: أنتم ما دفتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال ﷺ^(٤).

(٣١٨) ما لقيت رجلاً: قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام: كيف صرت تقتل الأبطال؟ قال: لأنني ألقى الرجل فيقدر أني أقتله وأقدر أني أقتله فيكون أنا ونفسي عليه^(٥).

(٣١٩) يا بني إني أخاف عليك: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية تشتمل على الكثير من المواعظ.

(١) ابن أبي الحديد: ٢١٨/١٩ (٢١٧).

(٢) المسعودي: مروج الذهب ١٠٤/٣.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب ١٦٩/٤.

(٤) سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص ص ١٦٢.

(٥) أبو حيان التوحيد: البصائر ص ١١١.

(٣٢٠) سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً: قاله لابن الكواء الخارجي عندما أخذ يسأله عن أسئلة لا يريد جوابها، وفي الخصال سأله رجلٌ من أهل الشام قام إليه وهو في المسجد فقال: يا أمير المؤمنين أسألك عن أشياء فقال: سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً^(١).

(٣٢١) لك أن تشير عليّ وأرى: روى المسعودي عن ابن عباس رواية طويلة حول قدومه من مكة بعد مقتل عثمان فمما قال له: وأنا أشير عليك أن تثبت مغلوية فإن بايع لك فعليّ أن أقلعه من منزله، قال: لا، وعندما حاول إقناعه قال له ذلك القول^(٢).

(٣٢٢) إرجع فإن مشي مثلك: روى أنه ﷺ لما ورد الكوفة قادماً من صفين مرّ بالشباميين فسمع بكاء النساء على قتلى صفين، وخرج إليه حرب بن شريحيل الشبامي وكان من وجوه قومه فقال ﷺ: أتغلبكم نساؤكم على ما أسمع ألا تنهونهن عن هذا الرنين؟ وأقبل حرب يمشي معه، وهو ﷺ راكب فقال له: إرجع فإن مشي مثلك... إلى آخره...^(٣)

(٣٢٣) يؤماً لكم: مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان فقال: يؤساً لكم لقد ضركم من غركم، فقيل له: من غرهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: الشيطان المضل والأنفس الأمارة بالسوء.

(٣٢٤) اتقوا معاصي الله: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).

(٣٢٥) إن حزننا عليه على قدر سرورهم به: روى الطبري أن الأنصاري الذي كان مع محمد بن أبي بكر حدث الإمام بما رأى وعان في هلاك محمد فقال: يا أمير المؤمنين قلما رأيت قوماً أسروا ولا سروراً قط أظهر من سرور رأيت بالشام حين أتاهم هلاك محمد بن أبي بكر فقال علي: أما إن حزننا عليه على قدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافاً^(٤).

(١) الخصال: ١٩٨/١.

(٢) المسعودي: ٣٦٤/٢، ٣٦٥.

(٣) ابن أبي الحديد: ٢٣٤/١٩.

(٤) الطبري: ٨٢/٤، حوادث ٣٨.

(٣٢٦) العمر الذي أعذر الله: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).

(٣٢٧) ما ظفر من ظفر: من خطبة الوسيلة.

(٣٢٨) إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء: روى الخطيب البغدادي بسنده عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن الله فرض^(١).

(٣٢٩) الاستغناء عن العذر: من وصية للحسن عند انصرافه من صفين كتبه بحاضرين.

(٣٣٠) أقل ما يلزمكم الله: من وصية له لأصحابه (الأربعمئة).

(٣٣١) إن الله جعل الطاعة: من خطبة له وهو سائر إلى صفين.

(٣٣٢) السلطان وزعة الله: من كلام له في الخوارج لما سمع قولهم: لا حكم إلا لله.

(٣٣٣) المؤمن بشره في وجهه: من وصف له للمتقين، جزء من خطبة قالها لهما.

(٣٣٤) لو رأى العبد الأجل ومصره: من خطبة الوسيلة.

(٣٣٥) لكل امرئ في ماله: من خطبة الوسيلة.

(٣٣٦) المسؤول حرٌّ حتى يعد: من وصية لأصحابه (الأربعمئة).

(٣٣٧) الداعي بلا عمل: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).

(٣٣٨) العلم علما: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.

(٣٣٩) صواب الرأي: من وصية لأصحابه (الأربعمئة).

(٣٤٠) العفاف زينة الفقر: من خطبة الوسيلة.

(٣٤١) يوم العدل: من خطبة له خطبها بعد النهروان، وقد مرت هذه الحكمة في (٢٤١).

(٣٤٢) الغنى الأكبر اليأس عما في أيدي الناس: من خطبة الوسيلة.

أصل هذه الحكمة لرسول الله ﷺ فقد روى أبو بكر بن عباس عن عاصم بن زر عن عبد الله قال سئل رسول الله ﷺ ما الغنى؟ قال: اليأس عما في أيدي الناس^(٢).

(١) تاريخ بغداد: ٢٠٨/٥.

(٢) حلية الأولياء: ٢٠٥/٨.

- (٣٤٣) الأقاويل محفوظة والسرائر مبلوغة: من خطبة له وهو سائر إلى صفين .
- (٣٤٤) معاشر الناس: من كلام له حين قتل طلحة .
- (٣٤٥) من العصمة تعذر المعاصي: من خطبة الوسيلة .
- (٣٤٦) ماء وجهك جامد: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية .
- (٣٤٧) الشاء بأكثر من الاستحقاق: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة) .
- (٣٤٨) أشد الذنوب: من خطبة الوسيلة .
- (٣٤٩) من نظر في عيب نفسه: وصيته لابنه محمد بن الحنفية .
- (٣٥٠) للظالم من الرجال: من خطبة له فيمن يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك أهل وفيها يصف زمان الجور .
- (٣٥١) عند تنامي الشدة: من خطبة الوسيلة .
- (٣٥٢) لا تجعلن أكثر شغلنك: من كلام له لبعض أصحابه .
- (٣٥٣) أكبر العيب: من وصيته للحسن عليه السلام كتبها بحاضرين .
- (٣٥٤) شكرت الواهب: يذكر أنه قال رجل لابن عباس حين ولد له علي (ليهنك الفارس)، وكانت تلك الكلمة من شعار الجاهلية فهي عنها وقال له: قل شكرت الواهب، كما نهى عن تحية الجاهلية وهي (نعمت صباحاً) وجعل مكانها (سلام عليكم) .
- (٣٥٥) أطلعت الورق رؤوسها: من كلام له لرجل من عماله بنى بناءً فخماً،
- (٣٥٦) لو سدة على رجل باب: من كلام له لسلمان الفارسي لما سأله: كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم فأجابه بذلك الجواب .
- (٣٥٧) إن هذا الأمر ليس بكم بدأ: من كلام له معزياً قوماً عن ميت مات لهم .
- (٣٥٨) ليركم الله من النعمة وجلسين: جزء من خطبة خطبها يوم الجمعة التي دخل الكوفة .
- (٣٥٩) يا أسرى الرغبة: خطبها وهو سائر إلى صفين .
- (٣٦٠) لا تظنن بكلمة: من وصية للحسن عليه السلام كتبها بحاضرين .

- (٣٦١) إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة: من وصية له للحسن عليه السلام بحاضرين .
- (٣٦٢) من ضمن بعرضه: من خطبة الوسيلة .
- (٣٦٣) من الخرق المعاجلة قبل الإمكان: من وصية لأصحابه (الأربعمئة) .
- (٣٦٤) لا تسأل عما لم يكن: من وصية للحسن عليه السلام كتبها بحاضرين .
- (٣٦٥) الفكر مرآة صافية: من خطبة الوسيلة ، روى الطوسي عن أحمد بن محمد الجعابي عن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يس قال : سمعتُ العبد الصالح علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يسر من رأى يذكر عن آبائه عليهم السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام : العلم وراثه كريمة ^(١) .
- (٣٦٦) العلم مقرون بالعمل: من وصيته للحسن عليه السلام كتبها بحاضرين .
- (٣٦٧) يا أيها الناس متاع الدنيا: من خطبة له حين قُتل طلحة .
- (٣٦٨) أن الله سبحانه وضع الثواب: من خطبة له في أمر البيعة ، وذلك لما تخلف عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وحسان بن ثابت .
- (٣٦٩) يأتي على الناس: من خطبة يخبر فيها أيضاً ما يحدث في آخر الزمان خطبها بذي قار ، وأصل هذه الحكمة هي لرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله رواها عنه أمير المؤمنين عليه السلام كما ورد في ميزان الاعتدال ^(٢) .
- (٣٧٠) أيها الناس اتقوا الله: من خطبة له خطبها قبل شهادته أولها: الحمد لله حق قدره . .
- (٣٧١) لا شرف أعلى من الإسلام: وهي من خطبة الوسيلة .
- (٣٧٢) يا جابر؛ قوام الدين والدنيا بأربعة: من وصيته لجابر في مناقب الخوارزمي بسنده عن شجاع بن وداعة صاحب جابر بن عبد الله الأنصاري قال : حدثني جابر قال : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام لأعوده من بعض علله فلما نظر إليّ قال : يا جابر بن عبد الله قوام الدين . . إلى آخره .

(١) الطوسي: الأمالي ١/١١٤ .

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/٤١٧ .

(٣٧٣) أيها المؤمنون؛ إنه من رأى عدواناً: روى الطبري بسنده عن أبي مخنف قال: حدثني أبو الزبير الهمداني قال: كنت في خيل جبلة بن زحر، فلما حمل عليه أهل الشام مرة بعد مرة نادانا عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال: يا معشر القراء إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم إنني سمعتُ علياً رفع الله درجته في الصالحين، وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصديقين، يقول يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون إلى آخره.

(٣٧٤) فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه: والسبب في هذا الكلام كما ورد في كتاب فقه الرضا: وهو من الكتب المتقدمة على «نهج البلاغة» أن أمير المؤمنين (ع) كان يخطب فعارضه رجل فقال: يا أمير المؤمنين حدثنا عن ميت الأحياء فقطع الخطبة وقال: منكر المنكر بقلبه... إلى آخره.

(٣٧٥) أول ما تغلبون عليه من الجهاد: عن أبي جحيفة وهو من صحابة أمير المؤمنين (ع) وشهد معه مشاهدته كلها، وكان علي بن يحيى ويشق به، ويسميه وهب الخير قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: أول ما تغلبون... إلى آخره.

(٣٧٦) إن الحق ثقيل: هذا الكلام خاطب به عثمان لما اضطرب أمره فدعا إليه ولاته لاستكشاف القضية، وكان علي (ع) حاضراً فقال: «إن الحق ثقيل... الخ»^(١).
(٣٧٧) لا تأمن على غير هذه الأمة: من كلام قاله فيمن يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك أهل... .

(٣٧٨) البخل جامع لمساوي العيوب: جزء من خطبة الوسيلة.

(٣٧٩) الرزق رزقان: من وصيته لولده الحسن (ع) كتبها بحاضرين، والظاهر أن أمير المؤمنين (ع) قال هذه الكلمة غير مرة ولذا اختلفت ألفاظها، ومن رواها قبل الرضي أبو طالب المكي ذكرها في موضعين من كتابه قوت القلوب^(٢).
(٣٨٠) رب مستقبل يوماً: من وصية لأصحابه (الأربعمئة).

(١) أنساب الأشراف: ٤٤/٥.

(٢) قوت القلوب: ٣١/١ وأيضاً في ١٥٨/١.

- (٣٨١) الكلام في وثاقتك: من وصية لولده الحسن كتبها بحاضرين.
- (٣٨٢) لا تقل ما لا تعلم: من وصية لابنه محمد بن الحنفية.
- (٣٨٣) أحذر أن يراك الله عند معصية: من وصية له لابنه محمد بن الحنفية.
- (٣٨٤) الركون إلى الدنيا: من وصية لابنه محمد بن الحنفية.
- (٣٨٥) من هو ان الدنيا: من خطبة الوسيلة.
- (٣٨٦) من طلب شيئاً ناله: من خطبة الوسيلة.
- (٣٨٧) ما خير بخير بعده النار: من خطبة الوسيلة.
- (٣٨٨) ألا وأن من البلاء الفاقة: من خطبة الوسيلة، وروى الطوسي بسنده عن أبي حمزة السعدي عن أبيه قال: أوصى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الحسن بن علي عليه السلام فقال فيما أوصى به إليه . . .^(١)
- (٣٨٩) من أبطأ به حسبه: من خطبة الوسيلة.
- (٣٩٠) للمؤمن ثلاث ساعات: روى البرقي بسنده عن الأصمغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام للحسن ابنه عليه السلام . . .^(٢)
- (٣٩١) ازهد في الدنيا: من وصيته للحسن كتبها بحاضرين.
- (٣٩٢) تكلموا تعرفوا: من خطبة الوسيلة.
- (٣٩٣) خذ من الدنيا ما أتاك: من وصيته للحسن عليه السلام كتبها بحاضرين.
- (٣٩٤) رب قول أنفذ: من وصية لابنه محمد بن الحنفية.
- (٣٩٥) كل مقتصر عليه كاف: من خطبة الوسيلة.
- (٣٩٦) المنية ولا الدنية: من خطبة الوسيلة.
- (٣٩٧) نعم الطيب المسك: من وصية لابنه محمد بن الحنفية . . . وذكر أنه عليه السلام رواها عن رسول الله ﷺ . . .^(٣)

(١) الطوسي: الأمالي ١/١٤٥.

(٢) البرقي: المحاسن ص ٣٤٥.

(٣) ابن أبي الحديد: ٩/٣٤١.

(٣٩٨) ضع فخرك: من وصيته لمالك الأشتر.

(٣٩٩) إن للوالد على الولد حقاً: كلام قاله لما هتأ بحضرته رجل رجلاً بغلام وكد له،

قيل إنه قاله لابن عباس عند ولادة ابنه علي.

(٤٠٠) العين حق: من وصية لابنه محمد بن الحنفية.

(٤٠١) مقاربة الناس: من خطبة الوسيلة.

(٤٠٢) لقد طرت شكيراً: لبعض مخاطبيه، وقد تكلم بكلمة يستصغر مثله عن قول مثله.

(٤٠٣) من أوماً إلى متفاوت: من وصيته لمالك الأشتر.

(٤٠٤) إنا لا نملك مع الله شيئاً: جواب الإمام لمن سأله عن معنى قولهم: «لا حول ولا

قوة إلا بالله العلي العظيم» والسائل هو عباية بن رعي الأسدي.

(٤٠٥) دعه يا عمار فإنه لم يأخذ من الدين: لقي عمار بن ياسر المغيرة بن شعبة في زقاق

من أزقة المدينة - وهو متوشح بسيفه - فناداه يا مغيرة، فقال: ما تشاء؟ قال: هل لك

في الله عز وجل؟ قال: وأين هو؟ قال: تدخل في هذه الدعوة فتسبق من معك،

وتدرك من سبقك، فقال المغيرة: وددت والله أني لو علمت ذلك، إني والله، ما

رأيت عثمان مصيباً ولا رأيت قتله صواباً، فهل لك يا أبا البقطان أن تدخل بيتك،

وتضع سيفك، وأدخل بيتي، حتى تنجلي هذه الظلمة ويطلع قمرها، فتمسي

مبصرين، نطاً أثر المهتدين، ونجتنب سبل الحائرين؟!

فقال عمار: أعوذ بالله أن أعمى بعد أن كنت بصيراً، يدركني من سبقته، ويعلمني

من علمته، فقال المغيرة: يا أبا البقطان إذا رأيت الساحار فأجتنب ولا تكن كقاطع

السلسلة فر من الضحل، فوقع في الغمرة، فقال عمار: أنظر ما تقول وما تفعل

فأما أنا فلا أكون إلا في الرعيل الأول، وأطلع علي عليه السلام فكلّم عماراً بما رواه

الرضي ^(١).

(٤٠٦) ما أحسن تواضع الأغنياء: من وصيته لجابر بن عبد الله الأنصاري.

- (٤٠٧) ما استودع الله امرأ: من خطبة الوسيلة .
- (٤٠٨) من صارع الحق صرعه: من خطبة الوسيلة .
- (٤٠٩) القلب مصحف البصر: من خطبة الوسيلة .
- (٤١٠) التقى رئيس الأخلاق: من خطبة الوسيلة .
- (٤١٠) لا تجعلن ذرب لسانك على من أنطقك: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية .
- (٤١٢) كفاك أدباً لنفسك: من خطبة الوسيلة .
- (٤١٣) من صبر صبر الأحرار: من كلام له وقد عزى الأشعث بن قيس في ابن له .
- (٤١٤) إن صبرت صبر الأكارم: من كلام له وقد عزى الأشعث بن قيس في ابن له تابع لـ (٤١٣) .
- (٤١٥) تغر وتضر وتمر: في صفة الدنيا، خطبة خطبها في أول جمعة في الكوفة .
- (٤١٦) لا تخلفن وراءك شيئاً: من وصيته للحسن ؑ كتبها بحاضرين .
- ورواها ابن عساكر بسنده عن أبي العيلاء عن الأصمعي عن شعبة بن سماك بن حرب قال: قال: الحسن بن علي: قال لي أبي علي بن أبي طالب «أي بُني لا تخلفن...»^(١) .
- (٤١٧) ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟: أجاب الإمام علي سؤال سألته كميل بن زياد حول أصل الاستغفار ما هو، فقال ؑ: ثكلتك أمك .
- (٤١٨) الحلم عشرة: من وصية له لولده الحسن ؑ كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين .
- (٤١٩) مسكين ابن آدم: من كلام له لرجل شكى إليه الحاجة .
- (٤٢٠) إن أبصار هذه الفحول: وروى أنه ؑ كان جالساً في أصحابه فمرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال ؑ: إن أبصار... إلى آخره .
- (٤٢١) كفاك من عقلك: من خطبة الوسيلة .

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ترجمة أمير المؤمنين ١٢/٣٩٨.

- (٤٢٢) افعلوا الخير: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).
- (٤٢٣) من أصلح سيرته: من كلام له فيما كان يتكاتب الفقهاء والعلماء فيما بينهم.
- (٤٢٤) الحلم غطاء سائر: من وصيته للحسن ؑ كتبها بحاضرين.
- (٤٢٥) إن لله عبادة: من وصيته لجابر الأنصاري.
- (٤٢٦) لا ينبغي للعبد: من خطبة الوسيلة.
- (٤٢٧) من شكا الحاجة إلى المؤمن: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.
- (٤٢٨) إنما هو عيد لمن قبل الله: من خطب العيدين.
- (٤٢٩) إن أعظم الحسرات يوم القيامة: من وصيته للحسن ؑ كتبها بحاضرين.
- (٤٣٠) إن أخسر الناس صفقة: من وصيته للحسن ؑ كتبها بحاضرين.
- (٤٣١) الرزق رزقان: لرجل اشتكى إليه الحاجة.
- (٤٣٢) إن أولياء الله هم الذين نظروا: من خطبة خطبها في أول جمعة من بيعته.
- (٤٣٣) اذكروا انقطاع اللذات: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).
- (٤٣٤) أخبر ثقله: قال الرضي: ومن الناس من يروي هذا لرسول الله ﷺ ومما يقوي أنه من كلام أمير المؤمنين ؑ ما حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي: قال المأمون: لولا أن علياً قال «أخبر ثقله» لقت: «أقله تخبر».
- (٤٣٥) ما كان الله ليفتح على عبد: من وصيته للحسن ؑ كتبها بحاضرين.
- (٤٣٦) أولى الناس بالكرم: من وصيته للحسن ؑ بحاضرين.
- (٤٣٧) العدل يضع الأمور مواضعها: سئل ؑ: أيما أفضل العدل أو الجود.
- (٤٣٨) الناس أعداء ما جهلوا: من وصيته لمحمد بن الحنفية وقد تكررت هذه الحكمة في رقم (١٧٢).
- (٤٣٩) الزهد كله بين كلمتين: وهو جواب من سأل عن الزهد.
- (٤٤٠) ما أنقض النوم: جزء من خطبة له في بعض أيام صفين.
- (٤٤١) الولايات مضامير الرجال: جزء من خطبة الوسيلة.
- (٤٤٢) ليس بلد أحق بك: من وصيته لمحمد بن الحنفية.

(٤٤٣) مالك وما مالك: روى الكندي بإسناده عن علقمة بن قيس قال: دخلتُ على علي في نفر من النخع حين هلك الأشر، فلما رأيته قال: «لله مالِك، لو كان جبلاً لكان فنداً، ولو كان حجراً لكان صلداً، على مثل مالك فلتبك البواكي، فهل موجود مثل مالك» فوالله ما زال متلهفاً عليه ومتأسفاً حتى رأينا أنه المصاب دوننا^(١).

(٤٤٤) قليل مدوم: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.

(٤٤٥) إذا كان في رجل: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).

(٤٤٦) ذلك أحمد سبلها: دخل غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي على أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته، وغالب شيخ كبير، ومعه ابنه همام الفرزدق وهو غلام يومئذ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: من الشيخ؟ قال: أنا غالب بن صعصعة قال: ذو الإبل الكثيرة قال: نعم، قال: ما فعلت إبلك؟ قال: زعزعتها الحقوق وأذهبها المحالات، قال: ذلك أحمد سبلها، من هذا الغلام معك؟ قال: هذا ابني، قال: ما اسمه؟ قال: همام وقد رويته الشعر يا أمير المؤمنين، وكلام العرب، ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً، فقال: لو أقرأته القرآن فهو خير له، فكان الفرزدق بعد ذلك يروي هذا الحديث ويقول: ما زالت كلمته في نفسي، حتى قيد نفسه بقيد وآلى أن لا يفكه حتى يحفظ القرآن، فما فكه حتى حفظه^(٢).

(٤٤٧) من اتجر بغير فقه: من وصيته لأصحابه (الأربعمئة).

(٤٤٨) من عظم صغار المصائب: من خطبة الوسيلة.

(٤٤٩) من كرمته عليه نفسه: من خطبة الوسيلة.

(٤٥٠) ما مزح امرؤ: من خطبة الوسيلة.

(٤٥١) زهدك في راغب فيك: من وصيته لولده الحسن كتبها بحاضرين.

(٤٥٢) الغنى والفقر: من خطبة الوسيلة.

(١) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف: كتاب الولاية والقضاة ص ٢٠١.

(٢) ابن أبي الحديد: ٩٦/٢٠.

(٤٥٣) ما زال الزبير: روى الطبري لما توافقوا خرج عليّ على فرسه فدعا الزبير فتوافقا فقال عليّ للزبير ما جاء بك؟ قال: أنت ولا أراك لهذا الأمر أهلاً، ولا أوالى به منا، فقال عليّ: لست له أهلاً بعد عثمان قد كنا نعدك من بني عبيد المطلب حتى نشأ ابنك السوء ففرق بيتنا وبينك^(١).

(٤٥٤) ما لابن آدم والفخر: من كلام له لما شكى إليه رجل الحاجة.

(٤٥٥) إن القوم لم يجرؤوا في حلبة: ذكر ابن أبي الحديد مستنداً إلى كتاب أمالي ابن دُرَيْد: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعيش الناس في شهر رمضان باللحم ولا يتعشى معهم، فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم، فأفاضوا ليلة في الشعراء وهم على عشائهم، فلما فرغوا خطبهم عليه السلام وقال في خطبته، اعلّموا أن ملاك أمركم الدين، وعصمتكم التقوى، وزينتكم الأدب، وحُصون أعراضكم الحلم، ثم قال: قل يا أبا الأسود: فيم كنتم تفيضون فيه؟ أي الشعراء أشعر؟ فقال: يا أمير المؤمنين الذي يقول:

ولقد اغتدى يُدافع رُكني عليه السلام أعوجي ذو منعةٍ إضريحُ

مخلطٌ مزبلٌ معنٌ مفنٌ عليه السلام منفعٌ مطرحٌ سبوحٌ خروجُ

يعني: أبا داود الإيادي، فقال عليه السلام: ليس به، قالوا: فمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: لو رُفعتُ للقوم غاية فجرُوا إليها معاً علّمنا من السابق منهم، ولكن إن يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة. قيل: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هو الملك الضليل ذو القروح، قيل: امرؤ القيس يا أمير المؤمنين؟ قال: هو، قيل: فأخبرنا عن ليلة القدر؟ قال: ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها، ولست أشك أن الله إنما يسترها عنكم نظراً لكم لأنه لو أعلمكموها عملتم فيها وتركتم غيرها، وأرجو أن لا تخطئكم إن شاء الله، انهضوا رَحِمَكُمُ الله^(٢).

(٤٥٦) ألا حرّ يدع هذه اللماظة: من خطبة له قبل أيام من استشهاد ذكر فيها حق

(١) الطبري: ٢٠٤/٥ حوادث سنة ٢٦.

(٢) ابن أبي الحديد: ١٥٢/٢٠-١٥٤.

الوالي والرعية وفضل الجهاد.

(٤٥٧) منهومان لا يشعبان: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية: ذكر ابن أبي الحديد هذه الكلمة مروية عن النبي ﷺ ورواه الكليني بسنده عن سليم بن قيس قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: منهومان لا يشعبان^(١).

(٤٥٨) علامة الإيمان: جوابه لمن سأله عن الإيمان والنفاق.

(٤٥٩) يغلب المقدار على التقدير: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.

(٤٦٠) الحلم والأناة توأمان: ذكر الطرطوشي: حضر كبير من كبراء فارس عند أمير المؤمنين فسأله عن أحمد ملوكهم عندهم، فقال لأردشير فضل السبق غير أن أحمدهم سيرة أنوشروان، قال: فأبى أخلاقه كان أغلب عليه، قال: الحلم والأناة، فقال علي عليه السلام: هما توأمان ينتجهما علو الهمة^(٢).

(٤٦١) الغيبة جهد العاجز: من خطبة الوسيلة.

(٤٦٢) رب مفتون بحسن القول فيه: من خطبة الوسيلة.

(٤٦٣) الدنيا خلقت لغيرها: من وصيته لابنه محمد بن الحنفية.

(٤٦٤) إن لبني أمية مروداً يجرون فيه: من خطبة له يُبين فيها فضله وعلمه وتتضمن أخباراً بما سيحدث في العصور المقبلة، خطبها بعد النهروان.

(٤٦٥) هم والله ربوا الإسلام: من كتاب كتبه لما سأله أحد أصحابه عن أبي بكر وعمر وعثمان فكتب هذا الكتاب وأمر أن يُقرأ على الناس كل يوم جمعة.

(٤٦٦) العين وكاء السُّنة: قال الرضي: وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي ﷺ وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام.

(٤٦٧) ووليهم وال فاقام واستقام: قال ابن أبي الحديد: وهذا كلام من خطبة خطبها في أيام خلافته وهي طويلة يذكر فيها قربه من رسول الله ﷺ واختصاصه له، وإفضاءه بأسراره إليه حتى قال فيها: فأختار المسلمون بعده بأرائهم رجلاً منهم، فقارب

(١) أصول الكافي: ٤٦/١.

(٢) الطرطوشي: سراج الملوك: ص ١٥٤.

وسدد حسب استطاعته على ضعف وجدنا فيه^(١).

(٤٦٨) يأتي على الناس زمان عضوض: من كلام له كلم به الخوارج.

(٤٦٩) يهلك في رجلان محبة مفراط: من كلام كلم به الخوارج لما قالوا: «إنا حكمنا، فلما حكمنا أثمنا، كنا بذلك كافرين».

(٤٧٠) التوحيد أن لا تتوهمه: من كلام له لما سئل عن التوحيد.

(٤٧١) لا خير في الصمت: من خطبة الوسيلة.

(٤٧٢) اللهم ارزقنا ذلل السحاب: جزء من خطبة الاستسقاء.

(٤٧٣) الخضاب زينة: من كلام لما قيل له بعد وقعة صفين: لو غيرت شيبك يا أمير المؤمنين.

(٤٧٤) ما المجاهد الشهيد: من خطبة الوسيلة.

(٤٧٥) القناعة مال لا ينفد: من خطبة الوسيلة مرت هذه الحكمة مرتين فيما سبق برقم (٥٧) و(٣٤٩).

(٤٧٦) استعمل العدل: قاله عليه السلام لزياد بن أبيه، وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس وأعمالها في كلام طويل كان بينهما، نهاه فيه عن تقديم الخراج.

(٤٧٧) أشد الذنوب: من خطبة الوسيلة.

(٤٧٨) ما أخذ الله على أهل الجهل: من وصيته لجابر الأنصاري: روى الكليني بسنده عن أبي عبد الله قال: قرأت في كتاب علي عليه السلام: إن الله لم يأخذ على الجهال بطلب العلم حتى أخذ على العلماء ببذل العلم للجهال، لأن العلم كان قبل الجهل^(٢).

(٤٧٩) شر الإخوان من تكلف لغة: من خطبة الوسيلة التي يذكر فيها فضل الإسلام ويصف مقامه عليه السلام يوم القيامة.

(٤٨٠) إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه: من وصيته لأصحابه علمهم فيها آداب الدين والدنيا وهي أربعمائة نصيحة وتسمى بـ(الأربعمائة).

(١) ابن أبي الحديد: ٢١٨/٢١.

(٢) أصول الكافي: ٤١/١.

من غريب كلامه ﷺ .

- (١) فإذا كان ذلك ضَرَبَ: من خطبة له خطبها بعد النهروان .
- (٢) هذا الخطيب الشحشح: قال ﷺ هذا وقد انتهى إليه قوم من قيس كانوا شباباً بعد واقعة الجمل ، فخطب خطيبهم ، فقال ﷺ : أين أمراؤكم؟ فقال الخطيب: اصيبوا تحت نظار الجمل ، ثم أخذ في خطبته فقال ﷺ : أما إن . . إلى آخره .
- (٣) إن للخصومة قحماً: هذه الكلمة قالها أمير المؤمنين حين وكل عبد الله بن جعفر في الخصومة نيابة عنه وهو شاهد .
- (٤) إذا بَلَغَ النساء: من وصيته لأصحابه (الأربعمائة) .
- (٥) إن الإيمان يبدو: جواب لمن سأل عن الإيمان والنفاق .
- (٦) إن الرجل إذا كان له الدين: من وصيته لأصحابه فيها آداب الدين والدنيا (الأربعمائة) .
- (٧) اعزبوا: لما شيع جيشاً بغزية .
- (٨) كالياسر الفالج: من خطبة له في أول يوم جمعة في الكوفة .
- (٩) كُنَّا إذا أحرَّ البأس: في بيان شجاعة النبي ﷺ .

الفصل الرابع



مركز تحقیقات کمپیوتر علوم اسلامی

موضوعات عامة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الاختلاف في القائل

لا شك أن مجموعة كبيرة من الخطب والكلمات التي قالها صاحبها قبل ألف وأربعمائة عام والتي تم جمعها بعد ثلاثمائة وستين عاماً من شهادته لا بُدَّ وأن يقع فيها بعض الاختلاف، الاختلاف في القائل، والاختلاف في النسخ، الاختلاف في الترتيب والاختلاف في النصوص. لكن بما يقلل من شأن هذه المشكلة أن صاحب هذه المجموعة من الأقوال هو أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي حفظ الأدباء أقواله وكلماته ورددوها في أشعارهم وخطبهم وأقوالهم حتى أصبحت هذه الكلمات على لسان الناس يذكرونها في تعاملاتهم الحياتية كما يذكرون الآيات الكريمة وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). من هنا فقد وقع الاختلاف في القائل لعاملين :

الأول: أن بعض أقوال أمير المؤمنين (عليه السلام) هي في واقع الأمر أحاديث قالها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتربى على نغماتها أمير المؤمنين فترسخت في ذاكرته وأخذت تسيل في منطقه ونطقه ورسائله بصورة طبيعية، وربما لفت الإمام الأنظار في الكثير من المواطن إلى مصدر القول عندما يجد ضرورة في ذكر المصدر. لكن في أكثر الأحيان كانت كلمات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تمتزج بكلماته فتنتقل على لسانه شأن كل تلميذ مع معلمه.

الثاني: إن الكثير من الأدباء والعلماء والأمراء أخذوا كلمات أمير المؤمنين وحفظوها ثم أنها درجت على ألسنتهم كما درجت كلمات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على لسانه فتخیل البعض أنها لهم وليس لأمر المؤمنين (عليه السلام)، ولنا شاهد مما ذكره المسعودي في مروج الذهب حيث قال: والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة

ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة وتداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً^(١).
 فلو تمعنا في قوله : «وتداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً» لأدركنا أن كلمات
 الإمام امتزجت في سلوكهم وفي أقوالهم حتى لم يعد للمرء البسيط أن يميز بين قول
 الإمام وأقوالهم ، ونلاحظ هذا التأثير والامتزاج بارزاً في تلميذه عبد الله بن العباس
 حيث نسب المؤرخون الكثير من أقوال الإمام إليه ، وكذلك نلاحظ هذه الظاهرة في
 أقوال الأئمة من أولاد أمير المؤمنين حيث نسب المؤرخون بعض أقوال الإمام إليهم
 أيضاً. وفيما يلي نذكر بعض النصوص التي وقع الاختلاف فيها :

(١) «إحذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع».

نسبها الجاحظ إلى اردشير خُرَّة^(٢) ونسبها ابن عبد ربه إلى كسرى^(٣) بينما ذكرها
 الرضي في حكم أمير المؤمنين  رقم (٤٩)، وكل من جمع كلمات أمير المؤمنين
 ذكرها ضمن حكمه وكلماته القصيرة.

(٢) «أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام».

ذكرها الحصري وقال عنها أنها لابن المعتز^(٤) بينما أوردها الأدباء وذكروها لأmir
 المؤمنين ، ولا ريب أن ابن المعتز من المتأثرين بأدب أمير المؤمنين . نجد ذلك في شعره
 ونثره ، وقد ذكرها الرضي برقم (٦٤).

(٣) «لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه».

ذكرها الرضي برقم (٦٧) ونسبها النويري إلى الإمام جعفر الصادق ^(٥) ولا
 يستبعد أن الصادق أخذها من أمير المؤمنين ، فهما من مدرسة واحدة .

(٤) «نفس المرء خطاه إلى أجله».

ذكرها الرضي في باب الحكم برقم (٧٢) : يقول ابن أبي الحديد وجدت هذه

(١) مروج الذهب: ٤٣١/٢.

(٢) البيان: ١٠٨/٣.

(٣) العقد الفريد: ٢٠٠/٢.

(٤) الحصري: زهر الآداب ٧٧١/٢.

(٥) النويري: نهاية الأرب ٢٠٤/٣.

الكلمة منسوبة إلى عبد الله بن المعتز، فلا أدري هل هي لابن المعتز أم أخذها من أمير المؤمنين عليه السلام، والظاهر أنها لأمر المؤمنين عليه السلام فإنها بكلامه أشبه، ولأن الرضي قد رواها عنه، وخبر العدل معمول به ^(١).

(٥) «من ترك قول لا أدري أصيبت مقاتله».

ذكرها السيد الرضي في باب الحكم برقم (٨٥) ونسبها الجاحظ إلى ابن عباس ^(٢) ولا ريب فإن ابن عباس أخذ هذه العبارة عن أمير المؤمنين عليه السلام، وكيف لا وهو تلميذه، وهو القائل وعلمي من علم علي.
(٦) «طوبى لمن ذلّ في نفسه».

ذكرها الرضي في باب الحكم برقم (١٢٤) وقال أيضاً: أقول ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك الذي قبله أي: كأن الموت فيها على غيرنا كُتب. وحتى لو كانت هذه الحكمة لرسول الله فعلاً، فهذا يعني أن أمير المؤمنين عليه السلام أخذها من ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله.
(٧) «كم من أكلة منعت أكالات».

ذكرها الرضي برقم (١٧١) في باب الحكم بينما نسبها الميداني في مجمع الأمثال لعامر بن الظرف العدواني، وهو من حكام العرب في الجاهلية، يحتمل أن يكون القول من استشهادات الإمام، فهو يستشهد ببعض الآيات والأمثال أو أنها من كلماته التي أقحمها البعض في القصة التي أوردها الميداني للمثل المذكور.

(٨) وسئل عليه السلام عن الإيمان فقال: «الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان».

ذكرها الرضي برقم (٢٢٨) وهي من الكلمات المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ووردت في مصادر الحديث بسند متصل بأمير المؤمنين، ومعنى ذلك أن الإمام راوٍ للحديث، وربما أجاب السائل بما سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٩) «أحب حبيك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما».

(١) ابن أبي الحديد: ٢٢١/١٨.

(٢) البيان: ١٨٣/١.

ذكرها الرضي برقم (٢٧٠) باب الحكم وقد رويت هذه الحكمة عن رسول الله ﷺ، وذكر أكثر المؤرخين والأدباء أنها لعلي بن أبي طالب منهم أبو علي القالي، رواها بسنده عن محمد بن سوقة قال: أتى رجل علياً رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين ما الإيمان فقال: «الإيمان على أربع دعائم» قال: فقام الرجل فقبل رأسه، فقال كرم الله وجهه: «أحب حبيبك هوناً»^(١).

ورواها لأmir المؤمنين ابن عساكر في ترجمته لأmir المؤمنين ﷺ والبلاذري في أنساب الأشراف^(٢) بسنده عن محمد بن عبيد الأنصاري عن أبيه.

(١٠) «اللهم إني أعوذ بك من أن تحسن في لامعة العيون علاني».

ذكرها الرضي في باب الحكم برقم (٢٧٨) ونسبها ابن عبد ربه إلى الإمام زين العابدين بقليل من الاختلاف، يقول: وكان من دعاء علي بن الحسين (رضي الله عنهما): اللهم إني أعوذ بك أن تُحسّن في مرأى العيون علاني وتقبّح في خفيات القلوب سريري، اللهم كما أسأت فأحسن إليّ فإذا عدتُ فعُدّه عليّ، وارزقني مواساة من قترت عليه ما وسّعت عليّ^(٣).

(١١) «بينكم وبين الموعدة حجاب من الغرة».

ذكرها الرضي في باب الحكم برقم (٢٨٤) ونسبها ابن شعبة الحراني في مواعظ الحسن ﷺ^(٤).

(١٢) «قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول منه».

ذكرها الرضي برقم (٢٨٠) ربما أخذها عن رسول الله ﷺ كما نسبها أبو نعيم الأصبهاني إلى رسول الله، وقد وُصفت عنده الحولاء بنت نوبت بأنها لا تنام الليل فقال ﷺ: عليكم من العمل ما تطيقون فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا وكان أحب العمل إليه أدومه وإن قل^(٥).

(١) القالي: ذيل الأمالي ١٤٦.

(٢) أنساب الأشراف: ٩٥/٥.

(٣) العقد الفريد: ١٧٤/٣.

(٤) تحف العقول: ص ١٦٧.

(٥) حلية الأولياء: ٦٥/٢.

(١٣) «كان لي فيما مضى أخ في الله».

ذكرها السيد الرضي في باب الحكم برقم (٢٩١) ورواها جمع من علماء الشيعة والسنة إلى الحسن عليه السلام منهم الكليني في أصول الكافي وابن شعبة الحراني في تحف العقول وابن قتيبة في عيون الأخبار وآخرون، وهذا يدل على أن الحسن عليه السلام أخذها من أمير المؤمنين عليه السلام.

(١٤) «الغنى الأكبر اليأس عما في أيدي الناس»^(١).

ذكرها الرضي في باب الحكم برقم (٣٤٢) وقد روى أبو نعيم الأصبهاني عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ: ما الغنى؟ قال: اليأس عما في أيدي الناس.

(١٥) «يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه».

ذكرها السيد الرضي في باب الحكم (٣٧٠).

وقد ذكرت بعض المصادر أنها لرسول الله ﷺ مروية عن علي بن أبي طالب، من هذه المصادر ميزان الاعتدال للذهبي^(٢). والمقدار الذي لم يروه المحدثون من (وقد فعل، ونحن نستقبل الله عشرة الغفلة) فعلى الظاهر أن هذا القسم هو من كلام أمير المؤمنين كما ذكر الصدوق في ثواب الأعمال^(٣).

(١٦) «اخبر ثقليه».

أوردها الرضي في باب الحكم برقم (٤٢٩) يقول عنها: ومن الناس من يروي هذا لرسول الله ﷺ وما يقوي أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي قال المأمون: لولا أن علياً قال «أخبر ثقليه» لقلت: «أقله تخبر»، وممن رواه عن النبي أبو حيان التوحيدي^(٤) وأبو نعيم^(٥).

(١) حلية الأولياء: ٢٠٥/٨.

(٢) ميزان الاعتدال: ٤١٧/٤.

(٣) الصدوق في ثواب الأعمال: ص ٤١٥.

(٤) البصائر والذخائر: ص ٢٧٥.

(٥) حلية الأولياء: ١٥٤/٥.

(١٧) «منهومان لا يشبعان طالب علم، وطالب دنيا».

ذكرها السيد الرضي في باب الحكم برقم (٤٥٧) قال ابن أبي الحديد: هذه الكلمة مروية عن النبي ﷺ: منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم^(١).

ويبدو أن الحديث من الروايات التي رواها أمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ فقد روى الكليني بسنده عن سليم بن قيس، قال: سمعت أمير المؤمنين ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم^(٢).

(١٨) «العين وكاء الستة».

ذكرها السيد الرضي برقم (٤٦٦) باب الحكم، يقول الرضي: وهذه من الاستعارات العجيبة كأنه شبه الستة بالوعاء والعين بالوكاء، وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي ﷺ، وقد رواه قوم لأمير المؤمنين ﷺ وذكر ذلك المبرد في كتاب المقتضب في باب اللفظ المعروف.

(١٩) «من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها».

ذكرها السيد الرضي في باب الحكم برقم (٣٩١).

وقال ابن أبي الحديد: هذا الكلام نسبة الغزالي في كتاب «إحياء علوم الدين» إلى أبي الدرداء، والصحيح أنه من كلام علي ﷺ، ذكره شيخنا أبو عثمان الجاحظ في غير موضع من كتبه، وهو أعرف بكلام الرجال^(٣).

(٢٠) «كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع أحدهما فدونكما الآخر فتمسكوا به».

ذكرها الرضي في باب الحكم برقم (٨٨).

ونسبها الرازي في تفسيره لابن عباس^(٤) لكن أكثر المحدثين والمؤرخين نسبوها إلى

(١) ابن أبي الحديد: ٢٠/٢٠.

(٢) أصول الكافي: ٤٦/١.

(٣) ابن أبي الحديد: ٣٢٦/١٩.

(٤) تفسير الفخر الرازي ١٥٨/١٥.

أمير المؤمنين منهم سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص^(١) والفتال في روضة الواعظين^(٢).

(٢١) «لا تظن بكلمة خرجت من أحدٍ سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً».

ذكرها الرضي برقم (٣٥٩) باب الحكم.

ويقول ابن أبي الحديد: هذه الكلمة يرويها كثير من الناس لعمر بن الخطاب، ويرويها بعضهم لأمير المؤمنين عليه السلام.

وقد رواها عن أمير المؤمنين جمع من المؤرخين والمحدثين، وهي جزء من خطبة طويلة ذكرها الصدوق^(٣) وابن شعبة^(٤) والمفيد^(٥).

ولم يذكر لنا ابن أبي الحديد مصدراً واحداً نسب هذا القول إلى عمر بن الخطاب.

(٢٢) «اللهم إليك أفضت القلوب ومدت الأعناق».

وهو من دعاء له اختاره الرضي برقم (١٥) باب الخطب.

يقول ابن أبي الحديد: ووجدت هذه الألفاظ في دعاء منسوب إلى علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ولعله من كلامه، وقد كان يسديف يدعو به^(٦).

(٢٣) «أما بعد، فإني أحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات».

ذكرها الرضي برقم (١١٠) باب الخطب.

ورواها البعض لقطري بن الفجاءة وهو من زعماء الخوارج^(٧).

ويرد ابن أبي الحديد على أصحاب هذا الرأي: والناس يروونها لأمير المؤمنين عليه السلام.

وقد رأيتها في كتاب المونق لأبي عبيد المرزباني مروية لأمير المؤمنين عليه السلام، وهي بكلام

(١) تذكرة الخواص ص ١١٣.

(٢) الفتال: روضة الواعظين ٤٧٨/٢.

(٣) الصدوق الأمالي ص ١٨٢.

(٤) تحف العقول: ص ٢٢٠.

(٥) المفيد: الاختصاص ص ٢٢٦.

(٦) ابن أبي الحديد: ١١٣/١٥.

(٧) ذكر ذلك الجاحظ في البيان والتبيين ٨٢/٢ كذلك ابن عبد ربه في العقد الفريد ١٤١/١ وابن

قتيبة في عيون الأخبار ٢٥٠/٢.

أمير المؤمنين عليه السلام أشبه، وليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره وقد لقي قطري أكثرهم^(١).

وقد رد المحقق لكتاب البيان والتبيين على من يقول بأنها لقطري والخطبة أشبه بخطب علي بن أبي طالب^(٢).

(٢٤) «أيها الناس إنا قد أصبحنا في دهرٍ عنود، وزمنٍ كنود».

ذكرها الرضوي برقم (٣٢) باب الخطب، وقال عنها: ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية ومن الذين نسبوها إلى معاوية ابن عبد ربه^(٣) وابن قتيبة^(٤). وقد أورد الجاحظ هذه الخطبة مروية عن شعيب بن صفوان، وزاد فيها القطري وغيره، قالوا: لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له: من بالباب؟ قال: نفرٌ من قريش يتباشرون بموتك: فقال: ويحك، ولم؟ قال: لا أدري، قال: فوالله ما لهم بعدي إلا الذي يسوؤهم، وأذن للناس فدخلوا، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم قال: أيها الناس: إنا قد أصبحنا في دهرٍ عنود.. إلى آخره.

لكنه استدرك بعد ذكر الخطبة قائلًا: وفي هذه الخطبة أبقاك الله ضروب من العجب: منها أن الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية، ومنها أن هذا المذهب في تصنيف الناس، وفي الأخبار عما هم عليه من القهر والإذلال، ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي رضي الله عنه، ومعانيه وحاله، منه بحال معاوية، ومنها أنا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ولا يذهب مذاهب العباد، إنما نكتب لكم ونخبر بما سمعنا، والله أعلم بأصحاب الأخبار، ويكثر منهم^(٥).

(١) ابن أبي الحديد ٢٣٦/٧.

(٢) البيان والتبيين ٨٢/٢.

(٣) العقد الفريد ٨٨/٤.

(٤) عيون الأخبار: ٢٣٧/٣.

(٥) البيان والتبيين ٣٩/٢.

(٢٥) «لله بلاد فلان، فلقد قَوْم الأود، وداوى العمد».

أوردها الرضي في باب الخطب برقم (٢٢٥).

والكلام هو لابنة أبي حنمة كما ذكر الطبري^(١) وقد فصلنا في ذلك في وقائع الخطب (الفصل الثالث) فلمن يريد الرجوع إليه.

(٢٦) «إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما مُتّع به غني».

ذكرها الرضي في باب الحكم برقم (٣٣٠).

وذكر البعض أنها من أقوال المصطفى ﷺ: روى الخطيب البغدادي بسنده عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء قدر ما يسعهم فإن منعوهم حتى يجوعوا ويعروا ويجهدوا حاسبهم الله حساباً شديداً وعذبهم عذاباً نكراً»^(٢).



مركز تحقيقات كليات علوم إيسوي

(١) الطبري: ٢٨/٥.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٣٠٨/٥.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

التكرار في النصوص

يتكرر الكلام عندما تكون هناك حاجة للتكرار، فما من خطيب أو كاتب إلا وتجد في بيانه تكراراً حتى القرآن الكريم، فقد يتكرر نزول الآية تذكيراً وموعظة^(١). وأورد السيوطي قول الزركشي: قد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه وتذكيراً عند حدوث سببه وخوف نسيانه، وقد تكررت الآية ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢). والحكمة في ذلك كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها، فيوصي إلى النبي ﷺ تلك الآية بعينها تذكيراً لهم بها وبأنها تتضمن هذه^(٣).

فالتكرار قاعدة في الكلام المؤثر، وكيف لا وقد كان أمير المؤمنين ﷺ وهو أمير الكلام يكرر بعض العبارات، مثل عبارة: إن أمرنا صعب مستصعب. يقول ابن أبي الحديد عنها: هذه الكلمة قالها مراراً إحداها في وقعة النهروان^(٤).

ويقول الثقفى عن خطبته: أيها الناس إن الدنيا قد أدبرت وأذنت أهلها بوداع وإن الآخرة قد أقبلت وأذنت باطلاع، ألا وإن المضمار اليوم، والسباق غداً ألا وإن السبق الجنة، والغاية النار، يقول عنها: كان كثيراً ما يقول في خطبه تلك العبارات^(٥)، هذا

(١) السيوطي: علوم القرآن ٧٧/١.

(٢) السيوطي: علوم القرآن ٧٧/١.

(٣) ابن أبي الحديد: ١٠٥/١٥.

(٤) ابن أبي الحديد: ٣٦٨/١٨.

(٥) الثقفى: الغارات ص ٢٠٨.

التكرار هو الأسلوب المحمود الذي يؤدي وظيفة بلاغية في التأكيد على محتوى العبارات، لكن هناك تكرار آخر ليس من جانب المتكلم وهو أمير المؤمنين عليه السلام بل من جانب من جمع كلمات أمير المؤمنين وهو الشريف الرضي، وهذا التكرار يختلف عما سبقه، فجانبا منه تكرار مفيد يتبع القواعد البلاغية وجانبا منه تكرار غير مفيد وقع أما سهواً أو تصحيفاً أو ما شابه ذلك.

وعندما نفحص ما ورد في نهج البلاغة من تكرار نجده يدور في أربعة أقسام.

الأول

التكرار المقصود

يورد الشريف الرضي الخطبة أو الوصية في محله ثم يقطع من تلك الخطبة أو الوصية أو الكلام الطويل: عبارة صغيرة يضعها في باب الحكم والمواعظ، وهدفه من ذلك هو إبراز هذه العبارة لأهميتها وجعلها من الكلمات التي يسهل تداولها بين الناس.

مثال على ذلك: وردت عبارة: «ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه» في وصيته عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام، وهي وصية طويلة تضمنت مطالب وموضوعات كثيرة. ولما وجد السيد الرضي في هذه العبارة بلاغة سامية ومضموناً كبيراً، فقد أبرزها وجعلها عبارة مستقلة في قسم الحكم والمواعظ.

وربما أخذ عبارة من رسالة وعبارة أخرى من رسالة أو خطبة وركب منها حكمه كما فعل في حكمة رقم (٣٩٦): المنية ولا الدنية والتقليل ولا التوسل ومن لم يعط قاعداً لم يعط قائماً، والدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، فأخذ الجزء الأول من الكلام (المنية.. قائماً) من خطبة الوسيلة بينما أخذ الجزء الثاني (الدهر.. عليك) من كتاب له عليه السلام بعث به إلى عبد الله بن العباس برقم (٧٢) يريد بذلك إبراز هذه العبارة وإعطاءها معنى أوسع عند جمعها مع عبارة أخرى، حيث ستؤدي العبارة المركبة الجديدة معناً أعمق وأوسع.

الثاني

التكرار مع الاختلاف الطفيف

ربما وجد السيد الرضي اختلافاً طفيفاً في النصوص فاضطر إلى ذكرها حفظاً على تراث أمير المؤمنين عليه السلام الأدبي . وكان في كل مرة يشير إلى ذلك ، وذكر في مقدمته للكتاب هذا الأمر قائلاً: ربما جاء في أثناء الاختيار ، اللفظ المكرر والمعنى المكرر ، والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافاً شديداً ، فربما اتفق الكلام المختار في رواية ، فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك ، رواية أخرى موضوعاً في غير موضعه الأول ، إما بزيادة مختارة أو بلفظ أحسن عبارة ، فتقتضي الحال أن يعاد استحضاراً للاختيار ، وغيره على عقائل الكلام ^(١) .

ورد برقم (٢٦) حكمة : كم من مستدرج بالإحسان إليه ومغرور بالستر عليه ومظنون بحسن القول فيه ، وما ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الإملاء له . وتكرر برقم (١١٦) كم من مستدرج بالإحسان إليه ومغرور بالستر عليه ومفتون بحسن القول فيه ، وما ابتلى الله أحداً بمثل الإملاء له . نلاحظ الاختلاف بين النصين في ورود عبارة (سبحانه) في النص الأول ، فالأمانة العلمية دفعت بالسيد الرضي إلى تكرار العبارة مع وجود هذا الاختلاف البسيط ، وقد نوه إلى هذا التكرار حيث ذكر قائلاً: وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم ، إلا أن فيه ها هنا زيادة جيدة مفيدة .

ونجد هذا التكرار أيضاً في (٢٨٠) باب الحكم العبارة هي : «قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول منه» (٤٣٨) قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه ، فكلمة أرجى في النص الأول استبدلت بكلمة خير وبسبب من هذا الاختلاف اضطر السيد الرضي إلى ذكر النصين .

ونجد السيد الرضي يضطر إلى التكرار أيضاً حتى مع وجود اختلاف طفيف جداً فمثلاً في رقم (١٩٨) وردت الحكمة : أن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها

(١) راجع مقدمة السيد الرضي على نهج البلاغة .

طرائف الحكمة ، وفي رقم (٩١) : إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم .

ففي النص الأول وردت عبارة الحكمة بصيغة المفردة بينما هي وردت في النص الثاني بصيغة الجمع .

وفي حكمة رقم (٣٤٧) ورد النص : «أشد الذنوب ما استهان به صاحبه» وورد في (٤٧٠) أشد الذنوب ما استخف به صاحبه فاستبدلت كلمة استهان بكلمة استخف . فوجود مثل هذا الاختلاف كاف لأن يدفع بالسيد الرضي إلى تكرار العبارة .

الثالث

تكرار المعنى لا اللفظ

هناك نصوص تكررت في نهج البلاغة لتشابه المعنى حتى لو اختلف اللفظ مثال على ذلك حكمة رقم (٣٩) : لا قرية بالنوافل إذا أضرت بالفرائض ، وهي مطابقة في المعنى للحكمة رقم (٢٨١) وهي : إذا أضرت النوافل بالفرائض فافرضوها . وربما اختلفت الالفاظ ، ولكن مع بقاء المعنى جعل في العبارة الجديدة نصاً جديداً له مكوناته الأدبية وتركيبه اللفظي .

فحكيمه رقم (١١٨) هلك في رجلان : محب غال ومبغض قال ، مطابقة لحكمة رقم (٤٦٢) يهلك في رجلان : محب مفرط وباهت مفتر ، فالمحب الغال هو مفرط في الحب والمبغض القال هو الباهت المفتر .

ومن النصوص المتطابقة في المعنى حكمة رقم (٢٤٣) : يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم ، فيوم العدل هو اليوم الذي يأخذ المظلوم حقه ، ويوم الظالم هو يوم الجور . فهذا الاختلاف اللفظي الذي منشأه أما من الإمام (عليه السلام) أو نتيجة النسخ والتصحيح دفع بالسيد إلى وضعهما معاً عندما وجد فيهما زيادة في المعنى ، فأحدهما يساعد الآخر في معناه .

ومن النصوص المطابقة حكمة رقم (٨٩) : من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه ، ومن كان له من نفسه

واعظ كان عليه من الله حافظ ، وحكمة (٤١٨) من اصلح سريره اصلح الله علانيته ، ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه ، ومن أحسن فيما بينه وبين الله احسن الله إليه ما بينه وبين الناس ، ففي النص الثاني استبدل لفظ احسن بلفظ اصلح في نطاق العلاقة بين الإنسان والناس . بينما نجد استبدال النص ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه بـ «من اصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه» .

وهما نصان مختلفان في اللفظ ، لكنهما متطابقان في المعنى .

ومن النصوص المتطابقة في المعنى حكمة رقم (٣٧٨) يا بن آدم الرزق رزقان : رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأت به أتاك ، وحكمة رقم (٤٢٦) الرزق رزقان : طالب ومطلوب فمن طلب الدنيا طلب الموت حتى يخرجها عنها ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي رزقه منها . فالمعنى واحد في كلا النصين والمقصود واحد هو عدم الانشغال بأمور الدنيا ، وأن لا يكون هم الدنيا هو موضوع الاهتمام الأول للإنسان لكن هناك نص أوضح من نص آخر فيقول السيد الرضي في (٣٧٨) وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب ، إلا أنه هنا أوضح وأشرح فلذلك كررناه على القاعدة المقررة في أول الكتاب .

ومن النصوص المتطابقة في المعنى حكمة رقم (٣٧) : والشر جامع مساوي العيوب وهو جزء من كلام مفصل اقتطع منه السيد الرضي هذه العبارة : البخل جامع لمساوي العيوب ، وأعطاه رقم مستقل هو (٣٧٧) للقيمة الأدبية والعلمية لهذه العبارة البليغة ، لكن هناك ثغرة في العبارة كان يفترض بالسيد الرضي الالتفات إليها وهي ورود عبارة الشر في النص الأول ، وهو كلام مبهم لا معنى له إلا أن نجعل صفة محددة في مكان لفظ الشر المطلق ، فالظاهر أن العبارة بالشكل الذي جاء به مستقلاً وهو البخل جامع لمساوي العيوب ففي هذا النص يستقيم المعنى واللفظ .

الرابع

التكرار نتيجة السهو

والى جانب ما ذكرنا من أسباب للتكرار هناك تكرار وقع سهواً أما من قبل السيد الرضي نفسه ، أو من سهو النساخ أو المصحفين ، ونحن نميل إلى أن السهو وقع نتيجة

النسخ والتصحيح لأنه لا معنى لتكرار العبارة نفسها مرتين أو ثلاث مرات في بعض الأحيان إلا أن يكون هناك سهو قد وقع ، وقد وجدنا كيف لفت السيد الرضي الأنظار عند تكرار بعض النصوص مع وجود الاختلاف فكان ينبه بأن هذا الكلام قد مرّ سابقاً ، ثم يذكر علة التكرار أما لزيادة في النص أو لاختلاف فيه ، أو لوجود معنى أوضح في النص الثاني المتكرر .

أما أن يتكرر النص بدون مبرر فامر غير معهود في الأدباء الكبار فالسيد الرضي ، ولربما كان هو نفسه السبب في هذا السهو نتيجة المدة الزمنية الطويلة التي استغرقها جمع كلمات وخطب الإمام عليه السلام ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته لنهج البلاغة قائلاً : وربما بعد العهد أيضاً بما اختير أولاً ، فأعيد بعضه سهواً ونسياناً لا قصداً واعتماداً^(١) .

وقد نوه ابن أبي الحديد إلى ظاهرة التكرار غير النافع في نهج البلاغة قائلاً : وإذا كان الرضي رحمه الله قد سها فكرر في مواضع كثيرة في نهج البلاغة على اختصاره ، فلنا نحن في تكرار يسير في كتابنا الطويل العذر^(٢) .
ومن النصوص المكررة في قصار الكلمات :

تكرر النص «القناعة مال لا يفسد» ثلاث مرات وورد برقم (٥٧) و (٣٤٩) و (٤٧٥) وكان هذا النص في (٣٤٩) جزءاً من كلام مفصل .

والنص : «أشرف الغنى ترك المني» برقم (٣٤) تكرر في رقم (٢١١) .

والنص : «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» ورد برقم (٢٢) وتكرر برقم (٣٨٩) .

والنص : «العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة الغنى» ورد برقم (٦٨) وتكرر برقم (٣٤٠) .

والنص : «الناس أعداء ما جهلوا» ورد برقم (١٧٢) وتكرر برقم (٤٣٨) .

والنص : «لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل» ورد برقم (١٨٢) وتكرر برقم (٤٧١) .

(١) انظر مقدمة السيد الرضي على كتاب نهج البلاغة .

(٢) ابن أبي الحديد : ٣١٤/٢٠ .

وهذا النوع الأخير من التكرار لا مبرر له ، ولا حاجة إليه وهنا ادعوا إلى إزالته حتى يأتي كتاب نهج البلاغة مصححاً مدققاً ، خالياً من السهو والنسيان وما شابه ذلك .

وفيما يلي بعض موارد التكرار الأخرى :

تكرر ما ورد في باب الرسائل برقم (٢٣) تكرر في باب الخطب برقم (١٤٩) فذكر في ذيل رقم (٢٣) : وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب إلا أن فيه ما هنا زيادة أوجبت تكريره .

وكرر ما ورد في باب الحكم برقم (١٤٨) «المرء مخبوءٌ تحت لسانه» في حكمة رقم (٣٩٢) مع زيادة في صدر الحكمة .

وقسم من خطبة (٣٣) أما والله إن كنت لفي ساقتها . . تكرر في خطبته (١٠٤) وقسم في خطبة (١٧٢) اللهم إني أستعديك على قریش تكرر في خطبة رقم (٢١٧) . وتكرر : إن الله بعث محمداً ﷺ وليس أحدٌ من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة في أول خطبة (٣٣) في خطبة (١٠٣) أما بعد ، فإن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ وليس أحدٌ من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة ولا وحياً ، وتكرر من أبدى صفحته للحق هلك من خطبة (١٦) في حكمة رقم (١٨٨) وتكررت عبارة «كلمة حق يراد بها باطل» في صدر الخطبة رقم (٤٠) في الحكمة المرقمة (١٩٩) .

وتكررت الحكمة رقم (١٨٢) لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل في رقم (٤٧١) بدون أي تغيير في اللفظ والمعنى .

وتكرر ما ورد في خطبة (٢٢) والله ما أنكروا عليّ منكرأ ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً ، وانهم ليطلبون حقاً هم تركوه ، ودماً هم سفكوه . . إلى آخره وقد تكرر هذا النص في خطبة رقم (١٣٧) مع أن النص واحد وقد ورد في خطبة للإمام حين بلغه خلع طلحة والزبير بيعتهما وانهما قدما البصرة مع عائشة .

وجزاء من خطبة رقم (٢٢٦) ورد باختلاف في الخطبة تحت رقم (٥٤) وهو : «ويسطتم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها» .

جزء من خطبة (٨٩) ورد في الخطبة (١٣٣) والخطبة (١٥٨) باختلاف يسير

والجزء هو: أرسله على حين فترة من الرسل، وهفوة عن العمل.
 جزء من خطبة (٩٧) ورد باختلاف في (١٢٥) وهو:
 «أف لكم لقد لقيت منكم برحاً، يوماً أناديكم، ويوماً أناجيكم».
 وجزء من خطبة (١٠١) ورد باختلاف في الخطبة (١٣٨) والجزء هو:
 «لكنني انظر إلى ضليل قد نعق بالشام وفحص برأياته في ضواحي كوفان».
 وجزء من خطبة رقم (٢٤١) تكرر في حكمة رقم (٤٤٠) وهو:
 «والله مستأديكم شكره ومورثكم أمره وممهلكم في مضمار محدود لتتنازعوا
 سبقه، فشدوا عقد المأزر واطبوا فضول الخواصر».



مركز تحقيقات علوم اسلامی

أسماء الخطب

اشتهرت بعض الخطب بمضامينها المهمة ، أو بالمناسبات التي قيلت فيها ، واخذ المصنفون والأدباء يضعون لها تسميات يميزونها عن الخطب الأخرى .

فلا يعرف متى وضعت هذه الأسماء على بعض الخطب ، لكنها وضعت قطعاً قبل أن يقوم السيد الرضي بجمع كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فهناك مصادر قبل الشريف الرضي تؤكد لنا وجود هذه الأسماء ، منها كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه حيث ذكر اسم خطبة الغراء وخطبة الزهراء عند إيراده الخطبتين ، كما وإن جمعاً من علماء الشيعة ومحدثيهم منهم الكليني والصدوق وابن شعبة الحراني ذكروا أيضاً أسماء بعض الخطب كخطبة الوسيلة والدياج ، ووجدنا في كتاب المناقب أسماء لبعض الخطب وليست لدينا معلومات دقيقة عن زمان هذه التسمية ، ومن الذي سماها بتلك الأسماء حتى وجه تسمية بعض الخطب ليس معروفاً ، وربما كان استخدام بعض العبارات الأدبية للدلالة على بلاغة الخطبة هي إحدى أوجه التسمية .

فائدة هذا البحث أننا بواسطة هذه الأسماء نستطيع أن نستجمع ما تناثر في نهج البلاغة من الكلمات القصار والخطب ، إذ كان منهج السيد الرضي يقوم على انتخاب الكلمات البليغة واستخراجها من الخطبة وإبرازها بصورة مستقلة في خطبة أو كلام أو كلمة قصيرة ، من هنا فإن وجود التسمية على أجزاء هذه الكلمات يمكننا من إرجاعها إلى أصلها وبالتالي معرفة النسق التاريخي والموضوعي للخطبة الواحدة .
وفيما يلي بعض أسماء الخطب الشهيرة :

(١) خطبة الوسيلة :

ذكرها كبار العلماء والمحدثين وأوردها الكليني بكامل أجزائها وأورد منها الخرائي ما اقتضاه كتابه من هذه الخطبة .

وهذه الخطبة هي في الواقع أم الحكم والمواظ التي أوردها السيد في الباب الثالث من نهج البلاغة ، فقد اقتطع من هذه الخطبة (١٢٠) حكمة ، ولم يأت السيد الرضي على ذكر هذه الخطبة قط في باب الخطب .

وهي تشتمل على أهم النصائح والمواظ التي أوردها الشريف الرضي في باب الحكم ، ولربما كان وجه التسمية أنها الوسيلة للوصول إلى الخلق الرفيع ، والإنسان المتكامل ثم الوسيلة لتحقيق رضا الله في الحياة الدنيا ، وقد خطبها أمير المؤمنين في المدينة بعد سبعة أيام من وفاة الرسول ^(١) .

(٢) خطبة الأشباح :

وهي الخطبة التي تحمل رقم (٩٠) من خطب نهج البلاغة ، وذكر السيد الرضي الاسم وهي من الخطب المشهورة ، وقد رواها عن مسعدة بن صدقة عن الصادق عليه السلام أن رجلاً أتاه فقال له يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا مثلما نراه عياناً فتزدد له حباً وبه معرفة فغضب ونادى ، الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي عليه السلام ، وقال : الحمد لله الذي لا يفره . . إلى آخره ، والأشباح (الأشخاص) وسميت بذلك لاشتغالها على ذكر الأشخاص ^(٢) .

ولربما قصد بالأشباح هنا الكائنات غير المرئية كالملائكة حيث ورد ذكر مفصل لها في هذه الخطبة .

(٣) خطبة الغراء :

وهي الخطبة التي ذكرها السيد الرضي برقم (٨٢) وقال عنها ، وهي الخطبة العجيبة ، وتسمى الغراء ، والغراء هو وصف بلاغي يوصف به الشيء الشريف مثل

(١) الروضة: الكليني ص ٩٧ .

(٢) الكيذري: حقائق ١/ ٤٤٣ .

قولهم رجل أغرّ أي شريف^(١). وذكر التسمية أيضاً ابن عبد ربه في العقد الفريد^(٢). وجاء على ذكرها كل الذين دونوا الخطب أمير المؤمنين عليه السلام.

٤) خطبة الديباج :

أورد هذه التسمية من سبق السيد الرضي في جمع خطب أمير المؤمنين عليه السلام كالصدوق وابن شعبة الحراني ، ولم يأت السيد الرضي على ذكر هذا الاسم لأنه قسمها إلى ستة أجزاء أعطى لكل جزء رقماً مستقلاً.

والأرقام هي (٨٦-١١٠-١٤٠-١٤١-١٧٣-٢٨١).

ووجه تسمية الخطبة بالديباج لأنها قطعة أدبية متناسقة فشبهت بالديباج واللباس المصنوع من الحرير.

٥) الخطبة الشقشقية :

وهي الخطبة التي ذكرها السيد الرضي في باب الخطب رقم (٣) وهي من الخطب المشهورة التي فيها يشكو الإمام مما جرى عليه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، ووجه التسمية مستمدة من عبارة للإمام قالها جواباً لابن عباس عندما قام إليه رجل من أهل السواد أثناء الخطبة وناولته كتاباً ، فأخذ الإمام يقرأ الكتاب ولما فرغ من قراءته قال له ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت ، فقال عليه السلام : هيهات يا بن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرأت ، وبهذه المناسبة سميت هذه الخطبة بالشقشقية وأخذت تعرف بين الأدباء والعلماء بهذا الاسم.

٦) خطبة الزهراء :

جاء ابن عبد ربه على ذكر هذه الخطبة ، وأوردها بكاملها في كتابه العقد الفريد ، وهي تبدأ بـ «الحمد لله الذي هو أول كل شيء ووليه ، وكل شيء خاضع له ، وكل شيء قائم به ، وكل شيء ضارِع إليه» وتنتهي الخطبة بهذا الدعاء - اللهم إني أسألك بأن لك الفضل والرحمة بيدك ، فأنت وليها لا يليها أحد غيرك ، وأسألك باسمك المخزون

(١) المصدر نفسه : ٢٨٦/١.

(٢) راجع العقد الفريد : ١٦٢/٤.

المكتون، الذي قام به عرشك وكرسيك وسماواتك وأرضك وبه ابتدعت خلقك - الصلاة على محمد، والنجاة من النار - برحمتك، آمين إنك ولي كريم^(١). ولم يأت السيد الرضي على ذكر هذه الخطبة، أما وجه تسميتها بالزهراء فهو إبراز لمضامين هذه الخطبة وهي تدور حول نعم الله على الإنسان وما منحه من قوى سمعية وبصرية وعقلية، ذكرها الإمام عليه السلام بأسلوب الخطاب الموجه إلى الخالق سبحانه وتعالى.

(٧) الخطبة اللؤلؤية :

لم تذكر هذه الخطبة في نهج البلاغة، أوردها المجلسي نقلاً عن كفاية الأثر برواية علي بن الحسن بن محمد بن منده عن محمد بن الحسين الكوفي، عن إسماعيل بن موسى بن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس قال: خطبنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على منبر الكوفة خطبة اللؤلؤة فقال فيما قال - في آخرها - ألا وإنني ظاعن عن قريب ومنطلق إلى المغيب، فارتقبوا الفتنة الأموية، والمملكة الكسروية وإماتة ما أحياء الله، وإحياء ما أماته الله، واتخذوا صوامعكم بيوتكم، وعضوا على مثل جمر الغضا واذكروا الله كثيراً فذكره أكبر لو كنتم تعلمون^(٢).

(٨) الخطبة المنبرية :

ذكرها سبط ابن الجوزي في التذكرة ورواها عن مجاهد عن ابن عباس قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام يوماً على منبر الكوفة، قال: الحمد لله واحمده وأومن به وأستعينه وأستهديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. ثم قال: أيتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة، الشاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم.

ثم قال أيضاً: اللهم لا ينبغي أن يكون الوالي على الدماء والفروج والمغانم

(١) العقد الفريد: ٦٧/٤ - ١٦٩.

(٢) بحار الأنوار: ٣٥٤/٣٦.

والأحكام ومعالم الحلال والحرام ، وإمامة المسلمين (وأمر المؤمنين) البخيل لأن نهمة في جمع الأموال ، ولا الجاهل فيدلهم بجهله على الضلال ، ولا الجافي فينفرهم بجفائه ، ولا الحائف فيتخذ قوماً دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ولا المعطل للسنن فيؤدي ذلك إلى الفجور ، ولا الباغي فيدحض الحق ولا الفاسق فيشين الشرع .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ما تقول في رجل مات وترك امرأة وبتين وأبوين فقال : لكل واحد السدس وللأبتين الثلثان .
قال : فالمرأة قال : صار ثمنها تسعاً .

وهذا من أبلغ الأجوبة وهذه المسألة مذكورة في الكتب الفقهية تحت عنوان المسألة المنبرية ، وأخذ اسم المنبرية تطلق على تلك الخطبة حتى اشتهرت بهذه التسمية . . ذكر بعضها السيد الرضي برقم (١٣١) .

(٩) الخطبة البالغة :

أورد السيد الرضي أجزاء منها في المختار (٢٨) و (٤٢) و (٢٢٦) في باب الخطب وأوردها سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص^(١) مسنداً إياها إلى علي بن الحسين عن عبد الله بن صالح العجلي : قال أخبرني رجل من بني شيان . . وأوردها المجلسي برواية ابن أبي ذئب عن أبي صالح العجلي ، قال : شهدت أمير المؤمنين كرم الله وجهه وهو يخطب فقال : بعد أن حمد الله تعالى وصلى على محمد رسول الله ﷺ : أيها الناس إن الله أرسل إليكم رسولاً لينزع به علتكم ، ويوقظ به غفلتكم ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل ، أما اتباع الهوى فيصدكم عن الحق ، وأما طول الأمل فينسيكم الآخرة ، ألا وأن الدنيا قد ترحلت مدبرة وإن الآخرة قد أقبلت مقبلة ، ولكل واحد منها بنون فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل ، واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت ، ومحاسبون على أعمالكم ومجازون بها فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله

(١) تذكرة الخواص : ص ٧١ طبع حجري .

الغرور، فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالعناء والغدر موصوفة^(١). وذكر المجلسي أن أبا نعيم ذكر طرفاً من هذه الخطبة في كتابه المعروف بالخلية.

(١٠) الخطبة الطالوتية :

ذكرها الكليني في الروضة^(٢) برواية محمد بن علي بن معمر عن محمد بن علي قال : حدثنا عبد الله بن أيوب الأشعري عن عمرو الأوزاعي عن عمرو بن شمر عن سلمة بن كهيل عن أبي الهيثم بن التيهان : أن أمير المؤمنين ﷺ خطب الناس بالمدينة فقال : الحمد لله الذي لا إله إلا هو، كان حياً بلا كيف، ولم يكن على شيء ولا ابتدع مكانه مكان . . وفي نهاية الخطبة ورد : واعلموا أنكم أن اتبعتم الداعي لكم طالع المشرق سلك بكم منهاج الرسول ﷺ فقد شفيت من العمى والصمم، وأستشفيت من البكم وكفيت مؤونة الطلب والإعتساف ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق : ولا يبعد الله إلا من أبي الرحمة، وفارق العصمة وظلم واعتسف، وأخذ ما ليس له وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

ووجه تسمية الخطبة بالطالوتية لورود مفردة «طالوت» فيها .

يقول الإمام ﷺ : أما والله لو كان لي عدة أصحاب طالوت، أو عدة أهل بدر، وهم أعدادكم، لضربتكم بالسيف حتى تؤولوا إلى الحق وتنبوا للصدق فكان ارتق للفتق وأخذ بالرفق . ولما كانت هذه الفقرة هي قلب الخطبة لذا سميت بالخطبة الطالوتية، وهي تحكي عن سلطان بني أمية وما ارتكبه بحق المسلمين من مظالم وما سيؤول إليه المصير بقيام القائم عجل الله تعالى فرجه .

وقد اقتطع السيد الرضي أجزاء من هذه الخطبة في مختاراته (١٠٠) و (١٥٠) و (٨٨) و (٢٠٣) و (١٣٢) و (٦٦) و (١٦٦) باب الخطب .

(١١) خطبة القاصعة :

ذكرها السيد الرضي برقم (١٩٠)، أورد تسميتها قائلاً : وهي تتضمن ذم إبليس

(١) تذكرة الخواص: ص ٧٢ طبع حجري كذلك بحار الأنوار ٧٤/٢٩٥-٢٩٦.

(٢) الكليني: الروضة ص ٢٤.

لعنه الله على استكباره وتركه السجود لآدم ﷺ، وأنه أول من اظهر العصبية، وتبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته أولها: الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء، واختارهما لنفسه دون خلقه.

أما وجه تسمية الخطبة بالقاصعة فهناك آراء.

الأول: يقول ابن أبي الحديد: يجوز أن تسمى هذه الخطبة «القاصعة» من قولهم: قصعت الناقة بجريتها، وهو أن تردّها إلى جوفها، أو تخرجها من جوفها فتملأ فاهاً، فلما كانت الزواجر والمواظ في هذه الخطبة مرددة من أولها إلى آخرها، شبهها بالناقة التي تقصع الجرة.

الثاني: ويجوز أن تسمى القاصعة لأنها كالقاتلة لإبليس واتباعه من أهل العصبية، من قولهم: قصعت القملة إذا هشمته وقتلتها.

الثالث: ويجوز أن تسمى القاصعة، لأن المستمع لها المعتبر بها يذهب كبره ونخوته، فيكون من قولهم: قصع الماء عطشه، أي أذهب وسكنه، وقال ذو الرمة بيتاً في هذا المعنى:

فانصاعت الحقب لم تقصع صرائرها ^(١) وقد تشيخ فلا ري ولا هيم

(١٢) الخطبة المونقة (الدرة اليتيمة) :

ذكر الخطبة الكفعمي في مصباح المتعبد، وذكرها أيضاً ابن أبي الحديد في نهج البلاغة ^(٢) وذكرها المجلسي في بحار الأنوار ^(٣).

ويقول عنها ابن أبي الحديد: وهي خطبة رواها كثير من الناس له ﷺ بخالية من حرف الألف، قالوا: تذاكر قوم من أصحاب رسول الله ﷺ أي حروف الهجاء أدخل في الكلام؟ فاجمعوا على الألف فقال علي ﷺ: حمدت من عظمت منته، وسبغت نعمته.

ووجه التسمية، ورود كلمة «مونقة» في طبائع الخطبة في وصف الجنة كما أورد

(١) ابن أبي الحديد ١٢/١٢٨.

(٢) المصدر نفسه ١٩/١٤٠.

(٣) المجلسي ٧٤/٣٤٠.

ذلك ابن أبي الحديد: رحمته جنة عريضة موقنة وعقوبته جحيم ممدودة، وتسمى الخطبة الخالية من حرف الألف، وتسمى أيضاً بالدرة اليتيمة. ومعنى الموقنة: الحسنّة المعجبة، لم يأت السيد الرضوي على ذكرها في نهج البلاغة.

١٢) خطبة (الافتخار، البصرة، الأقاليم، القصية، الملاحم) :

ووجدنا في كتاب المناقب لابن شهر آشوب بعض الأسماء لبعض الخطب التي لم يرد بعضها في نهج البلاغة.

خطبة الافتخار: وهي تطلق على كلامه ﷺ: «وَأَنَا أَذَانُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَمُؤَذِّنُهُ فِي الْآخِرَةِ» يعني قوله تعالى: «وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» في حديث البراء، وقوله: «فَأَذَنٌ مُؤَذِّنٌ»^(١).

خطبة البصرة: وهي «أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو رَسُولِهِ وَأَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ وَالْفَارُوقُ الْأَعْظَمُ لَا يَقُولُهُ غَيْرِي إِلَّا كَذَابٌ» وقد قالها غير مرة، ذكرها ابن أبي الحديد عدة مرات^(٢).

خطبة الأقاليم: وفيها وصف لما يجري في كل إقليم^(٣).

خطبة القصية: وهي «العجبُ كُلُّ العجبِ بينَ جمادى ورجب، أي عجب من أموات يضربون»، وجاء ابن أبي الحديد على ذكرها مروية عن المدائني في كتاب صفين^(٤).

خطبة الملاحم: وهي «وإنَّ من السنين سنون جوازع تجذع فيها أنف غطارفة وهراقلة يُقتل فيها رجال وتسبى فيها نساء ويسلب فيها قوم أموالهم وأديانهم، وتخرب دورهم وقصورهم، وتملك عليهم عبيدهم وأراذلهم وأبناء إمامهم» لم يرد ذكرها في نهج البلاغة.

هذه هي أهم الخطب التي عُرف لها أسماء، وقد لاحظنا أنها أشهر خطب أمير

(١) المناقب: ٢٣٦/٣.

(٢) ابن أبي الحديد: ٣٠/١.

(٣) المناقب: ٢٧٤/٢.

(٤) ابن أبي الحديد: ١٣٤/٦.

المؤمنين ﷺ ، ويسبب شهرتها أخذ العلماء والأدباء يطلقون عليها الأسماء التي أصبحت مشهورة بها .

وفي اختيار العنوان لاحظنا أن بعض الخطب حملت عنواناً كلياً يبرز من خلاله الجانب البلاغي للخطبة ، أو اختير لفظ ورد في الخطبة كالموتقة والطلوتية ، أو أي شيء لازم الخطبة ملازمة السوار للمعصم ، وبين لنا الكيذري علة اختيار هذه العناوين وإطلاقها على الخطبة في معرض بيانه لوجه تسمية خطبة القاصعة ، لملازمة قصع الناقة لجرتها والعرب تسمي الشيء باسم اللازم له قال الخطيئة :

إذا نزل الشتاء بدار قوم تجنب جار بيتهم الشتاء

ذكر الشتاء باسم الضيف اللازم له ، والشدة والشتاء ينزل بالفقير والغني ، ولا يتجنب أحداً والمراد تجنب جار بيتهم الضيق والشدة وضنك المعيشة ، الملازم للشتاء .



مركز تحقيقات علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أماكن الخطب

الخطب التي خطبها أمير المؤمنين في المدينة وهي على قسمين:

أولاً: الخطب التي خطبها قبل البيعة

خطبة الوسيلة: خطبها بعد ستة أيام من وفاة رسول الله ﷺ^(١).

خطبة الطالوتية: خطبها بحسب منطوقها في عهد أبي بكر.

(خطبة ٥^(٢): أيها الناس)، (خطبة ٦: والله لا أكون كالضبع)، (خطبة ٦٧: فهلا احتججتم)، (خطبة ٧٤: ولقد علمتم)، (خطبة ٧٥: أولم ينه بني أمية)، (خطبة ٩٢: دعوني والتمسوا) و(خطبة ١٣٤: وقد توكل الله)، (خطبة ١٣٥: يا ابن اللعين) و(خطبة ١٣٩: لن يسرع أحد قبلي) و(خطبة ١٤٦: إن هذا الأمر) و(خطبة ٢٠٢: السلام عليك) و(خطبة ٢٣٥: بأي أنت).

ثانياً: الخطب التي خطبها بالمدينة بعد البيعة

(خطبة ٧: اتخذوا الشيطان) و(خطبة ١٥: والله لو وجدته) و(خطبة ١٦: ذمتي بما أقول) و(خطبة ١٣٦: لم تكن) و(خطبة ١٥٢: قد طلع طالع) و(خطبة ١٦٧: لم يقصم جباري) و(خطبة ١٦٤: أن الناس ورائي) و(خطبة ١٦٨: يا إخوتاه) و(خطبة ١٦٩: إن الله بعث) و(خطبة ٨٧: لم يقصم جباري) و(خطبة ١٧٦: انتفعوا ببيان الله) و(خطبة ١٧٨: لا يشغله شأن) و(خطبة ٢٠٥: لقد نعمتما يسيراً) و(خطبة ٢٠٢:)

(١) روضة الكافي: ص ١٧.

(٢) الأرقام حسب المعجم المفهرس لنهج البلاغة (دشتي).

السلام عليك يا رسول الله) و(خطبة ٢٤٠ : يا بن عباس) و(الحكمة ١٨٨ : من أبدى صفحته) و(١٣٠ : يا أباذر) و(خطبة ١٠٠ : الحمد لله الناس) و(خطبة ١٠٤ : أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً) و(خطبة ١٦٧ : إن الله سبحانه أنزل)

ثالثاً: الخطب التي خطبها بالكوفة

الخطب (٣ : أما والله لقد تقمصها) و(٢٣ : أما بعد فإن الأمر) و(٢٥ : ما هي إلا الكوفة) و(٢٧ : أما بعد فإن الجهاد) و(٢٨ : أما بعد فإن الدنيا) و(٢٩ : أيها الناس المجتمعة) و(٣٤ : أيها الناس إنا قد أصبحنا) و(٣٤٠ : أف لكم) و(٣٥ : الحمد لله) و(٣٩ : منيت بمن) و(٤٠ : كلمة حق يُراد بها باطل) و(٤٢ : أيها الناس، إن أخوف ما أخاف عليكم) و(٤٣ : إن استعدادي) و(٤٤ : قبح الله مصقلة) و(٣٦ : اللهم إني أعوذ بك) و(٤٧ : كاني بك يا كوفة) و(٥٠ : بعد صفين : إنما بدء وقوع الفتن) و(٦٥ : الحمد لله يستهض فيها أصحابه لحرب معاوية في المرة الثانية) و(٧١ : أما بعد يا أهل العراق) و(٧٥ : أولم ينه بني أمية) و(٧٧ : إن بني أمية) و(٧٩ : أتزعم إنك) و(٩١ : الحمد لله - خطبة الأشباح) و(٩٤ : فتبارك الله الذي) و(١١٨ : أنتم الأنصار على الحق) و(١١٩ : ما بالكم أمخرسون أنتم) و(١٤٩ : أيها الناس كل امرئ لاق ما يفر منه) و(١٨٠ : أحمد الله على ما قضى من أمر) و(١٨١ : بعداً لهم كما بعدت ثمود) و(١٨٢ : الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق) و(١٩٣ : أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم) و(٩٣ : أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة). وأيضاً (الحكم ١١١-٣١١ و٣٢٢).

رابعاً: الخطب التي خطبها في البصرة

الخطب (١٣ : كتتم جند المرأة) و(١٤ : أرضكم قريبة من الماء) و(٧٣ : أولم يبايعني بعد قتل عثمان) و(١٠١ : الحمد لله الأول) و(٢٠٩ : ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا) و(١٥٣ : وهو في مهلة من الله (خطب بها وهو في طريقه إلى البصرة). و(١٥٦ : فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه) و(١٢٨ : يا أحنف كاني به وقد سار بالجيش) و(٦٧ : الحمد لله الذي لم يسبق له حال) و(١٠٢ : ويل لسككم

العامرة) و(الحكمة ١٠١ : الحمد لله الأول).

خامساً: الخطب التي خطبها بذي قار

الخطب (١٠ : ألا وأن الشيطان قد جمع حزبه) و(٣٣ : إن الله بعث محمداً ﷺ) و(٢٣١ : فصعد بما أمر به) و(٢١٣ : الحمد لله العلي عن شبه) و(٢١٤ : وأشهد أنه عدل) و(١٤٧ : فبعث محمداً) و(٢٣٩ : هم عيش العلم)، (والحكم المرقمة ٩٨-١٠٢-٤٦٨-٣٦٩).

سادساً: الخطب التي خطبها في النهروان

الخطب (٣٦ : فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى) و(٣٧ : فقامت بالأمر حين فشلوا -بعد وقعة النهروان-) (٥٩ : مصارعهم دون النطفة) و(٦٠ : كلا والله، انهم نطف في أصلاب الرجال) و(٦١ : لا تقاتلوا الخوارج بعدي) و(١٢٢ : أكلكم شهد معنا صفين) و(٥٨ : أصابكم حاصب) و(١٢٧ : فإن أيتم إلا أن تزعموا) و(١٧٧ : فاجمع رأي ملتكم على أن اختاروا رجلين) وحكمة (٣٢٣).

سابعاً: الخطب التي خطبها في صفين

الخطب (٢٤ : ولعمري ما علي من قتال) و(٥١ : قد استطعموكم القتال) و(٥٥ : أما قولكم) و(٥٦ : ولقد كنا مع رسول الله ﷺ) و(٥٨ : أصابكم حاصب) و(٦٦ : معاشر المسلمين) و(٦٢ : وإن علي من الله جنة) و(٩٧ : ولئن أمهل الظالم) و(١٠٧ : وقد رأيت جولتكم) و(١٢١ : أما والله لو أني حين أمرتكم) و(١٢٣ : وأي امرئ فيكم أحسن) و(١٢٤ : فقدموا الدارع وأخروا الحاسر) و(١٢٥ : إننا لم نحكم الرجال) و(١٧١ : اللهم رب السقف المرفوع) و(٢٠٦ : إنني أكره أن تكونوا سبابين) و(٢٠٧ : املكوا عني هذا الغلام لا يهدني) و(٢١٦ : أما بعد فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقاً بولاية أمركم) و(٢٣٣ : ألا وإن اللسان بضعة من الإنسان).

ثامناً: الخطب التي خطبها في الخريبة (الجمل)

الخطب (١١ : تزول الجبال ولا تزُل) و(١٢ : فقال له ﷺ : أهوى أخيك معنا)

و(٢٢: ألا وإن الشيطان قد ذمر حزيه . . ، قال ابن أبي الحديد: إنها من خطب الجمل وليس من خطب صفين^(١)) و(٣١: لا تلقين طلحة) و(٨٠: معاشر المسلمين) و(١٣٧: والله ما أنكروا علي منكرأ) و(٢١٨: فقدموا علي عمالي) و(٢١٩: لقد أصبح أبو محمد) و(الحكم - ٣٤٤ - ٣٦٧ - ١٨٤).

تاسعاً: الخطب التي خطبها بالنخيلة

الخطب (٤٨: الحمد لله كلما وقب ليل وغسق) و(٢٧: أما بعد فإن الجهاد باب من من أبواب الجنة).

عاشراً: الخطبة التي خطبها بالربذة

(٣٣: إن الله بعث محمداً - على رأي الشيخ المفيد^(٢) -).



مركز تحقيقات علوم إسلامي

(١) ابن أبي الحديد: ٣٠٥/١.

(٢) الإرشاد: للشيخ المفيد ص ٢٤٨.

فهرس المصادر والمراجع

- إبراهيم سلامة: تيارات ادبية، مطبعة مخيمر، ١٩٥٢.
- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي والحلي وشركاه
- ابن الأثير (ضياء الدين): المثل السائر، المكتبة العصرية، صيدا، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
- ابن الأثير (عز الدين): أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن أعثم الكوفي: الفتوح، دار الندوة الجديدة، دار المعارف العثمانية، ط١.
- ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تقريب التهذيب، قابله مؤلف واحد محمد عوادة، دار الرشيد حلب.
- تهذيب التهذيب، دار صادر، عن دائرة المعارف ١٣٢٥هـ.
- لسان الميزان: تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- وأيضاً مؤسسة الأعلمي.
- ابن خلكان (شمس الدين): وفيات الأعيان، منشورات الشريف الرضي برقم، ١٣٦٤.
- ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن شهر آشوب (رشيد الدين محمد بن علي): مناقب آل أبي طالب، مكتبة مصطفى، المطبعة العلمية، قم.
- السيد ابن طاووس:
- علي بن موسى بن جعفر: الملاحم والفتن، مؤسسة الوفاء، بيروت ط٦، ١٩٨٣.
- كشف المحجة لثمره المهجة: شاركه أخوه، ١٣٠٦، طبع ايران.
- ابن طلحة الشافعي: مطالب السؤول، طبع حجرى قديم.
- ابن العماد الحنبلي: شذارات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث الإسلامى، بيروت.

- ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار نهضة مصر، تحقيق علي محمد البجاوي.
- ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، دار الكتب العلمية.
- ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر بيروت ١٩٩٥.
- ابن قتيبة: عيون الأخبار، دار الكتب العلمية في بيروت.
- أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ١٩٦٢م القاهرة.
- ابن المقفع (عبد الله):
- الأدب الصغير والأدب الكبير، تحقيق أحمد زكي، مطبعة محمد علي مصر.
- يتيمة الدهر، دار النجاح، ١٩٧٤، ط ١ بيروت، ١٩١٢ مصر.
- ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨ بيروت.
- ابن ميثم البحراني: شرح نهج البلاغة، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٣هـ، قم.
- ابن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، القاهرة.
- ابن النديم: الفهرست، مطبعة جامعة طهران، إيران.
- ابن وضاح: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.
- أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر، تحقيق أحمد أمين، طبع القاهرة.
- أبو طالب المكي: قوت القلوب، المكتبة الحسينية، ١٢٤١هـ، مصر.
- أبو عمر الكندي: كتاب الولاة والقضاة، القاهرة.
- أبو علي القالي: ذيل الأمالي و التوادر، دار الكتاب العربي، بيروت.
- أبو الفرج، قدامة بن جعفر: نقد النثر، مطبعة مصر سنة ١٩٣٩.
- أبو الفرج الأصفهاني:
- الأغاني، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٩٩٧ بيروت.
- مقاتل الطالبين، مؤسسة الأعلمي ط ٢، ١٤٠٨، بيروت.
- أبو نعيم (أحمد بن عبد الله) الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، صيدا، المكتبة المصرية.
- أبو يعلى الموصلي: (أحمد بن علي): مسند أبو يعلى، دار المأمون تحقيق حسين سليم، دمشق، ط ١، ١٩٨٧، سورية.
- إحسان النص: الخطابة العربية في عصرها الذهبي، دار المعارف، القاهرة.
- أحمد زكي صفوت:
- ترجمة علي بن أبي طالب، مطبعة العلوم، ١٩٣٢.
- جمهرة خطب العرب، مكتبة البابي الحلبي، ط ٢، ١٩٦٢ القاهرة.
- أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتب العلمية، ط ١١، ١٩٧٥، بيروت.

- أرسطوطاليس: كتاب الخطابة، تحقيق إبراهيم سلامة، ط٢ مكتبة الأنجلو المصرية.
- آقا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، ١٩٨٣ بيروت.
- امتياز علي خان العرشي: استناد نهج البلاغة، طبع الهند.
- بحر العلوم (سيد مهدي): رجال بحر العلوم، منشورات مكتبة الصادق، إيران.
- البرقي (أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد): المحاسن، دار الكتب الإسلامية، قم.
- البلاذري (علي بن الحسن): أنساب الأشراف، مؤسسة الأعلمي ط١، بيروت، ١٩٧٤.
- الترمذي: (أبو عيسى محمد بن عيسى): سنن الترمذي، المكتبة الإسلامية.
- الثقفي (إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي): الفارات، تحقيق عبد الزهراء الحسيني.
- الجاحظ: البيان والتبيين، دار الفكر للجميع، ١٩٦٨، القاهرة.
- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الحراني (الحلي): تحف العقول: مكتبة الصدوق، طهران.
- حسين مطر: الترغيب والترهيب، عيسى البابي الحلبي ط١، ١٩٢٢، القاهرة.
- الحسيني بن سعيد (الأهوازي) كتاب الزهد كتاب حجرى، طبع إيران.
- الحسيني (عبد الزهراء): مصادر نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي، ط٢، ١٩٧٥، بيروت.
- الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت.
- الحلي (العلامة): رجال العلامة الحلي، دار الذخائر، قم.
- الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي): تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الفكر، بيروت.
- الخوئي (أبو القاسم): معجم رجال الحديث وتفضيل طبقات الرواة، مدينة العلم، قم.
- الديلمي (الحسن بن أبي الحسن): أعلام الدين، صفات المؤمنين، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
- الذهبي: ميزان الاعتدال، دار الفكر، بيروت.
- الرضي، الشريف: حقائق التأويل، مطبعة الغري، النجف الأشرف.
- المجازات النبوية، تحقيق مروان عطية، المستشارية الثقافية، ١٩٨٧ دمشق.
- الزركلي (خير الدين): الأعلام، دار العلم للملايين ط٢، ١٩٨٦، بيروت.
- زكي مبارك: النثر الأدبي في القرن الرابع الهجري، دار الكتب المصرية، ١٩٢٤ القاهرة.
- سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص، / طبع حجرى، إيران.
- سركيس (يوسف الياس) معجم المطبوعات العربية والمعربة، مكتبة الثقافة الدينية.
- سليم بن قيس الهلالي: كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق محمد باقر الأنصاري، نشر الهادي، ١٣٧٥ هـ ش، قم.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن): الإتقان في علوم القرآن، دار ابن كثير، دمشق.

- الشوشتري (محمد تقي) التستري: قاموس الرجال: جامعة مدرسين، قم.
- الصدوق أبو جعفر محمد بن علي القمي:
- علل الشرائع، مؤسسة الأعلمي، ط ١، ١٩٨٨.
- معاني الأخبار، جامعة مدرسين، ١٣٦١ هـ.
- التوحيد، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- الخصال: جامعة مدرسين، قم.
- الأمالي، الأعلمي، ط ٥، ١٩٨٠، بيروت.
- ثواب الأعمال، منشورات الرضي، ١٣٦٤ هـ ش قم.
- من لا يحضره الفقيه، دار المعارف، ١٩٨١.
- الصفدي: (صلاح الدين خليل بن ايبك): الوافي بالوفيات، دار صادر، بيروت.
- ضيف (شوقي): الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف ١٩٧١، القاهرة.
- الطبرسي (أبو الفضل علي الطبرسي): مشكاة الأنوار، دار الكتب الإسلامية ط ٢، ١٩٦٥.
- الطبرسي (أحمد بن علي بن أبي طالب) (الاحتجاج) تحقيق محمد باقر الخراساني، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.
- الطبري (أبو جعفر محمد بن أبي القاسم): إشارة المصطفى لشيعه المرتضى ط ٢، ١٩٦٣، بيروت.
- الطبري محمد بن جرير بن رستم بن جرير: المسترشد في الإمامة، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط ٥ وأيضاً مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- الطرطوشي (محمد بن الوليد): سراج الملوك، المطبعة المحمودية، القاهرة ١٣٥٤.
- الطوسي (محمد بن الحسن):
- الأمالي، مؤسسة الوفاء ط ٢، ١٩٨١.
- الرجال، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
- الغيبة، المطبعة الحيدرية، ١٤١١ هـ، النجف.
- القتال النيسابوري: روضة الواعظين، مؤسسة الأعلمي، ط ١، ١٩٨٦، بيروت.
- الفخر الرازي: التفسير الكبير، دار الكتب العلمية طهران.
- القاضي القضاعي: دستور معالم الحكم، تحقيق جميل العظم، طبع القاهرة.
- القطب الراوندي (سعيد بن هبة الدين): منهاج البراعة، منشورات المرعشي، ١٤٠٦ هـ قم.
- القمي (علي بن إبراهيم): تفسير القمي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، قم.
- كاشف الغطاء (هادي): مستدرک نهج البلاغة، النجف الأشرف.
- الكراجكي (محمد بن علي بن عثمان): كنز الفوائد، دار الأضواء، ١٩٨٥.

- الكليني (أبو جعفر محمد بن يعقوب): أصول الكافي، الدار الإسلامية، قم بيروت.
- فروع الكافي، الدار الإسلامية، قم.
- الروضة، الدار الإسلامية، قم.
- الكيذري (قطب الدين البيهقي): حقائق الحقائق، مؤسسة نهج البلاغة، طهران.
- تحقيق عز الله العطاردي، ١٤١٦، طهران.
- لويس شيخو (الأب): كتاب علم الأدب. الخطابة، مطبعة الأباء اليسوعيين ١٩١٣، بيروت.
- المازندراني (أبو علي الحائري): منتهى المقال في أحوال الرجال، مؤسسة آل البيت ١٩٩٨، قم.
- المبرد (أبو العباس، محمد بن يزيد): الكامل في الأدب، دار نهضة مصر، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق، عالم الكتب.
- المتقي الهندي: (علاء الدين علي) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩، بيروت.
- المجلسي (محمد باقر): بحار الأنوار في أحاديث الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء بيروت.
- محسن الأمين: أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت.
- محمد أبو زهرة: الخطابة مطبعة العلوم، ١٩٣٤، القاهرة.
- محمد سيد كيلاني: أثر التشيع في الأدب العربي، لجنة النشر للجامعيين، ١٩٤٧ القاهرة.
- محمد كرد علي: أمراء البيان، دار الأمانة، ط ٢، ١٩٦٩، بيروت.
- محمد طاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام (٢١) دار المعارف، ١٩٦٧، القاهرة.
- محمد بن حبيب: أسماء المفتالين من الأشراف، القاهرة.
- محمد عبده: شرح نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- المزي (جمال الدين يوسف المزي): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مؤسسة الرسالة، ط ٦، ١٩٩٤، بيروت.
- المسعودي (علي بن الحسين بن علي): مروج الذهب ط ٢، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٤٨، القاهرة.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري صحيح مسلم، مؤسسة عز الدين، ط ١، ١٩٩٧، بيروت.
- المفيد (أبي عبد الله محمد بن محمد): الجمل، طبع النجف الأشرف، ١٣٦٨.
- الإرشاد: مكتب الأعلام الإسلامي ١٤١٣هـ قم.
- الاختصاص، مكتب الأعلام الإسلامي ١٤١٣هـ قم.
- الفصول المختارة من العيون والمحاسن، مكتبة الداوري، ط ٤، ١٣٩٦، قم.
- الأمالي: المطبعة الحيدرية، ط ٢، النجف الأشرف.
- المناوي (عبد الرؤوف): كنز الحقائق في حديث خير الخلائق، شركة مصطفى البابي الحلبي، ط ٤، القاهرة.

- المنذري (زكي الدين): الترغيب والترهيب، طبع مصر. بلا تاريخ.
- الموسوي (محسن): الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، مؤسسة الثقليين، بيروت.
- الموسوي (سيد صادق):
تمام نهج البلاغة، الدار الإسلامية، بيروت.
- القضاء والنظام القضائي عند الإمام علي ؑ، مؤسسة الغدير، بيروت.
- محمد عبدة: شرح نهج البلاغة، طبعة الأعلمي - ١٩٩٣م.
- النجاشي: رجال النجاشي، مكتبة الداوري، ١٤٠٨هـ، قم.
- نصر بن مزاحم: وقعة صفين، مكتبة بصيرتي، تحقيق عبد السلام هارون ط٢، ١٣٨٢.
- النعماني (محمد بن إبراهيم بن جعفر): الغيبة، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- النوري (ميرزا حسين النوري): مستدركات وسائل الشيعة، طبع حجري إيران.
- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب): نهاية الأرب في فنون الأدب وزارة الثقافة، مصر.
- هبة الدين الشهرستاني: ما هو نهج البلاغة، طبع النجف الأشرف.
- اليافعي (محمد بن عبد الله بن اسعد): مرآة الجنان مؤسسة الأعلمي على طبع بومباي.



مركز تحقيقات كميّات علوم إسلامي

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول: أقسام الكلام في نهج البلاغة	٩
تمهيد	١١
المبحث الأول: الخطب	١٣
المبحث الثاني: الكلام	٩١
المبحث الثالث: الرسائل	٩٩
المبحث الرابع: الوصايا	١١٥
المبحث الخامس: العهود	١٢١
المبحث السادس: الأحلاف	١٢٥
المبحث السابع: الدعاء	١٢٧
المبحث الثامن: الحكم والمواعظ والكلام القصير	١٢٩
الفصل الثاني: نهج البلاغة بين التوثيق والتشكيك	١٣١
تمهيد	١٣٣
المبحث الأول: رواة نهج البلاغة	١٣٥
المبحث الثاني: الذين جمعوا خطب أمير المؤمنين ؑ	٢٠٣
المبحث الثالث: مصادر السيد الرضي	٢١١

المبحث الرابع: المشككون في نهج البلاغة	٢١٥
المبحث الخامس: الرد على الشكوك	٢٣٩
الفصل الثالث: شأن إيراد الخطب والرسائل والكلمات القصار —————	
المبحث الأول: شأن إيراد الخطب	٢٧٩
المبحث الثاني: شأن إيراد الكتب والرسائل	٣٣٣
المبحث الثالث: شأن إيراد الحكم والمواعظ	٣٥٧
الفصل الرابع: موضوعات عامة —————	
المبحث الأول: الاختلاف في القائل	٣٩٣
المبحث الثاني: التكرار في النصوص	٤٠٣
المبحث الثالث: أسماء الخطب	٤١١
المبحث الرابع: أماكن الخطب	٤٢١
فهرس المصادر والمراجع —————	
الفهرس	٤٣١

